

مصادر الاشتراكية العممية - ٧



ماوتسي تونغ

المؤلفات المختارة

المجلد الاول

ترجمة الدكتور فؤاد أيوب

دار دمشق للطباعة والنشر

مصادر الاشتراكية العالمية - ٧

ماوتسي تونغ

المؤلفات المختارة

المجلد الاول

ترجمة الدكتور فؤاد أيوب

دار دمشق
للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع والترجمة محفوظة لدار دمشق

الطبعة الثانية ١٩٦٥

الطبعة الاولى ١٩٥٨

الى القارئ

نقلت هذه الطبعة العربية «للمؤلفات المختارة من ماوتسي تونغ» عن الترجمة الانكليزية الصادرة عام ١٩٥٤ عن دار لورنس وديشارت في لندن ، المأخوذة بدورها عن الطبعة الصينية الصادرة في خمسة مجلدات باشراف لجنة خاصة معبنة من قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني . ولقد اخذت الملاحظات الايضاحية في مطلع كل مقالة عن الطبعة الصينية ، أما الهوامش فقد استمد بعضها من الطبعة الصينية أيضاً ، وبعضها الآخر من الترجمة الانكليزية .

ولقد رتبت محتويات المختارات كلها تبعاً للزمن ، وقسمت بصورة متفقة مع المراحل التاريخية الخمس التي اجتازها الحزب الشيوعي الصيني منذ تأسيسه عام ١٩٢١ .

ولما كانت طبعات مختلفة من مؤلفات ماوتسي تونغ قد صدرت من قبل في أماكن مختلفة دون أن يشرف المؤلف نفسه على أي منها ، فكثيراً ما اختلطت محتوياتها كيفما اتفق ، وكثيراً ما شوهتها الأخطاء ، بينما حذفت بعض الكتابات الهامة وأهمل أمرها . وقد جهد الناشرون الصينيون كي يضموا إلى الطبعة الراهنة المؤلفات الهامة التي خلت الطبعات الأخرى منها ، كما أن المؤلف نفسه راجع مختلف المقالات دون استثناء ، وعمد الى بعض التبديلات الشكلية هنا وهناك ، كما أعاد في بعض الأحيان كتابة بعض المقاطع مضيفاً إليها التفصيلات والايضاحات .

وعلى أية حال، فلا تزال الطبعة الحالية بعيدة عن الكمال . ذلك ان قسماً كبيراً من الادبيات الثورية الصينية قد أتلّف من قبل سلطات الكيومنتانغ الرجعية أو ضاع خلال سنوات الحرب الطويلة المريعة . وكذلك لم يمكن جمع كل ماكتبه ماوتسي تونغ ، وعلى الاخص الرسائل والبرقيات العديدة التي تشكل جزءاً عظيم الأهمية من مؤلفاته .

وإنه يمكن أن تكون في الترجمة العربية الحالية نقاط ضعف . لكننا نأمل أن تكفر عنها الغاية التي دفعتنا الى نقل هذه المؤلفات الى لغة الضاد ، ألا وهي وضع سلاح ماضٍ ، هو سلاح تجربة الثورة الصينية الظافرة ، بين أيدي القوى التحررية في بلادنا . وإننا لنأمل أن نكون وقفنا الى ذلك بصورة مرضية على الأقل ، إن لم يكن بصورة كاملة .

المترجم

مَرْحَلَةٌ الْحَرْبُ الْأَهْلِيَّةُ الثَّوْرِيَّةُ الْأُولَى

تحليل الطبقات في المجتمع الصيني

(آذار ١٩٢٦)

كتب هذا المقال عام ١٩٢٦ لمكافحة انحرافين وجدا يومذاك داخل الحزب - الانتهازية « اليمينية » التي يمثلها تشن تو هسيو ، والانتهازية « اليسارية » التي يمثلها تشانغ كيو - تاو . وكانت الانتهازية الواحدة لاتعير اهتماماً سوى للتعاون الكيومنتانفي الشيوعي بينما تحصر الانتهازية الاخرى كل اهتمامها في الحركة العمالية وحدها ، لكن كليهما تنسيان الفلاحين . وبالرغم من أن كلا هذين التيارين من الانتهازية كانا يدركان تماماً عدم كفاية القوى الثورية ، فان اياً منهما لم يعرف أين يجب أن يفتش عن القوى المساندة وعن الجماهير الغفيرة من الحلفاء . ولقد أوضح الرفيق ماوتسي تونغ أن للبروليتاريا الصينية في طبقة الفلاحين حليفها الاشد صلابة والاكثر عدداً ، وبذلك حل المشكلة المتعلقة بالحليف الرئيسي للثورة الصينية . ولقد تنبأ في الوقت نفسه بأن البورجوازية الوطنية ، بوصفها طبقة متقلبة ، سوف تنقسم خلال النهوض الثوري ، وينضم جناحها الايمن الى المعسكر الاستعماري . ولقد جاءت أحداث عام ١٩٢٧ تؤكد أحكامه .

من هم اعداؤنا ومن هم اصدقاؤنا ؟ ان لهذه المسألة أهمية أولية في الثورة . لم تحقق سائر النضالات الثورية الماضية في الصين الا نتائج ضئيلة جداً ، وذلك في الدرجة الاولى لان الثوريين لم يتمكنوا من توحيد اصدقاتهم الحقيقيين كي يهاجموا اعداءهم الحقيقيين . والحزب الثوري هو مرشد الجماهير ، ولن تنجح ثورة قط عندما يقودها حزبا الثوري في الطريق الخاطئة . وانه لينبغي لنا ، كي نتأكد من أننا لن نضل الطريق بثورتنا ، بل سوف نحقق نجاحاً ايجابياً ، أن نعير الاهتمام لمسألة توحيد اصدقاتنا الحقيقيين في سبيل

مهاجمة أعدائنا الحقيقيين . ويتوجب علينا كما نميز الاصدقاء الحقيقيين من الاعداء الحقيقيين ، القيام بتحليل عام للاوضاع الاقتصادية لمختلف الطبقات في المجتمع الصيني ولوقف كل من هذه الطبقات حيال الثورة . فما هي ظروف الطبقات المختلفة في المجتمع الصيني ؟

طبقتا الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين :

ان الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين، في الصين نصف القطاعات والمتخلفة اقتصادياً ، هم أجراء مخلصون للبورجوازية الدولية ، يرتبط وجودهم وتطورهم بالاستعمار . وتمثل هاتان الطبقتان أشد علاقات الانتاج في الصين تأخراً ورجعية وتعوقان تطور قواها المنتجة . وان وجودهما لمتنافر مع غايات الثورة الصينية . وهذا ينطبق بصورة خاصة على الملاكين العقاريين الكبار والمستوردين الاحتكاريين الكبار الذين يناحزون دائماً الى جانب الاستعمار ويشكلون أشد فرق الثورة المضادة تطرفاً . وتمثلهم سياسياً الجماعة المسماة الوطنيون (١) والجنح الايمن من الطبقة الوسطى .

الطبقة الاوسطى :

تمثل هذه الطبقة العلاقات الانتاجية الرأسمالية الصينية في المدينة والريف . وان الطبقة الوسطى ، والمعني بها بصورة رئيسية البورجوازية الوطنية ، لذات مواقف متناقضة حيال الثورة الصينية . فعندما تعاني من صفعات الرأسمال الاجنبي واضطهاد الملاكين العقاريين ، تحس الحاجة الى ثورة وتؤيد الحركة الثورية ضد الاستعمار والملاكين العقاريين ، لكنه عندما تتخذ البروليتاريا الداخلية موقفاً تضالياً في الثورة وتقدم لها البروليتاريا الاممية من

(١) هم فريق من السياسيين المتعنفين الضامير والفاشييين الدهنية ، وقد شكلوا اتحاد الشبيبة « الوطنية » الصينية التي عمدت مجدداً فيما بعد باسم حزب الشباب الصيني . ولقد احترف هؤلاء السياسيون المادون للثورة ، يزودهم بالمال الاستعماريون والمصائب الرجعية القابضة على زمام السلطة ، مهنة معارضة الحزب الشيوعي والاتحاد السوفييتي . وكان « الوطنيون » الصينيون يشددون ايضاً ، نظرياً ، على الدولة اكثر من الامة .

الخارج معاضدتها الفاعلة ، بحيث تستشعر تلك الطبقة الخطر الذي يهدد تحقيق أمنيتها في التطور كطبقة حتى تبلغ منزلة بورجوازية كبرى ، فان التردد ينتابها حيال الثورة . وانها لتنادي سياسياً بقيام دولة تخضع لسيطرة طبقة واحدة ، الا وهي البورجوازية الوطنية .

وان « تلميذاً حقيقياً » لتاي شي - تاو (١) ذا اسلوب خاص قد كتب في صحيفة تشن باو (٢) في بكين مايلي : « ارفعوا قبضتكم اليسرى كي تصعقوا الاستعمار وقبضتكم اليمنى كي تصعقوا الحزب الشيوعي » . وتصور لنا هذه الملاحظة مأزق هذه الطبقة وحيرتها . فهذه الطبقة تعارض في تفسير المبدأ الكيومنتانغ عن رفاهية الشعب تبعاً لنظرية الصراع الطبقي ، وتعارض في تحالف الكيومنتانغ مع روسيا وقبول الشيوعيين (٣) واليساريين الى

(١) ان تاي ، بوصفه مفضوا محنكا في الكيومنتانغ وشريكا لتشيانغ كاي - شيك في مضاربات البورصة في شنغهاي ، قد نظم حملة من الاضطهاد ضد الشيوعية بعد وفاة صن بات - صن عام ١٩٢٥ وهما الطريق فكريا لانقلاب لتشيانغ كاي - شيك عام ١٩٢٧ . وقد ظل طوال سنوات عديدة يلعب دور الخادم الامين لتشيانغ في الفعاليات المضادة للثورة . واما دفعه الانهيار القريب لنظام تشيانغ الى اليأس ، فقد انتحر في شباط ١٩٤٩ .

(٢) جريدة الاتحاد لدراسة الحكومة التشريعية ، وهو فريق سياسي كان يدعم يومذاك سادة الحرب من المصابة الشمالية .

(٣) قرر صن يات - صن عام ١٩٢٣ ، بمساعدة الحزب الشيوعي الصيني ، أن يعيد تنظيم الكيومنتانغ ، ويحقق التعاون بين الكيومنتانغ والحزب الشيوعي ، ويقبل الشيوعيين في حزبه . والاكثر من ذلك انه دعا ، في كانون الثاني ١٩٢٤ ، المؤتمر الوطني الاول للكيومنتانغ في كانتون ، حيث عرض السياسات الرئيسية الثلاث الخاصة بالتعاون مع روسيا ، والتعاون مع الشيوعيين ، وتقديم المساعدة الى الفلاحين والعمال . وقد حضر المؤتمر الرفاق ماوتسي تونغ ولي تان - تشاو ولين بو - تسو وشو شن - باي ولعبوا دورا كبيرا في دفع الكيومنتانغ على الدرب الثورية . ولقد انتخبوا اعضاء نظاميين او مناوبين في اللجنة التنفيذية المركزية للكيومنتانغ .

صفوفه . بيد أن الهدف الذي تسعى اليه ، وهو قيام دولة تخضع لسيطرتها الخاصة ، أمر غير عملي ، وذلك لأن الوضع العالمي الراهن هو وضع تخوض فيه القوتان الكبيرتان ، الثورة والثورة المضادة ، صراعاً نهائياً . ولقد رفعت هاتان القوتان الهائلتان علمين كبيرين ، أحدهما هو علم الثورة الاحمر الذي تمسك به الاممية الثالثة عالياً ، موحدة سائر الطبقات المضطهدة في العالم ، والآخر هو علم الثورة المضادة الابيض الذي تمسك به عصبة الامم عالياً ، موحدة العناصر المعادية للثورة في العالم . ومما لايتطرق الشك اليه أن الطبقة الوسطى سوف تنقسم سراعاً ، فتستدير بعض عناصرها الى اليسار وتنضم الى صفوف الثورة ، بينما تنحاز عناصر أخرى منها يميناً وتنضم الى صفوف الثورة المعادية ، وليس من سبيل أمام أي امرئ كان للبقاء « مستقلاً » . ومن هنا كانت الفكرة التي ترعاها الطبقة الوسطى الصينية بخصوص ثورة « مستقلة » تلعب فيها الدور القيادي مجرد وهم خالص .

البورجوازية الصغيرة .

ان الفلاحين الملاكين (١) ، والمعلمين الحرفيين ، والمثقفين الصفار - الطلاب ، وأساتذة المدارس الابتدائية والمتوسطة ، والموظفين الحكوميين من المرتبات الدنيا ، والكتبة ، والمحامين الصفار ، والتجار الصفار - ينتسبون جميعاً الى هذه المقولة . وتستأهل هذه الطبقة ، بسبب من ضخامتها وخصائصها الطبقية ، اهتماماً كبيراً . وان الفلاحين الملاكين والمعلمين الحرفيين لمنهمكون جميعاً في الانتاج الضيق النطاق . وبالرغم من أن المراتب المختلفة من هذه الطبقة تتمتع بنفس الوضعية الاقتصادية البورجوازية الصغيرة ، فهي تنقسم مع ذلك الى ثلاث جماعات مختلفة .

وتتألف الجماعة الاولى من أولئك الذين يملكون فائضاً من المال والحبوب ، أعني الناس الذين يملكون ، بنتيجة عملهم اليدوي أو الذهني ، فائضاً سنوياً

(١) يشير الرفيق ماوتسي تونغ هنا الى أن الفلاحين المتوسطين الذين عرفهم فيما بعد في مقالته عن «كيف نحلل الطبقات في المناطق الريفية» .

فوق ما يحتاجونه من أجل معيشتهم الخاصة . ومثل هؤلاء الناس متلهفون جدا الى الثروة ، وهم يعبدون «صاحب السعادة» تشاو كونغ - مينغ (١) بأقصى ما يمكن من الاخلاص ، وبالرغم من أن الاحلام لاتراودهم مطلقا في تجميع ثروة كبرى ، فان بهم رغبة دائمة في الارتفاع الى مراكز الطبقة الوسطى . ويسيل لعابهم بفزارة فائقة حين تقع ابصارهم على المسورين الذين يحوزون على احترام الناس . وانهم لجبناء ، يخشون السلطات ، لكن الثورة تبعث فيهم بعض الرهبة ايضا . ولما كانت وضعيتهم الاقتصادية قريبة جداً من وضعية الطبقة الوسطى ، فانهم يصدقون بصورة متفاوتة دعاية هذه الطبقة الاخيرة ويتخذون موقفا متشككا حيال الثورة . وتمثل هذه الجماعة اقلية بين البورجوازية الصغيرة ، وهي تشكل الجناح الايمن منها .

وتتألف الجماعة الثانية من أولئك الذين يمكنهم وضعهم الاقتصادي على العموم من سد حاجاتهم اقتصاديا . ويختلف أفراد هذه الجماعة كثيرا أفراد الجماعة الاولى في أن صاحب السعادة تشاو لايسمح لهم أن يصيروا أغنياء رغم مايعتمد في صدورهم من شهوة الفنى ، فهم يحسون أكثر فأكثر في السنوات الاخيرة ، مرهقين بما يلاقون من اضطهاد واستثمار من قبل المستعمرين والملاكين العقاريين والاقطاعيين الكبار والبورجوازية الاحتكارية الكبيرة ، أن العالم لم يعد بعد الآن مثله فيما مضى من الزمان . وانهم ليشعرون أنهم اذا لم يبذلوا الآونة من العمل سوى مثل ماكانوا يبذلون من قبل ، فسوف يعجزون عن الحفاظ على مستواهم الخاص من الحياة . فلا بد لهم بعد الآن من زيادة ساعات عملهم ، فهم ينهضون في ساعة أبكر ويتأخرون في العمل أكثر ، ويضاعفون جهودهم في أعمالهم . وانهم ليصيرون شيئا فشيئا على شيء من السفاهة ، فيدعون الاجانب «الشياطين الاجنبية» ، والملاكين العقاريين «النهايين» ، والعتاة المحليين والاشراف السيئين «السلاميين» (١) . ولما كانوا لايشعرون بسوى الشك في نجاح الحركة المناهضة للاستعمارين

(١) كان العتاة المحليون Touhao والاشراف السيئون Lechen . وفي عددهم

وسادة الحرب (والسبب في ذلك ان الاجانب وسادة الحرب يملكون قوة عظيمة) ، فانهم لا يجسرون على الانحياز بصراحة الى هذه الحركة ويبقون على الحياد ، لكنهم لا يعارضون الثورة مطلقاً . وان هذه الجماعة لكثيرة العدد فهي تشكل نصف البورجوازية الصغيرة .

وتتألف الجماعة الثالثة من اولئك الذين يهبط مستوى معيشتهم يوماً بعد يوم . وتجتاز فئة كبيرة من هذه الجماعة الآن ، وهم الذين كانوا ينتسبون على العموم الى العائلات المسماة ميسورة في الايام الماضية ، تبداً تدريجياً في ظروف وجودهم ، منتقلين من قدرة المحافظة على ثرائهم الى ضرورة العيش في ظروف متزايدة الضيق . ان قلوبهم لتنخلع في نهاية كل سنة ، عندما يصفون حساباتهم ، فهم يهتفون «هذا عجز جديد !» ولما كان هؤلاء الناس قد عرفوا ايما افضل ، وهم يتدهورون الآونة مع مر السنين ، فتزداد ديونهم ويتعاضم بؤس حياتهم يوماً بعد يوم ، فانهم «يرتجفون كأنهم عرضة للبرد» عندما يفكرون في المستقبل . وانهم ليعانون ، معنوياً ، عذاباً شديداً لان صورة التناقض بين الماضي والحاضر تلازم فكرهم . ويتمتع مثل هؤلاء الناس بأهمية كبيرة في الحركة الثورية ، ويؤلفون جمهوراً من الاتباع لا يستهان عدده . انهم الجناح اليساري من البورجوازية الصغيرة .

وتختلف هذه الجماعات الثلاث من البورجوازية الصغيرة في مواقفها حيال الثورة في الاوقات الطبيعية ، اما في اوقات الحرب ، يعني في مرحلة الانطلاق الثوري ، حالما تلوح تباشير النصر ، فلا ينضم الجناح اليساري وحده الى الثورة ، بل يمكن للجماعة المتوسطة من هذه الطبقة أن تنحاز أيضاً ،

الماكون الاقطاعيون الكبار المتمسكون والمزارعون الكبار الاثرياء ، اكثر المستثمرين والمضطهدين قسوة في الريف الصيني . وكانوا يمارسون أكثر أساليب العنف والتهديد فظافة ووحشية . ولما كانوا على صلة وثيقة بالسلطات الرجعية المحلية ، وكانوا يستثمرون الفلاحين المشتغلين في اراضيهم أو اراضي أسرهم ، فقد كانوا يمارسون السلطة الفعلية ويطفون على هواهم في القرية الصينية القديمة . لقد كانوا ، على حد قول ماوتسي - تونغ ، المثليين السياسيين لطبقة الاقطاعيين الكبار ، وهم اكثر هؤلاء الاقطاعيين الكبار ضرراً .

كما إن جناحها الايمن نفسه لا يستطيع الا أن يرتبط بالثورة ، وقد جرفه المد الثوري العظيم للبروليتاريا والجناح اليساري من البورجوازية الصغيرة . ونستطيع أن نبتين من حركة ٣٠ ايار (١) عام ١٩٢٥ ، والحركة الفلاحية في اماكن متفرقة ، أن هذا التأكيد مصيب .

نصف البروليتاريا .

ان ما يدعي نصف البروليتاريا هنا يتألف من خمس مقولات :

١ - الغالبية الساحقة من الفلاحين نصف المستأجرين (٢) ،

(١) المقصود هنا الحركة المناهضة للاستعمار التي عمت البلاد بأسرها احتجاجا على اعمال القتل في الشعب الصيني من قبل رجال الشرطة البريطانيين في شانغهاي في ٣٠ ايار ١٩٢٥ . فقد قامت اضرابات في ايار ١٩٢٥ في مصانع النسيج التي يملكها اليابانيون في تسينغتاو وشانغهاي وانتشرت على نطاق عملاق . وقد عمد الاستعماريون اليابانيون واجراؤهم، سادة الحرب من المصاغة الشمالية ، الى القضاء على هذه الاضرابات . وفي ١٥ ايار اطلقت ادارة أحد المصانع اليابانية في شانغهاي النار على المتظاهرين وقتلت عاملا يدعى كوتشنغ-هونغ وجرحت اكثر من عشرة عمال آخرين . وفي تسينغتاو اعدم ثمانية عمال بأمر من الحكومة الرجعية في ٢٨ ايار . وعندئذ باشر الفا طالب في شانغهاي بحركة في منطقة الامتيازات الاجنبية في ٣٠ ايار ، متوجهين الى الراي العام كي يعضد العمال ومنادين بالغاء الامتيازات . ولقد نجحوا في ٢٨ ايار . وعندئذ باشر الفا طالب في شانغهاي بحركة في منطقة الامتيازات الاجنبية في ٣٠ ايار، متوجهين الى الراي العام كي يعضد العمال ومنادين بالغاء الامتيازات . ولقد نجحوا في جمع جمع أكثر من عشرة آلاف انسان امام مراكز الشرطة الخاصة بالامتياز البريطاني ، هاتفين بالشعارين التاليين : « يسقط الاستعمار » و « يا شعب الصين اتحد » . ولقد فتحت الشرطة البريطانية النار على المتجمعين في الحال ، فقتلت وجرحت عددا كبيرا من الطلاب . وتلك كانت مذبحة ٣٠ ايار الشهيرة التي اثارت فورا نغمة الشعب في طول البلاد وعرضها ، وادت الى مظاهرات واسعة النطاق واضرابات نظمها العمال والطلاب والتجار ، بلغت أوجها في حركة مناعضة للاستعمار شاسعة الابعاد .

(٢) يعني الرفيق ماوتسي تونغ هنا بالغالبية الساحقة من الفلاحين نصف المستأجرين

الفلاحين الفقراء الذين يشتغلون حيناً في ارضهم الخاصة وحيناً آخر في أرض يستأجرونها من الآخرين .

٢ - الفلاحون الفقراء ، ٣ - الحرفيون الصغار ، ٤ - الاجراء (١) ،
٥ - الباعة الجوالون . وتشكل الغالبية الساحقة من الفلاحين نصف
المستأجرين ، بالإضافة الى الفلاحين الفقراء ، قسما فائقا من الجماهير
في المناطق الريفية ، وليست « المسألة الفلاحية » في الاساس سوى قضيتهم
الخاصة . وان الفلاحين نصف المستأجرين والفلاحين الفقراء والحرفيين
الصفار ليعملون جميعا في الانتاج على نطاق أضيق من نطاق البورجوازية
الصفيرة . وبالرغم من أن الغالبية الساحقة من الفلاحين نصف المستأجرين
والفلاحين الفقراء على السواء ينتسبون الى نصف البروليتاريا ، فانه يمكن
مع ذلك تقسيمهم مجددا ، تبعا لظروفهم الاقتصادية ، الى ثلاث مراتب ،
عليا ومتوسطة ودنيا .

ان حياة الفلاحين نصف المستأجرين اقسى من حياة الفلاحين المالكين ،
اذ ينقصهم كل عام حوالي نصف ما يحتاجون من غذاء ، فلا بد لهم ان
يستأجروا الارض من الغير ، وان يبيعوا قسما من قوتهم على العمل ، او
يعملوا في التجارة الصغيرة كي يسدوا العجز الذي وقعوا فيه . وانهم
يقترضون المال بفوائد باهظة ويتاعون الجيوب بأسعار فاحشة ، وذلك في
نهاية الربيع ومطلع الصيف ، قبل ان ينمو العشب الاخضر وبعدما يكون
موسم العام الماضي قد استهلك . واذا ما قورنوا بالفلاحين المالكين الذين
لا يحتاجون لاية معونة من الآخرين ، فان نصيبهم اقسى بكل تأكيد ، وإن
يكن افضل بعد من نصيب الفلاحين الفقراء . ذلك أن الفلاحين الفقراء
لا يملكون أرضا البتة ، وهم لا ينالون مقابل عملهم السنوي في الفلاحة
والزراعة سوى نصف الموسم او اقل ، بينما يستطيع الفلاحون نصف
المستأجرين ، وان كانوا لا يتلقون سوى نصف موسم الارض التي استأجروها

(١) ينتسب الاجراء في الصين الى مراتب مختلفة . والرفيق ماو يشير هنا الى المرتبة
الاسع . وثمة مرتبة اخرى وضعيتها الاقتصادية اكثر تدنيا ايضا ، وافرادها يعيشون حياة
البروليتاريا .

من الغير او اقل من ذلك احيانا ، ان يحتفظوا على اية حال بكامل موسم الارض التي يملكونها . ولذا كانت الصفات الثورية للفلاحين نصف المستأجرين اعلى من صفات الفلاحين المالكين ، لكن ادنى من صفات الفلاحين الفقراء .

والفلاحون الفقراء فلاحون مستأجرون في الريف ، يستثمرهم الملاكون العقاريون . ويمكن تقسيمهم ايضا ، تبعا لوضعيتهم الاقتصادية ، الى جماعتين ، تملك الجماعة الواحدة أدوات زراعية صالحة نسبيا ومقدارا نسبيا من الاموال النقدية ، وهم يستطيعون الحصول على نصف منتج عملهم السنوي ، ويسدون العجز بما يزرعونه من مواسم جانبية ، وما يصطادونه من اسماك وسرطانات ، وما يربونه من دجاج وخنازير ، او ما يبيعونه من قوة عملهم ، مقترين في المعيشة ، أملين ان يتجاوزوا السنة الراهنة في ملء العوز والكد . ولذا كانت حياتهم اقسى من حياة الفلاحين نصف المستأجرين ، لكن افضل من حياة الجماعة الاخرى من الفلاحين الفقراء . وان صفاتهم الثورية لاعلى من الصفات الثورية للفلاحين نصف المستأجرين ، لكن ادنى من الصفات الثورية الخاصة بالجماعة الاخرى من الفلاحين الفقراء . اما الجماعة الاخرى من الفلاحين الفقراء ، فهم لا يملكون أدوات زراعية صالحة ، ولا يملكون اموالا نقدية ، كما لا يملكون كفاية من الاسمدة ، او البذار ، بل كل ما يملكون موسم فقير تدره لهم ارضهم ، ومن ثم حاجة اعظم ايضا الى بيع بعض قوة عملهم بعدما لا يتبقى لهم بعد دفع اجر ارضهم الا النذر اليسير . وانهم ليتوجهون الى الاقرباء والاصدقاء في المواسم الهزيلة والاوقات العصيبة ، يستعيرون بعض مكاييل الحنطة (١) التي تمكنهم من البقاء ولو لمدة ثلاثة او خمسة ايام اخرى ، فتتراكم ديونهم مثل الاحمال على ظهور ثيران الجر . انهم من اكثر الفلاحين عوزا ، وهم يتقبلون التحريض الثوري كثيرا .

ويصنف الحرفيون الصغار مع نصف البروليتاريا لانهم مجبرون في غالب الاحيان ، بالرغم من امتلاكهم بعض وسائل الانتاج البسيطة ، وحياتهم

(١) في الاصل تو Tou اوشينغ Sheng . والتو مقياس صيني يساوي ٢٨٥ ر. من

الكبال ، والشنغ هو مشر التو .

بالإضافة الى ذلك نوعا من المهنة الحرة ، على بيع قسم من قوة عملهم ، فهم متماثلون نوعا ما في الوضع الاقتصادي مع الفلاحين الفقراء في المناطق الريفية . ولما كانوا يرزحون تحت الاعباء العائلية الثقيلة والتفاوت بين مكاسبهم وتكاليف المعيشة ، فهم أيضا يشبهون على العموم الفلاحين الفقراء في شعورهم الدائم بضغط الفقر وتهديد البطالة .

أما الاجراء فمستخدمون في المؤسسات التجارية ولا بد لهم ان يقوموا بأود عائلاتهم بمرتباتهم الهزيلة . وبينما ترتفع الاسعار سنويا ، لا ترتفع أجورهم عادة الا مرة واحدة كل عدة سنوات ، وكل حديث طارئ معهم يشكل بالنسبة اليهم فرصة للتنفيس عن آلامهم اللامتناهية . وهم لا يختلفون كثيرا في وضعيتهم عن الفلاحين الفقراء والحرفيين الصغار ، وقابليتهم عظيمة للتحريض الثوري .

ولا يملك الباعة الجوالون ، سواء أداروا ببضائعهم على عربة أم أقاموا دككا لها على طول الطرقات ، سوى رأسمال صغير ، ولا يحصلون سوى على ربح ضئيل ، وكسبهم لا يكفي ليوثر لهم الغذاء والملبس . وهم لا يختلفون كثيرا في أوضاعهم عن الفلاحين الفقراء ، ويحتاجون مثلهم الى ثورة تبدل الحالة القائمة للأمور .

• البروليتاريا •

تعد البروليتاريا الصناعية الحديثة في الصين حوالي مليوني عامل . ولما كانت الصين متأخرة اقتصاديا ، لم يكن تعداد البروليتاريا الصناعية

(١) في اوائل عام ١٩٢٢ اعلن البحارة في هونغ كونغ وملاحوا المراكب البخارية في نهر نانغتسي . الاغضب . وقد استمر البحارة ، بعتاد ، في اضرابهم طوال ثمانية أسابيع . وبعد صراع مرير اريق فيه دم غزير ، اضطرت السلطات الاستعمارية البريطانية في هونغ كونغ ان تقبل بزيادة الاجور ، وأن ترفع الحرمان عن اتحاد البحارة ، وأن تطلق سراح المضربين المعتقلين ، وأن تموض على عائلات الشهداء . ولم تمض على ذلك فترة قصيرة حتى اعلن فلاحو نهر نانغتسي اضرابا اتصل اسبوعين وتكلل هو الآخر بالظفر .

الحديثة كبرا فيها . ويشتل غالبية هؤلاء العمال في خمسة قطاعات :
السكك الحديدية ، والمناجم ، والنقل البحري ، والنسيج ، وبناء السفن .
وهم مستعدون بأعداد كبرى في المشاريع التي يملكها الرأسمال الاجنبي .
وتمثل البروليتاريا الصناعية ، رغم قلة عددها ، القوى المنتجة الجديدة
في الصين وتشكل اكثر الطبقات تقدمية في الصين الحديثة ، وقد أصبحت
القوة القائدة في الحركة الثورية . واذا أخذنا بعين الاعتبار ما أبدته من قوة
في حركات الاضراب في السنوات الاربع الاخيرة ، كاضراب البحارة
واضراب السكك الحديدية (١) ، والاضرابات في مناجم الفحم في كايلان
وتسيياوتسو (٢) ، واضراب شامين (٣) ، والاضرابات العامة في شانغهاي

(١) اخذ الحزب الشيوعي الصيني ، بعد تأسيسه فوراً عام ١٩٢١ ، في تنظيم عمال
السكك الحديدية . ووقعت اضرابات في ١٩٢٢ - ٢٣ ، تحت قيادة الحزب ، في سائر الخطوط
الرئيسية . واشهر هذه الاضرابات الاضراب الكبير على سكة حديد بكين - هانكوو الذي بدأ في
٤ شباط ١٩٢٣ وكان نضالاً في سبيل حق العمال في تنظيم اتحاد عام للخطبأسره . وفي ٧ شباط
قام وو يبي - فو وهسياءو - نان ، وهما من كبار سادة الحرب من العصابة الشمالية ،
يدعمهما الاستعمار البريطاني ، بمذبحة رهيبة بين المضربين ، عرلت فيما بعد باسم مذبحة
السابع من شباط .

(٢) جرى اضراب كايلان في تشرين الاول ١٩٢٢ ، وان « مناجم كايلان الفحمية » ، وهي
تسمية تشمل حقول فحم كاينغ ولوانشو (لانشوو) في مقاطعة هوبيه ، تشكل منطقة واسعة
متماسكة من مناجم الفحم كان يعمل فيها يومذاك مايزيد عن خمسين الف عامل . ولقد اغتصب
الاستعماريون البريطانيون ، اثناء حركة اليوكسر عام ١٩٠٠ ، مناجم كاينغ من الصين ، فقام
الصينيون بعدئذ بتنظيم شركة مناجم فحم لوانشو . وفيما بعد ، عندما حقق البريطانيون
السيطرة على كلي المنطقتين من حقول الفحم ، فقد اسسوا ادارة مناجم كايلان بضم
الشركتين معا .

وقد اضرَب عمال مناجم تسيياوتسو من أول تموز حتى ٩ آب ١٩٢٥ . وتقع مناجم تسيياوتسو
الشهرة في القسم الشمالي الغربي من مقاطعة هونان .

(٣) كانت شامين ، وهي قسم من مدينة كانتون ، مستأجرة من قبل الاستعماريين
البريطانيين . وفي تموز ١٩٢٢ ، أصدرت السلطات الاستعمارية البريطانية مرسوماً بولبسيا
يطلب من سائر الصينيين أن يبرزوا جوازات سفر تحمل صورهم عندما يدخلون الى تلك المنطقة
أو يفادرونها ، فيما يحق للاجانب أن يسافروا بين المنطقة وخارجها بكل حرية . وقد اضرَب
العمال في شامين احتجاجاً على ذلك في ١٣ تموز ، واضطر البريطانيون الى إلغاء ذلك المرسوم .

وهونغ كونغ بعد حركة ٣٠ أيار (١) ، فاننا نستطيع ان ندرك في الحال أهمية مركز البروليتاريا الصناعية في الثورة الصينية . وان أول سبب يمكن العمال من احتلال مثل هذه المكانة هو تركزهم ، اذ ليس ثمة قسم آخر من الشعب على مثل هذه الدرجة من التركز . والسبب الثاني في ذلك هو وضعيتهم الاقتصادية المنخفضة . وانهم لقادرون بصورة مخصوصة على القتال لانهم يؤسوا ، وهم المحرومون من مختلف وسائل الانتاج بحيث لا يملكون سوى أذرعهم ، من تحصيل الثروة في اي يوم من الايام ، كما انهم يتعرضون لاقسى معاملة من قبل الاستعماريين وسادة الحرب والبورجوازية . كذلك تستأهل قوة فعلة المدن انتباها عظيما . وان معظمهم من عمال تفريغ السفن وجر العربات ، لكن منظفي المجاري وكناسي الطرق ينتسبون اليهم ايضا . ولما كانوا لا يملكون سوى أذرعهم ، فانهم سواء مع العمال الصناعيين في الوضعية الاقتصادية ، لكنهم أقل تركزا منهم ، كما ان دورهم في الانتاج أقل أهمية .

وليس في الصين حتى الان سوى زراعة رأسمالية حديثة ضيقة النطاق . وما يسمى البروليتاريا الريفية تتألف من العمال الزراعيين الذين يستأجرون سنويا أو شهريا أو يوميا . ولما كانوا لا يملكون أرضا ولا أدوات زراعية ولا حتى أدنى مبلغ من المال ، فهم لا يستطيعون اذن سوى بيع قوة عملهم كي يكسبوا معيشتهم . واذا ما قورنوا مع العمال الآخرين ، فانهم يشتغلون ساعات أطول ، وذلك مقابل أجرة أدنى ، وفي شروط أسوأ ، وبأقل ما يمكن من ضمانات الاستخدام . وان مثل هؤلاء الناس لاكثر سكان القرى ضائقة ، ومركزهم في الحركة الفلاحية لا يقل أهمية عن مركز الفلاحين الفقراء .

(١) قامت الاضرابات العامة في أول حزيران ١٩٢٥ في شانغهاي ، و ١٩ حزيران في هونغ كونغ . واشترك فيها أكثر من ٢٠٠.٠٠٠ عامل في شانغهاي و ٢٥٠.٠٠٠ في هونغ كونغ . ولقد استمر عمال هونغ كونغ في اضرابهم ، بمساعدة الشعب في طول البلاد وعرضها ، طوال ستة عشر شهرا ، وسجلوا بذلك أطول اضراب في تاريخ الحركة العمالية العالمية .

وأنا نجد الى جانبهم عددا كبيرا من العناصر المحرومة ، وهم فلاحون فقدوا ارضهم وصناع فقدوا كل فرصة في ايجاد العمل . وانهم ليعيشوا حياة ليس أبعد منها عن الاستقرار . ولقد شكلوا جمعيات سرية في أمكنة مختلفة - مثال ذلك « جمعية الثلاث » في فوليين وكوانغ تونغ ، و « جمعية الاخوان » في هونان ، وهوبيه ، وكوتيشوو ، وستيشوان ، و « جمعية السيوف الطويلة » في أنهوي ، وهنان ، وتشانتونغ ، و « جمعية الاخلاق » في شيهلي والمقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث (١) ، و « العصبة الزرقاء » في شانغهاي وغيرها (٢) - وكانت سائر هذه الجمعيات بمثابة منظمات لتبادل المعونة في النضال السياسي والاقتصادي . ويشكل الموقف حيال هذه الجماعة من الناس احدى قضايا الصين العويصة . ولما كانوا قادرين على القتال بشجاعة عظيمة ، لكنهم ميالون الى الاعمال المخربة ، فانهم قادرون أن يصيروا قوة ثورية حين يوجهون بصورة صالحة .

(١) كان شيهلي اسم مقاطعة هوبية الحاضرة . وان المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث وتذاك ، فنغ تين وكيرين وهيلونغ كيانغ تشكل الاونة الشمال الشرقي من الصين .

(٢) كانت هذه الجمعيات السرية اشكالا متأخرة وبدائية من التنظيم بين افراد الشعب . وكان اعضاؤها يتألفون في الدرجة الاولى من فلاحين مفلسين ، وحرفيين عاطلين عن العمل ، وبروليتاريين عاطلين ، وقد تجمعوا في الظروف الاقطاعية للصين على أساس ديني أو أهامي مشتركة وشكلوا منظمات عديدة بأسلوب بطريكي وأسماء متنوعة . وكانت بعض هذه المنظمات تملك الاسلحة أيضا . وكان البروليتاريون العاطلون يسمعون ، عن طريق هذه المنظمات ، الى تبادل المعونة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وكانوا يحاربون في الاحياء البيروقراطيين أو الملاكين الكبار الذين يضطهدونهم . ومن الواضح أن مثل هذه المنظمات المتأخرة مازال يمكن أن تشق طريقا أمام الفلاحين والحرفيين للخروج من مأزقهم . والاكثر من ذلك أنها كثيرا ما انقلبت الى أدوات في أيدي البيروقراطيين والملاكين الكبار ، ولهذا السبب ، ولميلها الاعمى الى التدمير ، فقد تفسخ البعض منها الى قوى رجعية . واستخدمتها تشانغ كاي - شيك في انقلابه المضاد للثورة عام ١٩٢٧ لتحطيم وحدة الجماهير الكادحة والقضاء على الثورة . ومهما يكن من أمر ، فان الفلاحين شكلوا ، منذ قيام البروليتاريا القوية الحديثة ، وتحت قيادة الطبقة العاملة ، منظمات من نوع جديد تماما ، وبالتالي فقدت تلك الجمعيات البدائية المتأخرة مبرر وجودها .

ويتضح مما سبق أن سائر أولئك الذين تحالفوا مع الاستعمار – سادة الحرب ، والبيروقراطيين ، وكبار المستوردين الاحتكاريين ، والملاكين الكبار والقسم الرجعي من المثقفين المرتبطين بهم – هم أعداؤنا . وان البروليتاريا الصناعية هي القوة القائدة في ثورتنا . وان سائر فئات نصف البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة هم أقرب أصدقائنا . أما الطبقة الوسطى المتقلبة ، فان جناحها الايمن يمكن أن يصبح عدوا لنا وجناحها الايسر صديقا لنا ، بيد أنه يتوجب علينا أن نتخذ دائما حذرنا حيال هذا الجناح الاخير ، فلا نسمح له أن يخلق البلبلة في جبهتنا .



نفر عن تحقيق في الحركة الفلاحية في هونان

(آذار ١٩٢٧)

كتب هذا المقال للرد على ما وجه داخل الحزب وخارجه على السواء من نقد الى نضال الفلاحين الثوري في ١٩٢٦ - ١٩٢٧ . وقد ذهب الرفيق ماوتسي تونغ بنفسه الى هونان حيث قضى اثني وثلاثين يوما يقوم بالتحقيق ، ثم كتب هذا التقرير . وقد رفض الانتهازيون اليمينيون في الحزب ، وعلى رأسهم تشن تو - هسيو ، قبول نظرات الرفيق ماو ، وأصروا على آرائهم المفلوطة . وكانت خطيئتهم الكبرى كونهم لم يجسروا ، وقد أخافهم التيار الرجعي للكيومتانغ ، أن يعضدوا النضالات الثورية الكبرى للفلاحين ، هذه النضالات القائمة أو التي هي في طريق القيام . ولقد فضلوا ، في سبيل تهدئة الكيومنتانغ ، أن يديروا ظهورهم لطبقة الفلاحين ، وهي الحليف الرئيسي في الثورة ، وبذلك وضعوا الطبقة العاملة والحزب الشيوعي في عزلة قاسية . وأفاد الكيومنتانغ من هذا الضعف الذي أصاب الحزب الشيوعي ووجد الجراحة في صيف ١٩٢٧ على خيانة الثورة وبدأ حملته الخاصة « بتطهير الحزب » وشن الحرب ضد الشعب .

أهمية المسألة الفلاحية

لقد أجريت ، أثناء زيارتي الحديثة لهونان (١) ، تحقيقا مباشرا في الظروف التي تعيش فيها الاقاليم الخمسة : سيانفتان ، وسيانغ سيانغ ، وهنغشان ، ويليونغ ، وتشانغشا . ولقد عقدت خلال الاثني والثلاثين يوما التي قضيتها هناك ، من ٤ كانون الثاني حتى ٥ شباط ، اجتماعات في القرى وفي المدن الاقليمية لمناقشة الامور دعوت اليها فلاحين مجربين ورفاقا يعملون في الحركة الفلاحية ، وأصفيت بانتباه الى تقاريرهم ، وجمعت مقدارا كبيرا من المواد . وتبين لي ان عددا كبيرا من قضايا الحركة الفلاحية مناقض تماما لما سمعته من قبل من أفواه الاشراف في هانكوو وتشانغشا . وكان في الوقت

(١) كانت هونان يومذاك المركز المعاصر للحركة الفلاحية في الصين .

نفسه أشياء غريبة عديدة لم يسبق لي قط أن رأيتها أو سمعتها من قبل .
واعتقد ان هذه الظروف متوفرة في أماكن أخرى عديدة .

وانه ينبغي أن نصح بأقصى ما يمكن من السرعة مختلف أنواع الحجج
الموجهة ضد الحركة الفلاحية ، كما ينبغي أن نبذل بأقصى ما يمكن من
السرعة ما اتخذته السلطات الثورية من تدابير مفلوطة بشأن الحركة الفلاحية ،
وتلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نصنع بها شيئاً صالحاً فيما يتعلق
بمستقبل الثورة . ذلك أن قيام الحركة الفلاحية الراهنة حدث عملاق . ولن
تنقضي فترة قصيرة حتى يهب مئات عديدة من ملايين الفلاحين ، في مقاطعات
الصين الوسطى والجنوبية والشمالية ، مثل الأعصار أو العاصفة ، فهم قوة
جارفة لا تقهر ، ولن تستطيع أية سلطة ، مهما تكن عظيمة ،
سبيلاً إلى القضاء عليها . وسوف يحطمون سائر القيود التي تعوقهم
الأوتة ، وينطلقون قدماً على الطريق المؤدية إلى التحرر . وسوف يحفرون
قبور سائر الاستعماريين ، وسادة الحرب ، والموظفين الفاسدين ، والعتاة
المحليين ، والإشراف السيئين ، كما سيختبرون سائر الأحزاب الثورية
وسائر الرفاق الثوريين ، فيقبلون أو يرفضون حسب مشيئتهم .

انسِر في مقدمتهم ونقودهم ؟ أم نلحق بمؤخرتهم ، مع التلويح لهم
وانتقادهم ؟ أم نجابههم كأخصام ؟
ان لكل صيني الحرية في أن يختار إحدى هذه الدروب الثلاث ، بيد
أن الظروف تتطلب اختياراً عاجلاً .

تنظّموا !

يمكن تقسيم الحركة الفلاحية في هونان ، بقدر ما يتعلق الأمر بالاقليم
الواقعة في المناطق الوسطى والجنوبية من المقاطعة ، حيث تطورت الحركة
جيداً ، إلى مرحلتين بصورة تقريبية .

والمرحلة الأولى هي مرحلة التنظيم ، الممتدة من كانون الثاني حتى أيلول
من السنة الأخيرة . وتنقسم هذه المرحلة إلى الفترة الممتدة من كانون الثاني

حتى حزيران ، وهي فترة من النشاط السري ، والفترة الممتدة من حزيران حتى ايلول عندما طرد الجيش الثوري تشاوهنغ - تي (١) - وهي فترة من النشاط العلني . وفي هذه المرحلة ، كان أعضاء الاتحاد الفلاحي يتراوحون بين ٣٠٠.٠٠٠ - ٤٠٠.٠٠٠ عضو فقط ، ولم تكن الجماهير التي يستطيع الاتحاد قيادتها بصورة مباشرة تزيد عن المليون الا قليلا . ولما كان النضال في المناطق الريفية قد بدأ لتوه ، فانه لم يرتفع الا نقد قليل جدا بحق الاتحاد . ولما كان أعضاء الاتحاد يعملون أدلاء أو كشافين أو حمالين عند جيش الحملة الشمالية ، فان ضباط هذا الجيش انفسهم كانوا يذكرون الاتحاد الفلاحي ببعض الخير .

والمرحلة الثانية هي مرحلة العمل الثوري ، الممتدة من تشرين الاول الاخير حتى كانون الثاني الحاضر . ولقد قفز عدد أعضاء الاتحاد الفلاحي الى مليونين ، وزادت الجماهير التي يمكنه قيادتها مباشرة حتى بلغت عشرة ملايين . ولما كان الفلاحون يسجلون على الغالب اسما واحدا فقط لكل عائلة تنضم الى الاتحاد ، فان عضوية مليونين تعني اذن كتلة بشرية تابعة تعد حوالي عشرة ملايين . وقد تنظم حتى الآن حوالي نصف مجموع فلاحي هونان . وفي بعض الاقاليم مثل سيانفتان ، وسيانغ سيانغ ، وليويانغ ، وتشانغشا ، وليلينغ ، وننغ سيانغ ، وبنغ كيانغ ، وسيانغيين ، وهنغشان ، وهنغيانغ ، لويانغ ، وتشين سيان ، وأنهوا ، فقد انتظم جميع الفلاحين على وجه التقريب في الاتحاد بصورة تنظيمية وهم يخضعون لقيادته . ولقد انفعل الفلاحون ، بهذا التنظيم الواسع ، الى العمل مباشرة وحققوا خلال اربعة أشهر ثورة ريفية لم يسبق لها مثيل في اتساعها .

ليسقط العتاة المحليون والاشراف السيئون ! كل السلطة للاتحاد الفلاحي !

يهاجم الفلاحون كأهداف رئيسية لهم العتاة المحليين والاشراف السيئين والاقطاعيين المتطرفين ، مطيحين في طريقهم بالعقليات والمؤسسات

(١) كان يومذاك حاكما لهونان وعميلا لسادة الحرب من العصابة الشمالية .

البطيركية ، والموظفين الفاسدين في المدن والعادات السيئة في المناطق الريفية . وان الهجوم لاشبه مايكون ، في قوته وسرعته ، بالمعاصفة او الاعصار . ويعيش أولئك الذين يخضعون له ، اما أولئك الذين يقاومونه فيفنون . وكان من نتيجة ذلك الامتيازات التي تمتع بها ملاكو الاراضي الاقطاعيون طوال الالف السنين قد تحطمت اربا ، وان سلطتهم وهيبتهم القديمتين قد القتا أرضا . ويصبح الاتحاد الفلاحي ، بانهيار سلطة ملاكي الاراضي ، الجهاز الوحيد للسلطان ، ويتحقق ما يسميه الشعب « كل السلطة للاتحاد الفلاحي » ويستشير الناس الاتحاد الفلاحي حتى في توافه الامور ، كنزاع بين رجل وامرأته . ولا يمكن حل أية قضية في غياب ممثلي الاتحاد . ويمارس الاتحاد في الوقت الراهن سلطته في الريف ، وينطبق عليه حرفيا ما يقال من ان « أقواله اوامر تطاع » . ولا يستطيع الرأي العام سوى امتداح الاتحاد ، لكنه لا يستطيع ان يدينه مطلقا . وان العتاة المحليين والاشراف السيئيين وملاكي الارض المتطرفين قد حرموا تماما من حقهم في قول رأيهم ، وليس من يجرؤ على التمتمة بكلمة « لا » . ولقد هرب العتاة المحليون والاشراف السيئون الذين من المرتبة الاولى الى شانغهاي طلبا للخلاص من سلطان الاتحاد الفلاحي وضغطه ، والذين من المرتبة الثانية الى هانكو ، والذين من المرتبة الثالثة الى تشانغشا ، والذين من المرتبة الرابعة الى المدن الاقليمية ، اما أولئك الذين من المرتبة الخامسة وحتى من المراتب الادنى فلم يستطيعوا سوى البقاء في الريف والاستسلام للاتحاد الفلاحي .

ويقول احد الاعيان الصفار : « سأبرع بعشرة دولارات ، أرجوكم ان تقبلوني في الاتحاد الفلاحي » .

فيرد عليه الفلاحون قائلين : « تفو ! من ذا يريد مالك الدنس ! »

وان عددا كبيرا من ملاكي الاراضي المتوسطين والصفار ، ومن الفلاحين الاغنياء والفلاحين المتوسطين ، الذين كانوا من قبل مناهضين للاتحاد الفلاحي ، يسعون الآونة عثا الى الانضمام اليه . وكثيرا ما التقيت خلال زياراتي للاماكن المختلفة بمثل هؤلاء الناس الذين كانوا يسألوني العون ،

قائلين لي : « إني أرجو المندوب القادم من عاصمة المقاطعة أن يكون لي كفيلا » .
ولقد كان سجل الاحصاء المنظم من قبل السلطات المحلية في ظل حكم عائلة مانشو^(١) يتألف من لائحة نظامية ولائحة خاصة ، وكانت أسماء الناس الشرفاء تسجل في اللائحة الاولى ، واسماء السارقين والاشقياء والعناصر المشكوك فيها في اللائحة الثانية . ويستخدم الفلاحون في بعض الأماكن الآونة الطريقة نفسها من أجل تهديد الاشخاص المناهضين فيما مضى للاتحاد : « قيدهم في اللائحة الخاصة » .

ويجرب مثل هؤلاء الاشخاص ، وقد خافوا من تقييد أسمائهم في اللائحة الخاصة ، مختلف الوسائل في سبيل قبولهم في الاتحاد ، ولا يشعرون بالراحة حتى تقييد اسمائهم ، كما هي رغبتهم اللاهبة ، في سجل هذا الاتحاد . لكنهم يرفضون بجفاء على العموم ، وبذلك يقضون أيامهم في حال متصلة من التوتر . واما أغلقت أبواب الاتحاد في وجههم ، فهم أشبه بأناس لا مأوى لهم . وباختصار ، فان ماكان موضع الاحتقار قبل أربعة اشهر بوصفه « عصابة الفلاحين » أصبح الآونة شيئا على غاية الكرامة . وإن أولئك الذين تراموا على اقدام الاشراف يترامون اليوم أمام قوة الفلاحين ، كما أن الناس جميعا يعترفون بأن العالم تغير منذ تشرين الاول الاخير .

((بلبله بفيضة)) و ((شيء رائع حقا))

لقد عكر تمرد الفلاحين في الريف احلام الاشراف العذبة . وعندما بلغت انباء الريف المدن ، اصيب الاشراف هناك على الفور بالهلع . وعندما وصلت للمرة الاولى الى تشانغشا ، التقيت باشخاص من حلقات مختلفة والتقطت مقدارا كبيرا من ثروة الشارع . وكان ممثلو المرتبة المتوسطة وما فوق حتى جماعة الجناح اليميني من الكيومنتانغ يتفقون على وصف الوضع كله في كلمتين : « بلبله بفيضة » ، بل ان اناسا ثوريين تماما ، وقد جرفهم رأي مدرسة « البلبله البفيضة » ، هذا الرأي الذي كان سائدا مثل العاصفة في

(١) حكمت أسرة مانشو الصين في عام ١٦٤٤ حتى ١٩١١

المدينة بأسرها ، قد أنهارت معنوياتهم لمجرد التفكير في الشروط السائدة في الريف ، فما كانوا يستطيعون ان ينكروا كلمة « البلبلة » . وكذلك كان اناس تقدميون جدا يكتفون بمجرد الملاحظة التالية : « بلبلة حقا لكنها محتومة في سياق الثورة . » وبكلمة واحدة ، لم يكن في مقدور أي انسان ان ينكربصورة حاسمة كلمة « البلبلة » .

لكن الحقيقة هي ، كما ذكرنا آنفا ، ان جماهير الفلاحين الغفيرة قد هبت لانجاز رسالتها التاريخية ، وان القوى الديمقراطية في المناطق الريفية قد هبت لقلب السلطة الاقطاعية الريفية . ان الطبقة الاقطاعية البطريكية من العتاة المحليين والاشراف السيئين وملكي الاراضي المتطرفين قد شكلت اساس الحكومة الاوتوقراطية طوال آلاف السنين ، وشكلت سند الاستعمار ، وطفمة سادة الحرب ، وعصابة الموظفين الفاسدين . وان قلب هذه السلطة الاقطاعية هو الهدف الحقيقي للثورة الوطنية . وان ما اراد الدكتور صن يات - صن صنعه في السنوات الاربعين التي كرسها للثورة الوطنية لكنه فشل في تحقيقه ، قد انجزه الفلاحون في شهور قليلة . ولكن مآثره لم يتم مثلها في السنوات الاربعين الاخيرة ، بل في الالف السنوات . انه شيء رائع حقا ، وليس هو « بلبلة » في حال من الاحوال . انه كل شيء ما عدا « البلبلة البغيضة » .

« بلبلة بغيضة » - من الواضح ان تلك نظرية تستهدف ، بصورة متوافقة مع مصالح ملاكي الاراضي ، مكافحة نهوض الفلاحين ، نظرية من وضع طبقة ملاكي الاراضي غايتها المحافظة على النظام الاقطاعي القديم واعاقه قيام نظام ديمقراطي جديد ، نظرية مضادة للثورة . ولا ينبغي لاي رفسبق ثوري ان يرددها بصورة عمياء . واذا كنت وطدت جيدا وجهة نظرك الثورية وقمت فوق ذلك بجولة في القرى ، فسوف تحس فرحة عظيمة تجتاحك لم تجربها من قبل مطلقاً . إن جماهير عظيمة مؤلفة من عشرات الالوف من العبيد ، أعني الفلاحين ، تقلب هناك أعداءها أكلة لحوم البشر . وان اعمالهم لمضبوطة بصورة مطلقة ، ان اعمالهم رائعة حقاً . « شيء رائع حقاً ! » . تلك

هي نظرية الفلاحين ونظرية سائر الثوريين الآخرين . ويتوجب على كل رفيق ثوري ان يعرف ان الثورة الوطنية تتطلب تبديلاً عميقاً في الريف . إن ثورة ١٩١١ (١) لم تؤد الى مثل هذا التبدل ، وذلك هو السبب في اخفاقها . لكن التبدل يحدث الآن ، وذلك عامل هام لا بد منه في سبيل استكمال الثورة . ويتوجب على كل فريق ثوري ان يدعم هذا التبدل ، والا فهو ينحاز الى المعسكر المضاد للثورة .

مسألة ما يسمى « التطرف »

ويقول قسم آخر من الناس : « صحيح ان الاتحاد الفلاحي يجب ان يتشكل ، لكنه يتجاوز الحدود في أعماله الحاضرة . » وذلك هو رأي اصحاب الحلول النصفية . ولكن ماهي حقيقة الامر ؟ صحيح ان الفلاحين لا يتصرفون « بلباقة » أحياناً في الريف . فالاتحاد الفلاحي ، وهو السلطة العليا ، لا يسمح للملاكي الاراضي أن يكون لهم رأيهم ، وهو يكنس دائماً كل ما كانوا يتمتعون به من هبة . وذلك أشبه ما يكون بدوس ملاكي الاراضي بالاقدام بعد القائم أرضاً . ويهددهم الفلاحون : « نقيدكم في اللائحة الخاصة » ،

(١) هي الثورة التي انهكت حكم عائلة مانشو المطلق . ففي ١٠ تشرين الاول ١٩١١ ، بتأثير من الجماعات الثورية البورجوازية والبورجوازية الصغيرة ، قام قسم من «الجيش الجديد » الامبراطوري بانتفاضة ثورية في ووتشانغ ، العاصمة الاقليمية لمقاطعة هوبيه ، ولحقت ذلك انتفاضات مماثلة في المقاطعات الاخرى بتسارع عظيم ، وما اسرع ان انهار النظام المانشوي . وفي عيد راس السنة ١٩١٢ تشكلت الحكومة المؤقتة لجمهورية الصين في تانكين برئاسة صن يات - صن . وقد انتصرت هذه الثورة باذى الامر بفضل التحالف بين البورجوازية والفلاحين والعمال والبورجوازية الصغيرة في المدن ، لكنها فشلت في نهاية الامر لان الجماعات القائدة فيها عمدت الى المواطاة . وإما لم تمنح هذه الجماعات اية منافع حقيقية للفلاحين ، وخضعت لضغط القوى الاستعمارية والاقطاعية ، فقد تركت السلطة السياسية تنزلق الى ايدي يوان شيه - كاي ، مؤسس العصاة الشمالية من سادة الحروب .

وانهم ليفرضون الجزية على العتاة المحليين والاشراف السيئين ويحصلون الضرائب منهم ، وقد يحطمون هوداجهم أيضاً .. وتزحف جموع من الناس الى دور العتاة المحليين والاشراف السيئين الذين يعارضون الاتحاد الفلاحي ، فيذبحون اوزانهم ويستهلكون حبوبهم ، بل قد يترهلون دقيقة أو دقيقتين على الاسرة العاجية بيناتهم وكناتهم . وإنهم ليعمدون الى الاعتقالات لدى أدنى استفزاز ، ويتوجون المعتقلين بقبعات عالية من الورق ، ويتجولون بهم عبر القرى : « انتم ايها الاشراف السيئون ، انكم تعرفون الآونة من نحن ! » ولما كانوا يفعلون كل ما يروق لهم ويقلبون الاشياء جميعاً عاليها سافلها ، فقد بلغوا حد خلق جو من الارهاب في الريف . وهذا ما يسميه بعض الناس « التطرف » ، أو « المبالغات » أو « اعمالاً فاضحة » .

ان رأي هذه الجماعة ، المعقول ظاهرياً ، مفلوط في باطنه . فأولاً ، ان الاشياء الموصوفة أعلاه كانت جميعاً النتائج المحتومة لاعمال العتاة المحليين والاشراف السيئين وملاكي الاراضي الظالمين أنفسهم . لقد اضطهد هؤلاء الناس الفلاحين عصوراً عديدة حين كانت السلطة بين أيديهم وداسوهم بالاقدام ، وهذا هو السبب في أن الفلاحين هبوا اليوم في مثل هذه الثورة العظيمة . وان أوسع التمردات وخطر الاضطرابات تقع بصورة دائمة في الاماكن حيث كان العتاة المحليون والاشراف السيئون وملاكو الاراضي الظالمون مفرقين في افعالهم الشريرة دونما رحمة أو هودة . وان أعين الفلاحين لقادرة تماماً على التمييز . اما بشأن الاشرار وغير الاشرار ، والاكثر طغياناً والاقول طغياناً ، ومن ينبغي الاقتصاص منه بصرامة ومن ينبغي معاملته بلطف ، فان الفلاحين يحتفظون بحسابات واضحة تماماً عن هذه الاشياء ، ونادراً ما وقع أي تنافر بين العقاب والجريمة .

وثانياً ، ليست الثورة أمر مثل دعوة بعض الناس الى العشاء ، أو كتابة دراسة أدبية ، أو رسم صورة ، أو الاشتغال بالتطريز ، هي لا يمكن أن تكون شيئاً على مثل هذه الدرجة الكبيرة من اللباقة ، والهدوء ، واللطف ،

أو هذه الدرجة العظيمة من النعمة ، والوداعة ، والادب ، وضبط النفس ، والشهامة (١) ، ان الثورة انتفاضة ، فعل عنف تقلب به طبقة "طبقة" أخرى . والثورة الريفية هي ثورة تقلب بها طبقة الفلاحين سلطة طبقة ملاكي الاراضي الاقطاعية . واذا لم يستخدم الفلاحون أقصى قوتهم ، فانهم لم يتوصلوا مطلقاً الى قلب سلطة ملاكي الاراضي ، هذه السلطة التي امتدت جذورها عميقاً طوال آلاف السنين . يجب ان تقوم ، في المناطق الريفية ، انتفاضة ثورية لاهبة عظيمة ، وهي وحدها قادرة على ايقاظ المئات والالوف من السكان كي يشكلوا قوة كبرى . وان سائر الافعال المذكورة آنفاً ، الموصوفة « بالتطرف » ، قد نجمت عن سلطة الفلاحين المنبثقة عن انتفاضة ثورية لاهبة وعظيمة في الريف . ولقد كانت مثل هذه الافعال ضرورية جداً في المرحلة الثانية من الحركة الفلاحية (مرحلة العمل الثوري) . كان من الضروري في هذه المرحلة اقامة سلطة الفلاحين المطلقة . كان من الضروري ايقاف التهجئات الخبيثة على الاتحاد الفلاحي . كان من الضروري قلب كل سلطة الاشراف ، واسقاطهم ، بل دوسهم بالاقدام . ولقد كان لسائر الافعال الموصوفة « بالتطرف » مغزى ثوري في المرحلة الثانية . ولنقل ذلك بكل خشونة ، لقد كان من الضروري اقامة فترة قصيرة من الارهاب في كل منطقة ريفية ، وإلا ماكان يمكن في حال من الاحوال القضاء على الفعاليات المضادة للثورة في الريف أو قلب سلطان الاشراف . وانه لمن الضروري ، في سبيل تقويم الخطأ ، ان نتجاوز قبل الحدود الطبيعية ، والخطأ لا يمكن تصحيحه دون تجاوز الحدود الطبيعية (٢) .

ان رأي هذه المدرسة القائلة ان الفلاحين « يتطرفون » يختلف ظاهرياً عن رأي المدرسة الاخرى المذكورة قبلًا والقائلة ان الحركة الفلاحية « بليلة بغيضة » ، لكنها في الجوهر تنضم الى وجهة النظر نفسها ، وهي كذلك نظرية خاصة بملاكي الاراضي تعضد مصالح الطبقات صاحبة الامتيازات . وما دامت

(١) تلك كانت فضائل كونفوشيوس ، كما وصفها أحد تلامذته .

(٢) « تجاوز الحدود الطبيعية للصواب والخطأ » جملة صينية قديمة . وهي تعني أن

هذه النظرية تعوق صعود الحركة الفلاحية ، وبالتالي تضر بالثورة ، فان من واجبنا مقاومتها بصورة حازمة .

مايسمى « حركة الرعاع »

يقول الجناح الايمن من الكيومنتانغ : « ان الحركة الفلاحية حركة للرعاع ، حركة للفلاحين الكسالى » ، ويلاقي هذا الرأي انتشاراً كبيراً في تشانغشا . وقد ذهبت الى الريف وسمعت الاشراف يقولون : « لا بأس ان يقوم الاتحاد الفلاحي ، لكن الناس الذين يديرونه الآونة غير اكفاء ، ومن الافضل ان نستعيز عنهم بسواهم » . وينتهي هذا الرأي مع فتوى الجناح الايمن الى الشيء نفسه ، فكلاهما يقبلان بوجوب استمرار الحركة الفلاحية (اذ مادامت الحركة الفلاحية قائمة ، فليس من يجرؤ على الادعاء بأنها ماكان يجب ان تنظم) ، لكن كليهما يعتبران الاشخاص الذين يقودون الحركة غير اكفاء ، ويكرهون على الاخص اولئك المكلفين بقيادة المنظمات على المراتب الدنيا ، مطلقين عليهم اسم « الرعاع » . وباختصار ، فان جميع الذين كانوا فيما مضى محتقرين ومرذولين في الاحوال من قبل الاشراف ، الذين كانوا يفتقرون الى المركز الاجتماعي ، والذين انكر عليهم حق الادلاء برأيهم ، كل هؤلاء قد رفعوا الآونة رؤوسهم ، الامر الذي اذهل الناس جميعاً . ولم يرفعوا رؤوسهم

الناس يبالغون عند تصحيح الخطأ . وكثيراً ما استخدمت هذه الجملة كدرية لمنع اتخاذ تدابير حاسمة وتبرير مجرد الترقيع . وهي تمنى ضمناً ان النظام القائم للامور ينبغي الا يدمر تماماً ، بل كل ما يتطلبه الامر ادخال بعض التدابير العلاجية في سبيل تحسينه . وهكذا فهي توفر صيغة مناسبة للاصلاحيين الانتهازيين داخل الصفوف الثورية . وان الرفيق ماوسي تونغ ليدحض هنا مزاعم مثل هؤلاء الناس . وعندما يقول في النص : « انه لمن الضروري ، في سبيل تقويم الخطأ ، أن نتجاوز قبلاً الحدود الطبيعية ، ومن دون ذلك لا يمكن تصحيح الخطأ » ، فانه يعني أن التدابير الثورية الجماهيرية ، وليس التدابير الإصلاحية والتصحيحية ، هي التي ينبغي اللجوء اليها لانهاء النظام الاقطاعي القديم .

فحسب ، بل اخذوا السلطة ايضاً بين ايديهم . وأنهم ليدبرون الآن الجمعيات الفلاحية في النواحي (وهي الجمعيات الفلاحية من المرتبة الدنيا) ، التي تحولت في ايديهم الى قوة هائلة . وأنهم ليرفون ايديهم التي قست بفعل العمل فوق رؤوس الاشراف . وأنهم ليربطون الاشراف السيئين بالحبال ، ويتوجونهم بقبعات عالية من الورق ، ويتجولون بهم في مظاهرة عبر القرى ، (وهذا يدعى « الاستعراض عبر الناحية » في سيانفتان وسيانغ سيانغ ، و « الاستعراض عبر الحقول » في ليلينغ) . وينال صدى اتهاماتهم الاجش القاسي كل يوم على آذان الاشراف ، وهم يصدرن الاوامر والتوجيهات في مختلف الامور ، ومرتبهم فوق اي انسان آخر ، هم الذين كانت مرتبتهم فيما مضى أدنى من اي امرئ كان - وهذا مايعنيه الناس بقلب الاشياء « عاليها سافلها » .

الطليعة الثورية

حين يكون ثمة موقفان متناقضان من شيء ما أو من بعض الناس، فسوف يكون ثمة رايان متناقضان . وان « بلبلة بغيضة » و « شيء حسن جداً في الحقيقة » ، و « الرعاع » و « طليعة الثورة » ، يشكلان مثالين مناسبين عن ذلك .

لقد رأينا كيف انجز الفلاحون مهمة ثورية تركت طوال سنوات عديدة دون أن تستكمل ، ورأينا اسهاماتهم البالغة الاهمية في الثورة الوطنية . لكن هل اشترك سائر الفلاحين في انجاز مثل هذه المهمة الثورية البالغة الاهمية وفي القيام باسهامات هامة ؟ كلا . فطبقة الفلاحين تتألف من ثلاثة اقسام ، الفلاحون الاغنياء ، والفلاحون المتوسطون ، والفلاحون الفقراء . وتختلف ظروف هذه الاقسام الثلاثة ، كما تختلف ردود فعلها حيال الثورة . وقد بلغ اسماع الفلاحين الاغنياء في المرحلة الاولى أن جيش الحملة الشمالية

اصيب بهزيمة منكرة في كيانفسي ، وأن شيانغ كاي شيك جرح في ساقه (١) ،
وأنه طار عائداً الى كوانغ تونغ (٢) ، وأن وو ببي - فو (٣) قد استولى مجدداً
على يوشو . وهكذا حسبوا أن الاتحاد الفلاحي لن يستطيع بالتأكيد أن يدوم

(١) بما أن موقف شيانغ المضاد للثورة لم ينكشف بعد تماماً عندما كانت وحدات من
جيش الحملة الشمالية تتجه عبر وادي يانغتسي في شتاء ١٩٢٦ وربيع ١٩٢٧ ، فقد كانت جماهير
الفلاحين تعتبره ثورياً بعد ، وكان ملاكو الاراضي والفلاحون الاغنياء يبعثونه وينشرون الشائعات
حول هزيمة الحملة الشمالية واصابة شيانغ بجرح في ساقه . ولم ينكشف القناع عن شيانغ
بوصفه ضد ثوري مفرقاً في الرجعية حتى ١٢ نيسان ١٩٢٧ ، عندما قام بانقلابه المضاد للثورة
في شانغهاي وغيرها ، وبدأ يدبح العمال بالجملة ، ويقضي على الحركة الفلاحية ويهاجم الحزب
الشيوعي . وعندئذ شرع ملاكو الاراضي والفلاحون الاغنياء يعضدونه .

(٢) كانت كوانغ تونغ أول قاعدة ثورية اقيمت في مرحلة الحرب الاهلية الثورية الاولى
(١٩٢٤ - ٢٧) .

(٣) كان وو ببي - فو ، وهو أحد مشاهير سادة الحرب من العصاة الشمالية ، ينتسب
الى فريق شيهلي (هوبه) مع تساو كون . وقد دعم تساو كزيم له وساعده في كسب رئاسة
الجمهورية عام ١٩٢٣ عن طريق خداع مكتوف في البرلمان . وهكذا كان يشار بصورة عامة الى
كليهما معاً باسم « تساو - وو » ، ومنذ ١٩٢٠ ، عندما هزم توان شي - جوي ، وهو أحد
سادة الحرب من فريق أنهوي ، أصبح وو ببي - فو ، بوصفه عميلاً للاستعمار الانكلو اميركي ،
السيد الحقيقي لنظام العصاة الشمالية في بكين . وفي ٧ شباط ١٩٢٣ ، اصدر امره
بمذبحة عمال الخط الحديدي بكين - هانكوو الذين كانوا مضربين عن العمل يومذاك . ولقد
هزم عام ١٩٢٤ من قبل شانغ تسو - لين في « الحرب بين فريقتي شيهلي وفنغ تين » - وفي ذلك
الحين كانت فنغ تين التي قسمت الى مقاطعتي لياوتونغ ولياوسي المقاطعة الرئيسية للمنطقة
الواقعة تحت نفوذ شانغ ، فأعطت اسمها لفريقه كله . وهكذا طرد وو من نظام بكين . ومهما يكن
من أمر ، فان الخصمين وو وشانغ قد تصالحا عام ١٩٢٦ بفضل أسيادهما ، الاستعماريين
البريطانيين واليابانيين ، وعاد وو الى استلام السلطة . وعندما كان جيش الحملة الشمالية
يشق طريقه شمالاً من كوانغ تونغ ، كان وو أول من قلب حكمه من سادة الحروب .

طويلا ، وأن مبادئ الشعب الثلاثة (١) لا يمكن قط أن تنجح ، لان مثل هذه الاشياء لم يسمع بها من قبل مطلقاً . واذا ما دخل ممثلو منظمة فلاحية في احدى النواحي (على العموم النموذج المسمى « رعاىاً ») منزل فلاح غني حاملين معهم سجل الاعضاء ، وخاطبوه بقولهم : « نرجوك أن تنضم الى الاتحاد الفلاحي » ، فما عسى أن يجيبهم الفلاح الفني؟ « الاتحاد الفلاحي ؟ لقد عشت هنا طوال سنوات وحرثت الحقول ، ولم ار شيئاً من طراز الاتحاد الفلاحي ، ومع ذلك كانت أموري تسير على مايرام . من الافضل لكم ان تتركوا هذا الشيء ! » - هذا الجواب من فلاح غني متواضع . « اي اتحاد فلاحى ؟ الاتحاد من اجل قطع رقاب البشر - لاتزجوا الناس في المتاعب ! » هذا الجواب من فلاح غني عفيف .

ومن الغريب حقاً أن تمضي حتى الان عدة أشهر على وجود الاتحاد الفلاحي ، بل لقد تجرأ على معارضة الاشراف ايضاً . ولقد اعتقل الاشراف المقيمون في الجوار وصار استعراضهم عبر القرى لانهم رفضوا تسليم أدواتهم الخاصة بتدخين الافيون . والاكثر من ذلك أن اعضاء بارزين من الاشراف أعدموا في المدينة الاقليمية، من أمثال ين يونغ - شيو من سيانفتان، ويانغ شيه - تسي من يننغ سيانغ . وفي الاجتماع الاحتفالي بعيد ثورة اكتوبر والتجمع المناهض للبريطانيين والاحتفال الكبير بانتصار الحملة

(١) ان مبادئ الشعب الثلاثة - القومية والديموقراطية ورفاهية الشعب - قد اقترحها صن بات - صن بوصفها المبادئ الموجبة لثورة الصين البورجوازية الديمقراطية . ولقد أعاد تفسير هذه المبادئ في « بيان المؤتمر الوطني الاول للكيومنتانغ » الصادر عام ١٩٢٤ ، مرفاً مبدأه عن القومية بالنضال ضد الاستعمار ، وواعداً بتقديم المعونة الفعالة لحركات اعمال والفلاحين . وهكذا فان مبادئ الشعب الثلاثة « القديمة » أفسحت المكان للمبادئ « الجديدة » التي تتضمن السياسات الرئيسة الثلاث الخاصة بالتحالف مع روسيا والتعاون مع الشيوعية والمعونة للعمال والفلاحين . وان مبادئ الشعب الثلاثة « الجديدة » عن السياسات الرئيسية الثلاث قد خدمت كأساس سياسي للتعاون بين الكيومنتانغ والحزب الشيوعي خلال مرحلة الحرب الاهلية الثورية الاولى . (أنظر مؤلف : « في الديمقراطية الجديدة ») .

الشمالية ، سار عشرة آلاف فلاح على الاقل في كل من الاقاليم في مظاهرات متراصة الصفوف مثل الامواج المتدفقة يحملون اعلاماً كبيرة وصغيرة ، ومجارف ومداري فيما بين الرايات . وعندما حدث ذلك كله، شرع الفلاحون الاغنياء يحسون القلق . ولقد بلغهم في الاحتفال الكبير بانتصار الحملة الشمالية أن كيو - كيانغ (١) سقطت ، وأن شيانغ كاي - شيك لم يجرح في ساقه ، وأن وو بيبى - فو قد هزم بصورة نهائية . والاكثر من ذلك أن الشعارات : « عاشت مبادئ الشعب الثلاثة ! » و « عاش الاتحاد الفلاحي ! » و « عاش الفلاحون ! » كانت مكتوبة بكل وضوح على « اللوائح المصنوعة من ورق احمر واخضر » (اعمدة الاعلانات) . « عاش الفلاحون ! » « يجب اعتبار هؤلاء الناس اباطرة ؟ » (٢) . لقد ذهّل الفلاحون الاغنياء حتى درجة عظيمة .

وهكذا تكبر الاتحاد الفلاحي . وكان الناس من الاتحاد يقولون للفلاحين الاغنياء : « سوف نقيدكم في السجل الخاص » ، أو « بعد شهر ستصبح قيمة الانتساب عشرة دولارات ! » . ولم ينضم الفلاحون الاغنياء بتوان الى الاتحاد الفلاحي الا في هذه الظروف (٣) ، ويدفع بعضهم خمسين سنتاً أو دولاراً كاملاً (بينما لا يتجاوز الاشتراك النظامي مائة قرش) ، ولا يضمن الآخرون انتسابهم الى الاتحاد الا بعدما يقول الناس كلمة طيبة بحقهم بناء على طلب منهم . وفيما عدا ذلك ، فثمة عدد كبير من العتاة الذين لم ينضموا الى الاتحاد حتى اليوم . وعندما ينضم الفلاحون الاغنياء الى الاتحاد ، فانهم يسجلون على العموم اسم رجل عجوز من عائلتهم بلغ الستين أو السبعين من العمر ، لانهم يخافون بصورة مستمرة من « سوق الذكور البالفين » (٤) . وهم لا يعملون قط بحماسة من أجل الاتحاد بعد الانضمام

(١) مدينة رئيسية في مقاطعة كيانغسي ، على نهر يانغتسي .

(٢) ان الكلمة الصينية التي تقابل كلمة « عاش » هي « وانسوي » ، يعني عشرة آلاف

عام ، وهي التحية التقليدية للامبراطور ، وقد أصبحت مرادفة لكلمة « امبراطور » .

(٣) كان يجب رفضهم ، لكن الجماهير الفلاحية ، كانت عام ١٩٢٧ ، غافلة عن هذه النقطة .

(٤) نظام من الخدمة الانتقائية في الصين القديمة .

اليه ، بل يظلون عاطلين طوال الوقت .

وماذا عن الفلاحين المتوسطين ؟ ان موقفهم متأرجح . انهم يعتقدون ان الثورة لن تعود عليهم بالخير العميم . وانهم ليملكون أرضاً في قدورهم ، ولا يخافون ان يطرق ابوابهم حجاب المحاكم في أنصاف الليالي . وحين يحكم هؤلاء على الاشياء وفقاً لوجودها في الماضي ، فانهم يقطبون حواجبهم ويفكرون كثيراً : «أيمكن حقاً للاتحاد الفلاحي أن يقف على قدميه ؟» «أيمكن لمبادئ الشعب الثلاثة أن تنجح ؟» وهذا هو استنتاجهم : « أخاف ألا يكون ذلك ممكناً . » ويحسبون ان سائر هذه الاشياء ترتبط كلياً بإرادة السماء . «تنظيم اتحاد فلاحي ؟ من يدري ما اذا كانت السماء تريد ذلك ام لا ؟» وفي المرحلة الاولى ، كان الناس من الاتحاد الفلاحي ، والسجلات في أيديهم ، يدخلون دار فلاح متوسط ويقولون له : «نرجوك ان تنضم الى الاتحاد الفلاحي !» فيرد عليهم الفلاح المتوسط قائلاً : «ليس مايدعو الى العجلة ! » ولم ينضم الفلاحون المتوسطون الى الاتحاد الفلاحي الا في المرحلة الثانية ، عندما اصبح هذا الاتحاد يتمتع بسلطة عظيمة . وانهم ليتصرفون في الاتحاد بصورة افضل من الفلاحين الاغنياء ، ولكنهم ليسوا نشيطين مع ذلك ، ولا يزالون يريدون أن ينظروا ويروا . ومما لا ريب فيه انه يتوجب على الاتحاد الفلاحي ان يفسر الامور فترة اخرى للفلاحين المتوسطين كيما يقنعهم بالانضمام اليه .

والفلاحون الفقراء هم القوة الرئيسية في الريف التي خاضت باستمرار أمراً النضالات . فقد ناضل الفلاحون الفقراء بصلاصة طوال الوقت ، سواء في مرحلة التنظيم السري أم في مرحلة التنظيم العلني . وانهم ليقبلون بكل طيبة خاطر بقيادة الحزب الشيوعي . وهم الد أعداء العتاة المحليين والاشراف السيئين ، يهاجمون مراكزهم الحصينة دونما أدنى تردد ، ويقولون للفلاحين الاغنياء : «لقد انضمنا الى الاتحاد الفلاحي منذ فترة طويلة، فما بالكم ترددون بعد ؟»

ويرد على الفلاحون الاغنياء بلهجة ساخرة : « أنتم اناس لاتملكون قطعة قريميد فوق رؤوسكم ولا كسرة من الارض تحت اقدامكم ، فما يمنعكم اذاً من الانضمام الى الاتحاد ؟ » والحقيقة ان الفلاحين الفقراء لا يخافون ان يفقدوا اي شيء البتة . والحقيقة ان الكثيرين منهم لا يملكون « قطعة قريميد فوق رؤوسهم ولا كسرة من الارض تحت اقدامكم » - فماذا يمكن ان يمنعهم من الانضمام الى الاتحاد ؟

ويدل احصاء جرى في اقليم شانغشا ان الفلاحين الفقراء يشكلون ٧٠٪ من السكان الريفيين ، والفلاحين المتوسطين ٢٠٪ . ويمكن ان نقسم الفلاحين الفقراء الذين يشكلون ٧٠٪ من السكان الى فريقين : الفلاحون المعدمون تماماً (١) ، والفلاحون الاقل بؤساً . . وان غير المالكين مطلقاً ، أعني أولئك الذين لا يملكون ارضاً ولا مالا ، والذين يضطرون ، لانهم لا يملكون اية واسطة للمعيشة ، ان يفادروا بيوتهم ليصيروا جنوداً مرتزقين ، أو شفيلة مأجورين ، أو متسولين جوالين - ينتسبون جميعاً الى الفلاحين «المعدين تماماً» ويشكلون ٢٠ بالمائة . أما غير المالكين جزئياً ، أعني أولئك الذين يملكون ارضاً صغيرة أو مالا قليلاً ، لكن يصرفون اكثر مما يتلقون ويعيشون في ملء العناء والقلق طوال ايام السنة ، ومثالهم الحرفيون ، والفلاحون المستأجرون (باستثناء الاغنياء منهم) ، والفلاحون نصف المستأجرين - هؤلاء جميعاً ينتسبون الى الفريق « الاقل بؤساً » (٢) ويشكلون ٥٠ بالمائة . وان هذه الكتلة الهائلة من الفلاحين الفقراء ، التي تشكل بمجموعها ٧٠ بالمائة من السكان الريفيين ، هي العمود الفقري للاتحاد الفلاحي وطليلة القوى التي ستقلب القوى الاقطاعية ، والابطال المفاوير الذين حققوا المهمة الثورية الكبيرة التي تركت ناقصة سنوات طويلة . وكان يستحيل دون الفلاحين الفقراء (« الرعاع »

(١) يشير الرفيق ماوسي تونغ هنا الى الشفيلة الزراعيين (البروليتاريا الريفية) ، والبروليتاريا المعالة في الريف .
(٢) نصف البروليتاريا الريفية .

كما يسميهم الاشراف) ، أن تتحقق في الريف الحالة الراهنة من الثورة ، وان يقلب العتاة المحليون والاشراف السيئون ، أو أن تستكمل الثورة الديمقراطية . ولما كان الفلاحون الفقراء اكثر الجميع ثورية ، فقد ربخوا قيادة الاتحاد الفلاحي ، فهم يشغلون مراكز رئاسة اللجان وعضويتها في المنظمات الفلاحية على المستوى الادنى في المرحلتين الاولى والثانية على السواء (ان المعدمين تماماً يشكلون ٥٠ بالمائة من الممثلين الرسميين للمنظمات المحلية في شانغشا ، والاقل بؤساً ٤٠ بالمائة ، والمثقفين المعدمين ١٠ بالمائة) . وان هذه القيادة التي يقوم بها الفلاحون الفقراء لضرورة بصورة مطلقة ، اذ لايمكن دون الفلاحين الفقراء ان تكون ثورة ، وان توجيههم العام للثورة لم يكن قط مغلوطاً .

لقد جرحوا كرامة العتاة المحليين والاشراف السيئين . لقد القوا العتاة المحليين الكبار والصغار والاشراف السيئين أرضاً وداسوهم بأقدامهم . وان الكثير من اعمالهم في مرحلة النشاط الثوري ، هذه الاعمال الموصوفة « بالذهاب بعيداً جداً » ، قد كانت في واقع الامر الحاجات الضرورية للثورة . ولقد ارتكبت بعض الحكومات الاقليمية ولجان الحزب الرئيسية الاقليمية (١) والمنظمات الفلاحية الاقليمية في هونان عدداً من الاخطاء ، بل لقد ارسلت بعضها الجنود ، بناء على طلب من الملاكين العقاريين ، لاعتقال الممثلين ذوي المراتب الدنيا للمنظمات الفلاحية . وهناك عدد كبير من رؤساء لجان المنظمات الناحية واعضاءها رهن السجن في هنشان وسيانغ سيانغ . وتلك خطيئة خطيرة تشجع الرجعيين كثيراً في عجرتهم . ويكفي كما نحكم ما اذا كان ذلك خطيئة أم لا ان نرى كيف ينتفخ الملاكون العقاريون الظالمون تيهاً وتنمو العواطف الرجعية حالما يتم اعتقال رؤساء لجان المنظمات الفلاحية واعضاءها . وينبغي أن تعارض مثل هذه الافتراءات المضادة للثورة ، من « حركة الرعاع » الى « حركة الفلاحين الكسالى » ، وان نكون حذرين

(١) يعني الكيومنتانغ .

بصورة خاصة كيلا نرتكب خطيئة مساعدة العتاة المحليين والاشراف السيئين في هجومهم على الفلاحين الفقراء .

والحقيقة انه رغماً عما في ماضي بعض قادة الفلاحين الفقراء من نقائص أكيدة ، فان معظمهم قد اصلحوا انفسهم الآن . وانهم ليحرمون بانفسهم بصورة نشيطة ، لعب القمار ويقضون على اللصوصية ، بحيث تلاشى القمار واللصوصية حيثما يتمتع الاتحاد الفلاحي بقوة كبيرة . وانه لصحيح حرفياً ان الناس في بعض الاماكن لايتناولون الاشياء الواقعة على الارض من جيب المارة ، وان الدور لا تغلق ابوابها بالملزاج ليلا . ويشير احصاء جرى في هنشغان ان ٨٥ بالمئة من قادة الفلاحين الفقراء قد اصبحوا الآونة صالحين تماماً ، كفؤين ونشيطين على السواء ، وان ١٥ بالمائة منهم فقط لا يزالون يحتفظون ببعض العادات السيئة ، وينبغي ان نكتفي باعتبار هؤلاء « القلة غير المرغوب فيها » ، والا نردد ما يقوله العتاة المحليون والاشراف السيئون الذين يدينون الجميع على حد سواء، دونما أدنى تمييز ، بوصفهم «رعاعاً» . وكل ما يمكننا عمله للتغلب على مسألة « القلة غير المرغوب فيها » ، على أساس شعار الاتحاد الخاص بتقوية الانضباط ، هو ان نقوم بالدعاية بين الجماهير ونثقف غير المرغوب فيهم انفسهم ، بحيث يمكن تقوية انضباط الاتحاد ، لكنه لاينبغي لنا ان نرسل جزافاً الجنود للقيام بالاعتقالات ، وإلا فاننا ننسف هيبة طبقة الفلاحين الفقراء ونشجع عجرفة العتاة المحليين والاشراف السيئين . وهذه نقطة يجب ان نقف عليها عناية مخصوصة .

أربعة عشر انتصاراً عظيماً

ينتقد بعض الناس الاتحاد الفلاحي لانه ارتكب افعالا سيئة عديدة . وقد سبق فبينت ان هجمات الفلاحين على العتاة المحليين والاشراف السيئين هي أفعال ثورية تماماً ، وهي ليست في حال من الاحوال موضعاً للنقد . بيد أن الفلاحين صنعوا أشياء عديدة ، وكما نرد على اولئك الذين ينتقدونهم يتوجب علينا ان نستقصي عن قرب سائر أفعالهم حتى نتبين جيداً ما فعلوه على وجه الدقة . ولقد وجدت ، بعدما صنفت فعاليتهم خلال الاشهر القليلة الاخيرة ولخصتها ، أنهم حققوا ، تحت قيادة

المنظمات الفلاحية ، الانتصارات العظيمة الأربعة عشر التالية :

١ - تنظيم الفلاحين في الاتحاد الفلاحي :

هذا أول انتصار عظيم حققه الفلاحون ، إذ تم تنظيم جميع الفلاحين على وجه التقريب في بعض الاقاليم مثل سيانغتات و سيانغتات وهنفشان ، بحيث لم يعد هناك فلاحون تقريباً ، في أي ركن بعيد من المنطقة الا وقد ثاروا - وهذه هي الدرجة الاولى . وفي بعض الاقاليم ، مثل بيانغ وهواجونغ ، تم تنظيم غالبية الفلاحين ، بينما بقيت الاقلية من دون تنظيم - وهذه هي الدرجة الثانية . وفي اقاليم اخرى ، مثل شنغبو ولنغ لنغ ، لم تنظم سوى الاقلية فحسب ، بينما لا تبرح الغالبية دون تنظيم - وهذه هي الدرجة الثالثة . وفي اقاليم كثيرة من هونان الغربية ، الخاضعة لسيطرة يوان تزو - مينغ ، (١) لا يبرح الفلاحون من دون أي تنظيم على الاطلاق ، وذلك لان دعاية الاتحاد الفلاحي لم تبلغهم - وهذه هي الدرجة الرابعة . وعلى العموم ، فالاقاليم الواقعة في هونان الوسطى ، ومركزها تشانغشا ، هي الاقاليم الاكثر تقدماً ، وتأتي الاقاليم الواقعة في جنوب هونان في الدرجة الثانية ، بينما لا يبرح التنظيم في هونان الغربية في اوله .

وتشير سجلات الاتحاد الفلاحي في المقاطعة ، المأخوذة في تشرين الثاني الاخير ، الى ان المنظمات تشكلت في سبعة وثلاثين اقليماً من اصل اقاليم المقاطعة التي تعد سبعة وخمسين ، ومجموع اعضائها يبلغ ١٤٣٦٧،٧٢٧ شخصاً . ولقد انضم مليون من هؤلاء الى الاتحاد خلال تشرين الاول وتشرين الثاني الاخيرين في برهة النمو الجرف لسلطة الاتحاد ، بينما لم يتجاوز هذا العدد حتى ايلول الاخير ٣٠٠،٠٠٠ - ٤٠٠،٠٠٠ عضو . ولقد انقضى شهران آخران حتى الآن ، كانون الاول وكانون الثاني ، ولما تبرح الحركة الفلاحية تنمو بسرعة كبيرة . ولا بد ان اعضاءها اصبحوا يعدون ، في نهاية

(١) أحد سادة الحرب من كويتشيوو . وكانت جيوشه تحتل الجزء الغربي من هونان

في ذلك الحين .

كانون الثاني ، مليونين على الاقل . ولما كانت العائلة الواحدة ، ومنوسط
اعضاؤها خمسة اشخاص ، لا تقيد على العموم سوى اسم فرد واحد
منها في الاتحاد ، فلا بد ان سلطة الاتحاد تشمل حالياً حوالي عشرة ملايين
شخص . وان مثل هذا النمو المتسارع المذهل هو بالضبط السبب في انعزال
العتاة المحليين والاشراف السيئين بالاضافة الى الموظفين الفاسدين ، وفي
ان الرأي العام دهش لرؤيته عالماً جديداً يحتل مكان العالم القديم ، وفي ان
ثورة عظيمة قامت في الريف . هذا هو الانتصار العظيم الاول الذي حققه
الفلاحون تحت قيادة الاتحاد الفلاحي .

٢- توجيه الضربات السياسية للملاكين العقاريين :

بعدما ينتظم الفلاحون ، فان اول ما يفعلونه هو سحق سلطة ضيقة
الملاكين العقاريين وهيبتهم السياسية ، وعلى الاخص منهم العتاة المحليون
والاشراف السيئون ، وهذا يعني قلب سلطة الملاكين العقاريين بقدر ما
يتعلق الامر بمركزهم الاجتماعي في الريف ، وبالتالي التعجيل في اقامة سلطة
الفلاحين . وذلك هو اكثر اشكال النضال خطورة وأهمية ، وهو يلعب الدور
الاساسي في المرحلة الثانية ، مرحلة العمل الثوري . واذا لم يتوج الظفر
هذا النضال ، فانه سيكون من المحال تحقيق النصر في النضال الاقتصادي ،
كالنضال في سبيل انقاص بدل الاجار والفائدة وفي سبيل تأمين الارض
ووسائل الانتاج الاخرى . ومن المؤكد في أماكن عديدة من هونان ، مثل
سيانغ سيانغ وهنفشان وسيانغ فون ، أن تلك لم تعد مشكلة البتة ،
مادامت سلطة الملاكين العقاريين قد قلبت تماماً واصبح الفلاحون يشكلون
السلطة الوحيدة القائمة . ولكنه يوجد بعد ، في أقاليم مثل ليلينغ ، بعض
الاماكن (مثل الاقسام الغربية والجنوبية من ليلينغ) حيث يجابه الملاكون
العقاريون الفلاحين بصورة مفتعلة ، لان النضال السياسي الراهن لم يحتد بعد ،
وذلك على الرغم من كونهم اضعف منهم فيما يبدو . ولا يمكن ان يقال في مثل
هذه الاماكن ان الفلاحين كسبوا نصرهم السياسي ، فيتوجب عليهم ان

يخوضوا صراعات سياسية أشد عنفاً حتى يتم قلب سلطة الملاكين العقاريين بصورة كاملة .

ويوجه الفلاحون الى الملاكين العقاريين الضربات السياسية بالطرق التالية :

تصفية الحسابات : لقد ارتكب معظم العتاة المحليين والاشراف السيئين

جريمة اختلاس الاموال العامة التي كانوا يديرونها، وليست حساباتهم على مايرام . وهؤلاء الفلاحون يستخدمون تصفية الحسابات كرافعة لقلب عدد كبير من العتاة المحليين والاشراف السيئين . ولقد قامت في أماكن كثيرة لجان للتصفية مهمتها الخاصة تسوية الامور مع العتاة المحليين والاشراف السيئين الذين يرتجفون لمجرد رؤية ممثلي هذه اللجان . وان مثل هذه انحملات من التصفية قد انجزت على نطاق واسع في سائر الاقاليم حيث قامت الحركة الفلاحية ، ومفزاها لايقوم في استرداد الاموال المسروقة بقدر ما يقوم في فضح جرائم العتاة المحليين والاشراف السيئين وطردهم من مراكزهم السياسية والاجتماعية على السواء .

التفريم : إن الاختلاس الذي رفعت التصفية اللثام عنه ، والاساءات الماضية في اضطهاد الفلاحين ، والنشاطات الحالية الهادفة لنسف الاتحاد الفلاحي ، وخرق الحرمان المفروض على القمار أو رفض تسليم ادوات تدخين الافيون - هذه الاشياء جميعا تشكل ذرائع يقرر الفلاحون بموجبها تفريم هذا العاتي المحلي أو ذاك الممثل للاشراف السيئين مبلغا كبيرا يتراوح بين عشرات والوف الدولارات . ومن الطبيعي ان اولئك الذين غرهم الفلاحون يدمغهم العار بصورة نهائية .

الضرائب : تحصيل الاموال من الملاكين العقاريين الاغنياء والقساة من

أجل تحسين أحوال الفقراء ، ومن أجل تنظيم التعاونيات ووكالات التسليف الريفية ، أو من أجل غايات أخرى . وان مثل هذه الضرائب هي في الوقت نفسه شكل من العقاب ، وان تكن أخف وطأة من الغرامات . وهناك عدد كبير

من الملاكين العقاريين الذين قدموا أيضا ضرائب ارادية الى المنظمات الفلاحية تفاديا للمتعاب .

الاحتجاجات الصغرى : اذا ما اقدم شخص على مهاجمة الاتحاد

الفلاحي بالقول او بالفعل ، وكان جرمه صغيرا ، تجمع عدد كبير من الناس واحتشدوا في بيته كاحتجاج معتدل من قبلهم . ونتيجة لذلك ، يكتب ذلك الشخص عادة « عهداً بالكف والانقطاع » ، يعلن فيه بجلاء أنه سيتوقف عن الطعن بالاتحاد الفلاحي سواء بالقول أم بالفعل .

المظاهرات الكبرى : ان جمهورا كبيرا يحتشد للتظاهر ضد عاتٍ محلي

او أحد الاشراف السيئين من الذين يعادون الاتحاد . وانهم يجلبون الطعام الى داره ، ويدبحون خنازيره ويستهلكون حبوبه كأمر مفروغ منه ، وهو عمل تكرر مرات عديدة . ومؤخرا ، في ماكيهاو من سانقتان ، قام جمهور مؤلف من خمسة عشر الف شخص بمثل هذه الزيارة التأديبية لست عائلات من الاشراف السيئين ، فقاموا في دور هذه العائلات اربعة أيام وذبحوا أكثر من ١٣٠ خنزيرا . ويفرض الفلاحون عادة الفرامات بعد مثل هذه الزيارات .

الاستعراضات عبر القرى بقبعات عالية من الورق : لقد مثلت هذه

الاشياء مرات عديدة في أماكن مختلفة ، اذ يتوج العتاة المحليون والاشراف السيئون بقبعات عالية من الورق تحمل بعض الكتابات مثل : « الطاغية المحلي فلان » او « فلان الشريف السيء » . وانهم ليساقون بالحبل توأكبهم جماهير كبيرة الى الامام والخلف منهم على السواء . وحيانا تفرع الطبول ويلوح بالاعلام لاجتذاب الانتباه . ويرسل هذا الشكل من العقاب قشعريرة الخوف في العتاة المحليين والاشراف السيئين أكثر من أي عقاب آخر .

فذلك الذي توج بقبعة عالية من الورق يوصم بالعار بصورة نهائية ، فلا يجزؤ بعدئذ على رفع رأسه . وهكذا فان عددا كبيرا من الاغنياء يفضلون أن يدفعوا غرامة بالاحرى من أن يحملوا قبعة الورق العالية ، لكنه لا بد لهم من حملها اذا ما أصر الفلاحون على ذلك . ولقد كانت احدى المنظمات الفلاحية

المحلية عظيمة الحذق ، فقد أوقفت عضوا بغيضا من الاشراف وأعلنت أنه سيتوج بالقبعة العالية من الورق في ذلك اليوم بالذات ، فازرق وجهه الرجل هلعاً . لكن المنظمة قررت عندئذ تأجيل الامر كله ، اذ تبينت أنه اذا توج في ذلك اليوم فعلا ، فسرعان ما سيستسلم لمصيره ، ولن يضطرب بعدئذ لجرمه مطلقا ، بحيث يكون من الافضل أن يطلق سراحه وأن يتوج في يوم آخر . ولقد رابط هذا الرجل ، الجاهل بموعد تتويجه بالقبعة العالية ، في بيته في قلق متصل ، متمللا دون انقطاع ، منتفضا لأوهى صوت يطرق سمعه .

الحبس في السجن الاقليمي : وهذا عقاب اشد من حمل القبعة العالية .

ان العتاة المحليين والاشراف السيئين يعتقلون ويرسلون الى السجن الاقليمي ليحبسوا فيه ، ويطلب من القاضي الاقليمي ان يدينهم . ويختلف الاشخاص الذين يرسلون الى السجن اليوم عن اولئك الذين كانوا يرسلون اليه سابقا ، فيما مضى كان الاشراف يرسلون الفلاحين الى السجن ، لكن الآية انقلبت في الوقت الراهن .

النفي : لا يريد الفلاحون ان ينفوا من بين العتاة المحليين والاشراف السيئين اولئك الذين اشتهروا بجرائمهم وآثامهم ، بل يريدون اعتقالهم في الاقاليم حيث تطورت الحركة الفلاحية كثيرا أن سائر العتاة المحليين والاشراف السيئين البارزين تقريبا قد فروا ، وبالتالي فهم في مركز المنفيين . ولقد فرأ أصحاب المرتبة الاولى الى شانغهاي ، واصحاب المرتبة الثانية الى هانكو ، واصحاب المرتبة الثالثة الى شانغشاي ، واصحاب المرتبة الرابعة الى المدن الاقليمية ، واولئك الذين هربوا الى شانغهاي هم اكثرهم أمانا . وان بعض الذين فروا الى هانكو ، مثل الثلاثة الذين من هواجونغ ، قد أسروا وأعيدوا ، ويظل حتى اولئك الذين فروا الى شانغشاي خائفين من أن يطبق عليهم في أية لحظة الطلاب الذين يتوافدون من الاقاليم الى عاصمة

المقاطعة ، وانا شخصيا رايت اثنين منهم يعتقلان حين كنت في شانشا .
وعلى أية حال فليس اولئك الذين هربوا الى المدن الاقليمية سوى اصحاب
المرتبة الرابعة ، وليس العثور عليهم بالامر الصعب مطلقا مادام الفلاحون
يملكون عدة مصادر للانباء . وذات مرة ، حين واجهت حكومة مقاطعة هونان
ظروفا صعبة ، اقلت سلطاتها المالية كل اللوم على الفلاحين لانهم طردوا
الاغنياء وجعلوا بذلك الحصول على المال امرا عصيبا . وان هذا ليعطينا أيضا
فكرة عن عدم احتمال العتاة المحليين والاشراف السيئين في أوطانهم بعد الآن .

الرمي بالرصاص : كان هذا العقاب يكال بصورة ثابتة الى اكثر العتاة

المحليين والاشراف السيئين شهرة بناء على طلب من الفلاحين ومعهم السكان
بصورة عامة . ومثال ذلك أن يانغ شيه - تسي من نينغ سيانغ ، وشوشيا -
كان من يويانغ ، وفوتاو - نان وصن بو - شو من هواجونغ ، قد رمىوا
بالرصاص بأمر من الحكومة بناء على اصرار الفلاحين والسكان على العموم ،
كما أن الفلاحين رموا بالرصاص ينيونغ - شيو من سيانغتان على مسؤوليتهم
الخاصة بعدما أجبروا ، هم والرأي العام ، القاضي على القبول باخراجه
من السجن . وقد لاقى ليوشاو من يينغ سيانغ حتفه على يد الفلاحين أنفسهم .
ولسوف ينفذ في نينغ شيه - فان من ليلينغ وتشوتيين - شويه وتساويون من
ييانغ حكم الاعدام المعلق على قرار « المحكمة الخصوصية للعتاة المحليين
والاشراف السيئين » . وان اعدام أحد هؤلاء العتاة المحليين والاشراف
السيئين المشاهير يترك صدى واسعا في الاقليم بأسره ، وهو فعال جدا في
استئصال شأفة ما تبقى من شرور الاقطاعية . وانه يمكن العثور في كل
اقليم على اعداد كبيرة ، او اعداد لا بأس بها على الاقل ، من مثل هؤلاء العتاة
المحليين والاشراف السيئين البارزين ، والطريقة الفعالة الوحيدة للقضاء على
الرجعيين هو أن يعدم في كل اقليم على الاقل اولئك الذين ارتكبوا منهم جرائم
وأعمالا سيئة خطيرة . وحين كان العتاة المحليون والاشراف السيئون في أوج
سلطانهم ، فقد كانوا يقتلون الناس دون أن تطرف لهم عين مطلقا . ولقد

فام هو «اي - شوان» ، قائد قوة الدفاع عن مدينة سينكانغ من اقليم شانغشيا ، بأعباء هذه المسؤولية طوال عشر سنوات ، ويبلغ عدد الفلاحين المساكين الذين قتلوا على يديه حوالي الالف ، وهو يصف ذلك بشيء من لطيف العبارة ، قائلا انه « اعدام الاشقياء » . اما نانغ شن - ين ولو شو - لين ، قائدا قوة الدفاع عن مدينة ينتيين في مسقط رأسي ، اقليم سيانفتان ، فقد قتل اكثر من خمسين فلاحا ودفنا أربعة فلاحين خلال أربعة عشر عاما منذ ١٩١٣ . ولم يكن أول شخصين قتلاهما من أصل اكثر من خمسين شخصا سوى شحاذين بريئين . وهذا ما قاله نانغ : « دعوني أقتل شحاذين كي أبدأ العمل ! » و قرن القول بالعمل ، فاذا شقيان سسكينان يلاقيان حتفهما . تلك كانت فظائع العتاة المحليين والاشراف السيئين والارهاب الابيض الذي خلفوه في المناطق الريفية ، فكيف يمكن بعدئذ لاي انسان أن يقول ان الفلاحين يجب ألا يهبوا ويقتلوا قبضة منهم ويخلقوا قليلا من الارهاب في القضاء على المناهضين للثورة ؟

٣ - توجيه الضربات الاقتصادية للملاكين العقاريين :

حظر شحن الحبوب الى خارج المنطقة ، وحظر رفع سعر الحبوب ، وتحريم الاحتكار والمضاربة . وهذا حدث عظيم في النضال الاقتصادي لفلاحي هونان في الاشهر الاخيرة . فمنذ تشرين الاول الاخير حتى الوقت الراهن والفلاحون الفقراء يمنعون تدفق محاصيل الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنياء الى الخارج ، وقد فرضوا الحظر على رفع أسعار الحبوب وعلى الاحتكار والمضاربة . ونتيجة لذلك ، حقق الفلاحون الفقراء اهدافهم بصورة كاملة : ان الحظر على شحن الحبوب يطبق بصرامة ، بحيث انخفضت أسعار الحبوب ، كما ان الاحتكار والمضاربة تلاشيا .

حظر زيادة الايجارات والودائع (١) ، الدعاية من أجل تخفيض الايجارات

والودائع : عندما كان الاتحاد الفلاحي ضعيفا بعد ، في تموز وآب من العام

(١) كانت ودعية نقدية او عينية ، وهي كثيرا ما كانت تبلغ قسما كبيرا من قيمة الارض ، تودع على العموم من قبل المستأجر عند ملاكه العقاري كشرط للايجار . وعلى الرغم من أنه يفترض فيها ان تكون ضمانا لدفع قيمة الايجار ، فهي تمثل فعليا شكلا من الاستثمار الزائد .

الآخر ، لجأ الملاكون العقاريون ، بصورة مطابقة لفكرتهم القائلة ان الاستثمار لا يمكن ان يصير باهظا جدا ، لجأوا الواحد تلو الآخر الى انذار فلاحهم المستأجرين بزيادة في الايجارات والودائع . ومهما يكن من أمر ، فقد هب الفلاحون بالاجماع احتجاجا على ذلك في تشرين الاول ، مع النمو الهائل لسلطة الاتحاد ، فلحق بالملاكين العقاريين زعر عظيم من جراء هذا الواقع بحيث سكتوا عن مطالبهم . واعتبارا من تشرين الثاني من العام المنصرم ، حين تفوق الفلاحون قوة على الملاكين العقاريين ، تقدموا خطوة أخرى في التحريض من اجل تخفيض الايجارات والودائع ، ولسان حالهم يقول : لما يؤسف له حقا ان الاتحاد الفلاحي لم يكن على ما يكفي من القوة عندما دفعت الايجارات في الخريف الماضي ، والا فقد كانت تخفض يومذاك . ويقوم الفلاحون بحملة كبرى من اجل تخفيض الايجارات هذا الخريف ، ويحاول الملاكون العقاريون ان يتبينوا كيف سيصير تحقيق هذا التخفيض . وان انقاص الودائع هو قيد التحقيق في هنفشان والاقاليم الأخرى .

حظر الفاء الايجارات : كان ثمة بعد ، في تموز وآب من العام الماضي ،

حوادث عديدة من الفاء الايجارات واعادة عقد ايجار المزارع من قبل الملاكين العقاريين . ولم يعد ثمة من يجرؤ بعد تشرين الاول على ابطال الايجارات مطلقا . ولقد اصبح الفاء الايجارات واعادة عقد ايجار المزارع مسألة خارجة عن نطاق البحث اليوم ، والمشكلة الوحيدة التي لاتبرح مستعصية حتى درجة ما هي مشكلة ما اذا كان يمكن ابطال الإيجار اذا كان في نية الملاك العقاري استثمار الارض بنفسه . ولا يقبل الفلاحون بهذا الامر في بعض الاماكن ، كما قامت في اماكن أخرى ، حيث سمح بإبطال الايجارات في مثل تلك الحال ، مشكلة جديدة خاصة بالفلاحين المستأجرين الذين أصبحوا دون عمل . ولم يتوفر حتى الآن أي حل نظامي لهذه القضية .

انقاص الفائدة : لقد انقصت الفائدة على العموم في انهما ، وهذا الانقاص

قيد التحقيق أيضا في اقاليم أخرى ، لكننا نجد حيشما يتمتع الاتحاد الفلاحي

بالقوة ان اقراض المال تلاشى فعلا من الريف ، لان الملاكين العقاريين « اوقفوا الاقراض » تماما خوفا من « تأميم الملكية » . وان ما يدعى انقاص الفائدة مقصور حاليا على الديون القديمة وحدها . ولم تنقص الفائدة على الديون القديمة فحسب ، بل ان الدائن ممنوع أيضا من تعجيل المدين لدفع القرض الرئيسي له . فالفلاح الفقير يقول اذن : « لاتوجه اللوم الي لهذا السبب . تلك قضية عتيقة جدا ، وسوف ادفع لك في العام القادم » .

٤ - قلب الحكم الاقطاعي للعتاة المحليين والاشراف السيئين .

الاقضية والنواحي .

ان اعضاء السلطة السياسية في **التو و التوان** القديمين (اعني الاقضية والنواحي) ، وعلى الاخص السلطات السياسية على مستوى التو التي تأتي في المرتبة الثانية بعد مستوى الاقليم ، قد كانت على العموم اداة في ايدي العتاة المحليين والاشراف السيئين . وكان يخضع لحكم التو عدمن السكان يتراوح بين عشرة وخمسين او ستين الفا ، وقوة مسلحة مستقلة كانت تدعى جيش الدفاع ، وسلطة مستقلة في جمع الضرائب الاميرية بما فيها جباية ضريبة الارض (١) ، وسلطة قضائية مستقلة لها الحق في توقيف الفلاحين وحبسهم ومحاكمتهم وادانتهم على هواها . وكان الاشراف السيئون في مثل هذه الهيئة ملوكا بالفعل في الريف . وكان الفلاحون يخصون الرئيس او الحاكم العسكري (٢) او القاضي الاقليمي بقليل من الاكتراث نسبيا لان «زعماءهم» الحقيقيين هم هؤلاء الملوك في الريف . وعندما كان هؤلاء القوم ينفخون في

(١) تلك كانت ضريبة اضافية مفروضة على الفلاحين من قبل نظام العتاة والاشراف بالاضافة الى ضريبة الارض النظامية .

(٢) على الرغم من كون الحاكم العسكري مجرد رئيس عسكري للمقاطعة في نظام سادة الحرب من العصاية الشمالية ، فقد كان يشرف في واقع الامر على القطعات العسكرية والادارة المدنية على السواء ، وهو بالفعل دكتاتور المقاطعة . ولقد كان على اتفاق مع المستعمرين أيضا . وكان يطبق نظاما مستقلا اقطاعيا - عسكريا في مقاطعته .

انوفهم ، كان الفلاحون يدركون ان من واجبههم مراقبة خطاهم . ولقد قلب سلطان طبقة الملاكين العقاريين وهيبته حتى درجة بعيدة نتيجة للثورة الحاضرة في الريف ، وبالتالي فان مثل هذه الاجهزة الخاصة بالادارة الريفية التي يسيطر عليها العتاة المحليون والاشراف السيئون قد انهارت بطبيعة الحال. وان زعماء **التو و التوان** ليخجلون جميعا الآن من الشعب ولا يجرؤون على مواجهته ، وهم يحيلون سائر القضايا المحلية على الاتحاد الفلاحي ، ويصرفون الناس عنهم بهذه الملاحظة : « ليس هذا من شأني مطلقا » . ويقول الفلاحون بنقمة كلما تناول حديثهم زعماء **التو و التوان** : « تلك العصابة ! لقد سقطت الآن وانتهى أمرها ! » .

وان هذه العبارة : « سقطت وانتهى أمرها » لتصف بالتأكيد مصير الاجهزة القديمة الخاصة بالادارة الريفية في الاماكن التي اجتاحتها عاصفة الثورة .

هـ - قلب قوى ملاكي الاراضي المسلحة وانشاء قوى الفلاحين المسلحة .

كانت القوى المسلحة لطبقة الملاكين العقاريين في هونان اصغر في القسم المركزي من المقاطعة منها في مناطقها الغربية والجنوبية . واذا كان متوسط هذه القوى ٦٠٠ بندقية في كل اقليم ، فالمجموع يساوي اذن ٥٠٠٠ بندقية في خمسة وسبعين اقليما ، وربما اكثر من ذلك في واقع الامر . وفي الاقسام الجنوبية والمتوسطة من المقاطعة حيث احركة الفلاحية اكثر تطورا ، اعني في اقاليم نينغ سيانغ وبينج سيانغ وليويانغ وشانغشا وليلينغ وسيانغشان وسيانغ سيانغ وانهاو وهنغشان وهنغيانغ ، لم يستطع الملاكون العقاريون السيطرة على قواهم المسلحة الخاصة بسبب من العنفوان الذي ناز الفلاحون به ، فاستسلمت هذه القوى حتى درجة بعيدة الى الاتحاد الفلاحي، وهي تدافع الآن عن مصالح الفلاحين . وان عددا صغيرا من القوى المسلحة الخاصة بالملاكين العقاريين ، كما في بعض الاقاليم مثل بايوكينغ ، تتخذ موقفا معتدلا لكنها تميل الى الاستسلام ، كما ان جزءا ضئيلا آخر من هذه

القوى ، مثلاً في اقليم ايشانغ ولينوو ونباوو ، تناهض المنظمات الفلاحية ، لكن الفلاحين يوجهون الضربات اليها حالياً ، ويمكنهم ان يمحوها من الوجود خلال وقت قصير . وان القوى المسلحة المنتزعة على هذا الفرار من الملاكين العقاريين الرجعيين سوف يعاد تنظيمها جميعاً في ميليشيا نظامية مجندة من سائر المنازل (١) وتوضع تحت امرة الاجهزة الجديدة للحكومة الذاتية الريفية - وهي اجهزة للحكم الذاتي في الريف تخضع لسلطة الفلاحين السياسية . وان الاستيلاء على هذه القوى المسلحة القديمة هي احدى الوسائل التي يتم بها انشاء قوى الفلاحين المسلحة .

وثمة وسائل أخرى أيضاً لانشاء القوى المسلحة ، اعني «جيش الرماحة» الخاص بالاتحاد الفلاحي . وتعد هذه الرماح - وهو سلاح ذو حد مزدوج ورأس مدبب يتصل بعصاة طويلة - ١٠٠.٠٠٠ في اقليم سيانغ وحده ، كما ان اقليم أخرى مثل سينغشان وهنغشان ويليغ وسانغشا يملك كل منها ٧٠.٠٠٠ - ٨٠.٠٠٠ او ٥٠.٠٠٠ - ٦٠.٠٠٠ او ٣٠.٠٠٠ - ٤٠.٠٠٠ رمح . وينمو جيش الرماحة بسرعة في سائر الاقليم حيث قامت الحركة الفلاحية ، وهؤلاء الفلاحون المسلحون بالرماح يشكلون الميليشيا المجندة من كل منزل عند الضرورة . وان هذه القوة الكبيرة من الرماح لأعظم من القوى المسلحة القديمة الأنفة الذكر ، وهي قوة مسلحة حديثة التشكيل ، يرتجف العتاة المحليون والاشراف السيئون ذعراً لدى رؤيتها . وينبغي للسلطات الثورية في هونان أن تعنى بانشاء مثل هذه القوى المسلحة على نطاق واسع حقاً بين الفلاحين الذين يعدون أكثر من عشرين مليوناً في الاقليم الخمسة والسبعين - ان يملك كل فلاح رمحاً ، سواء اكان شاباً أم في مقتبل العمر ،

(١) كانت الميليشيا النظامية المجندة من سائر المنازل احدى القوى المسلحة في الريف . وقد سميت هكذا لان كل بيت على وجه التقريب كان مجبراً على ارسال فرد واحد أو أكثر الى هذه الميليشيا . وبعد هزيمة الثورة في ١٩٢٧ ، استولى الملاكون العقاريون على هذه الميليشيا وقلبوها الى القوة المسلحة الخاصة بالثورة المضادة .

والا يفرض اي قيد على امتلاك هذه الرماح فكأن ثمة ما يبعث على الخوف .
فكل من يخاف من مثل هذا الجيش من الراحة جبان في الحقيقة ! ان العتاة
المحليين والاشراف السيئين وحدهم يخافون منه ، اما الثوريون فينبغي الا
يخشوا جانبه مطلقا .

٦ - قلب السلطة السياسية لسعادة القاضي الاقليمي واجرائه .

اما أن الحكومة الاقليمية لايمكن ان تصبح نظيفة حتى يثور الفلاحون ،
فتلك حقيقة تأكدت قبل بعض الزمن في هيفنغ وكوانغ تونغ ، ولدينا حاليا
براهين كافية عليها ، وبالأخص في هونان . ففي اقليم يسيطر عليه العتاة
المحليون والاشراف السيئون لا بد أن يكون القاضي ، كائنا من كان ، موظفا
فاسدا دونما استثناء تقريبا ، كما اننا نجد دائما ، حيث هب الفلاحون
للنضال ، حكومة نظيفة ، كائنا من كان يتولى الامور فيها . وفي الاقاليم التي
زرتها كان القضاة ملزمين باستشارة الاتحاد الفلاحي في سائر القضايا ،
كما اننا نجد في الاقليم حيث بلغت سلطة الفلاحين اوجها ، ان كلمة الاتحاد
الفلاحي « تصنع عجائب آتية » . فإذا طلب الاتحاد الفلاحي اعتقال احد
العتاة المحليين او الاشراف السيئين في انصباح ، لم يجرؤ القاضي على تأجيل
ذلك الاعتقال حتى الظهر ، واذا طلب هذا الاعتقال ظهراً ، لم يجرؤ على تأخيره
حتى بعد الظهر .

وعندما كانت سلطة الفلاحين بادئة في النمو في الريف ، تعاون القاضي مع
العتاة المحليين والاشراف السيئين على مجابهة الفلاحين . وحين نمت قوة
الفلاحين واصبحت مساوية لقوة الملاكين العقاريين ، جرب القاضي ان يستميل
اليه الملاكين العقاريين والفلاحين على السواء ، فهو يقبل بعض اقتراحات
الاتحاد الفلاحي ويرفض الاخرى . وان الملاحظة الواردة الذكر اعلاه عن كون
كلمة الاتحاد الفلاحي « تصنع عجائب آتية » لا تنطبق على الحقيقة الا بعد ما
تقلب سلطة الفلاحين الملاكين العقاريين بصررة تامة . ونجد في الوقت الحاضر

أن الوضع الحكومي في الاقاليم مثل سيانغ سيانغ وسيانفتان وليلينغ وهنغشان هو كما يلي :

١ - كل شيء يقرره المجلس المشترك المؤلف من القاضي والمنظمات الجماهيرية الثورية . والقاضي يستدعي المجلس الذي ينعقد في مكتبه ، وهو يدعى في بعض الاقاليم « المجلس المشترك للمنظمات العامة والهيئات الحكومية » ، وفي اقاليم أخرى « مجلس القضايا الاقليمية » ويحضره الى جانب القاضي نفسه ممثلو المنظمات الفلاحية الاقليمية ، واتحادات النقابات الاقليمية ، وغرفة التجارة الاقليمية ، واتحاد النساء الاقليمي ، واتحاد معلمي المدارس والمستخدمين الاقليمي ، واتحاد الطلاب الاقليمي ، وقيادة الكيومنتانغ الاقليمية (١) . وان ما يؤثر في القاضي في مثل هذه الاجتماعات التي يعقدها المجلس هو رأي المنظمات الجماهيرية ، فهو يصنع دائما ما يقال له . وبنتيجة ذلك فان اعتماد نظام اللجان الديمقراطي من أجل التنظيم الحكومي الاقليمي في هونان يجب الا يشكل مشكلة كبرى . ذلك أن الحكومات الاقليمية الراهنة هي ، سلفاً ، ديموقراطية تماماً شكلاً ومضموناً على السواء . ولم يتحقق هذا الوضع الا في الشهرين او الأشهر الثلاثة الاخيرة ، يعني بعدما هب الفلاحون في مختلف أرجاء الريف وقلبوا سلطة العتاة المحليين والاشراف السيئين . وحين شاهد القضاة ان حلفاءهم القدماء سقطوا وأنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بمراكزهم دون حلفاء جدد ، فقد جعلوا يمالئون المنظمات الجماهيرية ، ومن هنا كانت الاوضاع الموصوفة اعلاه .

٢ - لم يعد للمساعد القضائي تقريباً أية حالة يعالجها .

لا يبرح النظام القضائي في هونان نظاماً يحمل القاضي أعباء القضايا العدلية

(١) كان عدد كبير من المنظمات الاقليمية للكيومتانغ ، تحت قيادة اللجنة التنفيذية المركزية للكيومتانغ في ووهان ، تطبق وقتئذ السياسات الرئيسية الثلاث للدكتور صن يات - صن . وكانوا يمثلون الاتحاد الثوري للشبيوعيين ، وجماعة الجناح اليساري من الكيومنتانغ ، وثوريين آخرين أيضاً .

بالاشتراك مع مساعد قضائي يعاونه اثناء المحاكمات . ويعتمد القاضي وأجراؤه كليا في سبيل الاثراء على جمع الضرائب والجبايات ، وتزويد الجيوش بالرجال والمؤن ، وابتزاز المال في الدعاوى المدنية ، الجنائية عن طريق الخلط بين الحق والباطل ، وهو اضمن مصادر دخلهم واكثرها نظاما . وفي الاشهر الاخيرة ، مع سقوط العتاة المحليين والاشراف السيئين ، اختفى سائر المحامين المحتالين تماما . والاكثر من ذلك ان مختلف مشاكل الفلاحين ، الكبيرة منها والصغيرة ، تحل جميعاً في المنظمات الفلاحية على مختلف المستويات ، بحيث لم يعد للمساعد القضائي في الحكومة الاقليمية أي عمل على الاطلاق . وقد قال لي المساعد القضائي في سيانغ سيانغ ، حيث لا يوجد أي اتحاد فلاحى : « ان الحكومة الاقليمية تتلقى وسطيا ستين عريضة تتعلق بدعاوى مدنية وجنائية كل يوم ، لكنها لم تعد تتلقى وسطياً سوى أربع أو خمس دعاوى منذ ظهور الاتحاد يومياً » . وهكذا فان محافظ القاضي واجرائه لا بد أن تظل فارغة .

٣ - الحرس المسلحون ورجال الشرطة واجراء القاضي يراقبون جميعاً خطاهم ولا يجروؤن على الذهاب الى الريف كي يمارسوا العريضة والاعتصاب .

في الماضي ، كان أهل الريف يخافون من أهل المدن ، أما الآن فان أهل المدن يخافون من أهل الريف . وعلى الأخص الثعالب المتوحشة التي تحتفظ بها الحكومة الاقليمية - رجال الشرطة ، والحرس المسلحون وحجاب المحاكم - فانهم يخشون الذهاب الى الريف ، فاذا فعلوا لا يجسرون بعد الآن مطلقاً على ممارسة ما اعتادوه من عريضة واعتصاب . إنهم يرتجفون جميعاً لدى رؤية رماح الفلاحين .

٧ - قلب السلطة العشائرية للشيوخ والهيكل الجديدة ، والسلطة الاوتوقراطية لآلهة المدن والالوهيات الحلية ، والسلطة الذكورية للازواج .

يخضع الانسان في الصين عادة لسيطرة ثلاثة أنظمة من السلطان :

وحكومة المقاطعة والحكومة الاقليمية الى الحكومة المحلية .

١ - نظام الدولة (السلطان السياسي) ، المتدرج من الحكومة الوطنية

٢ - نظام العشيرة (السلطان العشائري) ، المتدرج من الهياكل الجديدة

المركزية والفرعية الى راس العائلة .

٣ - نظام الالهة والارواح (السلطان التيوقراطي) ، المتضمن نظام

العالم السفلي المتدرج من ملك الجحيم الى آلهة المدن والالوهيات المحلية، ونظام

الكائنات فوق الطبيعية المتدرج من امبراطور السماء الى سائر انواع الالهة

والارواح .

اما النساء، ففيما عدا خضوعهن لسيطرة الانظمة الثلاثة السالفة الذكر ،

فهن كذلك خاضعات لسيطرة الرجال (سلطان الزوج) . وهذه الانواع الاربعة

من السلطان - السلطان السياسي . والسلطان العشائري ، والسلطان

التيوقراطي ، وسلطان الزوج ، تمثل كل عقلية النظام الاقطاعي والبطريركي

وروحه ، وهي السلاسل الاربعة الكبرى التي قيدت الشعب الصيني ،

وعلى الاخص الفلاحين . وقد سبق أن رأينا كيف يقرب الفلاحون السلطان

السياسي للملاكين العقاريين في الريف . ولما كان السلطان السياسي للملاكين

العقاريين الهيكل العظمي لسائر الانظمة الاخرى من السلطان ، فاننا نجد

حيثما تم قلبه أن السلطان العشائري والسلطان التيوقراطي وسلطان

الزوج هي في طريق الانحلال . وحيث يتمتع الاتحاد الفلاحي بما يكفي من

القوة ، نجد أن الشيوخ العشائريين ومدراء اموال الهياكل لا يجسرون بعد

الآن على اضطهاد العشيرة أو اختلاس هذه الاموال . إن الشيوخ العشائريين

السيئين ومدراء اموال الهياكل السيئين قد قلبوا ، مثلهم مثل العتاة المحليين

والاشراف السيئين . وليس بعد الآن أي هيكل جدي يجسر ، كما كان العهد

فيما مضى ، على إنزال العقوبات الجسدية القاسية أو عقوبة الاعدام ، مثل

« الجلد » أو « الاغراق » أو « الدفن على قيد الحياة » . وكذلك حطمت

القاعدة العتيقة التي تحرم على النساء والانس الفقراء حضور الولائم في الهيكل الجدي . وفي إحدى المناسبات دخلت نساء بايكوو ، من اقليم هنفشان ، هيكلهن الجدي وجلسن على المقاعد واكلن وشربن ، فيما لا يستطيع البطارقة الكبار سوى النظر اليهن . وفي مكان آخر ، اجتاح الهيكل الفلاحون الفقراء الذين لا يقبلون في الولائم عادة ، واكلوا وشربوا ملء بطونهم ، في حين ولى العتاة المحليون والاشراف السيئون والسادة الذين يرتدون الاثواب الطويلة الادبار هاربين وقد ملكهم الذعر جميعا .

ولقد شرع السلطان التيوقراطي يتهاوى في كل مكان مع نمو الحركة الفلاحية . وفي اماكن عديدة ، استولت المنظمات الفلاحية على هياكل الآلهة وحولتها الى مكاتب خاصة بها . وانهم ليطالبون في مختلف الاماكن باستملاك املاك الهياكل في سبيل القيام بنفقات مدارس الفلاحين ونفقات الاتحاد ، مسمين ذلك « الدخل العام من الاوهام » . ولقد أصبح منع التطير وتحطيم الاصنام شائعين تماماً في ليلينغ ، وفي الاقسام الشمالية من هذه المقاطعة منع الفلاحون المواكب الاحتفالية على شرف، إله الوباء . وكان ثمة أصنام عديدة في هيكل أتباع تاو على هضبة فوبو ، في لوكوو ، لكنها كدست جميعاً فوق بعضها بعضاً في إحدى الزوايا كي نفسح المكان للجنة الكيومنتانغ الحزبية في المقاطعة ، الأمر الذي لم يعترض عليه فلاح واحد . ولقد أصبحت الأعمال الدينية كالتضحية للآلهة أو إجراء الطقوس التاوية أو البوذية أو تقديم المصاييح المقدسة نادرة لدى موت أحد أفراد الأسرة ، وكان صن هسياو - شان ، رئيس الاتحاد الفلاحي ، هو الذي اقترح هذه الأشياء جميعاً ، وهو ما استحق عليه حقدا عظيما من جانب الكهنة التاويين المحليين . وفي دير راهبات مونغ فنغ في المقاطعة الشمالية الثالثة ، حطم الفلاحون ومعلمو المدارس الاصنام الخشبية كي يشعلوا نارا لطهي الطعام . ولقد احرق الفلاحون بالاشتراك مع الطلبة اكثر من ثلاثين صنما في هيكل تونغ فو في المقاطعة الجنوبية ، وثمره صنمان صفيان فقط معروفان على العموم باسم

« صاحب السعادة باو » (١) ، قد أنقذهما فلاح عجوز وهو يقول : « لا ترتكبوا خطيئة » . وفي الأمكنة حيث تتغلب سلطة الفلاحين لم يعد يؤمن بالآلهة سوى الشيوخ من الفلاحين والنساء ، فيما انفلاخون الشباب ومتوسطو الاعمار قد نبذوا هذا الايمان . ولما كان الفلاحين الشباب والمتوسطو العمر هم الذين يشرفون على الاتحاد الفلاحي ، فالحركة من اجل قلب السلطان التيوقراطي والقضاء على التطير والأوهام قائمة في كل مكان على قدم وساق .

أما فيما يتعلق بسلطان الزوج ، فقد كان على الدوام ضعيفاً نسبياً بين الفلاحين الفقراء ، لأن النساء الفلاحات الفقيرات ، المجبرات لأسباب مالية على المساهمة بقسط اكبر من العمل اليدي من نساء الطبقة الأغنى ، قد اكتسبن حقاً أعظم في الكلام وسلطة أعظم في اتخاذ القرارات في القضايا العائلية . ولقد زاد الاقتصاد الريفي إملاسا في هذه السنوات الاخيرة ايضاً ، وبذلك نسف سلفاً الشرط الاساسي لسيطرة الرجال على النساء . واليوم ، مع قيام الحركة الفلاحية ، عمدت النساء مباشرة في أماكن عديدة الى تنظيم الاتحاد النسائي الريفي . لقد سنحت لهن الفرصة كي يرفعن رؤوسهن ، وان سلطان الزوج لينهار أكثر فأكثر كل يوم . وبكلمة مختصرة ، فان سائر العقليات والمؤسسات الاقطاعية والبطيريرية تنهاوى بقدر ما تعظم سلطة الفلاحين . ومهما يكن من أمر ، فان جهود الفلاحين مركزة في المرحلة الحاضرة على تدمير السلطان السياسي للملاكين العقاريين .

وحيث تم تدمير السلطان السياسي للملاكين العقاريين نجد ان الفلاحين بدأوا هجماتهم على المجالات الثلاثة الأخرى ، ألا وهي العشيرة ، والآلهة ، والعلاقة المتبادلة بين الرجال والنساء . وعلى أية حال ، فلا تزال مثل هذه الهجمات في « بدايتها » فحسب في الوقت الراهن ، ولن يكون في الامكان

(١) كان باو - شنج ، المعروف عامة « بصاحب السعادة باو » رئيس بلدية كايفنج ، عاصمة ملكية سونغ الشمالية (١٦٠ - ١١٢٧) ، وكان شهيراً في الاساطير الشعبية بوصفه موظفاً مستقيماً وقاضياً عادلاً لا يهاب ، يجد لذة في اصدار احكام مضبوطة في سائر القضايا التي عرضت عليه .

تحقيق قلب تام لتلك السلطات الثلاث نبل تحقيق النصر التام لنضال الفلاحين الاقتصادي . وينتج من ذلك ان واجبنا في الوقت الحاضر هو توجيه الفلاحين لخوض معارك سياسية بأقصى قواهم ، بحيث يمكن اقتلاع جذور سلطان الملاكين العقاريين بصورة تامة . وكذلك ينبغي البدء حالا بصراع اقتصادي كيما يمكن الحصول على حل نهائي لقضية الارض والقضايا الاقتصادية الاخرى الخاصة بالفلاحين الفقراء .

ان الفاء النظام العشائري ، والتطير ، والتفاوت بين الرجال والنساء سيتحقق كنتيجة طبيعية للظفر في الدراعات السياسية والاقتصادية . واذا كررنا ، بصورة عقيمة واعتباطية ، جهودا زائدة في سبيل القضاء على مثل هذه الاشياء ، فسوف نعطي العتاة المحليين والاشراف السيئين ذريعة لنسف الحركة الفلاحية بالفاء مثل هذه الشعارات من الدعاية المضادة للثورة: « ان الاتحاد الفلاحي لا يظهر اي احترام حيال الاجداد » . او « إن الاتحاد الفلاحي يسيء الى الآلهة ويدمر الدين » ، ار « ان الاتحاد الفلاحي ينادي بجماعية النساء » . وقد ورد حديثا برهان واضح على ذلك من سيانغ سيانغ في هونان ويانفسين في هوييه في وقت واحد ، اذ استطاع الملاكون العقاريون الاستفادة من المعارضة الفلاحية لتحطيم الاصنام . لقد اقيمت الاصنام من قبل الفلاحين ، وسوف يلقون بها أرضا بأيديهم الخاصة في الوقت المناسب ، وليس ثمة حاجة تدفع أي انسان سواهم الى القاء هذه الاصنام أرضاً بدلا منهم بصورة سابقة للوان . وان الخطة التحريضية للحزب الشيوعي في مثل هذه القضايا ينبغي ان تكون « شدة القوس حتى اقصى مداه دون اطلاق السهم ، وكن يقطاً » (١) . يجب ان تعزل الاصنام من قبل الفلاحين أنفسهم ، وكذلك يجب ان تدمر الهياكل الخاصة بالعذارى المعذبات والقناطر الخاصة

(١) هذه الاستعارة مأخوذة من منسيوس . وهي تعني هنا أنه يتوجب على الشيوعيين ،

فيما هم يطورون الوعي السياسي للفلاحين حتى نأدرجه القصوى ، أن يتركوا لمبادرة الفلاحين الخاصة مسألة الفاء الخرافات والممارسات السيئة الاخرى .

بالكنات الارامل العفيفات والمخلصات من قبل الفلاحين انفسهم ، ومن الخطأ ان يقوم اي امرىء آخر بهذا العمل عنهم .
وقد قمت انا ايضا ، في الريف ، بالدعاية بين الفلاحين في سبيل القضاء على الاوهام الخرافية . واليكم ما قلته :

« ان من يؤمن بالصفات الثماني (١) يترجى حسن الطالع ، وان من يؤمن بالضرب بالرمل يترجى التأثير الجيد للمدفن (٢) . وفي هذه السنة اختفى العتاة المحليون والاشراف السيئون والموظفون الفاسدون جميعاً خلال شهور قليلة . أيمن انهم كانوا جميعاً حتى شهور قليلة يحظون بحسن الطالع ، وكانوا جميعاً تحت التأثير الجيد لتربة مدافنهم ، فيما تعرضوا جميعاً في الشهور القليلة الاخيرة ، بصورة مفاجئة لسوء الطالع ولانقطاع تربة مدافنهم عن القيام بتأثيرها الملائم عليهم .

ويستهزئ العتاة المحليون والاشراف السيئون باتحادكم الفلاحي ويقولون : « ما اغرب ذلك ! لقد أصبح عالماً من أعضاء اللجان ، انظروا . ان المرء لا يستطيع ان يذهب حتى الى دورة المياه دون ان يصادف واحدا منهم ! » وذلك صحيح تماماً ، ففي المدن وفي القرى نجد لنقابات العمال ، والاتحاد الفلاحي ، والكيومنتانغ والحزب الشيوعي أعضاء لجائها التنفيذية - انه في الحقيقة عالم من أعضاء اللجان . لكن اينشأ عن الصفات الثماني وتربة المدافن ؟ ما اغرب ذلك ! ان الصفات الثماني لسائر البائسين المساكين في الريف قد انقلب فجأة واصبحت حسنة الطالع ! وإن تربة مدافنهم قد بدأت بفترة تقوم بتأثير ملائم !

(١) طريقة في قراءة المستقبل في الصين بدراسة الصفتين الدوريتين لسنة ولادة الشخص

وشهرها ويومها وساعتها .

(٢) اشارة الى الاعتقاد الخرافي بأن مكان اضرحة الاجداد يؤثر في حظ ذريتهم .

ويدمي الضارب بالرمل انه يستطيع أن يقول ما اذا كان مكان المقبرة وجوارها حسني الطالع ام لا .

الآلهة ؟ لعلمهم يستحقون عبادتنا تماماً . لكنه اذا لم يكن لدينا اتحاد فلاحى ، بل كل ما لدينا هو الامبراطور كوان (١) وإلهة الرحمة ، اكان في امكاننا إذن ان نقلب العتاة المحليين والاشراف السيئين ؟ إن الآلهة والالاهات رحماء في الحقيقة ، لقد كانوا موضع العبادة مئات السنوات ، ولم يقلبوا مع ذلك من أجلكم عانيا محلياً واحداً أو أي فرد من الاشراف السيئين !
والآن أنتم تريدون تخفيض ايجاركم . واني لأود أن أسأل : « كيف ستعملون من أجل ذلك ؟ هل ستؤمنون بالآلهة أم ستؤمنون بالاتحاد الفلاحى ؟ »

ولقد انفجر الفلاحون ضحكاً لكلماتي هذه .

٨ - توسيع التحريض السياسي :

لو افتتح عشرة آلاف مدرسة للفقراء والعلوم السياسية ، افكان في مكنتها أن تحقق في مثل هذا الزمن القصير ذلك القدر العظيم من التنقيب السياسي بين الرجال والنساء ، والشبان والشيخوخ ، في كل مكان حتى في أبعد زوايا البلاد كما فعل الاتحاد الفلاحى في الوقت الحاضر ؟ أعتقد أن لا . « ليسقط الاستعمار » ، « ليسقط سادة الحرب ! » ، « ليسقط الموظفون الفاسدون ! » ، و « ليسقط العتاة المحليين والاشراف السيئون ! » - هذه الشعارات السياسية تطير في كل مكان ، وتدخل رؤوس البالغين والقاصرين والشيخوخ والاطفال والنساء في عدد لا يحصى من القرى وتنطلق من افواههم . واذا كانت جماعة من الاطفال تلعب ، واذا رأيت أحد هؤلاء الاطفال يستاء من رفيق له ، محملاً بعينيه ، ضارباً الارض بقدميه ، ملوحاً بقبضته ، فان الصيحة الحادة ستطرق سمعك في الحال : « ليسقط الاستعمار ! »
وفي سيانفتان ، عندما يمثل طفلان من رعاة القطعان قتالا ، يلعب احدهما

(١) كوان يو ، أحد محاربي عصر الممالك الثلاثة (١٩٦ - ٢٦٤) كان يعبد بصورة واسعة

من قبل الشعب الصيني بوصفه إله الاخلاص والحرب .

دور تانغ شنغ - شيه والآخر دور ييه كاي - هسين (١) ، ولن تمضي برهة حتى يهزم أحدهما ويلحقه الآخر ، ويكون المطارد تانغ شنغ - شيه والطريدة ييه كاي - هسيو .

ومن المؤكد أن كل طفل تقريبا من سكان المدن يستطيع أن ينشد أغنية « لتسقط القوى الاستعمارية ! » ، لكن عدداً كبيراً من الأطفال يستطيعون انشادها في القرى أيضا .

وان بعض الفلاحين في الريف يستطيعون حتى قراءة « وصية الدكتور صن يات - صن » وهم يلتقون منها تعابير مثل « الحرية » و « المساعدات » ، و « مبادئ الشعب الثلاثة » و « المعاهدات غير المتكافئة » ، ويطبقونها بصورة حرفية بالأحرى على حياتهم اليومية . وإذا ما التقى فلاح بشخص من أشباه الإشراف في دربه ، ولم يرض هذا الأخير ، بدافع الهيبة ، أن يفسح له الطريق ، فانه يقول في نقمة . « إيه ، أنت أيها العاتي المحلي ، أنت أيها الملاك العقاري ، أفلمست تعرف مبادئ الشعب الثلاثة ؟ » ولقد اعتاد الفلاحون من ضواحي شانغهاي أن تتعجلهم الشرطة عندما يدخلون المدينة لبيع الخضراوات . بيد أن الفلاحين حصلوا الآونة على سلاح - مبادئ الشعب الثلاثة . فاذا ما تهجم شرطي على فلاح يبيع الخضراوات أو زجره ، فإن الفلاح يسكته بالجوء الى مبادئ الشعب الثلاثة . ولقد قام ذات مرة خصام في سيانغتان بين منظمة منطقية فلاحية ، ومنظمة ناحية فلاحية ، فأعلن رئيس هذه المنظمة الأخيرة « المعارضة للمعاهدات غير المتكافئة المفروضة من قبل المنظمة المنطقية الفلاحية » .

ان توسيع التحريض السياسي على المناطق الريفية هو برمته من عمل الحزب الشيوعي والاتحاد الفلاحي . ولقد حققت الشعارات والاعلانات والخطب البسيطة نتائج عظيمة وسريعة غير مألوفة ، تاركة تأثيراً عظيماً في

(١) جنرالان حارب أحدهما ، ترنغ ، في الحملة الشمالية في جانب النورة ، والآخر ييه في جانب سادة الحرب من العصاة الشمالية .

الفلاحين بحيث يبدو كل منهم كأنه داوم على مدرسة سياسية مدة من الزمن . ويقرر الرفاق العاملون في الحقل الريفى أن التحريض السياسى امتد بصورة واسعة في سياق ثلاثة اجتماعات جماهيرية كبرى ، ألا وهي المظاهرات المناهضة للبريطانيين والاحتفالات بذكرى ثورة تشرين الأول والاحتفالات الكبرى بانتصار الحملة الشمالية . وفي مثل هذه المناسبات ، حيثما وجدت المنظمات الفلاحية ، كان التحريض السياسى يجري على نطاق واسع ، فينهض الريف برمته ، وتحقق نتائج عظيمة من جراء ذلك . وينبغي لنا من الآن فصاعداً أن نستخدم كل مناسبة كي نفنى بصورة تدريجية مضمون تلك الشعارات البسيطة ونوضح معناها .

٩ - حرمانات الفلاحين :

عندما أقام الاتحاد الفلاحى ، بقيادة الشيوعيين ، سلطته في الريف ، شرع الفلاحون يفرضون الحرمانات أو القيود على الأشياء التي يرفضونها . وكانت أكثر الأشياء حرماناً ثلاثة : ألعاب القمار ، والقمار الحرفى ، وتعاطي الأفيون .

ألعاب القمار : أن النرد ، والدومينو ، وألعاب الورق محرمة تماماً في الأماكن حيث يتمتع الاتحاد الفلاحى بالقوة . ولقد أحرق الاتحاد الفلاحى في القضاء الرابع عشر من سيانغ سيانغ سلبين ملايين من مجموعات النرد . وإذا ذهبتم إلى الريف ، فلن تجدوا أبداً من هذه الألعاب قيد الممارسة ، وكل من يخرق الحرمان يعاقب في الحال دونما أدنى هوادة .

القمار الحرفى : أن الناس الذين كانوا في يوم من الأيام « مقامرِينَ » يقضون بأنفسهم اليوم على القمار الحرفى ، ولقد تلاشى هذا القمار مع الاندثار السوية في الأماكن حيث يسيطر الاتحاد الفلاحى نفوذه .

تعاطي الأفيون : وهو محرم بصرامة عظيمة . وعندما أمر الاتحاد الفلاحى بتسليم غلايين الأفيون لم يجسر أي امرئ على إبداء أدنى اعتراض . وفي ليلينغ لم يسلم أحد الإشراف السيئين غلايينه فاعتقل واستعرض عبر القرى .

ويمكن مقارنة هذه الحركة من أجل تجريد مدخني الافيون من «مدافعهم» في تأثيرها بتجريد قوات ووسبي - فو وشن شوان - فانغ^(١) من قبل جيش الحملة الشمالية . وان عددا لا بأس به من الآباء الوقورين في عائلات ضباط الجيش الثوري ، المتعلقين حتى درجة بعيدة بتدخين الافيون حتى ان حياتهم نفسها مرتبطة « بالمدفع » ، قد جردوا جميعا من قبل « الإباطرة »^(٢) (كما يدعي الفلاحون بصورة ساخرة من قبل الاشراف السيئين) . ولم يحرم « الإباطرة » زراعة الافيون وتدخينه فحسب ، بل المتاجرة به ايضا . ولقد صودرت كميات كبرى من الافيون كانت مشحونة من كويشو الى كيانغسي عن طريق اقاليم باوكينغ وسيانغ سيانغ ويو وويلينغ في الطريق واحترقت ، الامر الذي كان له اثر بالغ في مالية الحكومة . واخيراً فان الاتحاد الفلاحي في المقاطعة ، تحت ضغط التكاليف العسكرية في الحملة الشمالية ، قد أمر المنظمات الفلاحية على المستويات الدنيا أن « تؤجل مؤقتا الحظر المفروض على تجارة الافيون » ، وهو ما أزعج الفلاحين على اية حال وأساء اليهم . ونجد فضلا عن هذه الامور الثلاثة اشياء أخرى عديدة فرض الفلاحون الحظر أو القيود عليها ، ومن بينها الاشياء التالية :

طبل الزهور : وهي تسلية مسرحية صغرى حُرمت في عدة اماكن .

الهوادج : في اقاليم عديدة ، وعلى الاخص في سيانغ سيانغ ، وقعت حوادث من تحطيم الهوادج . ان الفلاحين ، وهم يكرهون من صميم قلوبهم الأناس الذين يجلسون في الهوادج ، لتواقون على الدوام الى تحطيم هذه الهوادج ، لكن الاتحاد الفلاحي يمنعهم عن ذلك . ويخاطب المسؤولون في الاتحاد الفلاحي الفلاحين كما يلي : « اذا حطمت الهوادج ، فأنتم لاتفعلون

(١) احد سادة الحرب ، وكان حكمه يشمل المقاطعات الخمس ، كيانسو ، شيكيانغ ، فوكين ، كيانغسي ، انهوي . وقد كان المسؤول عن القضاء الدموي على عصيانات العمال في شانغهاي . وقد سقطت الحملة الشمالية فداخه الرئيسية في نانسانغ وكويكيانغ في شتاء ١٩٢٦ .

(١) انظر ملاحظة سابقة في هذا الشأن .

سوى توفير مال الاغنياء ، ويفقد حاملون عملهم ، أفليس في ذلك ايذاء لجماعتنا ؟ » وإما فكر الفلاحون مليا في الامر وادركوا الحقيقة ، فقد عمدوا الى خطة جديدة ، ألا وهي زيادة فاحشة لرسم حاملي الهوداج كعقوبة تفرض على الاغنياء من الناس .

صناعة الخمر وتقدير السكر : ان استخدام الارز لصنع الخمر وتقدير السكر محرم في كل مكان ، وبنتيجة ذلك قدم صانعو الخمر ومقطرو السكر شكاوى لا حصر لها ، وليست صناعة الخمر محرمة فحسب في فوتينيو وهنغشان، بل ان سعر الخمر محدد بصورة بخسة جدا. ولم يكن بد للخمارين، وقد حرموا من كل ربح ، أن يوقفوا صناعة الخمر .

الخنازير : ان عدد الخنازير التي تستطيع كل عائلة الاحتفاظ بهامحدد، لان الخنازير تستهلك الحبوب .

الدجاج والبط : ان تربية الدجاج والبط محرمة في سيانغ سيانغ ، بيد أن النساء يعارضن في هذا التحريم . وفي اقليم هنغشان ، يسمح لكل عائلة بالاحتفاظ بثلاثة طيور فقط في يانغ ستانغ وخمسة طيور في فوتينيو . وان تربية البط محرمة تماما في أماكن عديدة ، لأن البط لا يستهلك الحبوب فحسب ، بل يسيء الى مزارع الارز أيضا ، وهو أقل نفعا من الدجاج أيضا.

الولائم : ان الولائم الفاخرة ممنوعة على العموم . ولقد تقرر في شاوشان وسيانغتان أن ثلاثة أنواع فقط من اللحم انحيواني يمكن أن تقدم للضيوف ، ألا وهي الدجاج والسماك والخنزير . وإنه لمحظور تقديم براعم الخيزران أو حشائش البحر أو حساء العدس . وفي هنغشان تقرر ان ثمانية صحن فقط يمكن أن تقدم (١) ، من دون زيادة صحن واحد مطلقا . وان خمسة صحن فقط يسمح بها في القضاء الشرقي الثالث من ليلينغ ، وثلاثة صحن من اللحم وثلاثة أخرى من الخضار ليس غير في القضاء الشمالي الثاني ، فيما ولائم رأس السنة الجديدة محرمة في القضاء الغربي الثالث . وثمة حرمان يشمل في سيانغ سيانغ « وليمة الكعكة الاسفنجية » ، وهي ليست من

(١) في الصين يقدم الصحن في طاس أو صينية للمائدة كلها ، وليس بصورة افرادية .

الولائم الفاخرة في حال من الاحوال . وعندما قدمتها احدى العائلات في القضاء الثاني من سيانغ سيانغ ، في عرس أحد أبنائها ، تدفق الفلاحون على الدار وقضوا على الاحتفال ، معتبرين ان المضيف خرق الحرمان . وفي مدينة كيامو من سيانغ سيانغ ، قرر السكان الاقلاع عن سائر اللذائد واستخدام الشبار وحدها عندما يضحون من اجل اجدادهم .

ثيران الجر : وهي تعتبر كنزاً عند الفلاحين . ولما كانت العقيدة الدينية تنص عملياً على أن « اولئك الذين يذبحون الماشية في هذه الحياة سيصبحون هم أنفسهم ماشية في الحياة التالية » ، فان ثيران الجر ينبغي الا تذبح مطلقاً . ولم يكن الفلاحون يملكون ، قبل استيلائهم على السلطة ، اية واسطة للحد من ذبح الماشية سوى التحريم الديني . لكنهم عموماً تشريعهم ، منذ قيام الاتحاد الفلاحي ، حتى على الماشية وحرموها ذبحها في المدن . وقد اغلق خمسة من اصل ستة لحامين في مدينة سيانغتان الاقليمية محلاتهم الآن ، ولا يبيع اللحام الباقي سوى لحم الماشية الضعيفة أو العاجزة . وان ذبح الماشية محرم في اقليم هنفشان برمته ، ويتوجب على الفلاح الذي تعثرت بقرته وانكسرت رجلها ان يستشير الاتحاد الفلاحي قبل ان يجرؤ على قتلها . وعندما اقدمت غرفة تجارة شورشوو على ذبح بقرة دون تبصر ، ذهب الفلاحون الى المدينة كي يحتجوا ، فاضطرت الغرفة ، فضلاً عن دفعها الفرامة ، ان تطلق صواريخ نارية تعبيراً عن اعتذارها .

التشرد : اتخذ قرار في ليلينغ يحرم أمورا مثل انشاد تمنيات عيد السنة الجديدة بمصاحبة الصنوج ، وامتداح الألوهيات المحلية ، وترنيم انفسام الزنبق (١) ، وفي اقليم أخرى مختلفة حرمت هذه الاشياء أو اختفت ، وذلك لمجرد ان الناس ما عادوا يعنون بممارستها بعد الآن مطلقاً . ولقد كان ثمة عدد من « العتاة التسولين » أو « المتشردين » الذين كانوا عدوانيين بصورة فائقة ، بيد انه لا سبيل أمامهم اليوم سوى الانحناء للاتحاد الفلاحي . وان متشردين جسورين جعلوا من هيكل إله المطر في شاوشان من سيانغتان

(١) أغنية شعبية لازمتها «ورود الزنبق تتساقط» ، وهي كثيرة الانتشار بين الشحاذين .

مأوى لهم قد غادروا المكان بكل هدوء بعد قيام الاتحاد الفلاحي . وقد امسكت المنظمة الفلاحية في ضاحية هوتي من الانليم نفسه بثلاثة من مثل هؤلاء المتشردين والزمته بنقل الطوب من اجل افران الآجر . ولقد اتخذ قرار يحرم العادة السخيفة بتبادل الزيارات في عيد رأس السنة .

والى جانب هذه الحرمانات الأنفة الذكر ، طبقت حرمانات عديدة أخرى صغيرة في أماكن مختلفة ، مثل الحرمان الساري المفعول في ليلينغ بخصوص المواكب الاحتفالية على شرف إله الوباء ، وشراء المعجنات والثمار من اجل الهدايا الطقسية ، وحرق ثياب من الورق أثناء مهرجان الأرواح (١) ، والساق الاعلانات المستهدفة حسن الطالع في عيد رأس السنة . وثمة حرمان في كوشي من سيانغ سيانغ مفرّض على تدخين النارجيلة . وإن إطلاق الصواريخ النارية والعيارات النارية محرم في القضاء الثاني ، وأولئك الذين يطلقون الصواريخ النارية يغرّمون مبلغ ١٢٠ دولاراً ، والذين يطلقون العيارات النارية مبلغ ٢٤٠ دولاراً . وفي القضاء السابع والقضاء العشرين ، حرمت الخدمات التاوية والبوذية الخاصة بالميت ، كما منعت في القضاء الثامن عشر الهدايا النقدية المقدمة في المآتم . وإن هذه الأشياء لأكثر من أن تحصى ويمكن على العموم تسميتها الحرمانات الفلاحية .

وهذه الحرمانات ذات مفرز عظيم من ناحيتين ، فهي تمثل أولاً ثورة ضد العادات الاجتماعية السيئة ، مثل ألعاب القمار، والقمار الحرفي، وتعاطي الأفيون . وقد نشأت هذه العادات مع قيام النظام الفاسد لطبقة الملاكين العقاريين ، وعندما قلبت سلطة الملاكين العقاريين ، كنست هذه الأشياء أيضاً في أثرها . وهي من جهة ثانية شكل من دفاع الفلاحين الذاتي ضد استثمارهم من قبل تجار المدينة، ومثال ذلك تحريم الولايم الفاخرة والمعجنات والثمار من اجل الهدايا الطقسية . ولما كانت أسعار السلع الصناعية عالية

(١) اليوم الخامس من الشهر السابع من التقويم القمري الصيني . وهو يتفق عادة مع أول شهر آب من التقويم الغريغوري .

جدا واسعار المنتجات الزراعية بخسة جدا ، فان الفلاحين يملقون من جراء الاستثمارالوحشي الذي يطبقه التجار، بحيث لم يكن لهم بدٌ من اللجوء الى التوفير كوسيلة لحماية الذات. اما فيما يخص الحظر الذي فرضه الفلاحون على شحن الحبوب خارج المنطقة ، فانما تم اللجوء اليه لان الفلاحين الفقراء مضطرون، اذ هم لا يملكون مايكفي من الحبوب لغذائهم الخاص ، ان يبتاعوها من السوق ، وبالتالي ان يمنعوا سعرها من الارتفاع . وهذه الاشياء جميعها مرجعها إملاق الفلاحين والتناقضات بين المدينة والريف . ومن المؤكد ان الفلاحين لا يمارسون ما يزعم انه عقيدة الحضارة الشرقية حين يرفضون السلع الصناعية أو التجارة بين المدينة والريف . انه ينبغي للفلاحين، حماية لأنفسهم اقتصاديا ، ان ينظموا تعاونيات من أجل الشراء الجماعي بوصفهم مستهلكين . وفيما عدا ذلك ، فانه يتوجب على الحكمة أن تقدم العون الى الاتحاد الفلاحي بحيث يستطيع انشاء تعاونيات للتسليف . وبعدئذ سيجد الفلاحون بصورة طبيعية انه من غير الضروري وضع الحظر على تدفق الحبوب كوسيلة للاحتفاظ بسعره خفيضا ، وكذلك لن يلجأوا ، كوسيلة للحماية الاقتصادية الذاتية ، الى تحريم دخول بعض السلع الصناعية الى الريف .

١ - محو أعمال الشقاوة :

مند يو ، وتونغ ، وون ، ووو (١) ، حتى اباطرة آل مانشو ورؤساء الجمهورية ، لا اعتقد ان حاكما في اية مملكة قد ابدى بسالة في القضاء على اعمال الشقاوة مثل الاتحاد الفلاحي اليوم ، فليس ادنى اثر للاشقياء من أي نوع في مناطق نفوذ الاتحاد الفلاحي . وانه لأمر مرموق في الحقيقة ان سارقي الخضار الصفار تلاشوا ايضا . وفي اماكن أخرى يمكن بعد ان نعر على هؤلاء السارقين ، بيد أنه لم يكن لأعمال الشقاوة اثر في الاقاليم التي زرتها ، حتى ولا في الاماكن التي كانت مسرحا للاشقياء فيما مضى. وهذه هي اسباب ذلك: أولا - ان اعضاء الاتحاد الفلاحي مبعثرون في سائر الهضاب والوديان الصغيرة ، وينطلق مئات منهم ، مسلحين بالرماح والهراوات ، الى العمل

(١) الملوك الاولون في التاريخ الصيني .

عندما يطلق أحدهم الانذار ، فلا يستطيع الاشقياء ان يجدوا مكانا يختبئون فيه .

ثانياً - منذ قيام الحركة الفلاحية ، انخفض سعر القمح - كان المد يساوي ستة دولارات في الربيع الاخير ، ودولارين فقط في الشتاء الماضي - وقضية الفداء اصبحت اقل إشكالا منها فيما مضى .

ثالثاً - لقد انضم اعضاء من الجمعيات السرية الى الاتحاد الفلاحي، وهم يستطيعون في هذا الاتحاد ان يلعبوا بصورة علنية ومشروعة دور الإبطال وينفسموا عن حقدهم ، ولم يعد ثمة بعد الآن حاجة لوجود مثل هذه المنظمات السرية « الجبلية » و « القضائية » و « المزارية » و « النهرية » (١) . وإما كانوا يقتلون خنازير العتاة المحليين والاشراف السيئين وخرافهم او يفرضون عليهم الضرائب والغرامات، فقد كانوا يجدون مخرجا ملائما لحقدهم ضد مضطهديهم السابقين .

رابعا - ان الجيوش تطوع أعداداً كبيرة من الجنود ، وقد انضم اليها الكثيرون من « الفتيان العصاة » .

وهكذا انتهى شر الشقاوة مع قيام الحركة الفلاحية . وبهذا الخصوص فان الاشراف والاغنياء انفسهم يجبدون الاتحاد الفلاحي ، وعلقون على ذلك كما يلي : « الاتحاد الفلاحي ؟ حسناً، وحقي انه لا بد لي من الاعتراف بأن له جوانب حسنة ايضاً » .

ان الاتحاد الفلاحي، بتحريمه ألعاب القمار والحرفي وتعاطي الافيون، وقضائه على اعمال الشقاوة ، اكتسب تأييد الرأي العام .

١١ - الغاء الضرائب الفاحشة :

بما ان البلاد لم تتوحد بأسرها بعد وسلطة الاستعمار وسادة الحرب لم تقلب بعد ، فانه من المحال بعد رفع عبء الضرائب والجبايات الحكومية الثقيل

(١) كانت الجمعيات السرية تتخذ لها اسماء مشتقة من اسماء بعض الجبال او الفسحات او المزارات أو الانهار تدليلاً على انتسابها للطائفة . انظر الملاحظة الخاصة بذلك في « تحليل الطبقات في المجتمع الصيني » ، ص : ٢٠ .

من اكتاف الفلاحين ، وبكلام اوضح واصرح رفع عبء حملات الجيش الثوري العسكرية . وعلى اية حال فان الضرائب الفاحشة المفروضة على الفلاحين عندما كانت السيطرة في الادارة الريفية للعتاة المحليين والاشراف السيئين ، يعني ضريبة زراعة الارض ، قد الفيت على الاقل مع قيام الحركة الفلاحية وانهيار العتاة المحليين والاشراف السيئين . وهذا ما ينبغي أن يعديينه نجزات الاتحاد الفلاحي .

١٢ - الحركة الثقافية :

في الصين ، كانت الثقافة دائما وقفا على الملاكين العقاريين ، ولم يكن للفلاحين حق فيها . بيد ان ثقافة الملاكين العقاريين يخلقها الفلاحون لأن مصدرها انما هو عرق الفلاحين ودمائهم . ان تسعين بالمائة من الناس ، في الصين ، يفتقرون الى الثقافة والعلم ، وغالبيتهم من الفلاحين .

ونشأت حركة الفلاحين الثقافية مع تدهور سلطة الملاكين العقاريين في المناطق الريفية . وهكذا فان الفلاحين ، الذين كانوا يكرهون فيما مضى المدارس بصورة مريرة ، ينظمون الآونة الصفوف الليلية بكل حماسة . وكانت « المدارس الأجنبية الطراز » دائما غير شعبية بين الفلاحين . ولقد اعتدت أن ادافع عن « المدارس الأجنبية الطراز » في أيام دراستي ، وعندما رجعت الى مسقط رأسي وجدت الفلاحين يعارضونها ، وصنفت في عداد « الطلاب الاجانب الطراز » و « المعلمين الاجانب الطراز » ، وكنت أشعر بصورة دائمة ان الفلاحين على ضلال نوعاً ما . كان ذلك خلال الأشهر الستة التي قضيتها في الريف عام ١٩٢٥ ، وقد اصبحت شيوعيا واعتنقت وجهة النظر الماركسية حين تحققت أنني كنت مخطئا وان الفلاحين كانوا على صواب في آرائهم . ان المواد التعليمية المستخدمة في المدارس الابتدائية الريفية تعنى كلها بقضايا خاصة بالمدن ، فهي ليست في حال من الاحوال متكيفة مع حاجات المناطق الريفية . وفضلا عن ذلك ، فقد كان معلمو المدارس الابتدائية يسيئون السلوك حيال الفلاحين الذين جعلوا يبغضونهم حين وجدوا أنهم لا يأملون

بأية مساعدة من قبلهم . ونتيجة لذلك كان الفلاحون يطلبون المدارس القديمة النموذج بدلا من المدارس الحديثة - « الصفوف الصينية » كما يسمونها بالأحرى من « الصفوف الأجنبية » - وكانوا يفضلون مدرسي المدارس القديمة على اساتذة المدارس الابتدائية .

وينظم الفلاحون بعزيمة في الوقت الراهن صفوفًا مسائية يسمونها مدارس الفلاحين . ولقد افتتح عدد كبير من مثل هذه المدارس ، كما أن عدداً آخر منها في طريق التنظيم ، وهناك وسطيا مدرسة لكل بلدة . وان الفلاحين لشديدو الحماسة بخصوص تأسيس مثل هذه المدارس ، وهم يعتبرون هذه المدارس وحدها مدارس لهم . وان مخصصات الصفوف المسائية تأتي من « الدخل العام من الأوهام » ، وهي مخصصات الهياكل الجديدة والانواع الاخرى من الاموال العامة او الملكية العامة التي لم يكن يستفاد منها مطلقا . وكان في نية مجالس التعليم الاقليمية ان تستخدم هذه الاموال العامة من اجل تأسيس مدارس ابتدائية ، يعني « مدارس أجنبية النموذج » غير متكيفة مع حاجات الفلاحين ، فيما كان الفلاحون يريدون استخدامها من اجل مدارس الفلاحين . ونتيجة الخلاف ، تقاسم الجانبان تلك الاموال ، وان يكن الفلاحون قد حصلوا عليها كلها في بعض الاماكن . ولقد ارتفع مستوى الفلاحين الثقافي بسرعة نتيجة لنمو الحركة الفلاحية . ولن يمضي بعض الزمن حتى تنبثق عشرات الالوف من المدارس في المناطق الريفية في طول المقاطعة وعرضها ، وسوف يكون ذلك شيئا يختلف تماما عن الضجة العقيمة للانتيلجنتريا وما يزعم أنهم « مربون » « للتربية الشعبية » ، هؤلاء الذين بقوا ، رغم هرجهم كله ، جملة عاطلة ليس غير .

١٣ - الحركة التعاونية :

ان التعاونيات، وعلى الاخص تعاونيات المستهلكين والتسويق والتسليف، هي بكل تأكيد ما يحتاج الفلاحون اليه . ان الفلاحين الذين يستثمرهم التجار حين يتعاون السلع ، والذين يخسرون في الصفقات عندما يبيعون منتجاتهم

الزراعية ، والذين يتعرضون للسلب من قبل المرابين عندما يستدينون مالا أو حبوباً ، يطالبون بحل فوري لهذه القضايا الثلاث . وفي أثناء قتال الشتاء الاخير في وادي يانفتسي ، عندما قطع طريق التجارة وارتفع سعر الملح في هونان، نظم الكثيرون من الفلاحين تعاونيات لشراء الملح . وفي الوقت الحاضر، اذ عمد الملاكون العقاريون الى « التوقف عن الاقراض » ، جرب الفلاحون ايضا في اماكن مختلفة ان ينظموا وكالات التسليف للحصول على القروض . وان المشكلة الرئيسية التي تعترضهم هي انعدام قواعد التنظيم المفصلة والصالحة . ولما كانت التعاونيات المنظمة من قبل الفلاحين أنفسهم في اماكن مختلفة كثيراً ما تخفق في الامتثال لمبادئ التعاون ، فان الرفاق العاملين بين الفلاحين يستفهمون بلهفة على الدوام عن « قواعد التنظيم ! » واذا ما توفر التوجيه الصحيح ، فان الحركة التعاونية سوف تنمو في كل مكان ، جنباً الى جنب مع انتشار الاتحاد الفلاحي .

١٤ - بناء الطرق والجسور :

وهذا ايضا من منجزات المنظمات الفلاحية . فقد كانت الطرق الريفية ، قبل الاتحاد الفلاحي ، رديئة جداً . ولا يمكن للطرق ان تصحح دون مال ، ولما كان الاغنياء راغبين عن تقديم المال ، فانه ما كان يمكن سوى اهمال الطرق حتى تلفها . وكانت الاصلاحات الصغرى ، اذا كان ثمة اصلاحات ، تعتبر اعمالاً من الاحسان : كان بعض المال يجمع إذن من تلك العائلات « التي تريد كسب الجدارة في العالم الآخر »، وتبنى به دروب قليلة ضيقة ورقيقة الرصف . ومنذ قام الاتحاد الفلاحي أصدر توجيهاً تحدد مقادير عرض الطرق - ثلاثة أو خمسة أو سبعة أو عشرة شيه (١) - بقدر ما يناسب متطلبات الطريق ، كما أمر الملاكين العقاريين الذين يقيمون على طول الطرقات أن يصلح كل منهم قسماً من هذه الطريق . واذا ما صدر أمر ما ، فمن ذا يجروء على عصيانه ؟ وما أسرع أن ظهرت الى الوجود طرق جيدة عديدة في وقت قصير . وهذه

(١) مقياس صيني للطول ، وهو يزيد قليلاً عن القدم .

ليست من أعمال الاحسان ، بل نتيجة الاكراه ، ومع ذلك فان إكراها قليلا من هذا النوع له ما يبرره تماما .

وينطبق الشيء نفسه على الجسور . لقد كان الملاكون العقاريون القساة يجربون دائما ان يبتزوا كل شيء من الفلاحين المستأجرين ، لكنهم يتدمرون من قروش قليلة من أجل اصلاح الجسور . وكانوا يتركون الترع تجف والفلاحين المستأجرين يجوعون ، ولا يعنون الا بجمع اجور الارض . أما الآن ، وقد قام الاتحاد الفلاحي ، فان الاوامر يمكن ان تعطى بخشونة من أجل اجبار الملاكين العقاريين على اصلاح الجسور . وعندما يرفض الملاكون العقاريون ان يفعلوا ذلك ، فان جماعة الاتحاد الفلاحي يقولون لهم بلطف : « حسنا ! اذا كنتم لا تستطيعون القيام بالاصلاحات ، فانكم تستطيعون تقديم القمح : تو (١) يوميا لكل عامل » . ولما كان الملاكون العقاريون يعتقدون ان ذلك يشكل صفقة خاسرة بالنسبة اليهم ، فانهم يسرعون في القيام بالاصلاحات بأنفسهم بحيث ان جسورا عديدة سيئة الوضع قد تحولت الى جسور متينة .

ان الانتصارات الاربعة عشر المذكورة اعلاه قد حققها جميعا الفلاحون بقيادة المنظمات الفلاحية . واذا ما أخذنا بعين الاعتبار الروح العامة التي حققت بها هذه الاعمال وما تملكه من مغزى ثوري ، فاني اود ان اسأل القارئ ان يفكر فيها مليا ويخبرني عما قد يكون فيها من السوء . وفي اعتقادي ان العناية المحليين والاشراف السيئين وحدهم يمكن ان يقولوا انها أعمال سيئة . وانه لمن المستغرب حقا ما توارد من اخبار من نانسانغ (٢) تقول ان فعاليات الفلاحين في هونان اشياء مستهجنة بالأحرى في رأي السيد شيانغ كاي-شيك

(١) حوالي ٢٨٥٠ من المكيال .

(٢) في تشرين الثاني ١٩٢٦ ، حالما احتلت الحملة الشمالية نانسانغ ، وهي العاصمة الاقليمية لكيانغسي ، انتهر شيانغ كاي - شيك الفرصة لاقامة أركان حربه هناك . وشرع يتآمر ، وقد جمع حوله اليمينيين من الكيومنتانغ وعددا من السياسيين من عصابة سادة الحرب الشمالية ، مع المستعمرين ضد ووهان الثورية - المؤلفة من المدن السابقة ووشانغ وهانكو وهانيانغ في مقاطعة هوبي . وأخيرا ، في ١٢ نيسان ١٩٢٨ ، قام بانقلابه المضاد للثورة وارتكب مذبحة شانغهاي الدنيئة .

والسيد شانغ شينغ - شيانغ (١) وغيرهما . وان ليو يو - شيه (٢) والقادة الآخرين للجناح اليميني في هونان يشاركون السيد شيانغ والسيد شانغ رايعهما اذ يقولون : « هذا ما يصطبغ باللون الاحمر » . ولكن اين يمكن أن تتحقق الثورة الوطنية دون هذا الشيء القليل من الحمرة؟ واذا كان المرء ينادي يوميا : « بانارة جماهير الشعب » لكنه يخاف حتى الموت عندما تنهض الجماهير ، فأني فارق اذن بينه وبين غرام اللورد شيه بالابالسة (٣) .

آذار ١٩٢٧

(١) أحد مستشاري شيانغ وقائد يميني في الكيومنتانغ .

(٢) زعيم الفريق المضاد للشيوعيين في هونان .

(٣) يروي ليو هسيانغ (٧٦ - ٥ قبل المسيح) في كتابه هسيو هسو ان اللورد شيه كان مغرماً جداً بالابالسة حتى قد زين بلاطه كله بصورهم . لكنه عندما سمع أحد الابالسة بهواه وزاره في مقره ، فقد زعر لمرآه جداً بحيث فقد صوابه تماماً وأصيب بالجنون .

مَرْحَلَةٌ الحَرْبُ الْأَهْلِيَّةُ الثَّوْرِيَّةُ الثَّانِيَةُ

لماذا يمكن أن توجد لسلطة السياسية الحمراء في الصين

ان المقالة التالية ، وعنوانها الاصلي « المسائل السياسية ومهمات التنظيم الحزبي في منطقة التخوم » ، هي قسم من قرار وضع لمؤتمر الحزب الثاني في منطقة تخوم هونان - كيانغسي عام ١٩٢٨ .

١ - الوضع السياسي الداخلي .

لا يبرح النظام الراهن لسادة الحرب الكيومنتانغيين الجدد نظاما خاصا بطبقة المستوردين الاحتكاريين في المدن والاشراف الملاكين في الريف ، نظاما استسلم في الشؤون الخارجية للاستعمار واستبدل في الداخل سادة الحرب القدماء بسادة جدد ، وأخضع الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين لاستثمار اقتصادي واضطهاد سياسي أشد قسوة منهما فيما مضى . ولقد كانت الثورة البورجوازية الديمقراطية التي انطلقت من كوانغ تونغ في نصف الطريق بعد عندما استولت طبقة المستوردين الاحتكاريين وطبقة الاشراف الملاكين على قيادتها وحولتها فوراً على طريق الثورة المضادة . وفي طول البلاد وعرضها ظل العمال ، والفلاحون ، والفئات الاخرى من عامة الناس ، وحتى البورجوازية (١) ، تحت الحكم المضاد للثورة ولم يحصلوا على أدنى ذرة من

(١) يعني البورجوازية الوطنية . من اجل تقرير مفصل عن الفارق بين هذه الطبقة البورجوازية الاحتكارية الكبرى ، انظر (« في تعبئة قتال الاستعمار الياباني ») كانون الاول ١٩٢٥) و « الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني » (كانون الاول ١٩٢٩) .

التحرر السياسي او الاقتصادي .

ولقد شكلت العصابات الاربع من سادة الحرب الكيومنتانفين الجدد - شيانغ كاي شيك ، وسادة حرب كوانغسي، وفنغ يو - هسيانغ ، وين هسي - شان (١) ، قبل الاستيلاء على بكين وتيينستين ، اتحاداً مؤقتاً ضد شانغ تسو - لين (٢) ، اتحاداً تحطم من فوره بعد الاستيلاء على بكين وتيينستين وتحول الى صراع مرير ، بل ان رحى الحرب تدور حالياً بين شيانغ وعصابات كوانغسي . وان التناقضات والصراعات بين عصابات سادة الحرب المختلفة في الصين تعكس التناقضات والصراعات بين القوى الاستعمارية المختلفة . وبالتالي ، فما دامت الصين منقسمة بين القوى الاستعمارية ، فـالعصابات المختلفة لسادة الحرب لا يمكن في أي حال من الاحوال ان تتوصل الى الاتفاق، ولا يمكن لأية اتفاقات تقوم بينها ان تكون اكثر من اتفاقات مؤقتة : ان حربا اكبر تدور رحاها من اجل الفد حتى ضمن الاتفاق المؤقت الخاص باليوم الحاضر .

ان الصين لفي حاجة ماسة الى ثورة بورجوازية ديموقراطية ، وهذه الثورة لا يمكن اتمامها الا تحت قيادة البروليتاريا ، وبما ان البروليتاريا لم تكن

(١) قاتلت هذه العصابات الاربع من سادة الحرب جنبا الى جنب ضد شانغ تسو - لين واحتلت بكين وتيينستين في حزيران ١٩٢٨ .

(٢) رئيس عصابة فنغنتيين من سادة الحرب ، وكان ذات يوم حاكماً للقسم الشمالي الشرقي من الصين ، المقسوم وقتذاك الى المقاطعات الثلاث : فنغنتيين ، وكيرين ، وهليونغ كيانغ . وعندما هزم وو يي - فو عام ١٩٢٤ ، أصبح شانغ سيد الحرب المسيطر في الصين الشمالية . وقد توصل ووو الى الاتفاق واحتلا معا بكين عام ١٩٢٦ . وفي حزيران من سنة ١٩٢٨ هزمته العصابات الاربع من سادة الحرب المذكورة في النص ، فاضطر الى التراجع الى الشمال الشرقي . وفي الطريق قتل في القطار بقنبلة وضعها الاستعماريون اليابانيون على الرغم من انه كان دائما اداة طيبة بين أيديهم .

حازمة في تحمل اعباء القيادة في ثورة ١٩٢٦ - ١٩٢٧ التي انطلقت من كوانغ تونغ وامتدت في اتجاه نهر يانغتسي ، فقد طبقت طبقة المستوردين الاحتكاريين والاشراف الملاكين على هذه القيادة وحولت الثورة الى ثورة مضادة . وهكذا انتهت الثورة البورجوازية الديمقراطية الى هزيمة مؤقتة . وكانت الهزيمة تعني صفقة جديدة موجهة الى البروليتاريا الصينية وطبقة الفلاحين ، صفقة موجهة في الوقت نفسه الى البورجوازية الصينية (غير طبقة المستوردين الاحتكاريين والاشراف الملاكين) . ومع ذلك قامت في الاشهر القليلة الاخيرة اضرابات عمالية منظمة في المدن وانتفاضات فلاحية في الريف في الشمال والجنوب على السواء تحت قيادة الحزب الشيوعي . وان الجنود في جيوش سادة الحرب ليفورون بنقمة عظيمة بسبب من الجوع والبرد . وفي اثناء ذلك تقوم البورجوازية ، تستحثها العصابة التي يراسها وانغ شنغ - وي وشن كنج - بو ، بحركة اصلاحية عظيمة الاتساع (١) في مناطق مختلفة على طول الشاطئ البحري ونهر يانغتسي ، وهي حركة تشكل تطورا جديدا .

ان مضمون الثورة الديمقراطية في الصين ، حسب توجيهات الاممية الثالثة وقيادة الحزب المركزية ، يشمل قلب الاستعمار واذنابه ، سادة الحرب ، في الصين بحيث يتم تحقيق الثورة الوطنية ، وتحقيق الثورة الزراعية بحيث يقضي على استثمار الفلاحين الاقطاعي من قبل الاشراف الملاكين . وتتطور الحركة المستهدفة تحقيق مثل هذه الثورة حاليا مع تعاقب الايام منذ

(١) على الرغم من ان البورجوازية الوطنية تبعت شيانغ كاي شيك في انقلابه المضاد للثورة عام ١٩٢٧ ، فان قسما منها قد شكل ، لمصلحته الخاصة ، معارضة لنظام شيانغ بعد الاحتلال الياباني لتسنيان (انظر الصفحة التالية) واتفاق شيانغ الشنيع مع اليابانيين . وكان الفريق ضد الثوري الانتهازي الذي يتزعمه وانغ شينغ - وي وشن كونج - بو نشيطا في هذه الحركة المعارضة ، واشتهر داخل الكيومنتانغ باسم « جماعة التنظيم الجديد » .

٢ - مبررات قيام السلطة السياسية الحمراء في الصين ووجودها (٢) .

ان الظاهرة التالية ، ألا وهي ضرورة قيام منطقة واحدة او عدة مناطق صغيرة خاضعة للسلطة السياسية الحمراء ضمن بلد ما لفترة طويلة من الزمن في ملء تطويق السلطة السياسية البيضاء ، هي ظاهرة لم يسبق لها مثيل في أي مكان من العالم . وثمة مبررات خاصة لهذه الظاهرة غير المألوفة،

(١) اتجه شيانغ كاي - شيك شمالا عام ١٩٢٨ ، يدعمه الاستعمار الانكليزي الاميركي ، لمهاجمة شانغ تسو - لين . وقد عمد الاستعمار الياباني ، كي يمنع النفوذ الانكليزي الاميركي من الامتداد شمالا ، الى ارسال حملة على وجه السرعة لاحتلال تسينان ، عاصمة شانغونغ ، قاطمين بذلك الخط الحديدي الرئيسي الذي يصل بين تيينسنين وباكوو . وفي ٣ ايار احتل المعتدون اليابانيون مدينة تسينان وذبحوا عددا كبيرا من الصينيين ، وهو الحادث الذي عرف باسم « مذبحة تسينان » .

(٢) كان الشكل التنظيمي للسلطة السياسية الحمراء في الصين مائلا لرديفه السوفييتي . فالسوفييت هو المجلس التمثيلي ، والطبقة العاملة الروسية هي أول من اتخذها شكلا للسلطة السياسية أثناء ثورة عام ١٩٠٥ . وقد انتهى لينين وستالين ، على أساس النظرية الماركسية ، الى الاستنتاج التالي ، ألا وهو ان الجمهورية السوفييتية هي الشكل الانسب للتنظيم السياسي لمجتمع يجتاز المرحلة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . وأثناء ثورة تشرين الاول عام ١٩١٧ ، قامت لأول مرة في تاريخ العالم جمهورية سوفييتية اشتراكية بقيادة الحزب البلشفي الذي يتزعمه لينين وستالين . وقد اتخذ المجلس التمثيلي ، بعد هزيمة ثورة ١٩٢٧ في الصين ، بوصفه شكل السلطة السياسية الشعبية في الانتفاضات الجماهيرية الثورية بزعامة الرفيق ماو تسي تونغ وتحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني . ومهما يكن من امر ، فان مثل هذه السلطة السياسية ، في المرحلة الحاضرة من الثورة الصينية ، تختلف في طبيعتها عن السلطة السياسية لدكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفييتي بكونها دكتاتورية الشعب المناهضة للاستعمار والمناهضة للاقطاعية ، دكتاتورية تقودها البروليتاريا أثناء الثورة الديمقراطية الجديدة .

اذ هي لا يمكن ان توجد وتتطور الا في ظروف معينة .

اولا - لا يمكن لهذه الظاهرة ان تنشأ في أي بلد استعماري أو أية مستعمرة خاضعة للحكم الاستعماري المباشر^(١)، بل تقتصر امكانية حدوثها على بلد متأخر اقتصاديا ونصف استعماري مثل الصين التي تخضع للحكم الاستعماري غير المباشر .

(١) ان نظرة الرفيق ماوتسي تونغ الى مسألة المستعمرات الخاضعة للحكم الاستعماري المباشر تختلف اليوم ، نتيجة للاوضاع العالمية الجديدة ، عن النظرة التي كان يتبناها عام ١٩٢٨ . ذلك أن عددا من البلاد المستعمرة في الشرق ، الخاضعة من قبل لسلطات استعمارية مثل بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا والبلاد المنخفضة ، قد وقعت اثناء الحرب العالمية الثانية تحت نير الاحتلال الياباني . ولقد استفاد العمال ، والفلاحون ، والبورجوازية الصغيرة المدنية واعضاء من البورجوازية الوطنية ، تقوهم الاحزاب الشيوعية هناك ، من التناقضات القائمة بين الاستعمار البريطاني والاميركي والفرنسي والهولندي من جهة والاستعمار الياباني من جهة اخرى ، وشكلوا جبهة موحدة واسعة ضد العدوان الفاشي ، وأنشأوا قواعد مناهضة لليابانيين ، وقاموا بحزم بحرب أنصار مناهضة لليابانيين . وهكذا فان الوضع السياسي في سائر هذه المستعمرات قد أخذ يتبدل . وعندما طرد اليابانيون في نهاية الحرب العالمية الثانية، حاول الاستعمار الاميركي والبريطاني والفرنسي والهولندي أن يوطد سلطانه من جديد . لكن الشعوب المستعمرة رفضت الخضوع مجدداً للغير ، فقاومت بوحدات مسلحة عظيمة القوة تشكلت اثناء الحرب المناهضة لليابان . وفيما عدا ذلك ، فان كل نظام الاستعمار العالمي يترنح على قدميه نتيجة للقوة المتزايدة للاتحاد السوفييتي ، وانهار أو تدهور سائر القوى الاستعمارية في سياق الحرب باستثناء الولايات المتحدة ، وتحطم الجبهة الاستعمارية في الصين نتيجة لانتصار الثورة الصينية . وهكذا فان سائر الشعوب المستعمرة في الشرق أو البعض منها على أقل تقدير تستطيع المحافظة لفترة طويلة على قواعد كبيرة أو صغيرة وعلى أنظمة ثورية كما فعل الشعب الصيني ، والاستمرار في حرب ثورية طويلة الامد في سبيل تطويق المدن من الريف ، والعمل تدريجيا على احتلال المدن وكسب انتصارات وطنية واسعة في بلادها المختلفة .

ذلك ان هذه الظاهرة غير المألوفة لا يمكن ان تقوم الا بالاتفاق مع ظاهرة اخرى غير مألوفة ، الا وهي حالة الحرب القائمة داخل النظام الابيض .
وثمة ميزة للصين نصف المستعمرة ، الا وهي ان العصابات المختلفة لسادة الحرب القدماء والجدد ، يعضدهم الاستعمار من الخارج وطبقة المستوردين الاحتكاريين والاشراف الملاكين من الداخل ، يخوضون حربا متصلة ضد بعضهم بعضا منذ السنة الاولى للجمهورية (١) . ومثل هذه الظاهرة غير متوفرة في أي من البلاد الاستعمارية في العالم ، كما انها غير متوفرة في أية مستعمرة تخضع للحكم الاستعماري المباشر ، بل يمكن ان تحدث فقط في بلد مثل الصين التي تخضع لحكم استعماري غير مباشر .

وثمة امران يعللان حدوثها ، الا وهما الاقتصاد الزراعي المحصور (بدلا من الاقتصاد الرأسمالي الموحد) والسياسة الاستعمارية للتقسيم والاستثمار بواسطة تحديد مناطق النفوذ . وتوفر الانقسامات والحروب الطويلة ضمن النظام الابيض الشرط اللازم لقيام منطقة واحدة او عدة مناطق حمر صغيرة عديدة تحت قيادة الحزب الشيوعي وبقاء هذه المناطق في ملء تطويق السلطة السياسية البيضاء . وان منطقة تخوم هونان - كيانغسي ، بنظامها المستقل ، هي واحدة من مثل هذه المناطق الصغيرة العديدة . وكثيراً ما تراود الشكوك بغض الرفاق ، في الاوقات العصيبة او الحرجة ، حول استمرار مثل هذه السلطة السياسية الحمراء في البقاء ، فهم يقعون فريسة للتشاؤم . والسبب الوحيد في ذلك هو عدم عثورهم على التفسير الصحيح لقيام مثل هذه السلطة السياسية الحمراء ووجودها . فاذا ما ادركنا فقط ان الانقسامات والحروب امر دائم ضمن النظام الابيض في الصين ، فلن يراودنا اذن ادنى شك بشأن قيام السلطة السياسية الحمراء ووجودها ونموها اليومي .

ثانياً - ان الأماكن حيث تقوم أولا السلطة السياسية الحمراء في الصين وحيث يمكنها الاستمرار طويلا ليست هي تلك الاماكن التي تتأثر بالثورة الديموقراطية ، مثل شيشوان ، وكويشو ، ويونان ، او المقاطعات الشمالية،

(١) يعني سنة ١٩٢٢ .

بل تلك الاماكن مثل هونان ، وكوانغ تونغ ، وهوييه ، وكيانغسي ، حيث ثارت جماهير العمال والفلاحين والجنود بأعداد غفيرة في سياق الثورة البورجوازية الديمقراطية عام ١٩٢٦ وعام ١٩٢٧ . فقد تشكلت في مناطق عديدة من هذه المقاطعات منظمات واسعة من اتحادات العمال واتحادات الفلاحين ، وخاضت الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين نضالات اقتصادية وسياسية عديدة ضد الملاكين العقاريين والاشراف الملاكين والبورجوازية . وهذا هو السبب في قيام حكومة شعبية في مدينة كانتون استمرت ثلاثة أيام وفي قيام انظمة فلاحية مستقلة ذات مرة في هايفنغ ولونغ ، وفي هونان الشرقية والجنوبية ، وفي منطقة تخوم هونان - كيانغسي ، وفي هوانغنان من أعمال هوييه (١) . أما فيما يخص الجيش الاحمر الحالي ، فهو

(١) اشارة الى السلسلة الاولى من الهجمات المضادة التي شنها الشعب بقيادة الشيوعيين في اماكن مختلفة ضد قوى الثورة المضادة بعدما خان شيانغ كاي شيك وانغ شينغ - وي الثورة الواحد تلو الآخر عام ١٩٢٧ . وفي كانتون قام العمال بالاشتراك مع الجنود الثوريين بانتفاضة ثورية انتهت الى قيام سلطة سياسية شعبية في ١١ كانون الاول ١٩٢٧ . ولقد قاتلوا بمرارة ضد القوى المضادة للثورة المدعومة مباشرة من قبل الاستعماريين . ولم يخفوا الا بسبب التفاوت العظيم في القوى . وكان الفلاحون في هيفنغ ولونغ على طول الشاطئ الشرقي من كوانغ تونغ قد بدأوا حركة ثورية قوية في ١٩٢٣ - ١٩٢٥ بقيادة الزعيم الشيوعي بنغ باي ، وعندما قام الجيش الثوري الوطني المتمركز في كانتون بحملتيه الظافرتين شرقا ضد المرتد شن شيونغ - منغ ، فقد تلقى مساعدة كبرى من هذه الحركة الفلاحية . وبعد خيانة شيانغ كاي - شيك للثورة في ١٢ نيسان ١٩٢٧ ، قام هؤلاء الفلاحون بثلاث انتفاضات في نيسان وابول وتشرين الاول وأقاموا نظاما ثوريا استمر حتى نيسان من عام ١٩٢٨ . وكذلك استولى الفلاحون ، في هونان الشرقية ، على المنطقة الشاملة لاقاليم ليويانغ وبنغ كيانغ ولبينغ وشوشو في ايلول ١٩٢٧ . وفي اثناء ذلك ، هب عشرات الالوف من الفلاحين في منطقة سيواكان - ماشينغ - هوانغنان في الشمال الشرقي من هوييه واحتلوا المدينة الاقليمية هوانغنان طوال ثلاثين يوما ونيف . وفي كانون الثاني ١٩٢٨ ، تمرد الفلاحون ايضا في اقاليم التيانغ وشن ولبيانغ ويونغ هينغ وتزيهينغ في جنوب هونان واقاموا نظاما ثوريا دام ثلاثة اشهر .

ايضا قسم منفصل عن الجيش الثوري الوطني الذي اجتاز مرانا سياسياً ديمقراطياً وتشرب بتأثير جماهير العمال والفلاحين . ومن المؤكد ان العناصر التي يمكن ان تشكل جيشاً احمر لا يمكن بعد ان تأتي من جيوش كالتى يقودها ين هسي - شان وشانغ تسو - لين، هذه الجيوش التي لم تجتز مطلقاً أي مران سياسي ديمقراطي ولم تشرب بتأثير العمال والفلاحين .

ثالثاً - ان مسألة بقاء السلطة السياسية الشعبية طويلاً في مناطق صغيرة تتوقف على استمرار تطور الوضع الثوري على نطاق قومي . فاذا كان الأمر كذلك ، فمما لا شك فيه اذن ان المناطق الصغيرة الحمر لن تبقى طويلاً فحسب ، بل ستصبح بصورة حتمية إحدى القوى العديدة من اجل كسب السلطة السياسية على نطاق قومي . واذا لم يستمر الوضع الثوري على نطاق قومي في التطور ، بل ركد لفترة ما من الزمن ، فانه سيكون من المحال عندئذ على المناطق الصغيرة الحمر ان تبقى طويلاً . وفي الوقت الحاضر، يثابر الوضع الثوري في الصين على التطور جنباً الى جنب مع الانقسامات والحروب داخل طبقة المستوردين الاحتكاريين والاشراف الملاكين في داخل البلاد وداخل البورجوازية العالمية في الوقت نفسه . وهكذا من المؤكد ان المناطق الحمر الصغيرة لن تبقى طويلاً فحسب بل سوف تثار على التطور وتقترب أكثر فأكثر كل يوم من الهدف الذي هو كسب السلطة السياسية على نطاق قومي .

رابعاً - ان وجود جيش احمر نظامي ذي قوة مناسبة شرط ضروري لوجود السلطة السياسية الحمراء ، واذ كنا لا نملك سوى حرس احمر (١) ذي صفة محلية من دون جيش احمر نظامي ، فاننا لن نستطيع اذن ان نجابه سوى الميليشيا المجندة من سائر المنازل (٢) من دون القوات البيض

(١) وحدات مسلحة شعبية في القواعد الثورية تابر أفرادها على أشغالهم العادية .

(٢) انظر الملاحظة الخاصة بهذه الميليشيا في هوامش « تقرير عن تحقيق في الحركة الفلاحية

النظامية . وبالتالي فانه من المؤكد اننا لن نستطيع حتى اذا كسبنا التأيد الجماهيري للعمال والفلاحين ، ما لم يكن لنا قوات مسلحة ذات قوة مناسبة ، ان نحقق نظاماً مستقلاً ، فكيف بنظام مستقل يعمر طويلاً ويتطور يومياً . وهكذا فان « نظاماً مستقلاً مسلحاً للعمال والفلاحين فكرة هامة يجب ان تفهمها تماما الحزب الشيوعي وجماهير العمال والفلاحين في المناطق الخاضعة للنظام المستقل .

خامساً - لا بد من شرط هام آخر بالاضافة الى الشروط المذكورة اعلاه في سبيل وجود طويل الأمد للسلطة السياسية الحمراء وتطورها ، ألا وهو التنظيم المتين للحزب الشيوعي وعدم ارتكابه الأخطاء في السياسة .

٣ - النظام المستقل في منطقة تخوم هونان - كيانغسي وإخفاق آب .

ان الانقسامات والحروب بين سادة الحرب تضعف سلطة النظام الابيض . وهكذا تعطى السلطة السياسية الحمراء فرصة للقيام في مناطق صغيرة . بيد ان حالة الحرب بين سادة الحرب ليست قائمة كل يوم . فعندما يتمتع النظام الابيض في مقاطعة واحدة او عدة مقاطعات باستقرار مؤقت ، فان الطبقات السائدة هناك تتفق حتما في سبيل القضاء على السلطة السياسية الحمراء بالحديد والنار . وحيث لا تتوفر الشروط الضرورية لقيامها وبقاءها بصورة تامة ، تكون السلطة السياسية الحمراء معرضة لخطر سحقها من قبل العدو . وهذا هو السبب في ان انظمة حمراء عديدة قامت في اوقات مناسبة قبل نيسان الاخير في أماكن مثل كانتون ، وهيفينغ ، ولوفنغ ، ومنطقة تخوم هونان - كيانغسي ، وجنوب هونان ، وليلينغ ، وهوانغان ، قد دمرت الواحد تلو الآخر من قبل السلطة السياسية البيضاء . وان النظام المستقل في منطقة تخوم هونان - كيانغسي بعد نيسان قد قام مع فترة الاستقرار التي تمتعت بها السلطة الحاكمة في الجنوب . وكانت الحكومات الاقليمية في هونان وكيانغسي تسير عادة ثماني أو تسع فرق أو أكثر ، وحيانا ثماني عشرة فرقة ، في سبيل « افنائنا » . ومع ذلك قاتلنا العدو

بأقل من اربع فرق طوال اربعة أشهر، موسعين يومياً المنطقة الخاضعة لنظامنا المستقل ، موظدين يومياً الثورة الزراعية ، موسعين يومياً تنظيم السلطة السياسية الشعبية ، ومقوين يومياً الجيش الاحمر والحرس الاحمر . وقد حدث ذلك بالضبط لأن الحزب الشيوعي (منظمة الحزب المحلية والمنظمة الحزبية في الجيش) في منطقة تخوم هونان - كيانفسي طبق سياسة صحيحة . وفي ذلك الحين كانت سياسة لجنة الحزب الخاصة ولجنة الحزب في الجيش كما يلي : النضال بحزم ضد العدو ، واقامة نظام في المنطقة المتوسطة من سلسلة لوسياو الجبلية (١) ، ومجابهة الفرارية ، وتعميق الثورة الزراعية في المناطق الخاضعة للنظام المستقل ، وتشجيع تطور المنظمة الحزبية المحلية عن طريق مساعدة المنظمة الحزبية في الجيش وتطور القوى المسلحة المحلية عن طريق مساعدة الجيش النظامي، وتركيز الجيش الاحمر لمقاتلة العدو بمجابهته في الاوقات المناسبة ، ومعارضة انقسام القوى تفاديا لسحق العدو إيانا بصورة منفصلة ، وتبني سياسة التقدم في سلسلة من الموجات في سبيل توسيع المنطقة الخاضعة للنظام المستقل ومعارضة سياسة التقدم المحفوف بالفائز . وبفضل هذه السياسات الملائمة ، بالاضافة الى تربة النضال الملائمة وانعدام التعاون اللازم بين الجيوش الفازية من هونان والجيوش الفازية من كيانفسي ، تمكنا من ربح عدد من الانتصارات في الاشهر الاربعة من نيسان الى تموز . وعلى الرغم من كون العدو أقوى عدة مرات ، فانه لم يخفق في تدمير النظام المستقل فحسب ، بل حتى في منع امتداده اليومي ، وكان هذا النظام المستقل يتجه نحو تحقيق نفوذ متزايد الاتساع يومياً على مقاطعتي هونان وكيانفسي . وكان اخفاق آب مسببا بكليته عن الواقع التالي ، الا وهو أن عددا من رفاقنا ، إذ لم يدركوا أن تلك الفترة كانت من المراحل التي تتمتع فيها الطبقات الحاكمة باستقرار مؤقت فتبنوا على العكس سوقية قابلة

(١) سلسلة جبلية كبيرة على طول التخوم بين هونان وكيانفسي ، وتقوم جبال شينغ كانغ في

تسمها الاوسط .

للتطبيق في مرحلة الانقسامات السياسية بين الطبقات الحاكمة ، قد قسموا القوى في سبيل تقدم محفوف بالمفامرة ومنوا بالهزيمة في منطقة التخوم وفي شمالي هونان على السواء . ولم يعن الرفيق توهسيو شينغ ممثل لجنة الحزب في منطقة هونان ، وقد كان جاهلا بالوضع السائد فتعاضى عن قرارات المؤتمر المشترك للجنة الخاصة ولجنة الجيش ولجنة يونسفين الاقليمية - لم يعن سوى بتنفيذ أمر لجنة منطقة هونان بصورة آلية وثنى على اقتراح الفرقة التاسعة والعشرين من الجيش الاحمر بالفرار من النضال والعودة الى بيوتهم ، ولقد كانت خطيئته فادحة جداً في الحقيقة . ولم يتم انقاذ هذا الوضع الفظيع الا بفضل اتخاذ اللجنة الخاصة ولجنة الحزب التدابير بعد ايلول لاصلاح هذه الخطيئة .

٤- دور النظام المستقل في منطقة تخوم هونان - كيانفي في هونان وهوييه وكيانفي .

من المؤكد ان مغزى نظام العمال والفلاحين المستقل في منطقة تخوم هونان - كيانفي ، ونينغ كانغ مركزها ، لا يقتصر على الاقاليم الواقعة في منطقة التخوم ، بل سوف يكون لمثل هذا النظام المستقل مغزى عظيم ايضاً في عملية الاستيلاء على السلطة السياسية في هونان ، وهوييه ، وكيانفي ، بواسطة عصيان العمال والفلاحين في هذه المقاطعات الثلاث . ان توسع تأثير الثورة الزراعية والسلطة السياسية الشعبية في منطقة التخوم بحيث تمتد الى الوديان السفلى للأنهر الرئيسية في هونان وكيانفي وحتى هوييه ، وان توسع يوماً الجيش الاحمر ونحسن نوعيته خلال النضال بحيث يستطيع تحقيق المهمات المطلوبة منه في الثورة العامة القادمة للمقاطعات الثلاث ، وان توسع القوى المسلحة المحلية في الاقاليم ، الحرس الاحمر وفصائل العصيان للعمال والفلاحين - ونحسن نوعيتها بحيث تستطيع أن تقاتل في الوقت الحاضر الميليشيا المجندة من سائر المنازل والقوى المسلحة الصغيرة وتحمي في المستقبل السلطة السياسية لمنطقة التخوم ، وان نجعل العمل المحلي

أقل ارتباطاً يوماً بعد يوم بالجيش الأحمر بخصوص توفير الأشخاص العاملين حتى تستطيع منطقة التخوم أن يكون لها أشخاصها العاملون الخاصون كي يأخذوا العمل على عاتقهم ، بل كي يقدموا أيضاً الأشخاص العاملين للجيش الأحمر وللمنطقة المتبادية من النظام المستقل - هذه جميعاً مهمات هامة حتى الدرجة القصوى بالنسبة الى التنظيم الحزبي في منطقة التخوم ، هذا التنظيم المستهدف تطوير العصيان في المقاطعات الثلاث .

هـ - القضايا الاقتصادية .

في ملء تطويق القوات البيض نشأت قضايا جديدة من جراء النقص في الضروريات اليومية التي يحتاجها الجيش والشعب ونقص النقد . ولقد كانت الضروريات اليومية ، مثل الملح والثياب والادوية ، نادرة جداً وغالية الثمن طوال العام الماضي في المنطقة الخاضعة للنظام المستقل ، وذلك بسبب حصار العدو الشديد ، الأمر الذي أدى الى تعرض جماهير العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة (١) ، وكذلك جنود الجيش الأحمر ، الى ضيق بلغ أحيانا درجة مرهقة . وكان ينبغي للجيش الأحمر في نفس الوقت الواحد أن يحارب العدو ويمون نفسه ، وكان يعجز أحيانا حتى عن تأمين العلاوة النقدية من أجل منحة الخبز البالغة خمسة سنتات للشخص الواحد والمعطاة بالإضافة الى الجيوب . ولقد سقط عدد كبير من الجنود مرضى بسبب من سوء التغذية ، كما أن الجرحى في المشافي يعانون أكثر من ذلك أيضاً . ومما لا ريب فيه أن مثل هذه المصاعب لا مناص منها قبل الاستيلاء على السلطة السياسية على نطاق قومي ، ومع ذلك فإن الحاجة تمس الى التغلب عليها حتى درجة ما ، وإلى تحسين شروط معيشتنا نوعاً ما ، وقبل كل شيء الى تأمين مؤن

(١) إشارة الى غير الفلاحين من الناس - الحرفيون ، التجار الصغار ، أصحاب المهن ، والمفكرون البورجوازيون الصغار . وأن هذه العناصر الاجتماعية ، على الرغم من وجودها في المدن بصورة رئيسية ، توجد كذلك في الريف بأعداد كبيرة . انظر أيضاً : « تحليل الطبقات في المجتمع الصيني » .

كافية نسبياً من أجل الجيش الاحمر . واذا كان الحزب في منطقة التخوم لا يستطيع أن يجد التدابير الاقتصادية الملائمة فسوف يصطدم النظام المستقل عندئذ بمصاعب عظيمة فيما اذا بقي حكم العدو ثابتاً لفترة ما من الزمن . ان حلاً ملائماً للقضايا الاقتصادية يستحق بكل تأكيد اهتمام كل عضوفي الحزب .

٦ - قضية القواعد العسكرية .

ان للمنظمة الحزبية في منطقة التخوم مهمة أخرى ، ألا وهي توطيد القاعدتين العسكريتين عند الينابيع الخمسة الكبار والصفار (١) - وكيولونغ . ان المنطقة الجبلية للينابيع الخمسة الكبار والصفار عند ملتقى الاقاليم الاربعة : يونغسين و لينغ و نينغ كانغ وسو شوان ، ومنطقة كيولونغ الجبلية عند ملتقى اقاليم يونغسين و نينغ كانغ وشالنج و لينهوا (٢) - وكلا المنطقتين يتمتعان بمركز قيادي طوبوغرافياً ، وعلى الاخص منطقة الينابيع الخمسة الكبار والصفار حيث الجماهير تعضدنا وحيث الارض استراتيجية الموقع حتى الدرجة القصوى - ليسا مجرد قاعدتين هامتين لمنطقة التخوم في الوقت الحاضر ، بل ستبقيان هكذا في التطور المقبل للعصيان في المقاطعات الثلاث : هونان وهوييه وكيانغسي . وهذه هي وسائل توطيدهما : أولاً - بناء تحصينات قوية ، ثانياً - تخزين مؤونة غذائية كافية ، وثالثاً - اقامة مشافٍ أفضل للجيش الاحمر . وانه ليتوجب على المنظمة الحزبية في منطقة التخوم أن تسعى للقيام بعمل جيد حقاً على أساس هذه التوجيهات .

٥ تشرين الاول ١٩٢٨

(١) ان « الينابيع الخمسة » مرادفة لجبال شينغ كانغ . وهي تتألف من الجماعات الريفية للينبوع الكبير ، والينبوع الصغير ، والينبوع العالي ، والينبوع المتوسط ، والينبوع السفلي . وتقع يونغسين و نينغ كانغ وسو شوان في غربي كيانغسي . اما اقليم لينغ فيقع في هونان الشرقية .

(٢) تقع شالينغ في هونان . اما لينهوا ، فمثلها مثل يونغسين و نينغ كانغ ، اذ تقع في كيانغسي .

النضال في جبال شينغ كانغ

(٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٨)

هذا تقرير قدم الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في

تشرين الثاني ١٩٢٨ .

النظام المستقل في منطقة تخوم هونان كيانغسي واخفاق آب

ان الظاهرة التالية ، ألا وهي ان منطقة واحدة او مناطق صغيرة عديدة تحت السلطة السياسية الحمراء تنشأ في بلدما في ملء تطويق السلطة السياسية البيضاء ، هي ظاهرة لم تعرفها الا الصين وحدها من سائر بلاد العالم اليوم . واننا لنجد بعد التحليل ان احد الاسباب المؤدية الى وقوعها يقوم في الانقسامات والحروب غير المنقطعة داخل طبقة المستوردين الاحتكاريين والاشراف الملاكين في الصين . وبقدر ما تتصل الانقسامات والحروب داخل هذه الطبقات ، فان النظام المسلح المستقل للعمال والفلاحين يمكنه ان يستمر أيضا ويتطور . وبالإضافة الى ذلك فان وجود مثل هذا النظام المسلح المستقل وتطوره يتطلبان الشروط التالية :

- ١- قاعدة جماهيرية متينة .
- ٢- منظمة حزبية من الطراز الاول .
- ٣- جيشاً أحمر ذا قوة كافية .
- ٤- أرضاً ملائمة للعمليات العسكرية .
- ٥- قوة اقتصادية كافية لتغطية النفقات .

وأن النظام المستقل في منطقة معينة يجب أن يتبنى سوقية مختلفة ضد قوى الطبقة الحاكمة التي تطوق هذه المنطقة تبعاً لما إذا كانت سلطتها السياسية تتمتع بالاستقرار المؤقت أم هي منقسمة على بعضها البعض .

وعندما تقع الانقسامات داخل الطبقات الحاكمة ، مثلاً الحرب بين لي تسونغ - جن وتانغ شينغ - شيه في هونان وهوييه (١) ، والحرب بين شانغ فا - كوي ولي شي - شن في كوانغ تونغ (٢) ، فإننا نستطيع أن نتبنى سوقية من التقدم المحفوف بالمغامرة نسبياً ونوسع النظام المستقل على منطقة واسعة نسبياً بواسطة القتال . لكنه ينبغي لنا على أية حال أن نعنى بوضع أساس متين في المناطق المركزية بحيث يكون لدينا ما نعتمد عليه من دون ما نخشاه حين يحل الإرهاب الأبيض . وعندما تكون السلطة السياسية للطبقات الحاكمة مستقرة نسبياً ، كما هي الحال في المقاطعات الجنوبية بعد نيسان من هذا العام ، فينبغي أن تكون سوقيتنا سوقية تقدم تدريجي . وعندئذ يتوجب علينا أن نعنى حتى أقصى درجة بالأناقة تقسم قوانا من أجل تقدم محفوف بالمغامرة في الحقل العسكري ، والا نبعث أشخاصنا العاملين ولا نهمل وضع أساس متين في المناطق الوسطى في حقل العمل المحلي (بما فيه توزيع الأرض ، وإقامة السلطة السياسية ، وتوسيع الحزب وتنظيم القوى المسلحة المحلية) .

إن الاخفاق في مناطق حمر صغير مختلفة مرده إما نقص في الشروط الوضعية الملائمة وأما أخطاء تعبوية شخصية . وقد وقع الخطأ في الخطة التعبوية بالضبط بسبب الفشل في التمييز بوضوح بين المرحلتين المختلفتين ، المرحلة حيث السلطة السياسية للطبقات الحاكمة مستقرة مؤقتاً والمرحلة حيث تلك السلطة منقسمة على بعضها بعضاً . وحين كانت السلطة السياسية للطبقات الحاكمة مستقرة مؤقتاً نادى بعض الرفاق ، وكأنهم سهواً عن الحقيقة

(١) وقعت هذه الحرب في تشرين الأول ١٩٢٧ .

(٢) وقعت هذه الحرب في تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٢٧ .

التالية، ألا وهي أن العدو لا يستطيع أن يحشد من أجل القيام بالهجوم الميليشيا المجندة من سائر المنازل فحسب بل قوات نظامية أيضا، نادى هؤلاء الرفاق اذن بتقسيم قوانا من أجل تقدم محفوف بالمغامرة، بل اقترحوا أيضا خطيئة تكليف الحرس الاحمر وحده بالدفاع عن منطقة واسعة . وقد أهملوا تماما في العمل المحلي أن يقيموا أساساً متيناً في المناطق المركزية ، وكان هدفهم كله ينحصر في انتشار غير محدود دون أي اعتبار لما اذا كنا نملك ما يكفي من القوة في سبيل تحقيق ذلك . وكان كل من ينادي بتوسع تدريجي في العمل العسكري وبتركز القوى في العمل المدني من أجل تشييد أساس متين في المناطق المركزية ، الامر الذي يجعلنا في مركز لا يقهر ، يدعى « محانظاً » . ولقد كانت مثل هذه النظرات المغلوطة بالضبط السبب الاساسي فيما لحق بنا من اخفاق في آب من هذه السنة في منطقة تخوم هونان – كيانغسي وفي الهزيمة المتوالية التي أصابت الجيش الرابع من الجيش الاحمر في جنوبي هونان .

وقد بدى بالعمل في منطقة تخوم هونان – كيانغسي في تشرين الاول الاخير . ولم يكن لنا بادىء الامر اية منظمة حزبية على الاطلاق في الاقاليم ، بل مجرد وحدتين من القوى المسلحة المحلية في جوار جبال شينغ كانغ ، تحت قيادة يوان ون – تساي ووانغ تسو اللذين كان كل منهما يملك ستين بندقية في حال سيئة ، فيما كانت سائر بنادق قوة دفاع الفلاحين الذاتي في اقاليم يونغسين ولينهاو وشالينغ ولينغ قد سلمت للاشراف الملاكين ، كما ان حماسة الجماهير الثورية قد سحقت . وتشكلت في شباط من العام الحالي لجان حزبية اقليمية في نينغ كانغ ويانغسين وشالينغ وسويشوان ، كما تشكلت لجنة حزبية منطقية خاصة في لينغ ، وكانت منظمة حزبية قد تشكلت في لينهاو وأقامت الاتصالات مع اللجنة الاقليمية لوانان . وكنا نجد في ذلك الحين وحدات صغيرة من القوى المسلحة المحلية في سائر الاقاليم باستثناء لينغ . وفي نينغ كانغ وشالينغ وسويشوان ويونغسين ، وعلى الاخص في الاقليمين الاخيرين ، قامت انتفاضات عديدة للانصار غرضها قلب

الإشراف الملاكين واستشارة الجماهير ، وادت جميعا الى نتائج عظيمة . ولم تكن الثورة الزراعية توطدت بعد في ذلك الحين ، وقد سمي جهاز السلطة السياسية حكومة العمال والفلاحين والجنود . ونظمت لجان من الجنود (١) في الجيش ، كما تشكلت لجان للعمل من أجل توجيه الجيش عندما تكون عملياته متفرقة . وكان جهاز القيادة الاعلى للحزب في ذلك الحين هو لجنة الجبهة (وماوتسي تونغ سكرتير لها) ، وقد انتخب خلال انتفاضة الحصاد الخريفية من قبل لجنة الحزب في مقاطعة هونان . وفي أوائل آذار ، ألغيت لجنة الجبهة بطلب من اللجنة الحزبية الخاصة في جنوبي هونان وأعيد تنظيمها بوصفها اللجنة الحزبية الجزئية (وهو تنغ - بينغ سكرتير لها) ، فأصبحت بذلك جهازاً مسؤوليته الوحيدة المنظمة الحزبية في الجيش من دون أية سلطة على المنظمة الحزبية المحلية. وفي أثناء ذلك سرت قوات ماو على جناح السرعة الى جنوبي هونان ، بطلب من اللجنة الحزبية الخاصة ، واستولى العدو بنتيجة ذلك على منطقة تخوم هونان - كيانغسي طوال شهر ونيف. وفي أواخر آذار وقعت الهزيمة في جنوبي هونان . وفي نيسان انسحبت القوات اللتان يقودهما ماو تسي تونغ وتشو تيه ، مع جيش الفلاحين في جنوبي هونان ، الى نينغ كانغ حيث باشرتا من جديد النظام المستقل في منطقة التخوم .

لقد توافق انشاء النظام المستقل في منطقة تخوم هونان - كيانغسي منذ نيسان مع فترة الاستقرار التي تمتعت بها السلطة الحاكمة في الجنوب، وكانت القوى الرجعية المعينة « للافناء » والمسيرة من قبل حكومات مقاطعتي هونان وكيانغسي تعد على الاقل ثماني او تسع فرق ، ولا تقل أحيانا عن ثماني عشرة فرقة . ومع ذلك قاتلنا العدو ، بأقل من أربع فرق ، طوال أربعة شهور ، موسعين يوميا المنطقة الخاضعة لنظامنا المستقل ، موطين يوميا الثورة الزراعية ، موسعين يوميا السلطة السياسية الشعبية ومقوين يوميا الجيش الاحمر والحرس الاحمر ، وكان ذلك نتيجة بالضبط لسياسة الحزب الصحيحة في منطقة التخوم (المنظمة المحلية ومنظمة الجيش الحزبية) .

(١) لقد ألغى مجلس ممثلي الجنود ولجان الجنود في الجيش الاحمر فيما بعد . وعلى أية حال ، فقد نظم جيش التحرير الشعبي عام ١٩٤٧ مؤتمرات لرجال الجيش ولجانا للجنود تحت قيادة الضباط .

وكانت سياسة لجنة الحزب الخاصة في منطقة التخوم (وماوتسي تونغ سكرتير لها) ولجنة الجيش الحزبية (وشن يي سكرتير لها) وقتئذ كما يلي : النضال بحزم ضد العدو ، واقامة نظام في المنطقة الوسطى من سلسلة لوسياو الجبلية ومعارضة الفرارية ، وتعميق الثورة الزراعية في المناطق الخاضعة للنظام المستقل ، وتشجيع تطور المنظمة الحزبية المحلية عن طريق مساعدة منظمة الجيش الحزبية ، وتطور القوى المسلحة المحلية عن طريق معونة الجيش النظامي ، وتبني سوقية دفاعية خاصة بهونان حيث السلطة الحاكمة قوية نسبياً وسوقية هجومية خاصة بكيانفسي حيث السلطة الحاكمة ضعيفة نسبياً، وتكريس جهود كبرى لتطوير يونسفين، باقامة نظام مستقل للجماهير فيها والتحضير لنضال طويل الامد، وتركيز الجيش الاحمر ليحارب في الاوقات المناسبة العدو الذي يجابهه ومعارضة تقسيم القوى في سبيل تجنبها سحق العدو اياها بصورة مجزاة، وأخيرا تبني سياسة التقدم في سلسلة من الموجات من أجل توسيع المنطقة الخاضعة للنظام المستقل ومعارضة سياسة التقدم المحفوف بالمغامرة . وكان لهذه السياسات الملائمة ، بالاضافة الى طبيعة الارض في منطقة التخوم (وهي ملائمة لنضالنا) وانعدام التعاون التام بين القوات الفازية من هونان والقوات الفازية من كيانفسي ، الفضل في تمكيننا من كسب عدد من الانتصارات العسكرية وتوسيع النظام المستقل للجماهير في الاشهر الاربعة بين نيسان وتموز .

ولم يفشل العدو ، رغم تفوقه العظيم علينا ، في تدمير النظام المستقل فحسب ، بل حتى في زعزعة تطوره ، فكان هذا النظام المستقل يتجه نحو القيام بتأثير متزايد يوميا على مقاطعتي هونان وكيانفسي . وكان اخفاق آب مسببا بلكيته عن الواقع التالي ، ألا وهو أن قسما من رفاقنا ، اذ لم يدركوا ان المرحلة كانت مرحلة استقرار مؤقت للطبقات الحاكمة فتنبوا على العكس سوقية قابلة للتطبيق في مرحلة الانقسامات بين الطبقات الحاكمة، قد قسموا القوى من أجل تقدم محفوف بالمغامرة في جنوبي هونان ومنوا بالهزيمة في

منطقة التخوم وفي جنوبي هونان على السواء . أن تو هسيو - شينغ ممثل لجنة مقاطعة هونان ويانغ كاي - مينغ سكرتير اللجنة الخاصة لمنطقة التخوم المنتخبة من قبل لجنة المقاطعة ، وقد انتهزوا غياب الاشخاص المعارضين لهما بحزم مثل ماو تسي تونغ وو ان هسي - هسين في يونفسين وقتذاك ، وفشلا في ادراك الحالة السائدة في ذلك الحين ، قد أعرضوا عن قرارات المؤتمر المشترك للجنة الجيش واللجنة الخاصة ولجنة يونفسين الاقليمية ، هذه القرارات التي تعارض آراء لجنة مقاطعة هونان ، ولم يعنيا سوى بالتنفيذ الآلي لأمر لجنة مقاطعة هونان بمهاجمة جنوبي هونان ، وهو أمر يتفق مع رغبة الفرقة التاسعة والعشرين من الجيش الاحمر (المؤلفة من فلاحين من ايشانغ) في الافلات من النضال والعودة الى بيوتهم . وكان من نتيجة ذلك لحاق الهزيمة بهما في كلا منطقة التخوم وجنوبي هونان .

وكان الجيش الثامن من قوى العدو في هونان بقيادة وي شانغ قد اجتاح لينغ كانغ قبل ذلك، في منتصف حزيران ، وواصل تقدمه الى يونفسين. ولقد سعى عبثاً الى الاشتباك معنا (كان رجالنا قد أخطأوهم عندما كانوا يسعون الى مهاجمتهم عبر أحد الممرات الصغرى) وخشي من الجماهير التي تدعمنا فتراجع على جناح السرعة الى شالينغ عبر لينهوا . وفي أثناء ذلك بدلت المفزة الكبرى من الجيش الاحمر المتقدم من نينغ كانغ للهجوم على لينغ وشالينغ خططها في لينغ وتحولت في اتجاه جنوبي هونان ، فيما قامت القوى العدو القادمة من كيانفسى ، وهي خمس فرق من الجيش الثالث بقيادة وانغ شون وشين هان - تينغ وست فرق من الجيش السادس بقيادة هو ون-تو ، بهجوم مشترك جديد على يونفسين . ولم تكن نملك في ذلك الحين سوى فرقة واحدة في يونفسين ، فقامت هذه الفرقة بحماية الجماهير الفقيرة بحرب انصار في مختلف الاتجاهات، وحافظت على تلك الفرق الاحدى عشرة محاصرة في حدود ثلاثين لي من مدينة يونفسين الاقليمية طوال خمسة وعشرين يوما. وقد فقدنا يونفسين في النهاية بسبب من هجوم العدو الوحشي ، وفقدنا

كذلك لينهوا ونيونغ كانغ بعد ذلك بفترة قصيرة . وعندئذ قام خصام بصورة مفاجئة بين قوى العدو في كيانغسي . وانسحب الجيش السادس بقيادة هو ون - تو بسرعة الريح ، واشتبك حاليا مع الجيش الثالث الذي يقوده وانغ شون في شانغشو . أما الفرق الخمس القادمة من كيانغسي والباقية في المؤخرة فقد انسحبت أيضا في هرج الى مدينة يونغشين الاقليمية . ولو لم تذهب مفرزتنا الكبرى الى جنوبي هونان ، فقد كان يمكننا بكل سهولة أن نهزم هذه القوة العدو ونوسع المنطقة الخاضعة للنظام المستقل حتى كيان وانغو وبيونغ - سيانغ ونجعلها مجاورة لبيونغ كيانغ وليونغ . لكنه لما كانت المفرزة الكبرى بعيدة ، ولما كان الرجال الذين يشكلون الفرقة الوحيدة التي نملكها متعبين جدا فضلا عن ذلك فقد تقرر ترك قسم من الفرقة للدفاع عن جبال شينغ كيانغ جنبا الى جنب مع الوجدتين اللتين يقودهما يوان ون - تساي ووانغ تسو ، فيما يقود ماوتسي تونغ القسم الآخر في اتجاه كويتونغ للملاقاة المفرزة الكبرى ومرافقتها في طريق عودتها . ولقد تراجعت المفرزة الكبرى في هذه الاثناء من جنوبي هونان الى كويتونغ حيث تلاقت قواتنا في ٢٣ آب .

ولم تكد المفرزة الكبرى من الجيش الاحمر تصل لينغ في منتصف تموز حتى تمرد ضباط الفرقة التاسعة والعشرين وافرادها على السواء بسبب تذبذبهم السياسي ورغبتهم في العودة الى بيوتهم في جنوبي هونان ، فيما كانت الفرقة الثامنة والعشرون ، رغم معارضتها الذهاب الى جنوبي هونان ، ترفض العودة الى يونغشين بسبب رغبتها في الذهاب الى جنوبي كيانغسي . ولما كان توهسيو - شينغ يشجع الفرقة التاسعة والعشرين في نظرتها المغلوطة وكانت لجنة الجيش الحزبية قد فشلت في وضع حد لذلك ، فقد خرجت مفرزتنا الكبرى من لينغ في اتجاه شن في ١٧ تموز . وفي ٢٤ تموز اشتبكنا مع قوات العدو بقيادة فان شيه - شينغ في شن ، وانتصرنا بادية الامر لكن هزمنا بعذذ ، وانسحبنا بنتيجة ذلك من المعركة . وتصرفت الفرقة التاسعة

والعشرون في الحال على هواها. وحشت الخطا الى بيوتها في ايشانغ ، الامر الذي نتج عنه افناء عدد من رجالها في لو كشونغ من قبل عصابات يقودها هو فنغ - شانغ ، فيما تبعثر آخرون منهم في أماكن مثل شن وايشانغ وانتهوا الى مصر مجهول ، فما امكن جمع أكثر من مائة رجل منهم في ذلك اليوم . ومن حسن الحظ أن قوتنا الرئيسية ، الفرقة الثامنة والعشرين ، التي لم تتكبد سوى خسائر طفيفة ، قد احتلت كويتونغ في ١٨ آب . وفي ٢٣ آب انضم الى هذه الفرقة القوات القادمة من جبال شينغ كانغ ، وقد تقرر أن تعود قواتنا الى جبال شينغ كانغ عن طريق تسونجي وشانجين . وعندما بلغت هذه القوات شونجي ، تمرد قائد اللواء يوان شونغ - شوان مع فوج من المشاة وفوج آخر من المدفعية تحت أمرته ، وعلى الرغم من ملاحقتنا الفوجين وعودتنا بهما ، فقد لقي قائد الفرقة وانغ ايره - شو حتفه . واكتسبت قوات من العدو الفرصة ، ورجلانا المتعطشون الى بيوتهم لما يبلغوها ، فهاجمت جبال شينغ كانغ من هونان وكيانغسي على السواء في ٣٠ آب ، لكن قوتنا الدفاعية التي تقل عن لواء واحد تحصنت في مراكز ستراتيجية ، وهزمت العدو منقذة بذلك القاعدة من براثنه .

وهذه هي أسباب الهزيمة :

١ - أن البعض من ضباطنا وأفرادنا، المتذبذبين والمتعشين الى بيوتهم، قد فقدوا قدرتهم على القتال ، فيما كان غيرهم ، الصادفون عن الذهاب الى جنوبي هونان ، فاتري الهمة .

٢ - أن المسير الطويل في صيف شديد القيلظ اتعب رجالنا .

٣ - لقد فقد رجالنا ، وهم الذين غامروا مئات عديدة من الاميال بعيدا عن لينغ ، الاتصال بمنطقة التخوم ، واصبحوا بذلك قوة معزولة .

٤ - بما أن الجماهير في جنوبي هونان لم تثر بعد ، فقد تبين أن الحملة لم تكن سوى مجرد مغامرة عسكرية .

٥ - لم تكن مطلعين على أوضاع العدو .

٦ - كانت التحضيرات غير كافية ، بحيث لم يفهم الضباط والافراد مفزى العملية .

الحالة السائدة في المنطقة الخاضعة للنظام المستقل

ان المناطق الحمر آخذة في التوسع تدريجيا منذ نيسان من هذا العام . وبعد معركة لونغويانكور (على تخوم يونغسين ونيكانغ) في ٢٣ حزيران ، حيث هزمنا قوى العدو القادمة من كيانغسي للمرة الرابعة، بلغت منطقة التخوم اوج نموها فشملت مجموع الاقاليم الثلاثة نيكانغ ويونغسين ولينهوا، ومناطق صغيرة من كيان وانفو ، والمنطقة الشمالية من سويشوان ، والقسم الجنوبي الشرقي من لينغ . ولقد اعيد توزيع معظم الاراضي في المناطق الحمر ، وكان توزيع القسم الباقي منها في طريق الانجاز . وتشكلت حكومات في الاقضية والنواحي في كل مكان ، كما اقيمت حكومات اقليمية في نيكانغ ويونغسين ولينهوا وسويشوان ، وتآلفت حكومة منطقة التخوم ايضا . وتنظمت في القرى فيالق العصبان للعمال والفلاحين على نطاق واسع ، وكان ثمة حرس احمر في الاقضية والاقاليم . وفي تموز شنت قوات العدو القادمة من كيانغسي هجوما ، كما عمدت القوات العدو القادمة من هونان وكيانغسي على السواء الى القيام بهجوم مشترك على جبال شينغ كانغ في آب ، واحتل العدو سائر المدن الاقليمية وجميع الاراضي المنخفضة لاقاليم منطقة التخوم . ولقد جُند فيالق حفظ السلام والميليشيا المجندة من سائر المنازل ، وكلتاها اذاتان في يد العدو ، فساد الارهاب الابيض المدن والريف جميعا . وتلاشت معظم المنظمات الحزبية واجهزة السلطة السياسية، كما انقلب على الحزب الفلاحون الاغنياء والانتهازيون المنتسبون اليه الواحد تلو الآخر . ولقد تراجعت قوات العدو القادمة من هونان الى لينغ بعد معركة جبال شينغ كانغ في ٣٠ آب . لكن قواته القادمة من كيانغسي استمرت في احتلال سائر المدن الاقليمية ومعظم القرى . ومهما يكن من امر ، فقد ظل العدو عاجزا عن احتلال المناطق الجبلية التي كانت تشمل الاقضية الغربية والشرقية من نينغ كانغ ، واقضية

تيتلونغ وسياوسي كيانغ وواينيشيان في الاقسام الشمالية والغربية والجنوبية من يونسين على الترتيب ، وقضاء شانغسي في لينهوا ، وقضاء جبل شينغ كانغ في سويشوان ، وقضائي تسينغ شيه كانغ وتايوان في لينغ . وفي تموز وآب خاضت فرقة من الجيش الاحمر ، بالتعاون مع الحرس الاحمر في الاقاليم ، عدة معارك كبيرة وصغيرة بخسارة ثلاثين بندقية فقط ، لكنها انسحبت أخيرا الى الجبال .

وفي اثناء انسحاب رجالنا الى جبال شينغ كانغ عن طريق تسويجي وشانجيو ، طاردتنا قوات العدو في جنوبي كيانغسي ، وهي اللواء السابع المستقل بقيادة ليو شيه - يي . وفي ١٥ ايلول هزمنا ليو شيه - يي واستولينا على عدة مئات من البنادق واحتلنا سويشوان . وفي ٢٦ ايلول رجع رجالنا الى جبال شينغ كانغ ، ثم اشتبكنا في الاول من تشرين الاول في نينكانغ مع لواء تشو هونويان بقيادة هسيونغ شيه - هوي ، فربحنا المعركة واسترددنا الاقليم برمته . وفي اثناء ذلك انضم الينا ١٢٦ رجلا من قوات العدو القادمة من هونان بقيادة ين شونغ - جو ، وقد كانوا متمركزين في كويتونغ ، فنظموا في كتيبة مهمات خاصة عين بي شان - يون قائدا لها . وفي ٩ تشرين الثاني هزمنا من جديد فرقة من لواء تشو في مدينتي نينغ كانغ ولونغويانكوو الاقليميتين . وتقدمنا في الغداة نحو يونسين واحتلنا المدينة ، لكننا انسحبنا الى نينغ كانغ لفترة قصيرة . وان منطقتنا ، الممتدة من المنحدر الجنوبي لجبال شينغ كانغ في سويشوان في الجنوب الى تخوم لينهوا في الشمال ، تشمل في الوقت الحاضر كل اقليم نينغ كانغ واقساما من سويشوان ولينغ ويونسين ، وتشكل شريطا ضيقا متصلا يمتد من الشمال الى الجنوب . وعلى اية حال فان اقضية شانغسي في لينهوا وتيتلونغ وواينيشيان في يونسين ليست على اتصال تام مع هذا الشريط المتصل . ويحاول العدو ان يدمر منطقتنا القاعدية بالهجمات العسكرية والحصار الاقتصادي ، ونحن نتهيأ لكسر هجماته .

المشكلة العسكرية

مادام النضال في منطقة التخوم عسكريا خالصا، فانه ينبغي وضع الحزب

والجماهير على السواء على صعيد حربي ، بحيث أصبحت طريقة معاملة العدو وطريقة القتال المشكلتين المركزيتين في حياتنا اليومية . ان نظاماً مستقلاً ينبغي ان يكون نظاماً مسلحاً . فحين لا تتوفر القوى المسلحة ، او تكون غير كافية ، او تكون التعبئة لمجابهة العدو خاطئة ، فانه سيكون في مقدور العدو تحقيق احتلاله فوراً . ولما كان الصراع يزداد ضراوة كل يوم ، فقد أصبحت مشاكلنا معقدة وخطيرة حتى الدرجة القصوى .

أصول رجال الجيش الاحمر في منطقة التخوم :

١- قوات كانت في السابق تحت قيادة ييه تينغ وهو لونغ وسواتوو(١).

٢- فرقة الحرس الخاصة بحكومة ووشانغ الوطنية (٢) .

٣- فلاحون من بنغ كيانغ وليويانغ (٣) .

(١) تلك هي القوات التي قامت بانتفاضة نانشانغ في مطلع آب ١٩٢٧ . ولقد هزمت واضطرت الى التراجع في مسيرها على شاو شوو وسواتوو على شاطئ كوانغ تونغ . وهكذا انسحب قسم منها ، بقيادة تشوتيه وين بياو وشن يي ، من كوانغ تونغ ودخلت جنوبي هونان من طريق كيافنسي كي تقوم بعمليات الانصار . والتحق هذه القوات بقوى الرفيق ماو في جبال شينغ كانغ في نيسان ١٩٢٨ .

(٢) كان معظم الملاكات في هذه الفرقة أعضاء في الحزب الشيوعي . وعندما خان الثورة وانغ شينغ - وي وشركاؤه في حكومة ووشانغ ، غادرت الفرقة ووشانغ في نهاية تموز ١٩٢٨ كي تسهم في انتفاضة نانشانغ في كيافنسي . وعلى أية حال ، فقد قامت الانتفاضة قبل وصولها ، وكانت القوات العاصية قد غادرت المدينة قبل ذلك . وعندئذ بدلت الفرقة اتجاهها الى سيوشيو في غربي كيافنسي وانضمت الى جيش الفلاحين في بنغ كيانغ وليويانغ .

(٣) في ربيع ١٩٢٧ ، تشكلت قوات مسلحة فلاحية عظيمة في منطقة بنغ كيانغ وليويانغ من مقاطعة هونان . وفي ٢١ أيار ، قام القائد الكيومنتانمي هسيوكي - هسيانغ بانقلاب مضاد للثورة في شيانغشا وأعمل القتل في النوار . وبدأت هذه القوات الفلاحية ، كي تتراجع ، مسيراً على شانغشا في ٣١ أيار ، لكنها أمرت بالعودة من قبل الانتهازيشن تو - هسيو الذي كان يرأس

٤ - فلاحون من جنوبي هونان (١) وعمال من شويكوشان (٢) .
٥ - رجال أسروا من القوات التي يقودها هسيو - هسيانغ وتانغ شنغ - شيه وباي شونغ - شي وتشويبي - تيه ووو شانغ وهسيونغ شيه - هوي .
٦ - فلاحون من الاقاليم في منطقة التخوم .
لكن القوات التي كانت تعمل قبلا تحت قيادة ييه وهو ، وفرقة الحرس ، والفلاحين من بنغ كيانغ وليويانغ ، قد نقصت جميعا بعد قتال سنة ونيف الى ثلث تعدادها الاصلي ، كما تعرض الفلاحون في جنوبي هونان الى خسائر جسيمة . وهكذا فعلى الرغم من بقاء الاقسام الاربعة الاولى حتى اليوم العمود الفقري للجيش الرابع من الجيش الاحمر ، فقد تفوق القسمان الاخيران عليها عدديا حتى درجة بعيدة . وفيما عدا ذلك ، فان الجنود الاسرى يتفوقون عددا في القسمين الاخيرين ، ولولا ما يقدمه هذا القسم من قوى الاعاضة ، فقد كانت القوة البشرية تصبح مشكلة خطيرة اذن . وعلى الرغم من ذلك كله ، فان التطوع لا يستطيع بعد ، على اية حال ، أن يساير الزيادة

الحرب الشيوعي وتلك . وأعيد اثر ذلك تنظيم قسم منها في فرقة مهمتها القيام بحرب الانصار . وبعد انتفاضة نان شانغ في مطلع آب ١٩٢٧ ، انضمت هذه القوات الفلاحية في سيوشوي وتونغكو في كيانغسي ، وبنغ كيانغ وليويانغ - من هونان ، الى فرقة الحرس الخاصة بحكومة وشانغ الوطنية للقيام بانتفاضة حصاد الخريف ، عاملة بتوافق مع عمال مناجم الفحم في بنغ سيانغ من كيانغسي . وفي تشرين الاول ، قاد الرفيق ماو هذه القوات النائرة الى جبال شينغ كيانغ .

(١) في اوائل ١٩٢٨ ، بينما كان الرفيق تشوتيه يدير حرب الانصار الثورية في جنوبي هونان تشكلت جيوش من الفلاحين في ايشانغ وتشننشو ولييانغ ويونغسين وتسين حيث كان قد وضع اساس للحركة الفلاحية . ولقد قاد الرفيق تشوتيه فيما بعد هذه الجيوش الفلاحية الى جبال شينغ كانغ للانضمام الى قوى الرفيق ماو .

(٢) ان شويكوشان في شانغ نينغ من مقاطعة هونان شهيرة جدا بمناجمها الرساسية . وفي ١٩٢٢ ، تم تنظيم اتحاد عمال المناجم تحت قيادة الحزب الشيوعي . ولقد ناضل عمال المناجم دون انقطاع ضد الثورة المضادة ، وانضم عدد كبير منهم الى الجيش الاحمر بعد انتفاضة حصاد الخريف عام ١٩٢٧ .

في البنادق ، فنحن نادراً ما نفقد البنادق ، وان كنا نفقد الرجال كثيراً ، أعني حين يجرحون أو يقتلون أو يمرضون أو يفرون . وقد وعدت اللجنة الحزبية في مقاطعة هونان أن ترسل الى هنا عمالاً من أنيوان (١) ، ونحن نأمل أن تفعل ذلك في الحال .

أما فيما يتعلق بتركيب الجيش الاحمر ، فان قسماً منه يتألف من العمال والفلاحين ، والقسم الآخر من البروليتاريا الرثة . ومن المؤكد أنه من غير المرغوب فيه أن تكون نسبة البروليتاريا الرثة كبيرة جداً . لكنه لما كان القتال مستمراً يومياً والخسائر متصاعدة ، فانه ليس من الامر اليسير الآن تأمين البروليتاريين الرثين للاعاضة ، على الرغم من كونهم مقاتلين ممتازين . فكل ما نستطيع أن نفعله في هذه الظروف هو تشديد التدريب السياسي .

وان غالبية الجيش الاحمر مستقاة من جيوش مرتزقة ، لكنهم لا ينضمون الى الجيش الاحمر حتى يبدلوا صفاتهم . ولقد ألفى الجيش الاحمر ، قبل كل شيء ، نظام الارتزاق ، باعثاً في الجنود الشعور بأنهم لا يحاربون من اجل انسان آخر بل من اجل انفسهم ومن اجل الشعب . ولم يطبق الجيش الاحمر حتى الآن نظاماً للدفع المنتظم ، بل يوزع الارز ، وبطاقة للزيت ، والملح ، والمحروقات ، والخضار ، وبعض المال للمصروف العادي . وقد وزعت الارض على سائر ضباط الجيش الاحمر وافراده الذين ولدوا في منطقة التخوم ، لكنه يصعب من جهة اخرى توزيع الارض على اولئك الذين من مناطق نائية . وقد اصبح جنود الجيش الاحمر جميعاً ، بعد ما تلقوا بعض الثقافة السياسية ، واعين طبقياً واكتسبوا معرفة عامة عن اعادة توزيع الارض ، واقامة السلطة السياسية ، وتسليح العمال والفلاحين ، الخ ... وانهم

(١) كانت مناجم فحم أنيوان في اقليم بنغ سيانغ من مقاطعة كيانغسي ، ويبلغ عمالها حوالي اثني عشر ألفاً ، ملكاً لشركة هان - بيه - بنغ للحديد والفولاذ ، وقد بدأت لجنة الحزب الشيوعي في مقاطعة هونان ترسل المنظمين اليها في ١٩٢١ لتأسيس المنظمة الحزبية فيها ومساعدة عمال المناجم على تنظيم اتحادهم .

ليعرفون جميعاً أنهم يحاربون من أجل أنفسهم ومن أجل الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، بحيث يستطيعون ان يتحملوا النضال الاشد مرارة دونما شكوى مطلقاً . وان لكل سرية او فوج او فرقة مجلساً للجنود يمثل مصالح الجنود وينفذ العمل السياسي والجهادى .

ولقد برهنت التجربة على ان نظام الممثلين الحزبيين (١) ينبغي الا يلغى . ولما كان الفرع الحزبي منظماً على أساس السرية ، فان الممثل الحزبي على مستوى السرية يتمتع بأهمية مخصوصة، اذ من واجبه الاشراف على لجان الجنود في تنفيذ التدريب السياسي ، وتوجيه عمل الحركة الجماهيرية ، والقيام في الوقت نفسه بعمل سكرتير الفرع الحزبي . وقد برهنت الوقائع على ان السرية تكون أفضل بقدر ما يكون ممثلها الحزبي افضل ، فيما أمر السرية لا يستطيع تقريباً ان يلعب مثل هذا الدور السياسي الفعال . ولما كانت الخسائر جسيمة بين الملاكات الدنيا ، فكثيراً ما جعل جنود العدو الاسرى منذ بعض الوقت قادة فصائل او سرايا ، وبعض اولئك الذين اسروا في شباط او آذار الاخيرين فقط هم الآونة قادة افراج . وقد يبدو للوهلة الاولى ان في مقدور جيشنا ، ما دام يدعى الجيش الاحمر، الاستغناء عن الممثلين الحزبيين ، لكن العكس هو الحقيقة في الوقت الحاضر . ولقد ألفت الفرقة الثامنة والعشرين في جنوبي هونان هذا النظام ذات مرة كي تعود الى تطبيقه فيما بعد . أما تسمية الممثلين الحزبيين « مدراء » فسوف يؤدي الى الخلط بينهم وبين مدراء الكيومتانغ المكروهين من قبل الجنود الاسرى . والأكثر من ذلك ان تبديل الالقب لا يؤثر في طبيعة النظام . ولذا فقد اتخذنا قرارنا ضد التبديل . واننا لنأمل ، كي نعوض عن الخسائر الفادحة في الممثلين الحزبيين ، ان يرسل لنا المركز الحزبي واللجنتان الحزبيتان في المقاطعة على الاقل ثلاثين رفيقاً اهلاً لأن يكونوا ممثلين حزبيين ، وذلك فضلاً عن تنظيم بعض الصفوف التدريبية من قبلنا .

(١) أعيدت تسمية الممثل الحزبي في الجيش الاحمر بوصفه المندوب السياسي عام ١٩٢٩ ،

وأعيدت تسمية المندوب السياسي في السرية بوصفه المدير السياسي عام ١٩٣٩ .

ويحتاج الجندي المتوسط الى ستة اشهر أو سنة من التدريب قبل ان يصير قادرا على القتال ، بيد انه لابد لجنودنا على الرغم من تجنيدهم البارحة فقط ، ان يقاتلوا اليوم عمليا دون أي تدريب يمكن الحديث عنه . ولما كان التكتيك العسكري يعوزهم حتى الدرجة القصوى ، فانهم يحاربون بالشجاعة وحدها . ولما كانت فترات الراحة أو التدريب الطويلة مستحيلة ، فلا بد لنا ان نرى ما اذا كان في استطاعتنا ايجاد الوسائل لتجنب بعض المعارك كسبا للوقت من أجل التدريب . وقد شكلنا من أجل تدريب الضباط ذوي الرتب الصغيرة جهازاً تدريبياً من ١٠٧١ رجلاً ، وفي عزمنا ان نجعل منه مؤسسة دائمة . واننا لنأمل ان يرسل اليها المركز الحزبي واللجنتان الحزبيتان في المقاطعة عدداً آخر من الضباط من مرتبة قادة الفصائل والسرايا فما فوق .

وقد طلبت لجنة مقاطعة هونان منا ان نعنى بحياة الجنود المادية وان نجعلها على الاقل أفضل قليلا من حياة العامل أو الفلاح المتوسط . والعكس تماماً هو الواقع في الوقت الراهن ، لان كل فرد يتناول ، فضلا عن جمالته من الارز ، خمسة سنتات فقط من أجل زيت الطهي ، والملح ، والحطب ، والخضار ، وانه لمن الصعب حتى الإبقاء على هذه الحالة . وتبلغ التكاليف الشهرية لهذه الاشياء وحدها اكثر من عشرة آلاف دولار فضي ، وهو مبلغ لانحصل عليه الا بواسطة نزع ملكية العتاة المحليين (١) . وقد حصلنا الآونة على القطن من أجل الثياب الشتوية الخاصة بكل الجيش المؤلف من خمسة الاف رجل ، لكن الثياب لاتبرح تعوزنا بعد . وعلى الرغم من برودة الطقس ، فان عدداً كبيراً من رجالنا لا يبرحون يرتدون بزتين من الثياب الصيفية . ومن حسن الحظ اننا اعتدنا المشاق . وفيما عدا ذلك ، فان الجميع على السواء يتقاسمون المشاق نفسها ، فهم يعيشون جميعاً منذ قائد الجيش نزولا حتى الطاهي على بدل يومي يساوي خمسة سنتات ، باستثناء الحبوب . اما بشأن مصروف

(١) كان ذلك مجرد تدبير مؤقت لتغطية قسم من تكاليف الجيش . ومع نمو الجيش واتساع

رقعة الارض ، أصبح فرض الضرائب أمراً ضرورياً وممكناً .

الجيب ، فاذا خصص للفرد عشرون سنتا ، فهي عشرون سنتا للجميع على السواء ، واذا خصص له أربعون سنتا ، فهي أربعون سنتا للجميع على السواء^(١). وهكذا لا يضمّر الجنود حقداً ضد أي شخص كان على الإطلاق .

وثمة عدد من الجنود الجرحى بعد كل اشتباك ، وقد سقط عدد كبير من الضباط والافراد مرضى من جراء سوء التغذية والتعرض للبرد وأسباب أخرى . وان المستشفى الواقع في الجبل عاليا يطبق المعالجات الصينية والغربية على السواء ، لكنه يفتقر الى الاطباء والادوية جميعاً . وثمة حالياً ما يزيد عن ثمانمائة مريض في المستشفى . وقد وعدت لجنة مقاطعة هونان ان تؤمن لنا الادوية ، لكننا لم نلتق حتى الآن شيئاً منها . ولا بد لنا بعد ان نسأل المركز الحزبي واللجنتين الحزبيتين في المقاطعة ان يرسلوا لنا بعض اليود وبعض الاطباء من ذوي التدريب الغربي .

وفيما عدا الدور الذي يلعبه الحزب ، فان السبب في ان الجيش الاحمر يستطيع ان يتماسك دون انهيار في مثل هذا المستوى اليائس من الحياة المادية ومثل هذه الاشتباكات غير المنقطعة هو ممارسته للديموقراطية . فالضباط لا يضربون الافراد ، والضباط والافراد يتناولون نفس الراتب ، والجنود يتمتعون بحرية الاجتماع والكلام ، وقد استغني عن الشكليات والاحتفالات المربكة ، كما ان دفاتر الحسابات مفتوحة لمراقبة الجميع ، والجنود هم الذين يشرفون على الموائد المشتركة ، فهم يستطيعون ان يوفروا ، من المبلغ اليومي البالغ خمسة سنتات والمخصص للزيت والملح والحطب والخضار ، مبلغاً صغيراً من أجل مصروف الجيب (يسمى وفر الطعام المشترك) ، يبلغ على وجه التقريب ستين أو سبعين قرشاً^(٢) للشخص الواحد يومياً . وان سائر هذه التدابير مرضية جداً للجنود . وان الجنود المأسورين حديثاً على الاخص

(١) استمرت هذه الممارسة ، التي كانت تملئها الظروف السائدة وقتذاك ، فترة طويلة في الجيش الاحمر . وعلى أية حال فان الضباط والافراد جعلوا يتلقون فيما بعد مرتبات مختلفة قليلاً وفقاً لرتبهم .

(٢) القرش الصيني يساوي جزءاً من الف جزء من دولار فني .

يخسون أن جيشنا وجيش الكيومنتانغ عالمان مختلفان ، فيشعرون أنهم تحرروا روحيا ، وذلك على الرغم من كونهم بخصوص الحياة المادية اسماً في الجيش الاحمر منهم في الجيش الابيض . وان الحقيقة التالية ، الا وهي ان نفس الجندي الذي لم يكن شجاعا البارحة في الجيش المعادي قد أصبح اليوم شجاعا في الجيش الاحمر ، لتبين بالضبط ما للديمقراطية من تأثير . أن الجيش الاحمر لأشبه ببوتقة يذوب فيها سائر الجنود الاسرى ويتحولون منذ وصولهم اليه . ففي الصين لا يحتاج الشعب وحده الى الديمقراطية ، بل ان الجيش يحتاج اليها . ان النظام الديمقراطي في جيش ما (١) هو سلاح هام في تدمير الجيش الاقطاعي المرتزق .

وتنقسم المنظمات الحزبية حاليا على أربعة مستويات : فرع السرية ، ولجنة الفوج ، ولجنة الفرقة ، ولجنة الجيش ، فثمة الخلية في السرية والخلية في الشرذمة . وان سببا هاما في قدرة الجيش الاحمر على اجتياز مثل هذا الصراع القاسي دون خيبة هو أن الفرع الحزبي منظم على أساس السرية .

ولم يكن لمنظمتنا في الكيومنتانغ أية سلطة على الجنود قبل سنتين ، كما

(١) يشدد هنا بصورة خاصة على ضرورة ادخال مقدار من الحياة الديمقراطية الى الجيش الثوري ، وهو يومذاك في المرحلة البدئية من تنظيمه ، بغية تحريك الحماسة الثورية للمتطوعين الجدد من الفلاحين والقوات البيض الواقعة في الاسر ، وبغية تحرير الضباط من تأثير نزعة السيادة الحربية السائدة في الجيوش الرجعية .

ومن المؤكد ان الديمقراطية في الجيش يجب ان تظل محصورة ضمن حدود الانضباط العسكري ، وينبغي ان تعمل على تقوية الانضباط لا إضعافه ، كما يجب ألا تخلط بينها وبين النزعة الديمقراطية القصوى وعدم المبالاة المطلق بالانضباط اللذين أصبحا مدعاة للاهتمام الجدي في الفترة الاولى من وجود الجيش الاحمر ، واللذين يجب مكافئتهما باصرار ، فيما يجب ادخال الديمقراطية المناسبة الى هذا الجيش . انظر : « في تصحيح بعض الآراء الخاطئة في الحزب » .

لم يكن حتى بين قوات ييه تنج (١) سوى فرع حزبي واحد في كل فرقة ، وهذا هو السبب في أن هذه القوات لم تستطع الصمود في وجه أي امتحان قاطع . وتبلغ نسبة الاعضاء الحزبيين الى الرجال غير الحزبيين في الجيش الاحمر اليوم واحدا على ثلاثة على وجه التقريب ، يعني أن ثمة عضوا في الحزب بين كل أربعة رجال وسطيا . وقد قررنا مؤخرا أن نجند عددا أكبر من اعضاء الحزب بين الجنود المقاتلين بحيث تصبح النسبة بين الاعضاء الحزبيين والافراد غير الحزبيين خمسين الى خمسين (٢) .

وإن فروع السرايا ليعوزها في الوقت الحاضر امناء سر صالحون ، ونحن نسأل المركز الحزبي أن يرسل لنا لهذه الغاية عددا كبيرا من النشيطين من اولئك الذين ما عاد في مكنتهم البقاء حيث هم . وإن الاشخاص العاملين من جنوبي هونان يقومون كلهم تقريبا بالعمل الحزبي في الجيش ، وقد عادرنا بعضهم في آب أثناء الهروب في جنوبي هونان ، ونحن لا نملك بنتيجة ذلك جهازا عاملا يوفره في هذه الآونة .

والقوات المسلحة المحلية هي الحرس الاحمر وفصائل العصيان الخاصة بالعمال والفلاحين ، وهذه الفصائل مسلحة بالرمح وبنادق الصيد ومنظمه على اساس النواحي مع احتياطي في كل ناحية ، قوته تتناسب مع سكان هذه الناحية ، وتنحصر مهمتها في القضاء على الثورة المضادة ، وحماية الحكومة في المنطقة ، ومعاودة الجيش الاحمر في الحرب عندما يأتي العدو .

(١) كان الرفيق ييه تنج يقود فرقة مستقلة خلال الحملة الشمالية عام ١٩٢٦ . ولما كان الشيوعيون يشكلون دعامة هذه الفرقة ، فقد اشتهرت بوصفها قوة ماضية . ولقد صار توسيعها الى اللواء الرابع والعشرين بعدما استولى الجيش الثوري على ووشانغ والى الجيش الحادي عشر بعد انتفاضة نانسانغ .

(٢) بينت التجربة ان العمل يسير على خير ما يرام عندما يعد اعضاء الحزب حوالي ثلث تعداد الجيش الاحمر . وقد حوفظ عموما على هذه النسبة في الجيش الاحمر وفي جيش التحرير الشعبي .

وقد قامت فصائل العصيان للمرة الاولى في يونغسين كقوة سرية ، ولم تخرج الى الحياة العلنية الا منذ استيلائنا على الاقليم برمته . ولقد امتدت المنظمة الآونة الى الاقاليم الاخرى من منطقة التخوم ، وبقي الاسم على حاله دون تعديل . وتتألف اسلحة الحرس الاحمر بصورة رئيسية من بنادق ذات خمس طلقات ، لكنها تتضمن أيضا بنادق ذات تسع طلقات واخرى ذات طلقة واحدة . وهذه الاسلحة هي ١٤٠٠ بندقية في نينغ كانغ ، و ٢٢٠ في يونغسين ، و ١٣ في لينهوا ، و ٥٠ في شالينغ ، و ٩٠ في لينغ ، و ١٣٠ في سويشوان ، و ١٠ في وانان ، فمجموعها يبلغ اذن ٦٨٣ بندقية . وبينما قدم الجيش الاحمر معظم هذه البنادق ، فان الحرس الاحمر استولوا هم انفسهم على بعضها من العدو . ويزيد معظم الحرس الاحمر في الاقاليم قدرتهم على القتال يوما بعد يوم ، وهم يحاربون بانتظام ضد فصائل حفظ السلام والميليشيا المجندة من المنازل ، هذه القوى الخاضعة لاشراف الملاكين .

وقبل حادث ٢١ ايار (١) ، كان في سائر الاقاليم فصائل تملك ٣٠٠ بندقية في يو ، و ٣٠٠ في شالينغ ، و ٦٠ في لينغ ، و ٥٠ في سويشوان ، و ٨٠ في يونغسين ، و ٦٠ في لينهوا ، و ٦٠ في نينغ كانغ (رجال يوان ون - تساي) ، و ٦٠ في جبال شينغ كانغ (رجال وانغ تسو) ، ومجموعها ٩٧٠ بندقية . واذا استثنينا بنادق رجال يوان ووانغ التي لم تلحق بها أية خسارة ، فانه لم يمكن انقاذ سوى ست بنادق في سويشوان وبندقية واحدة في لينهوا بعد الحادث .

(١) عمد قادة الجيش الكيومنتانغ الرجمي في هونان ، وفي عدادهم هسيوكي هسيانغ وهو شين ، يساعدهم ويحرضهم شيانغ كاي - شيك ووانغ شينغ - وي ، الى اصدار اوامرهم للقيام بغارة على مركز الاتحاد العمالي في المقاطعة ، والمنظمات الفلاحية والمنظمات الثورية الاخرى في شانغشا ، وذلك في ٢١ ايار ١٩٢٧ . ولقد اعتقل شيوميون وعمال وفلاحون ثوريون عديدون وقتلوا بأعداد كبيرة . وكان ذلك دالة على التعاون العلني بين المصائبين الرجميتين من الكيومنتانغ ، عصابة ووهان التي يتزعمها وانغ شينغ - وي ، ومصابة نانكنغ التي يتزعمها شيانغ كاي - شيك .

فيما استولى الاشراف الملاكون على البقية كلها . وان مثل هذا العجز من جانب فصائل الفلاحين الخاصة بالدفاع الذاتي في الاحتفاظ ببنادقهم هو نتيجة التيار الانتهازي . وفي الوقت الحاضر لا تبرح بنادق الحرس الاحمر في الاقاليم قليلة جدا ، وهي اقل عددا من البنادق التي يملكها الاشراف الملاكين ، وينبغي للجيش الاحمر أن يثابر على تزويد الحرس الاحمر بالاسلحة . ان من واجب الجيش الاحمر ان يبذل كل ما وسعه ، بقدر ما لا ينقص ذلك قدرته على القتال ، كي يساعد الشعب في تسليح نفسه .

وقد بسطنا ان كل فوج من الجيش الاحمر ينبغي ان يتألف من أربع سرايا وكل سرية من خمس وسبعين بندقية ، وعندما نضم هذه البنادق الى ما تملكه سرية المهمات الخاصة ، وسرية المدافع الرشاشة ، وسرية مدافع الهاون ، ومفارز القيادة للافواج الثلاثة والفرقة نفسها ، فانه يصبح لكل فرقة ١٠٧٥ بندقية اذن . وانه لمن الواجب استخدام البنادق التي يتم الاستيلاء عليها اثناء القتال في تسليح القوى المحلية قدر الامكان ، كما يجب ان يكون قادة الحرس الاحمر اناسا ارسلا من الاقاليم الى فصيلة التدريب المشكلة من قبل الجيش الاحمر واتموا دراستهم . ويتوجب على الجيش الاحمر ان يرسل عددا اقل من الناس من المناطق البعيدة كي يكونوا رؤساء للقوى المسلحة . ان شوبي - تيه يسلح كذلك فصائله الخاصة بحفظ السلام والميليشيا المجندة من سائر المنازل ، كما ان القوى المسلحة الخاصة بالاشراف الملاكين في اقليم منطقة التخوم عظيمة في تعدادها وفي قدرتها القتالية . وهذه جميعا اسباب أخرى توجب علينا عدم التماهل لحظة واحدة في زيادة قواتنا الحمراء المحلية .

ويجب أن يكون التمرکز هو المبدأ الذي يعمل به الحرس الاحمر . ففي المرحلة الراهنة من الاستقرار المؤقت الذي يتمتع به النظام الرجعي يستطيع العدو ان يكرس قوات هائلة لمهاجمة الجيش الاحمر ، فليس في مصلحة الجيش الاحمر ان يبعثر قواه اذن ، ولقد أدت بعثرة القوى ، في تجربتنا ، الى الهزيمة بصورة دائمة تقريبا ، فيما مركزة القوى لقتال عدو قوته أدنى

أو مساوية أو أعلى قليلا من قوانا غالبا ما انتهت الى الظهر ، وان المنطقة التي أصدرت لجنة الحزب المركزية تعليماتها اليها كي تطور فيها حرب الانصار رجة جدا ، تغطي آلاف عديدة من الاميال طولاً وعرضا ، ومن المؤكد ان السبب في ذلك هو الافراط في تقدير قوتنا . اما بالنسبة الى الحرس الاحمر ، فالتبعثر اصلح لهم ، وقد عمد الحرس الاحمر كله في الاقاليم الى القيام بعمليات متفرقة في الوقت الراهن .

وان انجع الاساليب في الدعاية الموجهة الى القوى العدو هو اطلاق سراح الجنود الاسرى وتقديم المعالجة الطبية لجرحاهم . وكلما أسر الجنود أو قادة شراذم وسرايا وافواج من القوات العدو ، عمد على الفور الى تطبيق الدعاية بينهم ، وانهم ليقسمون الى اولئك الذين يريدون أن يبقوا واولئك الذين يرغبون في الذهاب ، وهؤلاء الاخرون يعطون نفقات السفر ويطلق سراحهم ، وهذا ما يهشم في الحال نعمة العدو الزاعمة أن « الاشقياء الشيوعيين يقتلون كل من تقع عليه ابصارهم » . وتقول جريدة ليانغ شيه - شينغ ، وهي مجلة الفرقة التاسعة ، ما يلي بخصوص هذا التدبير : « يا له من لؤم قاتل ! » وان الرفاهية التي يؤمنها جنود الجيش الاحمر للجنود الاسرى ووداعهم لهم امران صادقان حتى الدرجة القصوى . ويلقي الجنود الاسرى في كل « حفلة وداع للاخوة الجدد » خطبا للتعبير بالمقابل عن امتنانهم القلبي . وان المعالجة الطبية لجرحى العدو وسيلة فعالة جدا أيضا . ومؤخرا ، عمد بعض الاذكياء من جانب العدو ، لي ون - بين مثلا ، الى عدم قتل الاسرى والى تقديم العناية الطبية للجنود الجرحى ، تقليدا لنا . وعلى الرغم من ذلك حدث في مناسبتين أن بعضا من رجالنا ، في الاشتباكات التالية ، قد انضموا اليها بأسلحتهم . فضلا عن ذلك فقد قمنا بدعاية مكتوبة واسعة ، كالشعارات المصورة ، تدر امكاننا . وایان ذهبنا فاننا نكتب الشعارات على الجدران . لكنه يعوزنا الاشخاص الموهوبون للتصوير ، ونأمل أن يرسل لنا المركز الحزبي واللجان الحزبيتان في المقاطعة بعضا من هؤلاء .

القواعد العسكرية : ان القاعدة الاولى هي جبال شينغ كانغ ، الواقعة عند اتصال الاقاليم الاربعة ننج كانغ ولينغ وسویشوان ويونفسين ، ويقع منحدرها الشمالي عند ماو بينغ في نينغ كانغ ومنحدرها الجنوبي عند هوانفاو في سویشوان ، والمنحدران يبعدان ٩٠ لي عن بعضهما . ويقع منحدرها الشرقي عند ناشان في يونفسين ومنحدرها الغربي عند شويكوو في لينغ ، والمنحدران يبعدان ٨٠ لي عن بعضهما بعضا . وتبلغ دائرتهما بمجموعها ٥٥٠ لي ، مجتازة الطريق كله من ناشان عبر لونجيانكوو (وجميعها في نينغ كانغ) ، وشيهتو ، وشويكوو ، وسياتسون (وجميعها في لينغ) وينغبليو ، وتاكيابو ، وتافن ، وتويتزيشين ، وهوانفاو ، وتوكيانغ ، وشيزو (وجميعها في سویشوان) وتعود مجددا الى ناشان . وان في هذه الجبال لحقولا من الارز وقرى على السواء ، في اماكن حقل الينبوع الكبير ، والينبوع الصغير ، والينبوع العالي ، والينبوع المتوسط ، والينبوع الواطى ، وتزيينغ وسياشوانغ ، وسينغشوو ، وتساوينغ ، وبينيهو ، ولوفو - وهي اماكن كانت في الماضي اعشاشا لقطاع الطرق والمتشردين ، لكنها انقلبت الآونة الى احدى قواعدنا . بيد ان السكان هناك يعدون اقل من الفين ، ومحصول الارز غير المقشور اقل من عشرة آلاف مد ، بحيث ان كل طعام الجيش يجب ان يرسل من اقاليم نينغ كانغ ويونفسين وسویشوان . وان سائر المرات الاستراتيجية في الجبال محصنة ، كما ان المستشفى ، ومصنع الاسرة والثياب ومخازن الذخيرة ومكاتب المؤخرة الخاصة بمختلف الفرق موجودة جميعا هنا . وترسل المؤن النظامية الآونة الى الجبال من نينغ كانغ . واذا كنا نملك هنا ما يكفي من المؤن فلن يتمكن العدو قط ان يتغلغل الينا . وتقع القاعدة الثانية في جبال كيولونغ ، الواقعة عند اتصال الاقاليم الاربعة نينغ كانغ ويونفسين ولينهوا وشالينغ - وهي اقل اهمية من جبال نينغ كانغ ، لكنها القاعدة الاخيرة للقوى المسلحة المحلية في الاقاليم الاربعة جميعا ، وقد جرى تحصينها ايضا . ذلك انه من الضروري ، بالنسبة الى نظام احمر مستقل

تطوقه السلطة السياسية البيضاء ، ان يستفيد من المحسنات السوقية التي تتمتع بها الجبال .

المسألة الزراعية

الوضع الزراعي في منطقة التخوم . كان اكثر من ٦٠ بالمائة من الارض على وجه التقريب يخص الملاكين العقاريين وأقل من ٤٠ بالمائة يخص الفلاحين . وفي منطقة كيانفسي ، كانت ملكية الارض متركزة على الاخص في سويشوان حيث كان ٨٠ بالمائة تقريبا منها تخص الملاكين العقاريين . وكانت يونفسين تأتي في المرتبة الثانية ، حيث كان حوالي ٧٠ بالمائة من الارض تخص الملاكين العقاريين . وكان في وانان ونيغ ولينهوا عدد اكبر من الفلاحين المالكين ، لكن ارض الملاكين العقاريين تشكل مع ذلك نسبة عظيمة - حوالي ٦٠ بالمائة من المجموع الكلي ، فيما الفلاحون لا يملكون سوى ٤٠ بالمائة . وفي منطقة هونان ، في كلا شالينغ ولينغ ، كان حوالي ٧٠ بالمائة من الارض بين ايدي الملاكين العقاريين .

مشكلة الطبقة المتوسطة. لما كان الوضع الزراعي كما اسلفنا، فان مصادرة الارض كلها واعادة توزيعها^(١) يمكن ان يفوز بتأييد غالبية السكان. بيد ان الناس في المناطق الريفية ينقسمون على العموم الى ثلاث طبقات: طبقة الملاكين العقاريين الكبار والمتوسطين، والطبقة المتوسطة أو الملاكون العقاريون الصغار والفلاحون الاغنياء ، وطبقة الفلاحين المتوسطين الفقراء . وغالبا ما تتشابك مصالح

(١) ذلك كان نصا في القانون الزراعي الصادر في منطقة تخوم هونان - كيانفسي عام ١٩٢٨ . ولقد اشار الرفيق ماو فيما بعد الى ان مصادرة الاراضي جميعا ، بدلا من مصادرة ارض الملاكين العقاريين فقط ، هي خطيئة مسببة عن نقص التجربة في النضالات الزراعية . وفي نيسان ١٩٢٥ ، في القانون الزراعي لاوليم هسينغ كاو في مقاطعة كيانفسي ، حول النص «مصادرة كل الاراضي» الى «مصادرة الاراضي العامة وارض طبقات الملاكين العقاريين» .

الفلاحين الاغنياء مع مصالح الملاكين العقاريين الصغار . ولا تشكل ارض الفلاحين الاغنياء سوى نسبة مئوية ضئيلة من المساحة الكلية ، لكن مقدارها يبلغ حدا عظيما مع ذلك اذا ما أضفنا اليه ارض الملاكين العقاريين الصغار . ولعل هذه هي الحال بصورة تزايد أو تنقص في البلاد كلها . وان السياسة الزراعية المتبعة في منطقة التخوم هي المصادرة التامة واعادة التوزيع الكاملة ، وهكذا فان الاشراف العقاريين والطبقة المتوسطة عرضة للهجوم في المنطقة الحمراء . ولما كانت تلك هي سياستنا ، فاننا نصطدم مع ذلك اثناء التنفيذ الفعلي بمعارضة عظيمة من قبل الطبقة المتوسطة . ولقد استسلمت الطبقة المتوسطة ظاهريا لطبقة الفلاحين الفقراء في المرحلة الاولى من الثورة ، لكنهم في واقع الامر يستخدمون مركزهم الاجتماعي السابق وروابطهم العائلية على السواء من اجل اخافة الفلاحين الفقراء وتأجيل اعادة توزيع الارض . وعندما لم يعد في الامكان التأجيل مجدداً ، فقد امتنعوا عن اعطاء المعلومات عن مساحة ارضهم الفعلية ، أو احتفظوا بالارض الجيدة وتركوا الارض الفقيرة للآخرين . وكثيرا ما كان الفلاحون الفقراء في هذه المرحلة ، وقد تعرضوا طويلا لسوء المعاملة وهم يفقدون الى الثقة في انتصار الثورة ، يقبلون اقتراحات الطبقة المتوسطة ولا يجسرون على عمل ايجابي . ان العمل الايجابي لا يتخذ في القرى ضد الطبقة المتوسطة سوى في فترة من الانتفاض الثوري الحقيقي ، عندما يكون الاستيلاء على السلطة السياسية مثلاً قد تم في اقليم واحد او عدة اقاليم ، والجيش الرجعي قد هزم عدة مرات ، كما برهن بصورة متكررة على بسالة الجيش الاحمر . ولقد توفرت اكثر الامثلة جدية عن تأخير اعادة توزيع الارض وامساك المعلومات الخاصة بمساحة الارض مثلاً في القسم الجنوبي من يونسين ، حيث كانت الطبقة المتوسطة كثيرة العدد . ولقد ذهبنا الآونة قدما في عملية اعادة التوزيع بعد ما كسب الجيش الاحمر نصرا كبيرا في لونغويانكوو في ٢٣ حزيران واقتضت الحكومة المنطقية من الاشخاص الذين عملوا على تأخير اعادة توزيع الارض . بيد ان المنظمات الاقطاعية البطيركية منتشرة على نطاق واسع في

كل اقليم ، وفي معظم الحالات تقطن عشيرة واحدة قرية كاملة او عدة قرى ، وهكذا لابد من زمن طويل جداً قبل ان تكتمل عملية التمايز الطبقي ويتم التغلب على العاطفة العشائرية في القرى .

تنكر الطبقة المتوسطة في ظل الارهاب الابيض : ان الطبقة المتوسطة ،

وقد تعرضت للطمات عديدة خلال الانتفاضة الثورية ، تنضم على الفور الى الجانب الآخر حين يحل الارهاب الابيض . وكان الملاكون العقاريون الصغار والفلاحون الاغنياء في يونسين ونينغ كانغ هم بالضبط الذين حرضوا القوات الرجعية على اشعال النار في عدد كبير من منازل الفلاحين الثوريين هناك . كانوا يحرقون البيوت ويعتقلون الناس ، عملاً بتوجيهات وكيل حركة الرجعيين أيضاً . وعندما رجع الجيش الاحمر الى مناطق نينغ كانغ وسنشينغ وكوشنغ ولونفشي ، فر الالوف من الفلاحين هناك ، وقد ضللتهم الدعاية الرجعية القائلة ان الشيوعيين سوف يقتلونهم مع الرجعيين في يونسين . ولم يعد بعض الفلاحين أخيراً الى دورهم الا نتيجة لدعايتنا - « لا تقتلوا الفلاحين الذين مرقوا » و « ان الفلاحين الذين مرقوا يرحب بهم في بيوتهم لحصاد مواسمهم » .

وحين تكون الثورة في الريف بمجموعه في حالة نكوص ، فان اصعب المشاكل في المناطق الخاضعة للنظام المستقل هي افتقارنا الى السيطرة على الطبقة المتوسطة التي تخون الثورة بسبب القسوة البالغة للضربات التي انزلتها هذه الثورة بساحتها .

لكنه عندما يكون الريف بمجموعه في حالة صعود ثوري ، فان طبقة الفلاحين الفقراء تكتسب الشجاعة لأن في حوزتها ما تستطيع الاعتماد عليه ، في حين لاتجرؤ الطبقة المتوسطة على التلاعب لان عندها هي الاخرى ماتخشاه . وعندما امتدت الحرب بين لي - تسونغ - جن وتانغ شنغ - شيه الى هونان ، حاول الملاكون العقاريون الصغار في شالينغ ان يطيّبوا خاطر الفلاحين ، فكان بعضهم يرسلون لحم الخنزير اليهم كهدية في عيد رأس السنة (وكان الجيش الاحمر اثناء ذلك قد تراجع من شالينغ وقصد سويشوان) . ولكنه

بعدها وضعت تلك الحرب اوزارها ، لم يعد يسمع بأي شيء من ذلك النوع مطلقا . وفي الوقت الراهن ، عندما يكون مد الثورة المضاد في طريق الارتفاع في الريف ، فان الطبقة المتوسطة في المناطق البيضاء ، وقد كانت عرضة لهجوم ثقيل الوطأة ، تربط مصيرها بصورة كاملة تقريبا اذن بالاشراف العقاريين ، فتصبح طبقة الفلاحين الفقراء قوة معزولة . وان ذلك لمشكلة خطيرة تماما في الحقيقة (١) .

ضغط الحياة اليومية بوصفه سببا في تنكر الطبقة المتوسطة . ان المناطق

الحمراء والمناطق البيضاء ، المناهضة لبعضها بعضا ، قد اصبحت بلدين متعادين . وان التجارة بين المنطقتين ، بسبب من الحصار الشديد الذي يفرضه العدو ومعاملتنا الخاطئة للبورجوازية الصغيرة على السواء ، قد انقطعت بصورة تامة تقريبا . وما دامت الضروريات اليومية مثل الملح والثياب والادوية نادرة وغالية الثمن ، والمنتجات الزراعية مثل الاخشاب والشاي وزيت الطهي لا يمكن المتاجرة بها في المناطق البيضاء ، فقد انقطع مصدر دخل الفلاحين وتأثر الناس جميعا من جراء ذلك . وان طبقة الفلاحين لقادرة ، بصورة نسبية ، على تحمل مثل هذه الاعباء ، بيد ان الطبقة المتوسطة سوف تستسلم للاشراف العقاريين حالما تجد ان هذه الاعباء لا يمكن احتمالها . واذا لم تستمر الانقسامات والحروب بين الاشراف العقاريين وسادة الحرب في الصين ، واذا لم تتطور الحالة الثورية في مختلف انحاء البلاد ، فان النظام الاحمر المستقل في المناطق الصغيرة سوف يتعرض اذن لضغط اقتصادي

(١) اما ادراك الرفيق ماو أهمية كسب الطبقة المتوسطة في الريف ، فسرعان ما صحح السياسة الخاطئة القائلة بمعاملة هذه الطبقة بقسوة شديدة . فاذا تركنا جانبا الآراء المحتواة في هذه المقالة ، فاننا نجد آراءه كذلك في مقترحاته الى الجمعية العامة السادسة للجيش الاحمر (تشرين الثاني ١٩٢٨) ، التضمنة « منع اعمال الحرق والقتل الطائشة » و « حماية مصالح التجار المتوسطين والصفار » . وانه ليعود الى القول مجددا ، في اعلان مقفى كتب للجيش الاحمر الرابع (كانون الثاني ١٩٢٩) ، ان التجار في المدن ، الذين جمعوا ثرواتهم الصغيرة بعناء وبطء ، ينبغي تركهم وشأنهم ما داموا يخضعون للحكومة .

مرهق ، وسوف يصبح وجوده الطويل الامد أمرا مشكوكا فيه . ذلك ان مثل هذا الضغط الاقتصادي ليس أمرا لا يطاق بالنسبة الى الطبقة المتوسطة فحسب ، بل سوف يكون كذلك في يوم من الايام حتى بالنسبة الى العمال والفلاحين الفقراء وجنود الجيش الاحمر . ولم يكن ثمة في وقت من الاوقات، في اقليمي يونفسين ونينغ كانغ ، ملح للطهي على الاطلاق ، كما ان استيراد الثياب والادوية قد انقطع تماما ، وذلك فضلا عن الاشياء الاخرى . ويمكن الحصول الآن على الملح في دينك الاقليمين ، بيد ان سعره مرتفع جدا . اما الثياب والادوية فهي لا تبرح معدومة تماما بعد . وان الاخشاب والشاي وزيت الطهي ، وهي جميعا تنتج بغزارة في نينغ كانغ وغربي يونفسين وشمال سويشوان (وكلها خاضعة لنظامنا المستقل في الوقت الحاضر) لا يمكن بعد نقلها الى المناطق البيضاء (١) .

المقياس في اعادة توزيع الارض . لقد اعتبرت الناحية اساسا لاعادة توزيع الارض . وفي المناطق حيث تغلب الهضاب وتقل الارض الصالحة للزراعة ، في قضاء سياو كيانغ من اقليم يونفسين مثلا ، ضمت في بعض الاحيان ثلاث أو اربع نواح في وحدة واحدة ، بيد ان هذه الحالات نادرة جداً . وكان سائر سكان الريف ، الذكور والاناث والشيوخ والشبان ، يتلقون حصصاً متساوية، لكنه طرأ على هذه الخطة تعديل الآونة يتفق مع مشروع المركز الحزبي ، بحيث أصبحت القدرة على العمل مقياس التوزيع :

ان شخصا يملك القدرة على العمل يمنح حصة هي ضعف حصة الشخص الذي لا يملك تلك القدرة (٢) .

(١) ان في الامكان تبديل هذا الظرف مع تطور الحرب الثورية واتساع المناطق الثورية القاعدية وسياسة حماية الصناعة والتجارة ، وهو ما حدث بالفعل فيما بعد . ولقد كان الشيء الهام هو التشديد في حماية الصناعة والتجارة المحليتين ومعارضة السياسات فوق اليسارية .

(٢) انه من الخطأ اتخاذ القدرة على العمل مقياساً لاعادة توزيع الارض . ولقد ظل توزيع الارض يجري بالفعل مدة طويلة ، في المناطق الحمراء ، وفقا لعدد الاشخاص في كل عائلة .

مشكلة منح الامتيازات للفلاحين المالكين . وهي مشكلة لم تجر مناقشتها

بعد مفصلاً ، وقد طالب الفلاحون المالكون الاغنياء انفسهم ان تؤخذ القوة المنتجة كمقياس ، يعني ان اولئك الذين يملكون قوة عمل اكبر ورأسمالا اكبر (كالادوات الزراعية مثلاً) يجب ان يمنحوا حصة اكبر من الارض . ويشعر الفلاحون الاغنياء انه ليس في مصلحتهم لا اعادة التوزيع المتساوية ولا اعادة التوزيع تبعاً للقدرة على العمل . ولقد بينوا انهم على استعداد لأن يوظفوا قوة عمل اكبر سوف تمكنهم ، اذا ما اضيفت الى قوة رأسمالهم ، من تقديم مواسم أعظم ، ولسوف يحسون خيبة الامل اذا هم لم يمنحوا ، وقد اهملت جهودهم الخاصة ورأسمالهم الزائد (يعني بقيت عاطلة) ، سوى نفس المقدار من الارض الذي سيكون من نصيب جميع الناس بصورة عامة . ولا تبرح اعادة التوزيع تنفذ هنا وفقاً لمشروع المركز الحزبي .

بيد ان هذه المشكلة تستأهل مناقشة اوسع ، وسوف يقدم تقرير آخر في الموضوع عندما يتم الوصول الى نتيجة بشأنه .

ضريبة الارض . تجمع هذه الضريبة في نينغ كانغ بنسبة ٢٠ بالمائة من الموسم ، بزيادة ٥ بالمائة عن النسبة المحددة من قبل المركز الحزبي ، ولما كان تحصيل الضريبة قيد التنفيذ ، فينبغي الا تبدل نسبتها الآن ، بل ان تنقص في العام المقبل . وفيما عدا ذلك ، فان مناطق سويشوان ولينغ ويونفسين الخاضعة لنظامنا المستقل مناطق مرتفعة جميعاً ، والفلاحون فيها فقراء جداً ، بحيث لا ينصح بتحصيل الضريبة منهم . واننا لنعتمد على نزع ملكية العتاة المحليين في المناطق البيضاء من اجل المحافظة على الحكومة والحرس الاحمر . اما بخصوص مؤن الجيش الاحمر ، فانه يمكن الحصول بصورة مؤقتة على الارز عن طريق تحصيل ضريبة الارض في نينغ كانغ ، فيما يمكن الحصول على الاموال النقدية ايضاً بواسطة نزع ملكية العتاة المحليين . ولقد جمعنا خلال حرب الانصار التي قمنا بها في سويشوان في تشرين الاول ما يزيد عن عشرة آلاف دولار ، وهو مبلغ سيقم فترة بين أيدينا ، وسوف نرى ما يمكن عمله عندما يصرف هذا المبلغ .

مشكلة السلطة السياسية

ان السلطة السياسية الشعبية على صعيد الاقليم والقضاء والناحية قد اقيمت بصورة عمومية ، بيد ان الواقع يكذب تسميتها . فنحن لا نجد في اماكن عديدة اي مجلس للعمال والفلاحين والجنود يمكن التحدث عنه . وان اللجنة التنفيذية لحكومة الناحية او القضاء او حتى الاقليم تنتخب بصورة دائمة فيما يشبه الاجتماع الجماهيري . بيد ان الاجتماعات الجماهيرية المعقودة بصورة ارتجالية لا يمكنها ان تحل المشاكل ولا ان تلقن الجماهير ثقافة سياسية . وفيما عدا ذلك ، فهذه الاجتماعات قابلة تماما للاحتكار من قبل المثقفين والمحترفين . وقد يشكل مجلس في بعض الاماكن ، لكنه يعتبر مجرد جهاز مؤقت لانتخاب اللجنة التنفيذية ، فاذا ما تم هذا الانتخاب حصرت السلطة المطلقة في اللجنة وحدها ولم يعد للمجلس ذكر مطلقا . فليست القضية انعدام مجالس العمال والفلاحين والجنود الجديرة بهذا الاسم ، بل فلتها الفاققة . وان ذلك لمسبب عن نقص الدعاية والتثقيف المتعلقين بهذا النظام السياسي الجديد . ان الممارسة السيئة لاصدار الاوامر الاعتبارية في الازمان الاقطاعية ، وهي ممارسة عميقة الجذور في اذهان الجماهير وحتى في اذهان اعضاء الحزب بصورة عامة ، لا يمكن تكتيسها دفعة واحدة . وإما يطرأ طارئ ، فالناس يبحثون عن ايسر السبل للخلاص منه ولا يحبون النظام الديموقراطي المحكم . وليس في الامكان تحقيق المركزية الديموقراطية في المنظمات الجماهيرية بصورة واسعة وفعالة الا عندما يتم البرهان على فعاليتها في النضال الثوري وتوقع الجماهير بأن تلك المركزية الديموقراطية تستطيع ان تجند قواها بصورة افضل وتساعدوا في نضالها . واننا لنضع مسودة قانون تنظيمي مفصل للمجالس على مختلف المستويات (على اساس ترسيمات المركز الحزبي) كما نصح بصورة تدريجية الاخطاء السابقة . وان مجالس ممثلي الجنود على مختلف المستويات في الجيش الاحمر تشكل الآونة على اساس دائم بحيث يصير تصحيح الخطيئة السابقة بخصوص وجود لجان فقط من دون مجالس ممثلي الجنود .

وان ما تعرفه الجماهير في الوقت الراهن بوصفه « حكومة العمال والفلاحين والجنود » هو اللجنة التنفيذية ، ذلك انهم لا يرحون يعتبرون ، وهم غافلون بعد عن سلطة المجلس ، ان اللجنة التنفيذية هي جهاز السلطة العليا . وان لجنة تنفيذية لا يقوم مجلس وراها كثيرا ما تهمل عاطفة الجماهير في اعمالها ، وتتردد وتعتمد الى المواطة في مصادرة الارض واعادة توزيعها ، كما يشاهد في كل مكان ، وتبدد الاموال وتختلسها ، وتنهزم امام القوى البيضاء او تكتفي بالنضال ضدها بصورة غير حازمة . وفيما عدا ذلك ، فان اللجنة نادراً ما تجتمع في نصاب كامل ، فالقضايا كلها تسيرها لجننتها الدائمة . ونادراً ما تجتمع اللجنة الدائمة ، في حكومتي القضاء والناحية على السواء . فالقضايا يسيرها بصورة منفصلة رئيس هذه اللجنة وامين سرها ، وخازنها ، ورئيس الحرس الاحمر (او رئيس فصيل العصيان) الذين يواظبون على المكتب بصورة منتظمة . وهكذا فان المركزية الديمقراطية لا تمارس بصورة منتظمة حتى ولا في العمل الحكومي . وفي الايام الاولى ، كان الملاكون العقاريون الصفار والفلاحون الاغنياء يتهافتون كي يصلوا الى اللجان الحكومية ، وعلى الاخص تلك اللجان التي على مستوى الناحية . ولقد اندسوا ، يرتدون الاشرطة الحمر ويدعون الحماسة ، في اللجان الحكومية بوسائل خداعة وعمدوا الى احتكارها ولم يتركوا الا دوراً صغيراً للاعضاء من الفلاحين الفقراء . ولن يكون في الامكان طردهم الا بعد افتضاحهم ونهوض طبقة الفلاحين الفقراء على قدميها في سياق النضال . وان مثل هذه الاوضاع وان تكن غير عمومية ، قد شوهدت في اماكن عديدة .

ويتمتع الحزب بهيبة وسلطان عظيمين بين الجماهير ، بينما تتخلف الحكومة كثيرا عنه في هذا المضمار . ومرد ذلك ان الحزب يعتمد ، بنية تسهيل الامور ، الى تدبير اشياء عديدة بصورة مباشرة ، غير عابئ بجهاز السلطة السياسية ، وهو ما تتوفر امثلة عديدة عليه . وليس في بعض الاماكن زمر

حزبية مطلقا في اجهزة السلطة السياسية ، وحيث تتوفر مثل هذه الزمر في أماكن أخرى لا تستخدم بصورة صالحة البتة . وينبغي للحزب من الآن فصاعدا أن ينفذ مهمته في اعطاء القيادة للحكومة ، فتعليمات الحزب وتدابيره يجب أن تنفذ ، بصورة مستقلة عن التحريض المطبق لاجلها ، بواسطة المنظمات الحكومية . أما الممارسة الخاطئة للكيومنتانغ في اصداره الاوامر مباشرة الى الحكومة فأمر يجب الابتعاد عنه .

مشكلة التنظيم الحزبي

النضال ضد الانتهازية . يمكن أن يقال ان الانتهازيين كانوا يسيطرون على منطقة التخوم في فترة حادث ٢١ أيار . وعندما قامت الثورة المضادة ، لم نقم بأي صراع حازم تقريبا . وفي تشرين الاول الاخير ، عندما وصل الجيش الاحمر (الفرقة الاولى من اللواء الاول من الجيش الاول من جيش العمال (والفلاحين الثوري) الى الاقاليم في منطقة التخوم ، لم يمكن العثور سوى على عدد قليل من الاعضاء الحزبيين الذين كانوا قد تواروا عن الانظار ، وكانت المنظمات الحزبية قد لاقت الدمار التام على يد العدو . وكانت الفترة المنصرمة بين تشرين الثاني الاخير ونيسان فترة اعادة بناء الحزب ، والفترة من أيار فما بعد فترة انتشار عظيم للحزب . وكانت الانتهازية داخل الحزب موجودة بعد في كل مكان خلال السنة الماضية . ومثال ذلك أن قسما من أعضاء الحزب الذين كانوا يفتقرون الى العزم على النضال قد هربوا الى الهضاب النائية لدى قدوم العدو وسموا ذلك « نصب كمين » . وان قسما آخر من أعضاء الحزب قد لجأوا على الرغم من حيويتهم الفارقة ، الى انتفاضات محفوفة بالمغامرة . ولقد كانت هذه الامور جميعا تظاهرات لافكار بورجوازية صغيرة ، لكنها تناقصت بعد فترة طويلة من خوض النضال ومن الثقف الحزبي الداخلي . وفي هذه الاثناء ظهرت أيضا آراء بورجوازية صغيرة مماثلة في الجيش الاحمر . وهكذا كان القتال اليائس أو الهرب يطرحان على بساط البحث كلما اقترب العدو منا ، وغالبا ما كان نفس

الشخص يقدم كلتا الفكرتين اثناء المناقشات المتعلقة بالعمليات العسكرية . ولم يتم تصحيح هذه الاخطاء بصورة تدريجية الا بعد صراع حزبي داخلي طويل الامد وبفضل العبر التي تعلمناها من الوقائع الموضوعية – مثال ذلك الخسائر التي كنا نتكبدها في القتال اليائس والافخاق في الهرب .

النزعة المحلية . ان الاقتصاد في منطقة التخوم زراعي ، ولا تبرح بعض الاماكن في مرحلة المدقات اليدوية (أعني أنه فيما تستخدم المطاحن الحجرية اليدوية على نطاق واسع في السهول ، فالارز يصقل على العموم في مناطق المرتفعات بمدقات يدوية خشبية) . وان اساس التنظيم الاجتماعي في كل مكان هي العشيرة المؤلفة من أشخاص يحملون نفس الكنية . وكثيرا مايحدث في المنظمات الحزبية في القرى أن يحمل جميع أعضاء الفرع الحزبي الكنية نفسها ، فاذا اجتمع الفرع الحزبي ينقلب فعليا الى لقاء عشائري . وانه لمن الصعب جدا في الحقيقة في مثل هذه الظروف بناء « حزب بلشفي نضالي » . ان مثل هؤلاء الاعضاء لا يفهمون تماما أن الحزب الشيوعي لا يعرف الحدود بين الدول والمقاطعات ، ولا هم يفهمون أنه لا يعرف الحدود بين الاقاليم ، والاقضية ، والنواحي . ان العزلة قوية بين الاقاليم ، وهي مسببة عن العقلية البطيريركية ، بحيث أن اقضية الاقليم نفسه ، بل النواحي أيضا ، تظل غريبة عن بعضها بعضا . وأن العمل الايضاحي المبذول من أجل مناهضة هذه النزعة المحلية لا يثمر في أحسن الاحوال الا نتائج زهيدة ، والحقيقة أن أكبر عون يقدم الينا في هذا المضمار هو ضغط البيض الذين لا يأبهون للحدود مطلقا . ومثال ذلك أن الحملات « التأديبية المشتركة » التي قامت بها القوات المعادية للثورة في المقاطعتين توحد بين أنصارنا في النضال المشترك ، وبهذه الطريقة وحدها تتم تصفية العزلة البطيريركية بصورة تدريجية . ولقد جعلت النزعة المحلية في الانهيار بفضل عدد كبير من العبر الماثلة .

مشكلة السكان الاصليين والمقيمين . هنالك مشكلة اخرى في اقاليم التخوم ألا وهي الشقاق بين السكان الاصليين والمقيمين . . فما تزال هناك خلافات

واسعة بين السكان الاصليين وبين المقيمين الذين جاء أجدادهم الى هنا من الشمال قبل مئات عديدة من الاعوام . وان كراهيتهم المتبادلة التقليدية لعميقة الجذور جدا حتى انها تؤدي في الاحايين الى نزعات مريعة . وان هؤلاء المقيمين الذين يعدون عدة ملايين يقطنون الحدود الممتدة بين فوكين وكوانغ تونغ على طول تخوم هونان وكيانغسي حتى جنوبي هوبيه . ولقد كان المقيمون الذين يقطنون مناطق المرتفعات عرضة لاضطهاد السكان الاصليين الذين يقطنون السهول، وهم محرمون منذ زمن طويل من حقوقهم السياسية . ولقد رحبوا بالثورة الوطنية التي جرت خلال السنتين السابقتين حاسبين ان الوقت قد حان لهم لكي يرفعوا رؤوسهم . لكن الثورة فشلت لسوء الحظ وبقوا مضطهدين من قبل السكان الاصليين . واننا لتنعثر أيضا بمشكلة السكان الاصليين والمقيمين داخل منطقتنا الخاصة في نينغ كانغ وسويشوان ولينغ وشالينغ ، وهي على أشدها في نينغ كانغ . وان الثوريين من السكان الاصليين في نينغ كانغ ، وقد اتحدوا الى المقيمين بقيادة الحزب الشيوعي ، قلبوا في السنتين الماضيتين السلطة السياسية للاشراف العقارين الاصليين واستلموا السلطة في الاقليم برمته . وفي حزيران انقلبت الحكومة الاقليمية في كيانغسي التي يرأسها تشويي - تيه على الثورة ، وفي أيلول أرسل الاشراف العقاريون قوات تشو في «حملة تأديبية» ضد نينغ كانغ واثاروا مجددا النزاع بين السكان الاصليين والمقيمين . وانه ينبغي الاتقاع مثل هذه الخلافات بين السكان الاصليين والمقيمين في صفوف الطبقات المستثمرة من العمال والفلاحين ، كما ينبغي ألا يكون لها أي تأثير على العلاقات المتبادلة داخل الحزب الشيوعي . لكن هذه الخلافات لا تبرح قائمة بعد بتأثير الاوهام القديمة جدا . ومثال ذلك اننا حين منينا بالهزيمة في منطقة التخوم في آب ، قاد الاشراف العقاريون الاصليون القوات الرجعية للعودة الى نينغ كانغ واذاعوا الاشاعات بأن المقيمين يريدون القضاء على السكان الاصليين ، الامر الذي جعل معظم الفلاحين الاصليين يمرقون ، ويحملون الاشرطة البيضاء ،

ويقودون القوات البيضاء لاحتراق المنازل والتنقيب في الجبال . وعندما هزم الجيش الاحمر القوات البيضاء في تشرين الاول وتشرين الثاني ، فر الفلاحون الاصليون مع الرجعيين ، بينما استولى الفلاحون المقيمون على ممتلكات السكان الاصليين . ولقد كان لهذه الوضعية صداها في حياة المنظمات الحزبية وغالبا ما ادت الى نزاعات عديمة المعنى . ان سياستنا هي ، من جهة واحدة ، نشر الشعارين : « لا تقتلوا مطلقا الفلاحين الذين أصبحوا مارقين » ، و « ان الفلاحين الذين مرقوا يعطون الارض ايضا عندما يعودون » ، بحيث يستطيعون ان يطرحوا عنهم تأثير الاشراف الملاكين ويعودوا الى بيوتهم دون هواجس على الإطلاق ، ومن جهة أخرى اصدار الاوامر عن طريق الحكومة الاقليمية الى الفلاحين المقيمين بوجوب اعادة الاملاك التي استولوا عليها الى أصحابها القدامى ، والمناداة بأن الفلاحين الاصليين سوف يجدون الحماية عند السلطات ، وأخيرا تقوية عملنا التثقيفي في الحزب بحيث نضمن أقصى ما يمكن من الوحدة والتضامن بين الفئتين من الاعضاء الحزبيين .

خيانة الوصوليين . ان عددا كبيرا من الوصوليين قد تسللوا الى الحزب منتهزين فرصة التجنيد العلني للاعضاء الحزبيين أثناء الانتفاضة الثورية (في حزيران) ، فكانت نتيجة ذلك ان تعداد الاعضاء الحزبيين في منطقة التخوم ارتفع دفعة واحدة الى اكثر من عشرة آلاف . ولما كان المسؤولون عن الفروع ولجان الاقضية اعضاء جددا على الغلب ، فان التثقيف الحزبي الداخلي الجيد لم يكن موضع البحث مطلقا . ولم يكد الارهاب الابيض يحل حتى مرق اولئك الوصوليون وسلموا رفاقنا للرجعيين ، الامر الذي أدى الى انهيار المنظمات الحزبية في المناطق البيضاء . ولقد عمدنا بعد ايلول الى تطهير حازم في الحزب وفرضنا قيودا صارمة على مؤهلات العضوية . ولقد حلت سائر المنظمات الحزبية في اقليمي يونفسين ونيونغ كانغ وعمد الى اعادة تسجيل الاعضاء . وعلى الرغم من النقص الكبير في عدد الاعضاء ، فان قدرتهم النضالية قد زادت . ولقد كانت المنظمات الحزبية علنية جميعا في الماضي ، بيد أن منظمات

سرية شكلت منذ ايلول بحيث يمكن الاستمرار في النشاط في حال قدوم
الرجعيين . ولقد كنا نبذل كل جهودنا ، في الوقت نفسه ، كي ننفذ الى المناطق
البضاء ونقوم بعملياتنا داخل معسكر العدو . وعلى أية حال ، فانا لم
ننجح بعد في اقامة مراكز وطيدة في المدن المجاورة ، أولا لأن العدو
اقوى في المدن نسبيا ، وثانيا لانه يصعب على الاعضاء الحزبيين ترسيخ
أقدامهم هناك ما دام جيشنا قد أساء كثيرا الى مصالح البورجوازية عند
احتلاله تلك المدن . وانا لنصحح أخطاءنا في الوقت الحاضر ونبذل قصارى
جهدنا في سبيل بناء منظماتنا في المدن ، بيد أن النتائج ليست ملحوظة
حتى الآن .

أجهزة الحزب القيادية . لقد اعيدت تسمية المجلس الفرعي للجنة
الفرعية . وهناك اللجنة المنطقية فوق اللجنة الفرعية ، واللجنة الاقليمية
فوق اللجنة المنطقية . وانه يمكن في حالات معينة تشكيل لجان منطقية
خاصة كمنظمات متوسطة بين اللجنتين المنطقية والاقليمية كما هي الحال
في المنطقتين الخاصتين التي تحد احدهما القسم الشمالي ، والاخرى القسم
الجنوبي الشرقي من مقاطعة يونغسين . ولا يوجد في كل منطقة التخوم سوى
خمس لجان اقليمية في نينغ كانغ ويونغسين ولينهاو وسويشوان ولينغ .
ولقد كان في شالينغ لجنة اقليمية ، لكنها لم تحسن تنظيم عملها ، بحيث
ان معظم المنظمات التي تشكلت هناك في الشتاء الاخير وفي هذا الربيع سحقت
من قبل القوى البضاء ، ولم يكن في استطاعتنا ان نعمل خلال نصف السنة
الاخير سوى في المناطق المرتفعة المناخمة لنينغ كانغ ويونغسين ، ولذا اعيد
تنظيم لجنة شالينغ الاقليمية على اعتبارها لجنة منطقية خاصة . ولقد
ارسل اناس الى اقليمي يو وانجن ، اللذين لا يمكن الوصول اليهما الا عن طريق
شالينغ ، لكنهم رجعوا دون ان ينجزوا شيئا البتة . ولقد عقدت لجنة وانا
الاقليمية اجتماعا مشتركا معنا في سويشوان في كانون الثاني ، ثم قطعت
عنا بفعل القوى البضاء اكثر من ستة اشهر ، ولم نحتك بها مجددا الا في

ايلول ، عندما بلغ الجيش الاحمر وانا في احدى عمليات حرب الانصار .
ولقد تبع رجالنا ثمانون فلاحا ثوريا الى جبال شينغ كانغ ونظموا بوصفهم
حرس وانا الاحمر . وليس في انغو منظمة حزبية . اما اللجنة الاقليمية
في كيان ، وهي تتأخم يونفسين ، فلم تتصل بنا سوى مرتين ، والغريب
حقا انها لم تقدم لنا اية مساعدة . . . وقد أعيد توزيع الارض مرتين في آذار
وآب في منطقة شاتيين من اقليم كويتونغ حيث تشكلت منظمات حزبية
ووضعت تحت اشراف اللجنة الخاصة لجنوبي هونان التي مركزها في شيهو
يونغ من لونفكي . وتقوم فوق اللجان الاقليمية اللجنة الخاصة لمنطقة تخوم
هونان - كيانغسي . ولقد عقد المؤتمر الاول للمنظمة الحزبية في منطقة التخوم
في ماونينغ من بنغ كانغ في ٢٠ ايار ، وانتخبت اللجنة الخاصة الاولى (١) المؤلفة
من ثلاثة وعشرين عضوا وماوتسي تونغ سكرتير لها . وفي تموز ، أرسلت
لجنة مقاطعة هونان يانغ كاي - مينغ اليها فشغل منصب السكرتير . ولقد
وقع يانغ مريضا في ايلول فانتقلت مسؤولياته الى تان شن - لين . وفي آب ،
عندما ذهبت المفزة الرئيسية للجيش الاحمر الى جنوبي هونان ، وكانت
القوى البيضاء تطبق ضغطا شديدا على منطقة التخوم ، عقدنا اجتماعا طارئا
في يونفسين . وحين رجع الجيش الاحمر الى تينغ كانغ في تشرين الاول ،
دعونا في ماو بينغ المؤتمر الثاني للمنظمة الحزبية في منطقة التخوم . ولقد اتخذ
المؤتمر ، الذي اجتمع ثلاثة ايام ابتداء من ١٤ تشرين الاول ، قرارات من
بينها : « القضايا السياسية ومهام المنظمة الحزبية في منطقة التخوم » ،
وانتخب اللجنة الخاصة الثانية (٢) المؤلفة من تسعة عشر عضوا : تان شن -
لين ، وتشوتيه ، وتشن - يي ، ولونغ شاو - شينغ ، وتشو شانغ - شيهو ،
وليوتيين - شيين ، ويوان بان - شو ، وتان تزو - تسونغ ، وتان يينغ ،
ولي شويه - فيي ، وسونغ يي - يو ، ويوان ون - تساي ، ووأنغ تسو -

(١) اللجنة الخاصة كما تشكلت في المؤتمر الاول .

(٢) اللجنة الخاصة كما تشكلت في المؤتمر الثاني .

نونغ ، وشن شنغ - جن ، وماوتسي تونغ ، ووان هسي - هسيين ووانغ تسو ، ويانغ كاي - مينغ ، وهو تينغ - يينغ . ولقد أصبح خمسة منهم أعضاء في اللجنة الدائمة التي كان تان شن - لين (عامل) أميناً لها وشن - شنغ - جن (مفكر) الأمين المساعد فيها . ولقد انتخبت الجمعية العامة السادسة للجيش الاحمر ، المنعقدة في ١٤ تشرين الثاني ، لجنة للجيش من ثلاثة وعشرين عضواً ، يشكل خمسة منهم لجنة دائمة نشوتيه هو أمينها العام . وتخضع اللجنة الخاصة ولجنة الجيش على السواء للجنة الجبهة . ولقد أعيد تنظيم لجنة الجبهة في ٦ تشرين الثاني ، بخمسة أعضاء عينهم المركز الحزبي ، وهم ماوتسي - تونغ وتشو - تيه وسكرتير القيادة الحزبية المحلية (تان شن - لين) ، ورفيق عامل (سونغ شياو - شينغ) ورفيق فلاح (ماوكو - ون) ، وأمينها العام هو ماوتسي - تونغ ، ولقد نظمت لجنة الجبهة في الوقت الحاضر أمانة للسر ، وشعبة للدعاية ، وشعبة للتنظيم ، ولجنة لثقافات العمال ، ولجنة عسكرية ، وهي التي توجه المنظمات الحزبية المحلية . ولا تبرح الحاجة تمس الى الاحتفاظ باللجنة الخاصة لان لجنة الجبهة تضطر احيانا الى التنقل مع القوات المحاربة .

واننا لنذكر ان مشكلة القيادة الفكرية البروليتارية مشكلة هامة جدا . ان المنظمات الحزبية في اقاليم منطقة التخوم تتألف بصورة كلية تقريبا من الفلاحين الذين يمكن أن يظلوا دون قيادة فكرية بروليتارية . ويتوجب علينا ، الى جانب تخصيص أقصى ما يمكن من الاهتمام للحركة النقابية في المدن الاقليمية والمدن الكبيرة الاخرى ، أن نزيد عدد الممثلين العماليين في أجهزة السلطة السياسية . وينبغي كذلك زيادة نسبة العمال والفلاحين الفقراء في أجهزة القيادة الحزبية على مختلف المستويات .

مشكلة صفة الثورة. اننا نؤيد كل التأييد قرارات الاممية الشيوعية المتعلقة بالصين . فمن المؤكد أن الصين في الوقت الراهن لا تبرح في مرحلة الثورة البورجوازية الديمقراطية . وأن برنامجا لثورة ديمقراطية شاملة في الصين

يتضمن ، في السياسة الخارجية ، قلب الاستعمار في سبيل تحقيق التحرر الوطني التام ، وفي السياسة الداخلية تكريس نفوذ طبقة المستوردين الاحتكاريين في المدن ، واستكمال الثورة الزراعية ، والقضاء على العلاقات الاقطاعية في القرى ، وقلب حكومة اسياذ الحرب . وينبغي لنا أن نجتاز مثل هذه الثورة الديمقراطية قبل أن نستطيع وضع أساس حقيقي من أجل الانتقال الى الاشتراكية . وبما أننا قاتلنا في أماكن مختلفة في العام المنصرم ، فإننا نتبين بكل وضوح أن الانتفاضة الثورية في البلاد بمجموعها هي في طريق الخمود . أننا نرى من جهة واحدة أن السلطة الحمراء لا تبرح قائمة في بعض المناطق الصغيرة ، ونرى من جهة ثانية أن الشعب بمجموعه لا يبرح بعد محروما من الحقوق الديمقراطية الأساسية ، فالعمال والفلاحون ، وحتى الديمقراطيون البورجوازيون ، لا يملكون حق الكلام والاجتماع ، والانضمام الى الحزب الشيوعي بشكل أفدح الجرائم . وحيثما ذهب الجيش الأحمر ، فإنه يجد الجماهير باردة متحفظة ، وهي لا تمنحه بعض التأييد إلا بعد الدعاية والتحرير . . . ومهما تكن الوحدات العدو التي تجابهنا ، فلا بد لنا من قتالها بكل قوة ، ويكاد لا يحدث أي تمرد أو انتفاضة في قوى العدو . وينطبق الشيء نفسه حتى على الجيش السادس الذي ضم العدد الأكبر من « المتمردين » بعد حادث ٢١ أيار . أن أحساسا حادا بالعزلة ينتابنا ، ونحن نتوق في كل لحظة الى الانتهاء من هذه العزلة . وأنه إن الضروري في سبيل تحويل الثورة الى مد جياش زاهر يجتاح البلاد بأسرها ، أن نشن نضالا سياسيا واقتصاديا في سبيل الديمقراطية تسهم فيه البوجوازية الصغيرة في المدن أيضا .

ولقد كانت سياستنا حيال البورجوازية الصغيرة سليمة نسبيا قبل شهر شباط من هذا العام . وفي آذار ، جاء ممثل اللجنة الخاصة في جنوبي هونان الى نينغ كانغ ووجه إلينا النقد لما سماه انحرافا نحو اليمين ، ولأننا لم نرتكب ما يكفي من أعمال الحرق والقتل ، ولأننا فشلنا في تنفيذ سياسة « تحويل البورجوازيين الصغار الى بروليتاريين ، ومن ثم حشرهم في

الثورة » ، ولقد بدلت اثر ذلك قيادة لجنة الجبهة ، وحدث تغيير جذري في سياستنا . وفي نيسان ، حين وصل جيشنا كله الى منطقة التخوم ، عمدنا الى المصادرة الصارمة التامة لاملاك التجار المتوسطين في المدن ، وان ثابروا على سياستنا القديمة في عدم ارتكاب الكثير من أعمال الحرق والقتل ، وفرضنا الضرائب على الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنياء في الريف . وكذلك فان شعار اللجنة الخاصة في جنوبي هونان « كل المصانع للعمال » قد نشر على نطاق واسع جدا . وان هذه السياسة فوق اليسارية التي تطعن البورجوازيين الصفار قد ألقت بمعظمهم في معسكر الاشراف العقاريين ، فاذا هذه الفئة من البورجوازية الصغيرة تحمل الرايات البيض وتكافحنا . واذ تبدلت هذه السياسة بصورة تدريجية مؤخرا ، فقد تحسن الوضع كذلك تدريجيا ، وتم الوصول الى نتائج طيبة في سويشوان على الاخص ، اذ ما عاد التجار في المدن الاقليمية وفي الاسواق يجافوننا ، بل أن عددا لا بأس به منهم يتحدثون بالحسنى عن الجيش الاحمر . وفي تسايولين وشانغ لينغ (حيث تقام سوق مرة كل ثلاثة أيام) يأتي حوالي عشرين الف شخص الى هذه السوق ، وهو شيء لم يسبق له مثيل من قبل ، الامر الذي يشكل اثباتا لصحة سياستنا الراهنة . ولقد فرض الاشراف العقاريون ضرائب باهظة على الناس ، فيما فرض حرس المصالحة (١) في سويشوان خمسة مكوس على طول الطريق البالغة سبعين لي من هوانفاو الى تسايولين ، دون استثناء أي منتج زراعي على الإطلاق . ولقد سحقتنا حرس المصالحة والفينا هذه المكوس ، فكسبنا بذلك مساندة سائر الفلاحين والتجار الصفار والمتوسطين على السواء .

وبما ان المركز الحزبي طلب منا أن نعلن برنامجا سياسيا يأخذ بعين الاعتبار أيضا مصالح البورجوازية الصغيرة ، فاننا نقترح من جهتنا أن يضع

(١) هذا النوع من القوة المسلحة المحلية المناهضة للثورة . وليست كلمة «المصالحة» سوى مجرد تعبير لطيف استخدمه المناهضون للثورة لتغطية غايتهم الحقيقية في « القضاء على الشيوعيين » .

المركز الحزبي من أجل الدراسات المحلية برنامجا سياسيا عاما للثورة الديمقراطية يأخذ بعين الاعتبار مصالح العمال ، والثورة الزراعية ، والتحرر الوطني .

ان امتداد العصيانات المسلحة في الصين ، وهي بلد تلعب الزراعة دورا متفوقا في اقتصاده ، هو صفة مميزة للثورة الصينية . واننا نقترح على المركز الحزبي أن يكرس اهتماما كبيرا للقضايا العسكرية .

مشكلة القاعدة العسكرية

ان المنطقة الممتدة من شمالي كوانغ تونغ ، على طول التخوم بين مقاطعتي هونان وكيانغسي الى جنوبي هوييه ، تقع كليا داخل منطقة سلسلة لوسياو الجبلية . ولقد اجتزنا السلسلة بكاملها ، وتبين المقارنة بين مناطقها المختلفة ان المنطقة الوسطى ، ومركزها نينغ كانغ ، هي المنطقة الأنسب لقاعدتنا العسكرية . وليست الارض في القطاع الشمالي ملائمة من أجل الهجوم والدفاع كما هي في القطاع الاوسط ، وفيما عدا ذلك ، فان القطاع الشمالي قريب جدا من مراكز العدو السياسية الكبرى ، بحيث اذا كنا لا ننوي الاستيلاء السريع على شانغشأ أو ووهان ، فانه من الخطر اذن ابقاء قوات كبيرة في منطقة ليويانغ ويليونغ وبينغ سيانغ وتونغكو . وان الارض في القطاع الجنوبي الافضل منها في القطاع الشمالي ، بيد ان القاعدة الجماهيرية ليست في مثل صلاحية القطاع الاوسط - بحيث لا تستطيع سياستنا القيام بتأثير عظيم على هونان وكيانغسي مثل القطاع الاوسط حيث يمكن لأي عمل مفرد أن يمارس تأثيرا سياسيا على الوديان النهرية الواطئة التابعة للمقاطعتين . وأن محسنات القطاع الاوسط هي :

١ - تأييد الجماهير الشعبية التي نعمل معها منذ أكثر من سنة .

٢ - وجود منظمة حزبية قوية نسبيا .

٣ - وجود قوات مسلحة محلية محنكة جيدا في النضال - وهي ائمن انتصار لنا . واذا ما ضمت هذه القوى المحلية ، وقد قضينا أكثر من عام في

خلقها ، الى الجيش الاحمر الرابع فانها تشكل اذن قوة لا يمكن لاي عدو ان يحطمها .

٤' - وجود قاعدة عسكرية ممتازة هي جبال شينغ كانغ فضلا عن قواعد لقواتنا المسلحة المحلية في سائر الاقاليم .

ه' - امكانية ممارسة التأثير على المقاطعتين وحتى على الوديان الواطئة لانهارهما الرئيسية . ان لهذا القطاع ، اذا ما قورن بجنوبي هونان او جنوبي كيانغسي حيث لا يمكن التأثير سوى في مقاطعة واحدة ، او حتى مجرد الوادي النهري العالي وحدود مقاطعة واحدة ، مغزى سياسيا مختلفا تماما . وان عيب القطاع الاوسط هي مصاعبه الاقتصادية الكبرى والمالية منها بالخاصة ، الامر الذي يفسره نضاله الطويل من اجل خلق القاعدة الثورية في هذا الموضع وتوطيدها ، وكذلك مجابهته لقوات العدو الكبرى الخاصة « بالتطويق والافناء » .

اما بخصوص خطة عملنا هنا ، فاللجنة الحزبية في مقاطعة هونان غيرت رأيها ثلاث مرات خلال اسابيع قليلة في حزيران وتموز . فقد جاء يوان تي - شينغ بادئ الامر ووافق على خطة اقامة سلطتنا السياسية في القطاع الاوسط من سلسلة لوسياو الجبلية . ثم جاء توهسيو - شينغ ويانغ كاي - مينغ واقترحا ان يذهب الجيش الاحمر قدما الى جنوبي هونان « دونما ادنى تردد » تاركا قوة تتألف من مائتي رجل فقط للدفاع عن منطقة التخوم مع فصائل الحرس الاحمر . قالوا ان تلك سياسة « صحيحة بصورة مطلقة » . وفي المرة الثالثة ، بعد عشرة ايام فقط ، جاء يوان تي - شينغ مرة اخرى حاملا لنا رسالة تغمرنا بالشنائم وتطلب منا التوجه مع الجيش الاحمر الى شرقي هونان ، وقيل ايضا ان تلك سياسة « صحيحة بصورة مطلقة » ، وطلب منا مجددا ان نعمل « دونما ادنى تردد » . وعندما تلقينا مثل هذه التوجيهات الصارمة ، وجدنا انفسنا حقا في معضلة ، لان عدم تنفيذها يضارع العصيان ، في حين ان تنفيذها يعني الهزيمة . وعندما وصلت

الرسالة الثانية ، عقدت لجنة الجيش واللجنة الخاصة ولجنة يونسفيسن الإقليمية اجتماعا مشتركا اعلن انه من الخطر الذهاب الى جنوبي هونان وقرر عدم تنفيذ مقترحات لجنة المقاطعة .

بيد ان تو هسيو - شينغ ويانغ كاي - مينغ ، وقد اصرا على مقترحات لجنة المقاطعة واستثمرا الحالة الذهنية لجنود الفرقة التاسعة والعشرين الذين كانوا يريدون العودة الى قراهم ، دفعا بعد ذلك بأيام كل الجيش الاحمر للهجوم على مدينة شن الاقليمية وجلبا بذلك الكارثة الى منطقة التخوم والجيش الاحمر على السواء . ولقد فقد الجيش الاحمر حوالي نصف رجاله ، فيما احرق عدد لا يحصى من المنازل وقتل عدد كبير من الناس في منطقة التخوم ، وتساقطت الاقاليم الواحد تلو الآخر ، وبعضها لا يبرح حتى هذه اللحظة في ايدي الاعداء .

اما بخصوص الهجوم على شرقي هونان فمن المؤكد انه ليس في مصلحة القوى الرئيسية للجيش الاحمر ان تقوم به اذا لم يقع الانشقاق داخل نظام الاشراف العقاريين في مقاطعات هونان وهوبيه وكيانغسي . ولو اننا احجمنا عن الهجوم على جنوبي هونان في تموز لاستطعنا ان نتفادى ليس اخفاق آب في منطقة التخوم فحسب ، بل ان نستفيد من فرصة الحرب في شانغشو من مقاطعة كيانغسي بين جيش الكيومنتانغ وقوات وانغ شون كي نسحق قوات العدو في يونسفين ، وان نستولي على كيان وانفو ونرسل طليعتنا الى يينغ سيانغ لتحقيق الاتصال مع الجيش الاحمر الخامس في القطاع الشمالي . بل لقد كان في مقدورنا في تلك الحال ان نحفظ بقيادتنا العامة في نينغ كانغ ونكتفي بارسال بعض قوى الانصار الى شرقي هونان .

وبما ان الحرب لم تنشب في معسكر الاشراف العقاريين ، وكانت قوات عدوة هائلة لما تبرح في يينغ سيانغ وشالينغ ويو على تخوم هونان ، فقد كنا نمنح العدو فرصة ثمينة لو اننا حركنا قوانا الرئيسية في اتجاه الشمال . ولقد طلب منا المركز الحزبي ان ننظر في امر الهجوم على شرقي او جنوبي هونان ، لكن تحقيق هذه الخطة امر خطير جدا عمليا ، وبالرغم من ان اقتراح الهجوم على شرقي هونان لم ينفذ ، فان الهجوم على جنوبي هونان قد انتهى الى كارثة . وانه لجدير بنا ان نتذكر دائما هذه التجربة الاليمة .

ولم يقع حتى الآن أي انقسام ضمن نظام الاشراف الملاكين، كما ان القوى العدو الخاصة « بالافناء » المنتشرة حوالي منطقة التخوم ، لما تبرح تعدد أكثر من عشر فرق . لكننا اذا استطعنا الاستمرار في ايجاد حل لمشكلة النقد (لم يعد الغذاء والكساء مشكلة عويصة بعد الآن) ، فاننا نستطيع بعدئذ ، معتمدين على قواعدنا في منطقة التخوم ، أن نتغلب على هذه القوى ، بل على قوات عدوة أشد بأساً . أما بخصوص منطقة التخوم ، فلن يتعد الجيش الاحمر عنها حتى تحل به كارثة مماثلة لكارثة آب . وعلى الرغم من أن حرسنا الاحمر لن يقضي بأسره ، فان المنظمات الحزبية والجماهيرية سوف تتعرض لدمار وحشي، ومع ان القاعدة العسكرية يمكن ان تصمد في بعض المناطق الجبلية، فاننا سنضطر جميعا ، نحن الذين في السهول ، ان نتقل الى العمل السري كما فعلنا في آب وايلول . واذا لم يتعد الجيش الاحمر ، فاننا نستطيع اذن بقاعدتنا الراهنة ان نتوسع تدريجيا الى سائر المناطق المحيطة ، وستكون مطامحنا براقة جداً في هذه الحال .

وانه لينبغي للجيش الاحمر، في سبيل نموه، ان يشتبك مع العدو في نضال طويل في المنطقة المحيطة بجبال شينغ كانغ ، يعني في الاقاليم الاربعة نينغ كانغ ويونفسين ولينغ وسويشوان ، حيث نملك قاعدة جماهيرية ، مستفيدين من تصادم المصالح بين قوى العدو في هونان وكيانغسي ، ومن حاجة العدو الى تحصين مواقع دفاعه في مختلف الاتجاهات ، وبالنتيجة من عدم قدرته على تركيز قواه . ويتوجب علينا ان نستخدم تعبئة مضبوطة ولا نخوض معارك الا اذا كنا نستطيع كسب الظفر وان نأسر اسلحة العدو ورجاله بحيث ننمي الجيش الاحمر بصورة تدريجية . ولو ان القاعدة الجماهيرية قد دعمت جيداً في منطقة التخوم في الفترة بين نيسان وتموز ، فقد كان ذلك يمكن المفزة الرئيسية من الجيش الاحمر بكل تأكيد ان تتوسع في آب لو انها لم تقم بحملتها على جنوبي هونان . ورغما عن ارتكاب هذه الخطيئة ، فقد عاد الجيش الاحمر الى منطقة التخوم حيث الارض ملائمة والناس اصدقاء ، ولما تبرح مطامحنا غير سيئة . ويتوجب على الجيش الاحمر في مكان مثل منطقة التخوم ان يكون عازماً تماماً على النضال وان يملك القوة من اجل

القتال ، لأنه يستطيع بهذه الطريقة وحدها ان يحسن تسلحه وان يدرّب مقاتلين صالحين .

لقد ظل العلم الاحمر مرفراً طوال سنة كاملة في منطقة التخوم وعلى الرغم من أنه يثير حقد الاشراف المالكين في مقاطعات هونان وهوبيه وكيانغسي، بل في البلاد بأسرها ، فانه يصبح تدريجياً أمل جماهير العمال والفلاحين والجنود في المقاطعات القريبة . وبقدر ما يعلق سادة الحرب أهمية كبرى على «الحملات التأديبية» ضد منطقة التخوم ويصدرون مثل هذه البيانات : «سوف نطارّد الاشقياء طوال سنوات ونخصّص لذلك ملايين الدولارات» (لوتي - بينغ)، أو أن لدى الشيوعيين «جنوداً كثيرين وهم مسلحون جيداً» (وانغ شوان)، فانهم يوجهون إلينا تدريجياً انتباه جنودهم ويشبطون عزيمة ضباطهم ذوي الرتب الصغرى ، وبذلك يوفرون مصدراً آخر لتوسيع الجيش الاحمر ، لأن عدداً متزايداً من هؤلاء الضباط والافراد الذين لا يجدون حلاً لأوضاعهم سوف ينضمون إلينا . وفيما عدا ذلك ، فان قوة العلم الاحمر التي لا تقهر في منطقة التخوم ، لا تدلّ على قوة الحزب الشيوعي فحسب ، بل على افلاس الطبقات السائدة أيضاً ، وان ذلك لذو مغزى عظيم في السياسة القومية . وهذا هو السبب في اننا نادينا وما زلنا ننادي بأن السياسة التي تستهدف بناء السلطة السياسية الحمراء في القطاع الاوسط من سلسلة لوسياو الجبلية وتوسيعها تدريجياً هي سياسة صحيحة كنيّاً وضرورية بصورة مطلقة .

في تصحيح بعض الأفكار الخاطئة في الحزب

(كانون الاول ١٩٢٩)

حرر هذا القرار من أجل الاجتماع التاسع للمنظمة الحزبية للجيش الرابع من الجيش الاحمر في كانون الاول ١٩٢٩ . ولقد سلك بناء القوى المسلحة الشعبية الصينية طريقا صعبا . وكان الجيش الاحمر الصيني (الذي اصبح جيش المسير الثامن والجيش الرابع الجديد أثناء الحرب المناهضة لليابانيين ، وهو الآن جيش التحرير الشعبي) ، المنظم في آب ١٩٢٧ ، زمن انتفاضة نانشانغ ، كان هذا الجيش قد مضى عليه في كانون الاول ١٩٢٩ ما يزيد على السنتين . وكان الحزب الشيوعي في الجيش الاحمر قد تعلم الشيء الكثير في هذه الاثناء . ولقد وضع هذا القرار بناء الجيش الاحمر على أساس ماركسي لينيني تام ، وحذف سائر التأثيرات الخاصة بالجيوش القديمة الطراز . ولم يطبق هذا القرار في الجيش الرابع من الجيش الاحمر فحسب ، بل تبنته ان عاجلا أو آجلا سائر الوحدات الاخرى من الجيش الاحمر . وبهذه الطريقة تحول الجيش الاحمر برمته الى جيش شعبي حقيقي . ولقد حققت القوات المسلحة الشعبية الصينية ، خلال السنوات العشرين الاخيرة ، تطورات وتجديدات عظيمة في فعاليتها الحزبية وعملها السياسي بحيث أضفت عليها مظهرا جديدا كل الجودة ، لكن الاساس في مثل تلك الفعاليات وهذا العمل يظل نفس الاساس المطروح في هذا القرار .

ان في منظمة الحزب الشيوعي في الجيش الرابع من الجيش الاحمر افكاراً مختلفة غير بروليتارية تعوق كثيراً تحقيق خطة الحزب الصحيحة . واذا لم تحذف هذه الافكار بصورة كلية ، فمن المؤكد ان الجيش الرابع من الجيش الاحمر لن يتمكن من تنفيذ المهمات التي يلقيها النضال الثوري العظيم في الصين على عاتقه . وان مصدراً الافكار المختلفة الخاطئة في المنظمات الحزبية في الجيش الرابع يقوم طبعاً في ان قاعدة المنظمة الحزبية تتشكل بصورة واسعة من الفلاحين والعناصر الاخرى التي هي من اصل بورجوازي صغير ، ومع ذلك فان تقاعس أجهزة الحزب القيادية عن شن نضال متين وحازم ضد هذه الافكار الخاطئة وقصورها في تثقيف الاعضاء بوجي خطة الحزب الصحيحة هو كذلك سبب هام في وجود مثل تلك الافكار الخاطئة ونموها . ان هذا الاجتماع ، الملتئم بروح رسالة أيلول التي حررها المركز الحزبي ، كشف اللثام هنا عن تظاهرات افكار مختلفة غير بروليتارية في المنظمة الحزبية في الجيش الرابع ، وأشار الى مصادرها وطرق تصحيحها ، وهو يدعو سائر الرفاق الى النضال من اجل تصفيتها التامة .

في وجهة النظر العسكرية الخالصة .

ان وجهة النظر العسكرية الخالصة منتشرة بصورة غير عادية بين عدد من الرفاق في الجيش الاحمر وهذه هي تظاهراتها :

١ - معارضة العمل العسكري والعمل السياسي ، وعدم الاعتراف بأن العمل العسكري هو مجرد وسيلة من وسائل تحقيق المهمات السياسية . بل المناداة بأنه « اذا سارت الامور على ما يرام عسكرياً ، فمن الطبيعي ان تسير على ما يرام سياسياً . وحين تتعثر عسكرياً ، فلا بد ان تتعثر سياسياً أيضاً » . خطوة أخرى واذا الميدان العسكري يتفوق على الميدان السياسي .

٢ - اعتبار مهمة الجيش الاحمر مماثلة لمهمة الجيش الابيض ، أي القتال فقط ، وجهل الحقيقة التالية ، الا وهي ان الجيش الاحمر منظمة مسلحة تنفذ مهمات الثورة السياسية . ومن المؤكد ، على الاخص في الوقت الراهن ،

ان الجيش الاحمر لا يمكن ان يقتصر على القتال وحده . ان من واجبه أيضا ، فضلا عن القتال من اجل سحق قوة العدو العسكرية ، ان يأخذ على عاتقه مهمات عظيمة الشأن مثل تحريض الجماهير ، وتنظيمها ، وتسليحها ، ومساعدتها على اقامة السلطة السياسية الثورية ، بل على تأسيس منظمات للحزب الشيوعي . ان الجيش الاحمر لا يخوض غمار الحرب لمجرد القتال ، بل هو يستهدف تحريض الجماهير ، وتنظيمها ، وتسليحها ، ومساعدتها على اقامة السلطة السياسية الثورية . ومن دون هذه الاهداف يفقد القتال معناه ، ويفقد الجيش الاحمر مبرر وجوده .

٣ - ويؤدي هذا في ميدان التنظيم الى اخضاع اجهزة العمل السياسي في الجيش الاحمر لأجهزته العسكرية ، والى هذا الشعار : « قيادة الجيش تعامل الناس » . واذا استمر مثل هذا الرأي في التطور ، فقد يؤدي الى الانعزال عن الجماهير ، والى سيطرة الجيش على الحكم ، والى التحول عن القيادة البروليتارية - وبنتيجة هذا الانزلاق نحو تلك النزعة العسكرية - التي اتبعها جيش الكيومنتانغ .

٤ - التفاضل في مجال العمل التحريضي والدعائي عن أهمية فصائل التحريض . والتفاضل في ميدان تنظيم الجماهير عن خلق مجالس الجنود في الجيش والمنظمات الجماهيرية المحلية العمالية والفلاحية ، الأمر الذي يؤدي الى توقف العمل التحريضي والعمل التنظيمي على السواء .

٥ - التكبر بعد الانتصارات والاكثاب بعد الهزائم .

٦ - الانانية الضيقة ، يعني الاقتراب من سائر الاشياء في مصالح الجيش الرابع فقط ، دون الادراك بأن تسليح الجماهير المحلية هو احدى مهمات الجيش الاحمر الهامة . انها الروح التعصبية نفسها ، لكن على صعيد أوسع .

٧ - يعتقد بعض الرفاق القلائل ، المحدودون بالجوار المباشر للجيش الرابع ، أنه لا توجد أية قوى ثورية أخرى غير هذا الجيش . ومن هنا كانت

الفكرة المتأصلة في الجذور ، القائلة بالمحافظة على قواتنا وتجنب الاعمال العسكرية ، تلك البقايا للروح الانتهازية .

٨ - التعامي عن الشروط الذاتية والموضوعية ، والانجراف بالتهور الثوري ، ورفض بذل أية جهود صابرة ، دقيقة ، غير ملحوظة ، بين الجماهير ، بل الرغبة في المآثر الكبيرة فقط ، والامتلاء بالاوهام . وتلك بقايا لروح المفامرة (١) . وان أسباب مثل هذه الروح العسكرية الخالصة هي :

١ - المستوى السياسي . ومن هنا كان عدم ادراك روح القيادة السياسية في الجيش ، وعدم ادراك الفارق الجوهرى بين الجيش الاحمر والجيش الابيض .

٢ - عقلية القوات المرتزقة . ذلك ان الأعداد الكبيرة من الاسرى الذين جندوا في الجيش الاحمر قد جلبوا معهم هذه العقلية المرتزقة المتأصلة فيهم ، وبذلك نشأت في الوحدات الدنيا الظروف الملائمة لقيام الروح العسكرية الخالصة .

٣ - ان سببا ثالثا ينشأ عن السببين الأنفي الذكر ، الا وهو فرط الثقة في القوى العسكرية ونقص الثقة في قوى جماهير الشعب .

٤ - ينبغى للحزب ان يعنى باستمرار بالعمل العسكري ويناقشه بكل انتباه . وينبغى ان ينفذ كل عمل بواسطة الجماهير بعدما تصير مناقشته وتقريره في الحزب .

٥ - وضع قواعد وتنظيمات تحدد بكل وضوح مهمات الجيش الاحمر ،

(١) قامت في الحزب الشيوعي بعد فترة قصيرة من هزيمة الثورة في ١٩٢٧ نزعة « يسارية » الى المفامرة . وكان أنصار هذه النزعة يعتبرون أن للثورة صفة « الثورة الدائمة » وأن الحالة الثورية في الصين هي حالة من « الانتفاضة الدائمة » ، ولذا عارضوا التراجع المنظم ، واذ تبناوا الاساليب القسرية واعتمدوا على عدد ضئيل من أعضاء الحزب وفئة صغيرة من الجماهير ، فقد حاولوا مخطفين أن يثيروا في البلاد كلها سلسلة من الانتفاضات المحلية التي لا أمل لها في النجاح . ولقد كانت الفعاليات ذات نزعة المفامرة واسعة الانتشار في أواخر عام ١٩٢٧ ، لكنها خمدت في أوائل ١٩٢٨ ، وان تكن المواطنين في مصلحة نزعة المفامرة لم تنحل تماما عند بعض الرفاق .

والعلاقة بين أجهزة العمل العسكري وأجهزة العمل السياسي ، والعلاقة بين الجيش الاحمر وجماهير الشعب ، وسلطات مجلس الجنود ووظائفه وعلاقته بالأجهزة العسكرية والسياسية .

في النزعة الديمقراطية المتطرفة .

منذ اتبع الجيش الرابع من الجيش الاحمر توجيهات المركز الحزبي ، تناقصت تظاهرات النزعة الديمقراطية المتطرفة حتى درجة بعيدة . ومثال ذلك ان التطبيق العملي لقرارات الحزب قد اصبح الآن أسهل من ذي قبل ولم تعد الاصوات ترتفع ، كيفما اتفق ، بمقترحات مفلوطة مثل تطبيق « المركزية الديمقراطية من القاعدة الى القمة » في الجيش الاحمر ، او « تناقض المسائل في القاعدة اولاً ، وتتخذ القرارات بعدئذ فقط في القمة » ، الخ . .

وعلى أية حال ، فان هذا الضعف الذي اصاب في الوقت الحاضر النزعة الديمقراطية المتطرفة هو مؤقت وسطحي فقط ، وهو لا يعني بعد القضاء التام عليه . وبكلام آخر ، فان جذور النزعة الديمقراطية المتطرفة لما تبرح عميقة في اذهان رفاق عديدين . والشاهد على ذلك ، مثلاً ، النفور الذي تطبق به القرارات الحزبية .

وهذه هي أساليب التصحيح :

١ - استئصال شأفة النزعة الديمقراطية أيديولوجياً . وينبغي ، قبل كل شيء ، أن نشير الى ان النزعة الديمقراطية المتطرفة تهدد بنسف المنظمات الحزبية حتى درجة الدمار التام ، كما تهدد قدرة الحزب على القتال ، بل تصفيتها تماماً ، الأمر الذي يقعد الحزب عن القيام بمهامه النضالية ، مما يؤدي الى هزيمة الثورة . ومن ثم تنبغي الإشارة الى ان مصدر النزعة الديمقراطية المتطرفة يقوم في طبيعة البورجوازية الصغيرة ، المتساهلة وغير الانضباطية . وان مثل هذه الطبيعة ، وقد شقت طريقها الى الحزب ، تغذي النزعة الديمقراطية المتطرفة أيديولوجياً وتنظيمياً . وان هذه المفاهيم المتنافرة بصورة أساسية مع المهمات النضالية للبروليتاريا .

٢ - يجب ان يطبق ، من وجهة نظر التنظيم ، مبدأ الحياة الديمقراطية بصورة صارمة ، وذلك تحت التوجيه المركزي . وهذه هي وسائل تطبيق هذا المبدأ :

أ - ينبغي لأجهزة الحزب القيادية ان تطبق سياسة صحيحة وتجدر في عملها الحلول المقبولة لأية مشكلة ، وبذلك تصبح مراكز قيادية صحيحة .

ب - ينبغي للأجهزة العليا ان تشكل فكرة واضحة عن ظروف الأجهزة الدنيا وحياة الجماهير الحزبية ، الأمر الذي يخلق الظروف الموضوعية من أجل قيادة صحيحة .

ج - ينبغي للمنظمات الحزبية على سائر المستويات الا تتخذ القرارات دون المناقشة الواجبة . واما يتخذ القرار ، فانه ينبغي تنفيذه بحزم .

د - ينبغي ان تنقل على الفور سائر القرارات الهامة ، المتخذة من قبل الأجهزة الحزبية العليا ، الى الأجهزة الدنيا والى الاعضاء الحزبيين العاديين . وطريقة ذلك ارسال الممثلين الذين يقدمون التقارير الى اجتماعات المناضلين أو الاجتماع العام للاعضاء في الفرع الحزبي ، أو اجتماع الاعضاء الشيوعيين في فصائل الميدان (حيث تسمح الظروف بذلك) .

هـ - ينبغي للأجهزة الحزبية الدنيا وللأعضاء الحزبيين العاديين ان يناقشوا مفصلاً توجيهات الأجهزة العليا كيما يفهموا مغزاها بصورة تامة ويقرروا الطرق الواجبة لتنفيذها .

في وجهة النظر غير التنظيمية .

ان وجهة النظر غير التنظيمية المصادفة في المنظمة الحزبية الخاصة بالجيش الرابع تتظاهر كما يلي :

أ - عدم خضوع الاقلية للاكثرية . ومثال ذلك أن انصار الاقلية ، حين يجدون ان الاقتراع خذل رأيهم ، لا ينفذون باخلاص قرارات المنظمة الحزبية .

وأساليب التصحيح هي :

١ - ينبغي ان تتوفر الامكانية للجميع ، في اي اجتماع ، للمجاهرة بأرائهم بصورة تامة . ويجب ان توضح القضايا المختلف عليها على افضل صورة ، دون ادنى مواطاة او مواربة . واذا لم تتم تسوية المسألة في أحد الاجتماعات ، فإنه يمكن مناقشتها في اجتماع آخر (بشرط الا يتأثر العمل بفعل ذلك)، وذلك بغية الوصول الى نتيجة واضحة كل الوضوح .

٢ - ان احدى قواعد الانضباط الحزبي خضوع الاقلية للاكثرية، ويتوجب على الاقلية، بعدما يرفض اقتراحها، ان تدعم القرار المتخذ من قبل الاكثرية. واذا كان ثمة ضرورة ، فالأقلية تستطيع ان تناقش القضية مجدداً في اجتماع تال، لكنه يتوجب عليها الا تبدي اية معارضة في نشاطها .

ب - النقد غير المخرب .

١ - يشكل النقد الحزبي سلاحاً لتقوية المنظمات الحزبية ولمضاعفة قدرتها النضالية . ومهما يكن من أمر ، فان النقد في المنظمة الحزبية في الجيش الاحمر لا يتحلى احياناً بهذه الصفة ، بل هو يتحول الى هجمات شخصية . ونتيجة لذلك ، فهو لايسئ الى الافراد فحسب ، بل الى المنظمات الحزبية . وتلك تظاهرة للروح الفردية البورجوازية الصغيرة . ووسيلة التصحيح هي ان نوضح للاعضاء الحزبيين ان النقد يستهدف زيادة قدرة الحزب النضالية في سبيل تحقيق النصر في النضالات الطبقية ، وأنه ينبغي عدم استخدامه قط كوسيلة للتهجم الشخصي .

٢ - ان اعضاء حزبيين عديدين يقومون بانتقاداتهم ليس داخل الحزب بل خارجه . والسبب في ذلك على العموم ان الاعضاء لم يدركوا بعد أهمية المنظمة الحزبية (اجتماعاتها، الخ .)، فهم لا يجدون فرقاً بين النقد داخل المنظمة والنقد خارجها . ووسيلة التصحيح هي تثقيف الاعضاء الحزبيين بحيث يفهمون الدور الهام للمنظمة الحزبية ويدركون ان النقد يجب ان يوجه عند الضرورة للجان الحزبية او للرفاق في اجتماعات الحزب .

في نزعة المساواة المطلقة .

لقد تطورت اتجاهات التسوية في الحزب ذات مرة حتى درجة خطيرة جداً . ومثال ذلك الاعتراض على منح علاوات مختلفة للجنود والجرحى وفقاً لخطورة الجرح ، بل المناذاة بالعلاوات المتساوية ، وانكار ضرورة ركوب الضباط الخيل أثناء قيامهم بواجباتهم ، بل اعتبار ركوب الخيل تفاوتاً بيناً ، والمطالبة بتوزيع المُن بصورة متساوية صارمة والاعتراض على منح حصص أكبر في حالات خاصة ، والمطالبة بالمساواة في تكليف سائر الاشخاص على السواء بحمل الارز ، دون أي اعتبار للسن او الحالة الحكمية ، والمطالبة بمساحة متساوية عند توزيع تذاكر الايواء ، بل مهاجمة القيادة لأنها تشغل منزلاً اوسع ، والمطالبة بالمساواة في القيام بالأعمال المتعبة ورفض القيام بأي عمل اضافي ، بل قد يحدث عند وجود جريحين وعدم توفر سوى نقالة واحدة ، ان يفضل عدم نقل اي واحد منهما بالأحرى من استئثار احدهما بها . وهذا كله يثبت ان نزعة المساواة المطلقة بين ضباط الجيش الاحمر وافراده لما تبرح خطيرة .

وان نزعة المساواة المطلقة ، مثلها مثل النزعة الديمقراطية المتطرفة ، يمكن تتبعها حتى مصادرها في اقتصاد الحرفيين وصغار الفلاحين المزارعين . وان الفارق الوحيد بينهما هو تظاهر النزعة الواحدة في الحياة السياسية فيما تظاهر النزعة الثانية في الحياة المادية .

اسلوب التصحيح . تنبغي الإشارة بوضوح الى ان نزعة المساواة المطلقة ليست سوى مجرد وهم خاص بالفلاحين والملاكين الصغار ، وان هذه النزعة مستحيلة ليس في المرحلة السابقة للقضاء على الرأسمالية فحسب ، بل في ظل الاشتراكية ايضاً ، حين يصار الى توزيع الاشياء المادية وفقاً للمبدأ : « من كل حسب قدرته ، ولكل حسب عمله » ، وبصورة متفقة مع ضرورات العمل . ان توزيع الخيرات المادية بين العاملين في الجيش الاحمر ينبغي ان يكون على العموم متساوياً (مثال ذلك مُن الضباط والجنود) ، لان ظروف

النضال الراهنة تتطلب ذلك . بيد أن المساواة المطلقة غير المنطقية يجب مناهضتها ، لانه لا حاجة اليها في نضالنا ، بل هي على العكس تعوق هذا النضال .

في الذاتية .

تصادف النزعة الذاتية عند بعض الاعضاء الحزبيين بصورة خطيرة ، وهي تعوقهم عن التحليل الدقيق للاوضاع السياسية وعن توجيه العمل . ان التقدير الذاتي للوضع السياسي والتوجيه الذاتي للعمل يؤديان بصورة محتومة الى الانتهازية او الى روح المغامرة .

اما بخصوص النقد الذاتي داخل الحزب ، فان الثثرة الفارغة والشك المتبادل كثيراً ما يحركان خصومات غير مبدئية ويؤديان الى انهيار المنظمات الحزبية .

وتنبغي الاشارة الى نقطة ثانية بخصوص مسألة النقد الحزبي الداخلي ، الا وهي أن بعض الرفاق لا يعنون في تقديم بالنتائج الكبرى ، بل بالنتائج الصغرى التافهة فقط . وهم لا يفهمون أن غاية النقد الرئيسية هي ابراز الاخطاء السياسية والتنظيمية . اما فيما يتعلق بالعيوب الشخصية ، فالمرء لا يحتاج ، اذا لم تكن هذه العيوب شديدة الصلة بالاخطاء السياسية والتنظيمية ، أن يكون متشدداً في نقدها حتى لا ينسف ثقة الرفاق ذوي العلاقة في نشاطهم . وفيما عدا ذلك فانه اذا ما سمح لمثل ذلك، النقد بالنمو والتطور ، فقد يتركز اهتمام الحزب كله على الاشياء التافهة وحدها ، وعندئذ يمكن ان يصبح الرفاق جماعة من المتحدلقين الذين يضيعون في الشؤون التافهة وينسون مهمات الحزب السياسية ، وهو امر فائق الخطورة .

اسلوب تصحيح هذه النقائص .

في المحل الاول تثقيف اعضاء الحزب بحيث نرفع تفكيرهم وحياتهم الحزبية الى مستوى سياسي وعملي . ويتوجب علينا في سبيل تحقيق هذه الغاية :

١ - أن نثقف أعضاء الحزب بحيث يتعلمون كيف يطبقون الطريقة الماركسية اللينينية في تحليل وضع سياسي ما وتقدير القوى الطبقية المتصارعة وكيف يعرضون عن التحليل والتقدير الذاتيين .

٢ - أن نوجه انتباه أعضاء الحزب الى ضرورة استقصاء الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يجب الاعتماد عليها من اجل تعبئة النضال واساليب العمل ، ونفهم الرفاق انهم لا بد واقعون ، من دون بحث الظروف القائمة ، في هاوية التخيلات العقيمة والمغامرات المسيئة .

٣ - أن نحترس في النقد الحزبي الداخلي من الاحكام الذاتية التي لا اساس لها ، وضد كل ابتذال للنقد . ان التقارير يجب ان تبنى على الوقائع والنقد يجب ان يتركز حول القضايا السياسية .

في الفردية .

ان الاتجاه الفردي في المنظمات الحزبية للجيش الاحمر يتخذ التظاهرات التالية :

١ - الروح الانتقامية للنقد داخل احدى المنظمات الحزبية . ان عضوا حزبيا تعرض من قبل احد رفاقه في الجيش يسمى للثأر منه خارج الحزب - وان اللكمات والشتائم هي امثلة على هذا الأخذ بالثأر . ويسعى الى الانتقام حتى داخل الحزب : « لقد انتقدتني في هذا الاجتماع ، فانا سوف اثار منك بانتقادي في الاجتماع المقبل » . وتنشأ هذه الروح الانتقامية عن وضع الاعتبار الشخصية فوق مصالح الطبقة والحزب ككل واحد ... وليس هدفها العدو الطبقي ، بل الرفاق الذين يناضلون في صفوفنا نفسها . وانها لتنخر المنظمة مثل السم وتضعف قدرتها القتالية .

٢ - العصبية . لا يعنى المرء سوى بمصالح فريقه الصغير الخاص ويتجاهل المصالح العامة - وان هذه العصبية ، على الرغم من عدم علاقتها ظاهريا بالمصالح الشخصية ، تتضمن في واقع الامر فردية من نوع ضيق جدا ، وهي كذلك ذات فعل ناخر ومخرب حتى الدرجة القصوى . ولقد سادت

العصبية في الجيش الاحمر في فترة ما ، وعلى الرغم من كبح جماحها نتيجة للنقد ، فلما تبرح بقاياها موجودة ، ولما تزل الحاجة تمس الى جهد اضافي للتغلب عليها .

٣ - الروح المرتزقة . لا يفهم بعض الناس أن الحزب والجيش الاحمر اداتان ضروريتان من أجل تحقيق المهمات الثورية ، وأن كلا منهما يمثل عنصرا في هاتين القوتين الجماعيتين . انهم لا يفهمون انهم مدعوون هم أنفسهم الى تحقيق هذه الثورة ، وانهم مسؤولون حيالها ، وليس حيال رؤسائهم وحدهم كما يتوهمون . وان مثل هذا الموقف السلبي ، مثل هذه الروح المرتزقة حيال الثورة ، هما تظاهرتان للفردية أيضا . وتفسر مثل هذه الروح بافتقارنا الى العدد الكافي من المناضلين النشيطين ، الذين يكرسون انفسهم للثورة دونما تحفظ . واذا لم تصف الروح المرتزقة فان عدد مثل هؤلاء المناضلين لا يمكن أن يزيد ، وععب الثورة الثقيل سوف يظل واقعا على كاهل القلائل ، الامر الذي يسيء كثيرا الى نضالنا .

٤ - عبادة اللذة . كثيرون هم الذين في الجيش الاحمر تتظاهر فرديتهم في البحث عن المسرات . وانهم ليأملون بصورة مستمرة أن تمشي قواتنا على المدن الكبرى ، وليس العمل هدفهم بل الاستمتاع . وان أكثر ما يبغضونه هو العمل في المناطق الحمراء حيث الحياة شاقة .

٥ - الانفعالية والتواني . يتحول البعض الى السلبية ويرفضون العمل كلما سارت الامور في غير مجرى ربحهم . وأن السبب الرئيسي لذلك هو نقص الثقافة ، وأن يكن مسببا في الاحايين عن اساليب القيادة الخاطئة في تصريف الامور ، أو توزيع العمل ، أو فرض الانضباط .

٦ - الرغبة في مفادرة الجيش . ان عدد المناضلين الذين يطلبون نقلهم من العمل في الجيش الاحمر الى العمل المحلي لفي تزايد مستمر . وليس مصدر ذلك أسبابا شخصية فحسب ، بل الاسباب التالية أيضا :

١ - المشاق المادية للحياة في الجيش الاحمر .

٢ - شعور الاعياء بعد نضال طويل .

٣ - اساليب القيادة الخاطئة في تصريف الامور ، او توزيع العمل ، او فرض الانضباط .

اساليب تصحيح هذه النقائص . تقوية العمل الثقيفي اولا بغية التغلب على الفردية ايدولوجياً ، ومن ثم تصريف الامور وتوزيع العمل وفرض الانضباط بصورة مضبوطة . وفيما عدا ذلك ، اتخاذ التدابير لتحسين الحياة المادية في الجيش الاحمر واستخدام كل فرصة سانحة من أجل الراحة واعادة التنظيم بغية تحسين الظروف المادية . ويتوجب علينا أن نبين بوضوح عند قيامنا بالعمل الثقيفي ان الفردية في جذورها الاجتماعية هي انعكاس في الحزب للايدولوجيات البورجوازية الصغيرة .

في ذهنية « الخارجين على القانون » .

لقد نشأت ذهنية «الخارجين على القانون» في الجيش الاحمر على الصعيد السياسي لان العناصر المتشردة تشكل نسبة كبيرة جدا منه ، ولان في البلاد أعداداً هائلة من المتشردين ، وعلى الاخص في المقاطعات الجنوبية . وتظهر هذه الذهنية كما يلي :

١ - الاتجاه الى توسيع تأثيرنا السياسي ليس بالسعي الحثيث لايجاد قواعد ثورية واقامة السلطة السياسية لجماهير الشعب ، بل عن طريق تطبيق اساليب حرب الانصار فقط .

٢ - الاتجاه الى توسيع الجيش الاحمر ليس بزيادة الفصائل المحلية للحرس الاحمر اولا ، والوحدات المحلية للجيش الاحمر ثانياً ، والقوى الرئيسية للجيش الاحمر اخيراً ، بل بتطبيق خطة « استئجار الرجال وابتياح الجياد » ، و « تجنيد الفارين وتطويع العصاة » (١) .

٣ - النفور من القيام بنضالات قاسية الى جانب الجماهير ، والاتجاه الى بلوغ المدن الكبرى بأسرع وقت ممكن من أجل الانغماس في المملات . وان

(١) عبارات صينية مألوفة تصف فعاليات زعماء عصابات التمرد او الاشقياء .

سائر مثل هذه التظاهرات لذهنية « الخارجين على القانون » تعوق جدياً الجيش الاحمر في تنفيذ مهماته الخاصة، وهكذا فان القضاء على هذه الذهنية هو في الحقيقة أحد الاهداف الهامة للنضال الايديولوجي لمنظمة الحزب في الجيش الاحمر . وينبغي ان يعترف بأن مثل هذه الذهنية التي تضارع العقلية التي كانت سائدة أيام هوانغ شاو (١) . أولي شوانغ (٢) لم تعد أمراً مقبولا البتة في ظروف اليوم الحاضر .

(١) زعيم الثورة الفلاحية في نهاية حكم عائلة تانغ . ففي عام ٨٥٧ ، قاد هوانغ ، بعدما خرج من مسقط رأسه تساو شوو (وهي اليوم اقليم هوتسيه في شانتونغ) ، الفلاحين المسلحين في معارك ظافرة ضد القوى الامبراطورية . وعندما اجتاح ، في سياق عشر سنوات ، معظم المقاطعات في وديان الانهار الاصفر وبانغتسي ، وهاواي واللاي ، واصلا حتى كوانغسي ، اندفع أخيرا عبر ممر يونغ ، واستولى على العاصمة الامبراطورية شانغان وهي الآن مدينة سيان في شنسي ، وتوج امبراطورا للصين . وان الخلافات الداخلية وما كانت تقوم به قوات القبائل غير الصينية من حلفاء قوى تانغ من هجمات قد أجبرت هوانغ على مغادرة شانغان والتراجع الى اقليمه الاصلي تساو شوو حيث انتحر . ولقد كانت حملاته خلال عشر سنوات من أشهر حروب الفلاحين في التاريخ الصيني . ويشير المؤرخون الصينيون الرسميون الى ان « الناس المتألمين من الضرائب الثقيلة والجبايات قد انضموا جميعا اليه » . لكنه لما كان قد قام بحروب متحركة فقطدون ان يقيم مناطق قاعدية رليدية نسبياً فان حركته توصف « بالخروج على القانون ».

(٢) شوانغ ، ومعناها « الجريء على كل شيء » ، هو لقب لي تسو - شنغ ، من أهالي ميشيه من شمالي شنسي ، الذي كان قائدا لمصيان فلاحي أدى الى قلب حكم عائلة مينغ . وقام المصيان بادء الامر في شمالي شنسي ، عام ١٦٢٨ ، فانضم لي الى القوات التي يقودها كاوينغ - هسيانغ وحارب عبر هونان وأنهوي ثم رجع الى شنسي . وبعد وفاة كاو عام ١٦٣٦ ، خلفه لي في لقبه الملك شوانغ ، وقام بحملاته داخل وخارج مقاطعات شنسي وشيسوان وهونان وهوبيه . وفي الختام استولى على العاصمة الامبراطورية بكين عام ١٦٤٤ ، وبنتيجة ذلك انتحر آخر امبراطور من عائلة مينغ . وكان الشعار الرئيسي الذي نشره بين الجماهير هو : « ادعوا الملك شوانغ ولا تدفعوا أية ضرائب على الحبوب » . وكان شعار آخر له لغرض الانضباط

أساليب القضاء على هذه الروح .

١ - تشديد الثقافة ، وتقد المفاهيم الخاطئة ، وتصفية ذهنية « الخارجين على القانون » .

٢ - تشديد التثقيف ضد الميول الى التشرد بين الوحدات القاعدية من الجيش الاحمر والجنود المأسورين حديثا .

٣ - السعي لاجتذاب العمال والفلاحين النشيطين المجريين في النضال الى صفوف الجيش الاحمر ، وذلك بغية تبديل تركيب الجيش الاحمر .

٤ - خلق وحدات جديدة من الجيش الاحمر من بين جماهير العمال والفلاحين الذين هم في قلب النضال .

في بقايا نزعة المفامرة .

لقد قامت المنظمة الحزبية في الجيش الاحمر من قبل بنضالات ضد روح المفامرة ، لكن بصورة ناقصة . ولهذا السبب لا تبرح توجد في الجيش الاحمر بعض بقايا هذه الروح ، وهي تتظاهر كما يلي :

١ - العمل بصورة عمياء دون اعتبار الشروط الذاتية والموضوعية .

٢ - تطبيق سياستنا في المدن بصورة غير ملائمة وغير حازمة .

٣ - التراخي في الانضباط العسكري ، وعلى الاخص اثر الهزائم .

٤ - احراق المنازل الذي تمارسه بعض الوحدات بعد .

على رجاله هو : « أية جريمة تعني قتل والدي ، وأي اغتصاب يعني اغتصاب أمي » . وهكذا كسب الجماهير وامسحت حركته التيار الرئيسي لمصائب الفلاحين التي تكنسح البلاد كلها . وبما انه طاف دون أن يقيم أية مناطق قاعدية وطيدة نسبيا ، فقد هزم بعد احتلاله لبكين بوقت قصير من قبل ووسان - كوي وهو جنرال من حكومة مينغ سمح للغزاة المانشو بدخول الصين ليشد من أزر قواته التي تهاجم لي .

هـ - تنفيذ حكم الاعدام رمياً بالرصاص بالفارين وتطبيق العقوبات الجسدية - وهذه من بقايا روح المفامرة . ويجب أن نفتش عن الجذور الاجتماعية لروح المفامرة في تداخل ايدولوجية البروليتارية الرثة والايديولوجية البورجوازية الصغيرة .

أساليب القضاء على هذه البقايا أيضاً .

١ - تصفية روح المفامرة بواسطة النضال الايديولوجي .

٢ - تصحيح العمل المحفوف بالمفامرة ، وذلك بوضع قواعد وتنظيمات صالحة وتطبيق سياسات صحيحة .



زبّ شرارة أشعلت ناراً هائلة

(٥ كانون الثاني ١٩٣٠)

هذه رسالة كتبت في كانون الثاني ١٩٣٠ الى أحد الرفاق في نقد
نظرة متشائمة كانت موجودة في الحزب يومذاك .

ان في حزبنا رفاقاً يعوزهم بعد الفهم الصحيح بخصوص تقدير الوضع
الراهن وأفعالنا الناتجة عنه . وعلى الرغم من قناعتهم بأن انتفاضة ثورية
لا بد قائمة ، فانهم لا يؤمنون بإمكان قيامها آجلاً . وهكذا فانهم يعارضون
خطة الاستيلاء على كيانفسي ويؤيدون تلك النشاطات التي من نوع حرب
الانصار فقط في مناطق التخوم الثلاثة بين فوكين وكوانتونغ وكيانفسي . ولما
كانوا يفتقرون الى أي مفهوم عميق عن اقامة السلطة السياسية الحمراء في
مناطق حرب الانصار ، فانهم يفتقرون الى أي مفهوم عميق بخصوص
التعجيل بالانتفاضة الثورية على صعيد قومي بتوطيد مثل هذه السلطة
الحمراء وتوسيعها .

ويبدو انهم يعتقدون أنه ما دامت الانتفاضة الثورية بعيدة بعد ، فانه
من العبث محاولة بناء سلطتنا السياسية بالعمل الشاق . وانهم ليريدون

بدلاً من ذلك أن ينشروا نفوذنا السياسي بطريقة حرب الانصار المتحركة الخالية من العوائق ، فاذا ما تم كسب الجماهير في طول البلاد وعرضها ، أو تم كسبها حتى درجة بعيدة ، عمدنا الى شن انتفاضة مسلحة تنقلب ، اذا ما زجت قوات الجيش الاحمر فيها ، الى ثورة عظيمة على الصعيد القومي .

ان نظريتهم القائلة بوجود كسب الجماهير اولاً على الصعيد القومي وفي جميع المناطق ، ومن بعد اقامة السلطة السياسية ، لا تتفق مع الحالة الراهنة للثورة الصينية . وان المصدر الرئيسي لهذه النظرية هو القصور عن ادراك هذه الحقيقة ، ألا وهي أن الصين نصف مستعمرة تتنافس عليها عدة دول استعمارية . واذا ما ادرك المرء هذا بكل وضوح ، فإنه يستطيع إذن ان يفهم أولاً لماذا عرفت الصين وحدها ، من دون سائر بلدان العالم ، هذه الظاهرة غير العادية ، أعني الصراع الطويل الأمد الذي يمزق معسكر الطبقات الحاكمة ، هذا الصراع الذي يشكل بحد ذاته ظاهرة نسيج وحدها لاتصادف في أي مكان آخر غير الصين، ولماذا يشتد هذا الصراع وينتشر يوماً بعد يوم ، ولماذا لا يمكن ولن يمكن ان تقوم أية سلطة سياسية موحدة في الصين . ويستطيع المرء ان يفهم ثانياً مبلغ أهمية القضية الفلاحية ، وبنتيجة ذلك لماذا تتطور الانتفاضات الريفية أكثر فأكثر حتى شملت البلاد كلها في الوقت الراهن . ويستطيع المرء ان يفهم ثالثاً صحة الشعار الخاص بالسلطة السياسية الديمقراطية للعمال والفلاحين . ويستطيع المرء ان يفهم رابعاً هذه الظاهرة الأخرى غير العادية ، المرتبطة على أية حال بذلك الصراع الطويل الأمد في معسكر الطبقات الحاكمة، ألا وهو وجود الجيش الاحمر وقوات الانصار ونموها، وفضلاً عن ذلك وجود مناطق حمراء صغيرة تنمو في قلب حصار السلطة السياسية البيضاء (ان مثل هذه الظاهرة غير العادية لا توجد في أي مكان غير الصين) . ويستطيع المرء ان يفهم كذلك ، خامساً ، أن تشكل ونمو الجيش الاحمر ، وفصائل الانصار ، والمناطق الحمراء ، يمثلان الشكل الأعلى لنضال الفلاحين تحت قيادة البروليتاريا في الصين نصف المستعمرة، والنتيجة

الحتمية لتطور النضال الفلاحي في بلد نصف مستعمر، وهما من دون شك أهم العوامل في تعجيل قيام الانتفاضة الثورية في سائر أرجاء البلاد . ويستطيع المرء ان يفهم كذلك ، سادساً ، أن سياسة هجمات الأنصار وحدها لا يمكن ان تنجز مهمة تعجيل الانتفاضة الثورية على الصعيد القومي ، في حين ان السياسة التي تبناها تشوتيه وماوتسي - تونغ وفانغ شيه - منغ (١) صحيحة دونما ريب . وتعمل هذه السياسة على اقامة القواعد الثورية ، وبناء السلطة السياسية تبعاً لخطة منهجية ، وتعميق الثورة الزراعية ، وتوسيع القوى المسلحة الشعبية عن طريق خلق فصائل الحرس الاحمر على صعيد الناحية أولاً ، ثم على صعيد القضاء ، ومن بعد على صعيد الاقليم ، وبعدئذ خلق القوى المحلية للجيش الاحمر ، وأخيراً الجيش الاحمر النظامي ، وتوسيع السلطة السياسية بالتقدم على طريقة الامواج المتتالية ، الخ، الخ . وبهذه الطريقة وحدها نستطيع ان نكسب ثقة الجماهير الثورية في سائر أرجاء البلاد ، وهي الثقة التي يتمتع بها الاتحاد السوفيتي في سائر أرجاء العالم . وبهذه الطريقة وحدها نستطيع ان نخلق مصاعب هائلة في وجه الطبقات الرجعية الحاكمة، ونزرع الارض تحت اقدامها ، ونعجل في تفسخها الداخلي . وبهذه الطريقة وحدها أيضاً نستطيع ان نخلق بالفعل جيشاً احمر يكون سلاحنا الرئيسي في الثورة العظيمة القادمة . وباختصار فتلك هي الطريقة الوحيدة التي تمكننا من التعجيل في تفجير الانتفاضة الثورية .

وان الرفاق الذين يعانون من الاندفاع الثوري يخطئون اذ يبالغون في تقدير القوى الذاتية للثورة (٢) ويقللون من قيمة قوى الثورة المضادة . وان

(١) كان الرفيق فانغ شيه - مين ، وهو من مواليد ييانغ في كيانغسي ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المنتخبة في المؤتمر الوطني السادس للحزب ، ومؤسس المنطقة الحمراء في شمالي كيانغسي والجيش الاحمر العاشر . وفي ١٩٣٤ ، قاد المسير نحو الشمال لوحدة الجيش الاحمر المناهضة للتقدم الياباني . ولقد وقع في اسار الرجعيين الكيومنتانغيين في كانون الثاني ١٩٣٥ ، ومات موت الشهادة بعد ستة شهور في نانسانغ في كيانغسي .

(٢) يقصد ماوتسي - تونغ بقوى الثورة الذاتية هنا قواها المنظمة .

مثل هذا التقدير ينشأ في الغالب عن النزعة الذاتية . ومما لاربب فيه أنه سيؤدي في النهاية الى طريق المغامرة . وبالمقابل ، اذا كان المرء يقلل من قيمة قوى الثورة الذاتية ويبالغ في تقدير قوى الثورة المضادة ، فسوف يكون ذلك تقديراً خاطئاً أيضاً ، يؤدي بصورة محتومة الى نوع آخر من النتائج السيئة . ولذا كان من الضروري بمكان حين نستعرض الحالة السياسية في الصين ان نأخذ بعين الاعتبار الخصائص الأساسية التالية :

١ - اذا كانت قوى الثورة الذاتية في الصين لما تبرح ضعيفة في الوقت الحاضر ، فتلك هي أيضا حال سائر أجهزة السلطة (الحكومة والقوى المسلحة والاحزاب، الخ) الخاصة بالطبقات الرجعية الحاكمة، بمواطء أقدامها على بنية الصين الاجتماعية والاقتصادية المتأخرة الهشة . وهذا ما يفسر السبب في عدم امكان انفجار الثورة في الوقت الحاضر في بلدان اوروبا الغربية حيث قوى الطبقات الرجعية الحاكمة ، على الرغم من أن قوى الثورة الذاتية قد تكون أقوى منها في الصين ، هي أقوى عدة مرات من قوى تلك الطبقات في بلادنا . وعلى الرغم من أن قوى الثورة الذاتية في الصين في الوقت الحاضر هي جد ضعيفة ، فاننا اذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن قوى الثورة المضادة هي ضعيفة أيضاً ، تبين لنا ان الانتفاضة الثورية ستبدأ بكل تأكيد في الصين أسرع منها في غربي أوروبا .

٢ - منذ هزيمة الثورة عام ١٩٢٧ ، وهنت قوى الثورة الذاتية بصورة ملموسة حقاً . وان القوى الباقية لضئيلة جداً ، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار بعض التظاهرات الخارجية وحدها ، وهذا ما يثير بصورة طبيعية شعور التشاؤم عند بعض الرفاق (الذين يحكمون على الاشياء بظواهرها) . بيد ان الامر يختلف كل الاختلاف اذا ما تعمقنا في الامور . وان المثل الصيني القديم : « رب شرارة أشعلت ناراً هائلة » ، لينطبق هنا بكل معنى الكلمة . ومعنى ذلك ان هذه القوة ، رغم ضآلتها في الوقت الراهن ، سوف تنمو سراعاً . وليس تطورها ، في اوضاع الصين الراهنة ، مجرد امكانية فحسب ،

بل هو ضرورة محتومة ايضا ، وهذا ما أثبتته تماماً حركة ٣٠ أيار لعام ١٩٢٥ والحركة الثورية الكبرى التي أعقبتها . وعندما تدرس قضية ما فانه يتوجب علينا ان ننفحص جوهرها ولا نعتبر تظاهراتها الخارجية الا معالم الطريق التي تقود الى عتبة جوهرها . واذا ما اجتزنا العتبة مرة ، فلا بد لنا أن ندرك الجوهر – وتلك هي الطريقة الوحيدة المول عليها والعلمية في تحليل الظواهر .

٣ – وينطبق هذا المبدأ ايضاً على القوى المناهضة للثورة ، فيجب ان لانتوقف عند تظاهراتها الخارجية بل ندرسها في جوهرها . وحين كنا في المرحلة الاولى من اقامة قاعدتنا الثورية في منطقة تخوم هونان – كيانغسي ، كان بعض الرفاق يؤمنون جدياً بالتقدير الخاطئ الذي وضعته اللجنة الحزبية في مقاطعة هونان في ذلك الحين ، فيعتبرون ان عدونا الطبقي لن يتحمل نفخة واحدة . وان المرء يبتسم حين يتذكر هاتين الصيغتين « الانهيار المحتم » و « الذعر المطلق » اللتين لم تكن لجنة هونان الحزبية تبخل بهما في ذلك الحين (ايار – حتى حزيران ١٩٢٨) في تقديرها قوى لي تي – بينغ (١) حاكم هونان . وان مثل هذه التقديرات ، في السياسة ، تؤدي الى روح المغامرة . لكن بعض الرفاق ، اثناء الاشهر الاربعة من تشرين الثاني ١٩٢٨ حتى شباط ١٩٢٩ (قبل نشوب الحرب بين شيانغ كاي – شيك وسادة حرب كيانغسي (٢)) ، عندما شددت « الحملة التأديبية المشتركة » (٣) العدو ضفطها على جبال

(١) أحد سادة الحرب الكيومنتانغيين : ولقد كان الحاكم الكيومنتانغي لهونان عام ١٩٢٨ .

(٢) اشارة الى الحرب التي نشبت في آذار – نيسان عام ١٩٢٩ بين شيانغ كاي – شيك ، سيد الحرب الكيومنتانغي في نانكنغ ، ولي تسونغ – هين وباي شونغ – هي ، سيدي الحرب الكيومنتانغيين في كوانغسي .

(٣) اشارة الى المناسبة الثالثة التي قام فيها سادة الحرب الكيومنتانغيون في هونان وكيانغسي باجتياح المنطقة القاعدية للجيش الاحمر في جبال شينغ كانغ . ولقد وقع هذا الغزو في اواخر عام ١٩٢٨ وأوائل عام ١٩٢٩ .

شينغ كانغ ، قد طرحوا السؤال التالي : « كم يمكن للعلم الاحمر ان يرفرف بعد ؟ » وكان الصراع بين بريطانيا والولايات المتحدة واليابان في الصين قد أصبح في الواقع علنياً تماماً في ذلك الحين ، وكانت الحالة تتبلور على صورة قتال بين شيانغ كاي - شيك وفنغ يو - هسيانغ وعصابة كيانغسي ، كنا نشاهد في الحقيقة بدء انحسار الثورة المضادة ومدأ ثورياً جديداً . لكن هذه الروح المتشائمة لم تكن تصادف خلال تلك الفترة في الجيش الاحمر والمنظمات المحلية فحسب ، بل لقد اضطرب المركز الحزبي أيضاً بصورة تزيد او تنقص من جراء مظهر الاحداث الخارجي وأصبح متشائماً في لهجته . ولناخذ برهاناً على ذلك رسالة شباط الصادرة عن المركز الحزبي حيث ينعكس تقدير متشائم للاحداث الجارية في ذلك الحين .

٤ - ان الحالة الموضوعية الراهنة يمكن بعد ان تبعث القلق بسهولة في اولئك الرفاق الذين لا يلاحظون سوى مظهر الظروف الخارجي من دون ان يسبروا اغوارها . وينطبق هذا الامر على اولئك الذين يشتغلون في الجيش الاحمر ، وعلى الاخص عندما يهزمون في المعارك ، أو يحاصروهم عدو أشد بأساً منهم ويطاردتهم ، فاذا هم يعممون بصورة غير ارادية على الأغلب الظروف المؤقتة والخاصة والمحلية ويبالفون في تقدير أهميتها . فكأن الاوضاع في الصين كلها ، بل في العالم أجمع ، سوداء مظلمة لا تبشر بي خير ، وكأن الأمل في انتصار الثورة قد تقهقر واختفى في الضباب البعيد . انهم يتعلقون بالمظهر ويهملون الجوهر لأنهم لم يقوموا بتحليل علمي للحالة العامة بسبر أغوارها كلياً . واذا سئلنا ما اذا كانت الانتفاضة الثورية ستقوم آجلاً في الصين ، فاننا لا نستطيع ان نعطي جواباً محدداً سوى بعد دراسة دقيقة لما اذا كانت التناقضات المؤدية الى الانتفاضة الثورية هي في طريق التطور فعلاً . وما دامت التناقضات تتطور على نطاق أممي بين البلدان الاستعمارية ، وبين البلدان الاستعمارية ومستعمراتها ، وبين الاستعماريين والبروليتاريا في بلدانهم ، فان الاستعماريين يزدادون احساساً بالحاجة الماسة

الى التنافس من اجل السيطرة على الصين . ولما كان التنافس على الصين يحثد فان التناقض بين القوى الاستعمارية والامة الصينية بأسرها والتناقض بين الاستعماريين انفسهم يتطوران على حد سواء بصورة متواقة في الصين ، بحيث ينتج عن ذلك نزاع يتمادى ويشتد يوماً بين العصابات المختلفة للحكام الرجعيين في الصين ، الامر الذي يؤدي الى امتداد جديد للتناقضات بين مختلف هذه العصابات . وان هذا الامتداد للتناقضات القائمة بين العصابات المختلفة للحكام الرجعيين ، هذه التناقضات التي تتظاهر في الحروب الداخلية بين سادة الحرب ، تؤدي الى زيادة فرض الضرائب ، بحيث ان التناقض بين جماهير المكلفين الواسعة والحكام الرجعيين يتسارع مع مرور كل يوم جديد . وان التناقضات القائمة بين الاستعمار والصناعة الصينية الوطنية تؤدي الى النتيجة التالية ، الا وهي فشل الصناعة الوطنية الصينية في الحصول على الامتيازات من الاستعمار ، الامر الذي يعمق التناقضات بين البورجوازية الصينية والطبقة العاملة الصينية ، لأن الرأسماليين الصينيين يحاولون ان يجدوا منفذاً لهم عن طريق استثمار العمال دون رحمة ، فيما العمال الصينيون يقاومون ذلك . وانه لينتج ، من اغراق الاستعمار للاسواق بالبضائع ، وغارات الرأسمال التجاري الصيني ، وزيادة فرض الضرائب من قبل الحكومة ، احتداد التناقضات القائمة بين الملاكين العقاريين والفلاحين . ان استثمار الطبقة الفلاحية عن طريق زيادة معدل الإيجارات والربا يزداد ثقلاً ، الامر الذي يرافقه تعاظم حقد الفلاحين على الملاكين العقاريين . وان ضغط السلع الأجنبية ، ونفاذ القوة الشرائية للجماهير الواسعة من العمال والفلاحين ، وزيادة فرض الضرائب من قبل الحكومة تجر المشتغلين بالمنتجات الوطنية والمنتجين المتفعين اكثر فأكثر على طريق الافلاس . ولما كانت الحكومة الرجعية تضاعف قواتها بصورة غير محدودة مع الافتقار الى المؤن والأموال لدعم تلك القوات ، وكانت الحروب الداخلية تتضاعف كل يوم ، فقد كانت جماهير الجنود تعاني بالضرورة ، بصورة مستمرة ، حرمانات مرهقة . وان زيادة

الضرائب وارتفاع معدل الإيجارات والفائدة في الريف وتعاضم أهوال الحرب كل يوم في الوقت نفسه ، لتؤدي جميعاً الى انتشار المجاعة وأعمال الشقاوة في مختلف أرجاء البلاد ، بحيث ان الجماهير الواسعة من الفلاحين وفقراء المدن قد انتهوا الى حال سيئة جداً . ولما كانت الاعتمادات اللازمة لتمويل المدارس لا تكفي ، فان القلق يساور عدداً كبيراً من الطلاب بخصوص الخطر الذي يهدد دراستهم . وأخيراً فان تخلفنا في مضمار الانتاج يحرم الكثيرين من الخريجين الشباب الأمل في العثور على عمل .

وحين نفهم سائر هذه التناقضات مرة ، فاننا ندرك اذن مبلغ ماهي الحالة عليه من التدهور الباعث على اليأس ، ومبلغ الفوضى التي تتردى الصين فيها ، وهو ما يبين لنا ان الانتفاضة الثورية ضد الاستعماريين وسادة الحرب والملاكين العقاريين هي أمر لا مفر منه ، ولا بد واقع آجلاً .

ان الصين كلها لمفروشة برمتها بالحطب اليابس الذي سوف يلتهب سريعاً متحولاً الى حريق هائل . وان المثل القائل « رب شرارة أشعلت ناراً هائلة » يصف الحالة الراهنة بصورة مقبولة . ويكفي ان ننظر الى تطور الاضرابات العمالية ، والانفاضات الفلاحية ، وتمردات الجنود واضرابات الطلاب في أماكن عديدة ، كي ندرك أنه لن يمضي وقت قصير حتى تنقلب هذه « الشرارة » بكل تأكيد الى « نار هائلة » .

ان الافكار الاساسية التي عرضت اعلاه قد اعطيت في الرسالة التي وجهتها لجنة الجبهة الى المركز الحزبي بتاريخ ٥ نيسان ١٩٢٩ . ولقد ورد فيها :

« ان رسالة المركز الحزبي (المؤرخة في ٩ شباط من السنة الاخيرة) تعطي تقديراً شديداً للتشاؤم عن الحالة الموضوعية وعن قوانا الذاتية . ان حملة « الافناء » الثالثة التي قام بها الكيومتانغ ضد جبال شينغ كانغ تمثل أوج المد المضاد للثورة . لكن هذا المد توقف عند هذا الحد ، ومنذ ذلك الحين وهو ينحسر تدريجياً ، في حين جعل المد الثوري يرتفع بصورة

تدريجية . وعلى الرغم من ان قدرة حزبنا القتالية وقوته التنظيمية قد اصابهما الضعف ، كما يقرر المركز الحزبي ، فانهما سوف يبلان سراعاً ، باعتبار ما اصاب المد المضاد للثورة من انحسار ، كما ان سلبية الملاكات الحزبية سوف تصفى آجلاً . ومن المؤكد ان الجماهير ستتحاز اليها ، ذلك ان سياسة القمع الدامي (١) لم تؤد الى « هروب السمك الى مناطق المياه العميقة » فحسب ، بل ان النزعة الاصلاحية نفسها لم تعد تجتذب الجماهير بعد الآن . ومما لا ريب فيه ان اوهام الجماهير عن الكيوممتانغ سوف تتبخر سراعاً . ولن يستطيع اي حزب ، في الاوضاع التي ستنشأ في الايام المقبلة ، ان يباري الحزب الشيوعي في مضمار كسب الجماهير . ان الخطة السياسية والخطة التنظيمية المقررتين من قبل المؤتمر الوطني السادس للحزب (٢) لصحیححتان ، فالثورة في المرحلة الديمقراطية وليست اشتراكية . وان مهمة الحزب مباشرة (كان يجب ان اضيف كلمات «في المدن الكبرى») (٣) هي كسب الجماهير لا القيام بانتفاضات ثورية . بيد ان الثورة سوف تتطور سريعاً ، وينبغي ان تتخذ موقفاً ايجابياً بالقيام بالدعاية والتحضير للانتفاضات

(١) اشارة الى التدابير الوحشية من اعمال القتل المطبقة من قبل القوى المضادة للثورة بغرض سحق القوى الثورية الشعبية .

(٢) اشار هذا المؤتمر ، المنعقد في تموز ١٩٢٨ ، الى أن الثورة الصينية لا تبرح ، رغمًا عن هزيمة ١٩٢٧ ، ثورة بورجوازية ديمقراطية ضد الاستعمار والاقطاعية . ولقد بين كذلك انه لا بد حتماً من قيام انتفاضة ثورية جديدة ، لكنه ما دامت هذه الانتفاضة لم تقع بعد ، فان خطة الحزب العامة يجب ان تكون كسب الجماهير .

ولقد صفى المؤتمر الانتهازية اليمينية لشن تو - هسيو الذي كان يشير عام ١٩٢٧ بالتسليم بشروط ، كما وجه النقد الى نزعة المفامرة « اليسارية » التي ظهرت في الحزب بعد هزيمة ١٩٢٧ في الحال ، اعني في اواخر ١٩٢٧ وأوائل ١٩٢٨ . أنظر القسم الثالث من « الثورة في بعض القضايا التاريخية » .

(٣) الاهلة من المؤلف .

المسلحة . ونحن لا نستطيع ، في الفوضى العظمى التي تميز الحالة الراهنة، ان نقود الجماهير الا بطرح شعارات نضالية واتخاذ موقف ايجابي . وانه لمن المؤكد أيضا ان الحزب لا يستطيع استرجاع قدرته القتالية الا باتخاذ مثل هذا الموقف الايجابي . وان القيادة البروليتارية هي المفتاح الوحيد لانتصار الثورة ، كما ان طرح الأسس البروليتارية للحزب واقامة الفروع الحزبية في المشاريع الصناعية في المناطق الرئيسية هما المهمتان التنظيميتان الهامتان للحزب في الوقت الحاضر . لكن تطور النضالات في الريف ، واقامة السلطة السياسية الحمراء في مناطق صغيرة ، وخلق الجيش الاحمر وتوسيع صفوفه هي في الوقت نفسه ، وبصورة خصوصية ، الشروط الرئيسية لدعم النضال في المدن وتعجيل الانتفاضة الثورية . وبالتالي فانه من الخطأ الاعراض عن النضال في المدن ، وفي رأينا انه من الخطأ كذلك رفض تطوير الحركة الفلاحية، وذلك بدافع الخوف (اذا كان لهذا الخوف وجود بين اعضاء حزبنا) من ان يطفى التطور السريع للحركة الفلاحية على قوى الطبقة العاملة ، فتكون له عواقب سيئة على مجرى الثورة . ذلك ان الثورة في الصين نصف المستعمرة لن تخفق الا اذا حرم النضال الفلاحي من قيادة العمال ، فمن المحال ان يكون لطفيان النضال الفلاحي على قوى الطبقة العاملة اية عواقب سيئة على مجرى الثورة » .

وتتضمن الرسالة أيضا الجواب التالي على مسألة خطة العمل التي يجب ان يتبعها الجيش الاحمر ! « ان المركز الحزبي قد وجه الينا التعليمات ، بشأن المحافظة على الجيش الاحمر وتجنيد الجماهير ، بأن نقسم قوانا الى وحدات صغيرة جدا ونبعثرها بصورة واسعة في أرجاء الريف ، وان يفادر تشوتيه وماوتسي - تونغ الجيش بحيث تخفى الاهداف الرئيسية عن العدو . وان تلك لطريقة غير عملية في التفكير . ان نقسم قوانا الى وحدات من السرايا او الافواج ، كل منها يعمل وفق هواه ، وان نبعثرها بصورة واسعة في أرجاء الريف ، وان نجند الجماهير بواسطة فعاليات من نوع حرب الانصار ، وان

نتجنب الصيرورة هدفا للعدو - هذه الامور جميعاً فكرنا فيها وجربناها في مناسبات عديدة منذ شتاء ١٩٢٧ ، لكنها انتهت جميعاً الى الفشل ، وذلك للاسباب التالية :

١ - ان معظم الجنود في القوة الرئيسية للجيش الاحمر اتوا من الخارج ، وهم يختلفون عن رجال الحرس الاحمر المحلي في اصولهم .

٢ - ان القيادة ستنتهي ، بوحدات مبشرة صغيرة ، الى قدر كبير من الضعف بحيث تصبح غير قادرة على مكافحة الظروف المناهضة ، وبالتالي فاننا سنتعرض للهزائم .

٣ - انه يسهل على العدو ان يسحق الوحدات الصغيرة واحدة واحدة .

٤ - بقدر ما تصبح الظروف اشدّ عداء ، تزداد حاجة القوى الى التمرکز، والقيادة الى الحزم ، لاننا لا نستطيع سوى بهذه الطريقة ان نحقق الوحدة الداخلية للنضال ضد العدو . ولا يمكن للقوى ان تنقسم من اجل عمليات حرب الانصار سوى في ظروف مواتية ، وفي هذه الحال وحدها لا يضطر القادة ان يبقوا مع الصفوف طوال الوقت ، كما هو واجبه في الظروف المعادية . »

وعيب هذه الاعتبارات ان الاسباب المقامة ضد تقسيم القوى ذات طابع سلبي جميعاً ، وهو مالا يكفي مطلقاً . وان الاسباب الايجابية لمركزة القوات المسلحة هي التالية : ان التمرکز وحده سوف يمكننا من سحق وحدات عدوة كبيرة نسبياً واحتلال المدن . واننا لن نستطيع اثارة الجماهير على نطاق واسع وبناء سلطة سياسية موحدة تمتد على عدد من الاقاليم المجاورة الا بعد سحق وحدات عدوة كبيرة نسبياً واحتلال المدن . وبهذه الطريقة وحدها نستطيع ان نؤثر في افكار الشعب وعواطفه في المناطق البعيدة والقريبة على السواء (اعني « توسيع نفوذنا السياسي ») ونحقق مساهمة مادية نحو التعجيل في الانتفاضة الثورية . ومثال ذلك ان كلا النظام الذي خلقناه في منطقة تخوم هونان - كيانغسي في السنة قبل الاخيرة والنظام الذي انشئ في غربي فوكيين

في السنة الاخيرة (١) قد كانا نتيجة لسياستنا في مركزه القوات . تلك هي المبادئ العامة . افليس ثمة ، على أي حال ، اوقات ينبغي فيها تقسيم القوى ؟ أجل ، ان هناك مثل هذه الاوقات ، والرسالة الموجهة من لجنة الجبهة الى المركز الحزبي تتحدث عن تعبئة حرب الانصار الخاصة بالجيش الاحمر ، بما فيها تقسيم القوى ضمن دائرة محدودة !

« ان التعبئة التي خلقناها خلال السنوات الاخيرة في سياق النضال تختلف في الحقيقة عن أية تعبئة سبق استخدامها في الازمان القديمة والحديثة ، في الصين او في أي مكان آخر . ان نضالات الجماهير ، بفضل تعبئتنا ، تتسع يوميا ولا يستطيع أي عدو ، مهما يكن قويا ، أن يبارينا . ان تعبئتنا هي تعبئة حرب الانصار ، وهذه هي مبادئها الرئيسية :

توزيع القوى بين الجماهير لاثارتها، ومركزه القوى لقهر العدو . اذا تقدم العدو تراجعنا ، واذا توقف انهكناه، واذا تعبها جثمناه، واذا تراجع طاردناه . نطبق سياسة التقدم في سلسلة من الامواج في المناطق المحررة الثابتة (١) . وعندما يطاردنا عدو قوي ، فاننا نطبق سياسة الدوران في حركة اعصارية . اثارة اوسع الجماهير في اقصر وقت ممكن وبأفضل الطرق الممكنة . ان هذه التعبئة لأشبه بالقاء شبكة ، ان من واجبنا أن نكون قادرين على القاء الشبكة في الوقت المناسب وسحبها في الوقت المناسب . واننا لنلقيها كي نكسب الجماهير ، ونسحبها كي نجابه العدو . هذه هي التعبئة التي طبقناها في السنوات الثلاث الماضية » .

وان « القاء الشبكة بصورة واسعة » يعني هنا تقسيم قوانا ضمن دائرة قصيرة القطر . ومثال ذلك اننا عندما استولينا للمرة الاولى على مدينة

(١) مشى الجيش الاحمر ، عام ١٩٢٩ ، شرقا من جبال شينغ كانغ الى غربي فوكيين . ولقد اقام قاعدة ثورية جديدة والسلطة السياسية الثورية الشعبية في اقاليم لونغبين ويونغتينغ وشانغ هانغ .

(١) اشارة الى المناطق القاعدية الثورية الموطدة نسبيا التي اقيمت من قبل الجيش الاحمر للعمال والفلاحين .

يونفسين الاقليمية في تخوم هونان - كيانغسي قسمنا الفرقتين التاسعة والعشرين والحادية والثلاثين ضمن حدود اقليم يونفسين . ومن جديد ، عندما استولينا للمرة الثالثة على مدينة يونفسين الاقليمية ، قسمنا قوانا اذ ارسلنا الفرقة الثامنة والعشرين الى تخوم انفو ، والفرقة التاسعة والعشرين الى لينهوا ، والفرقة الحادية والثلاثين الى تخوم اقليم كيان . ومرة اخرى في نيسان وايار من السنة الاخيرة ، قسمنا قوانا في اقليم جنوبي كيانغسي ، وفي تموز قسمناها في اقليم فوكين الغربية . أما فيما يخص تقسيم القوى على منطقة واسعة ، فانه ممكن في شرطين فقط : عندما تكون الظروف ملائمة نسبياً وعندما يكون الجهاز القيادي متيناً نسبياً . ذلك ان الهدف من تقسيم قوانا هو أن نصير أقدر على كسب الجماهير ، وعلى تعميق الثورة الزراعية واقامة السلطة السياسية ، وعلى توسيع الجيش الاحمر والقوى المسلحة المحلية . وانه لمن الافضل عدم تقسيم القوى اذا كان بلوغ هذه الاهداف مستحيلاً ، أو اذا كان تقسيم القوى لا يمكن ان يؤدي سوى الى الهزيمة أو اضعاف الجيش الاحمر ، كما حدث في آب من السنة قبل الاخيرة عندما قسمت قوانا في تخوم هونان - كيانغسي من اجل الهجوم على شنشاو(١) لكنه اذا تحقق الشرطان المذكوران آنفاً ، فان تقسيم القوى امر مطلوب اذن ، لانه يكون في هذا الحال اكثر فائدة من التركيز .

ان رسالة شباط الصادرة عن المركز الحزبي لم تكتب بالروح الصحيحة ، وقد كان لها تأثير سلبي في عدد من الرفاق المنتسبين الى المنظمة الحزبية في الجيش الرابع . ولقد اصدر المركز الحزبي ايضاً ، في ذلك الحين ، نشرة تقرر ان نشوب الحرب بين شيانغ كاي - شيك وسادة حرب كيانغسي ليس مؤكداً . ومهما يكن من امر ، فان تقديراته وتوجيهاته أصبحت فيما بعد صحيحة في خطوطها الرئيسية . ولقد سبق أن أصدر نشرة أخرى كي يصحح التقدير الخاطئ الذي تتضمنه النشرة السابقة ، وعلى الرغم من ان

(١) مدينة شن الاقليمية .

الرسالة الموجهة الى الجيش الاحمر لم تصحح ، فان توجيهاته اللاحقة لم تكن مصبوبة بمثل ذلك التشاؤم ، كما ان نظراته بخصوص تحركات الجيش الاحمر تتفق حالياً مع نظراتنا . ومع ذلك ، فان التأثير السيء الذي تركته تلك الرسالة في قسم من الرفاق لا يزال قائماً ، ولذا فاني اعتقد ان ايضاح هذه المسألة امر ضروري بعد .

ولقد اقترحت لجنة الجبهة ايضاً مشروع الاستيلاء على كيانغسي خلال سنة واحدة على المركز الحزبي في نيسان من العام الماضي (١٩٢٩) ، وبنتيجة ذلك اتخذ قرار في يوتو بهذا الصدد . ولقد عرضت الحجج يومذاك في الرسالة الموجهة الى المركز الحزبي :

« ان قوات شيانغ كاي - شيك وسادة حرب كيانغسي تقترب من بعضها بعضاً في المناطق المجاورة لكيوكانغ وقد تنشب معارك كبرى بين لحظة واخرى . وان استئناف النضال الجماهيري ، جنبا الى جنب مع اشتداد التناقضات ضمن المعسكر الرجعي الحاكم ، يجعل من الممكن قيام الانتفاضة الثورية آجلاً . وإما نحضر عملنا في هذه الظروف فاننا نشعر ، بقدر ما يتعلق الامر بالمقاطعات الجنوبية ، بأن القوى العسكرية للمستوردين الاحتكاريين والملاكين العقاريين في كوانغ تونغ وهونان قوية جداً ، بينما فقدنا نحن في هونان ، بسبب من خطيئة الحزب الناشئة عن نزعة المغامرة ، كل ملاكاتنا وقواعدنا الجماهيرية على وجه التقريب . وعلى أية حال ، فالحالة تختلف في المقاطعات الثلاث فوكيين وكيانغسي وشيكانغ . فأولاً ، ان قوة العدو العسكرية هناك هي على اضعف ما يكون . وليس في شيكانغ سوى عدد قليل من حرس المقاطعات تحت قيادة شيانغ بوشينغ (١) . وعلى الرغم من وجود خمسة تجمعات في فوكيين تتألف من أربع عشرة فرقة ، فان لواء كيوفنغ - مينغ (٢) قد سحق قبل الآن ، وان القوات الخاضعة لقيادة شن كيو - هوي

(١) القائد الكيومنتانغ في ذلك الحين لفصائل حفظ السلام في مقاطعة شيكانغ .

(٢) اللواء الكيومنتانغ بقيادة كيوفنغ - مينغ .

من جهة واحدة ولوسينغ - يانغ (٢) من جهة أخرى تتألف من عصابات ذات قدرة قتالية ضئيلة ، وان فصيلي مشاة البحرية المتمركزين على طول الشاطئ لم يشتركا في القتال قط ، ومن المؤكد ان قدرتهما القتالية لا يمكن أن تكون كبيرة ، وهكذا فان قوات شانغ شن (٤) هي وحدها القادرة نسبياً على القتال ، لتكن المعلومات التي وردتنا من لجنة المقاطعة في فوكيين تشير الى ان فرقتين فقط من هذه القوات تملكان قدرة قتالية مرتفعة نسبياً . وبالإضافة الى ذلك فان فوكيين غارقة الآونة في حالة من الاضطراب والفرقة . ويوجد في كيانغسي ، بصورة اجمالية ، ست عشرة فرقة خاضعة لقيادتين - قيادة تشو بي - تيه (١) ، وقيادة هسيونغ شيه - هوي (٢) ، وان القوة العسكرية هنا لأعظم منها سواء في فوكيين أم في شيكيانغ ، لكنها أدنى كثيراً على أية حال منها في هونان . ثانياً ، لقد ارتكبتنا في هذه المقاطعات الثلاث عدداً من الاخطاء الناجمة عن نزعة المغامرة . ففي فوكيين وكيانغسي على السواء تتمتع منظمات الحزب وقواعدها الجماهيرية بقوة أعظم منها في هونان، بينما الاوضاع في شيكيانغ لا تبدو لنا واضحة جيداً . وبقدر ما يتعلق الامر بكيانغسي ، فاننا لا نزال نحافظ على قواعد لا بأس بها في تيان وسيوشوي وفونكو من شمالي كيانغسي، ولا يزال الحزب والحرس الاحمر قويين بعد في نينغ كانغ ويونغسين لينهوا وسويشوان من غربي كيانغسي . ولا تزال الحالة تبعث على الأمل في جنوبي كيانغسي ، وذلك بقدر ما تنحو الفرقتان الثانية والرابعة من الجيش الاحمر نحو النمو يومياً في أقاليم مثل كيان ويونغسين وهيسنغ كاو ، كما ان الجيش الاحمر الذي يقوده فانغ شيه - مين لم يُسحق في حال من الاحوال . ان هذه الاشياء جميعاً تضعنا في مركز نطبق منه على نانشانغ .

» ولذا فاننا نقترح على المركز الحزبي أن تتنافس ، خلال مرحلة الحرب

(٣) الزعماء المحليون للاشقياء الذين ضمت قواهم الى جيش الكيومنتانغ .

(٤) قائد فرقة كيومتانغ .

(١) حاكم كيانغسي الكيومنتانغ في ذلك الوقت .

الطويلة الامد بين سادة الحرب الكيومنتانفيين ، مع شيانغ كاي - شيك وعصابة كيانفسي على السواء من اجل الاستيلاء على كيانفسي ، ونحن نشمل غربي فوكيين وغربي شيكيانغ في اهدافنا . . وينبغي أن نوسع الجيش الاحمر في هذه المقاطعات الثلاث ، وان نخلق قاعدة ثورية جماهيرية ، واننا نحدد لتحقيق هذه الخطة سنة واحدة كحد أقصى .

ولقد اخطأ الاقتراح الآنف الذكر بخصوص الاستيلاء على كيانفسي في نقطة واحدة ، حين حدد الزمن الأقصى بسنة واحدة . أما فيما يتعلق بإمكانية الاستيلاء على كيانفسي ، فقد كانت تعتمد ، فضلا عن الاوضاع السائدة في المقاطعة نفسها ، على اعتبار قرب قيام الانتفاضة الجماهيرية على الصعيد الوطني ، لأننا لو لم نكن على يقين من أن الانتفاضة الثورية عتيدة ، لما أمكننا أن نستنتج إمكانية الاستيلاء على كيانفسي خلال سنة واحدة . وكان عيب الاقتراح الوحيد تحديد الزمن الأقصى بسنة واحدة ، مما أثر في معنى كلمة « آجلا » في عبارة « قيام الانتفاضة الثورية آجلا » ، وجعل العمل عرضة لقدر يزيد أو ينقص من الاندفاع .

أما الظروف الذاتية والموضوعية في كيانفسي ، فإنها تستأهل اهتمامنا الجدي . وإذا تركنا جانبا الظروف الذاتية المقررة في الرسالة الى المركز الحزبي ، فإن هناك بعض الشروط الموضوعية التي نستطيع منذ الآن أن نشير الى الشروط الثلاثة التالية منها :

أولا - أن الاقتصاد في كيانفسي اقطاعي في الدرجة الاولى ، وقوة الرأسمال التجاري ضعيفة نسبياً ، كما أن القوى المسلحة للملاكين العقاريين أضعف منها في أية مقاطعة أخرى من المقاطعات الجنوبية .

ثانياً - ليس لكيانفسي قواتها الاقليمية الخاصة ، وكانت قوات المقاطعات الأخرى تقوم بحمايتها دائماً . وأن هذه القوات ، المرسلة الى هناك من أجل « افناء الشيوعيين » أو « افناء الاشقياء » ليست شديدة الحماسة لأنها لم تألف الظروف المحلية ولا يمكنها أن تحس اهتماما شخصيا كما هي حال القوات المجندة من سكان المقاطعة أنفسهم .

ثالثاً - ان كيانفسي ، على خلاف كوانغ تونغ المجاورة لهونغ كونغ ، حيث الاشياء جميعا تخضع للاشراف البريطاني ، هي حرة نسبيا من نفوذ الاستعمار .

واذا ما ادركنا مرة هذه النقاط الثلاث ، امكننا ان نوضح لماذا كانت الانتفاضات الريفية اشد انتشارا والجيش الاحمر ووحدات الانصاراكثر عدداً في كيانفسي منها في أية مقاطعة أخرى .

اما كيف تفسر كلمتي « القيام آجلا » في عبارة « قيام الانتفاضة الثورية آجلا » ، فذلك سؤال مشترك بين عدد كبير من الرفاق . وليس الماركسي صانعا للنبؤات ، فهو لا يستطيع ان يبرز ، من التبدلات والتطورات المقبلة ، سوى اتجاهها العام فقط ، ولكنه لا يستطيع ولا يجوز له ان يحدد بصورة آلية اليوم والساعة . ومع ذلك فاني حين اؤكد بأن انتفاضة ثورية في الصين سوف تقوم آجلا لا أنطق بعبارة فارغة من نوع تلك الصيغ التي يطرحها الآخرون : « من الممكن قيام انتفاضة ثورية » ، هذه الصيغ التي لا تعبر مطلقاً عن الطموح الى العمل والتي تصور الانتفاضة الثورية كشيء وهمي وممتنع .

ان الانتفاضة الثورية اشبه بمركب في البحر تشاهد قمة صواريه من الافق البعيد ، انها اشبه بشمس الصباح المشرقة التي تخترق أشعتها المتألقة ظلمات المشرق وتشاهد من قمة الجبل المرتفع، انها اشبه بالطفل الذي يرتعش منذ الآن في أحشاء والدته ، وسرعان ما سوف يرى النور .

بجب أن نغنى بالعمل الإقتصادي

(٢٠ آب ١٩٣٣)

خطاب ألقى في مؤتمر للبناء الاقتصادي يمثل سبعة عشر اقليماً من جنوبي

كيانغسي ، وقد عقد في شهر آب من عام ١٩٣٣ .

ان المجري الجارف للحرب الثورية يجعل من الالزامي علينا تجنيد الجماهير من اجل التوسيع الفوري للحملة التي نقوم بها في الجبهة الاقتصادية وتحقيق التدابير الضرورية والممكنة على السواء في مجال البناء الاقتصادي . لماذا ؟ لان عملنا كله في الوقت الحاضر يجب ان يستهدف تحقيق النصر في الحرب الثورية ، ان يستهدف قبل كل شيء وفوق كل شيء الظفر الحاسم في حملة العدو الخامسة من « التطويق والافناء » (١) ، وتأمين الشروط المادية المناسبة لضمان الذخائر والمؤن للجيش الاحمر ، وتحسين الشروط المعيشية لجماهير الشعب كي نزيد من مساهمتهم الفعالة في الحرب الثورية ، وتنظيم جماهير الشعب الواسعة من اجل النضال في الجبهة الاقتصادية وتثقيفهم بحيث نكسب قوة جماهيرية جديدة تؤيدنا في الحرب ، وأخيراً توطيد اتحاد العمال والفلاحين على قاعدة البناء الاقتصادي ، وتمتين دكتاتوريتهم الديمقراطية المشتركة، وفي الوقت نفسه تقوية دور البروليتاريا القيادي . وانه لمن الضروري، من اجل ذلك كله، العمل في البناء الاقتصادي.

(١) شن شيانغ كاسي - شيك من ١٩٣٠ الى ١٩٣٤ ، خمس هجمات واسعة النطاق ، او حملات « للتطويق والافناء » ضد الجيش الاحمر المتمركز حول جوكيين في مقاطعة كيانغسي . وحينما ألقى هذا التقرير ، كان شيانغ يهيبء حملته الخامسة التي بدأت بعد شهرين من ذلك التاريخ .

وهذا ما يتوجب على كل شخص يشتغل في العمل الثوري ان يفهمه بكل وضوح .

وفيما مضى ، كان بعض الرفاق يعتقدون انهم يلاقون الامرين في تحقيق المهمات التي تفرضها الحرب الثورية عليهم ، فمن أين لهم الوقت اذن من اجل البناء الاقتصادي ؟ وهكذا يصفون كل من يتحدث عن البناء الاقتصادي « بالانحرافي اليميني » . وانهم ليؤكدون ان البناء الاقتصادي امر مستحيل خلال الحرب الثورية ، بل يمكن تحقيقه بعد النصر النهائي ، حين يخيم السلام والسكينة . ايها الرفاق ، ان هذه المفاهيم خاطئة . ان الرفاق الذين يفكرون على هذا الفرار لا يدركون انه لا يمكن ، بدون البناء الاقتصادي ، تأمين الظروف المادية لمواصلة الحرب الثورية ، وأن قوى الشعب سوف تهلك اذن في حرب طويلة الامد . وبالفعل ، فان العدو يطبق حصارا اقتصاديا على مناطقنا ، والمضاربين الرجعيين ينسفون مالتنا وتجارتنا ، والتجارة بين مناطقنا الحمر والخارج تصطدم بعقبات عظيمة . واذا لم تغلب على هذه المصاعب ، أفلن تتأثر اذن الحرب الثورية بصورة جدية ؟ ان الملح باهظ الثمن ، وفي الاحايين لا يمكن الحصول عليه . والأرز غير المقشور رخيص في الخريف والشتاء ، لكنه يصبح غاليا بصورة رهيبة في الربيع والصيف . وان هذا كله ليؤثر بصورة مباشرة في الشروط المعيشية للعمال والفلاحين ، ويجعل تحسينها امراً مستحيلا . أفلن يؤثر ذلك في اتحاد العمال والفلاحين الذي تشكل المحافظة عليه احد المبادئ الاساسية للسياسة التي ننهجها ؟ واذا ما استاءت جماهير العمال والفلاحين من شروطها المعيشية ، أفلن يؤثر ذلك بصورة سلبية على تطور جيشنا الاحمر وعلى عمل تعبئة جماهيرنا للمشاركة في الحرب الثورية ؟

وبالتالي فان الرأي القائل بعدم وجوب قيام بناء اقتصادي في ملء الحرب الثورية خاطيء تماما . وكثيراً ما يؤكد انصار هذا الرأي في الوقت نفسه ، بأن الاشياء جميعا يجب ان تخضع للجهد الحربي ، غير عارفين انهم عندما

يستغنون عن البناء الاقتصادي فانهم لا يخضعون اذن كل شيء للجهد الحربي بل يضعفونه . ونحن لا نستطيع ان نحقق الاساس المادي الضروري للحرب الثورية ، وان نظور بنجاح عملياتنا الهجومية ، وأن نوجه للعدو و « حملاته » ضربات قاضية ، دون تطوير عملنا في الجبهة الاقتصادية وتطوير الاقتصاد في المناطق الحمر . ولن يكون في مقدورنا ايضا « بدون ذلك » أن نصبح على ما يكفي من القوة كي نوسع الجيش الاحمر ، وننقل جبهة حربنا الى مناطق تبعد آلاف الاميال ، ونمكن الجيش الاحمر ، وقد رفع عن كاهله عبء الهموم ، ان يهاجم نانشانغ وكيوكيانغ عندما تصبح الظروف مواتية ، أعني تخليصه من هم البحث بنفسه عن مؤنه بحيث يستطيع تركيز اهتمامه على قتال العدو ، وكذلك لن نستطيع بدون ذلك ان نجعل الجماهير الشعبية راضية بصورة تزيد أو تنقص عن ظروفها المعيشية بحيث تنضم الى الجيش الاحمر أو تقدم بمزيد من الحماسة على مختلف أنواع العمل الثوري . ونحن لانستطيع ، ما لم نفعل ذلك ، أن نتحدث عن اخضاع كل شيء للجهد الحربي .

وثمة عدد كبير من المناضلين الثوريين في اماكن عديدة لا يفهمون بعد أهمية البناء الاقتصادي من اجل الحرب الثورية ، كما ان عدداً من اجهزة السلطة المحلية لم تناقش بصورة جدية قضية البناء الاقتصادي . ولا تبرح دوائر الاقتصاد الوطني في الاجهزة الحكومية في اماكن مختلفة سيئة التنظيم ، فقد نفتقر الى المدراء ، او يرسل اليها اشخاص غير اكفاء وذلك لمجرد ملء الشواغر . ولا يزال تطور التعاونيات في المرحلة البدائية ، كما لم يباشر بتنظيم المؤن الغذائية الا في بعض الاماكن . وثمة اماكن لم يعمد فيها الى أية دعاية بين السكان من أجل مهمات البناء الاقتصادي (على الرغم من الحاجة الملحة الى ذلك) ، ولم يخلق أي جو حماسي من اجل النضال في سبيل البناء الاقتصادي . وان ذلك كله لمسبب عن سوء تقدير أهمية البناء الاقتصادي .

انه لتوجب علينا بعد مناقشة هذه القضايا في هذا المؤتمر وتفسيرها

للجماهير بعده ، أن نخلق عند عودتنا الى مراكزنا جواً حماسياً للبناء الاقتصادي بين سائر الملاكات الحكومية وبين الجماهير الفقيرة على السواء . ويتوجب علينا ان نوضح لهم جميعاً أهمية البناء الاقتصادي في الحرب الثورية ونحاول تشجيع الاكتتاب في سندات البناء الاقتصادي ، وتطوير الحركة التعاونية ، واقامة الاهراء العمومية واهراء اسعاف المجاعة في كل مكان . وينبغي تشكيل مكتب فرعي لتنظيم التمويل في كل اقليم ، مع مكاتب فرعية في الاقضية الهامة ومحلات الاسواق . وينبغي من جهة واحدة ان تنتقل الحبوب ضمن المناطق الحمراء الى الاماكن التي تملك فائضاً الى الاماكن المحتاجة ، بحيث لا تتكدس في بعض الاماكن ، ويصبح الحصول عليها متعذراً في اماكن أخرى ، كما ان سعرها لن يكون منخفضاً جداً في أحد الاماكن ومرتفعاً جداً في مكان آخر . وانه ينبغي من جهة أخرى ارسال الفائض من الحبوب في مناطقنا الى الخارج وفقاً لخطة مرسومة (وليس دون أية قيود)، كما يتوجب علينا استيراد حاجتنا الضرورية من المناطق البيض ، دونما وساطة المضاربين الذين سيجدون في هذه العملية فرصة للثراء . ويتوجب علينا ان نسعى جميعاً الى تطوير الانتاج الزراعي واليدوي ، وصنع الزيد من الادوات الزراعية ، وانتاج مقادير أكبر من السماد كيما نزيد مواسمنا في السنة التالية ، واعادة المستوى القديم لانتاج فلز التانفستين ، والاختشاب ، والكافور ، والورق ، والتبغ ، والقماش ، والفطور المجففة ، وزيت النعناع ، وتصدير هذه المنتجات الى المناطق البيضاء بمقادير كبيرة .

واذا أخذنا حجم التجارة الخارجية مقياساً لنا ، فان الحبوب تأتي في المرتبة الاولى بين سلعنا الرئيسية المصدرة ، وان حوالي ثلاثة ملايين مكيال من الارز المقشور تصدر سنوياً ، بفائض مكيال للشخص الواحد في مقاطعة يعد سكانها ثلاثة ملايين نسمة ، وذلك مقابل منتجات الاستهلاك اليومي ، ومن المؤكد ان ذلك ليس بمقدار ضئيل . ولكن من الذي يسير هذه التجارة ؟ انهم بعض التجار الذين يقومون بدور العملاء وينهبون الشعب بصورة

رهية . وفي السنة الماضية باع الفلاحون للتجار في اقاليم وانان وتايهو الارز غير المقشور بخمسة فلوس للمكيال الواحد ، وشحن التجار هذا الارز الى كنشوو وباعوه مجددا بأربعة دولارات ، محققين بذلك ربحاً مضاعفاً سبع مرات . واليكم مثالا آخر : ان سكاننا الذين يعدون ثلاثة ملايين نسمة يستهلكون سنوياً ما قيمته حوالي ستة ملايين دولار من الثياب القطنية ، وفيما مضى ، كان التجار طبعاً هم الذين يقومون بهذه الصفقة ، فيستوردون ما قيمته خمسة عشر مليون دولار من الملح والثياب القطنية ، ولم تكن نحن نعنى بذلك ، وفي الحقيقة أن التجار بوصفهم وسطاء قد نهبوا الشعب بصورة لم يسبق لها مثيل . ومثال ذلك انهم قصدوا اقليم مبي وابتاعوا الملح بدولار واحد لكل ليبرتين ، وشحنوه الى مناطقنا كي يبيعه بسعر دولار واحد لكل اثني عشر ليانغ^(١) . افلا تبعث مثل هذه النسبة من الاستثمار على الفور ؟ اننا لا نستطيع أن نترك بعد الآن هذه الامور على حالها ، وينبغي من الآن فصاعداً أن نأخذها بعين الاعتبار . ويتوجب على مكتب تجارتنا مع المناطق الخارجية أن يبذل جهوداً جديّة في هذا الشأن .

وكيف نستخدم القرض الذي بلغ مجموعه ثلاثة ملايين دولار من أجل البناء الاقتصادي ؟ اننا ننوي استخدام هذه الاموال بالطريقة التالية : مليون يخصص لمصاريف الجيش الاحمر الحربية ، ومليونان يقرضان كاعتمادات رأسمالية للتعاونيات ، ومكاتب التمويل ومكاتب التجارة الخارجية . وسوف يخصص قسم صغير من المبلغ الاخير من أجل تطوير الانتاج ، والباقي من أجل توسيع تجارتنا الخارجية . وليس هدفنا تطوير الانتاج فحسب . بل كذلك بيع منتجاتنا المصدرة بأسعار ملائمة للمناطق البيضاء ، ومن ثم ابتياع البضائع المستوردة من المناطق البيضاء - الملح والثياب بأسعار أخس من أجل توزيعها بين جماهير شعبنا ، بحيث نحطم حصار العدو ونبطل استثمار التجار . انه يتوجب علينا أن نعمل يومياً في تطوير الاقتصاد الشعبي ،

(١) وحدة صينية للوزن ، تساوي تقريباً اونساً واحدة .

ونحسن كثيراً شروط الجماهير المعيشية ، ونزيد بقوة الدخل العام ، ونضع أساساً مادياً متيناً لحربنا الثورية وبنائنا الاقتصادي .

وان تلك المهمة عظيمة ، تعني نضالاً خطيراً ضد العدو الطبقي . ولكن فلنسأل : أيمن تحقيق هذه المهمة ونحن نخوض حرباً ضروساً ؟ اظن ان ذلك ممكن . فنحن لا نتحدث عن بناء سكة حديدية حتى لونغين ، ولا من تعبيد الطريق الى كانشوو في الوقت الراهن . ونحن لا نتحدث أيضاً عن اقامة الاحتكار المطلق على تجارة الحبوب ، كما لا نطالب بوضع كل صفقة الملح والثياب المقدرة بخمسة عشر مليون دولار بين يدي الحكومة من دون ان يكون للتجار دخل في الموضوع مطلقاً . ليس هذا ما نتحدث عنه ، ولا هو ما نحاول ان نفعله . ان ما نتحدث عنه وما سوف نحققه هو البدء مؤقثاً باعتماد يبلغ مليونين زائداً الحصص الموظفة من قبل الجماهير من اجل تطوير الانتاج الزراعي واليدوي ، وتصدير الحبوب وفلز التانفستين واستيراد الملح والثياب . اذلك امر يجب الا نفعله ، او لا يمكن ان نفعله اولاً نستطيع ان نفعله ؟ لقد باشرنا هذا العمل وحققنا سلفاً بعض النتائج . فموسم الخريف هذا العام يزيد بنسبة ٢٠ - ٢٥ بالمائة عنه في السنة الماضية ، متجاوزاً زيادة العشرين بالمائة التي حددناها . وفي الصناعات اليدوية ، جعل انتاج الادوات الزراعية والجص يتحسن ، كما استأنفنا استخراج فلز التانفستين . وان انتاج التبغ والورق والاشخاب لينشط هو الآخر . وقد تم تحقيق نجاحات كبيرة هذا العام في مضمار التموين ، وبوشر باستيراد الملح على نطاق ضيق . وان هذه النجاحات لتقنعنا بأنه من الممكن تحقيق تطورات لاحقة في المستقبل . أفلا تتضح خطيئة اولئك الذين يقولون ان البناء الاقتصادي غير ممكن الا بعد انتهاء الحرب وليس في الوقت الحاضر ؟

وهكذا فانه من الواضح ، في المرحلة الحاضرة ، ان البناء الاقتصادي ينبغي ان يدور حول المهمة الرئيسية - الحرب الثورية . ان الحرب الثورية هي المهمة الرئيسية في الوقت الراهن ، وانما يعتمد الى عمل البناء الاقتصادي

في سبيلها ، فهو يجب ان يتم باسمها وان يكون خاضعا لها . وانه من الخطأ ذلك ان ننظر الى البناء الاقتصادي فكأنه منذ الآن محور كل مهماتنا الحاضرة ، فنهمل الحرب الثورية ، فنهتم بالبناء الاقتصادي دون اي اعتبار للحرب الثورية . فلن يكون في مستطاعنا أو يتوجب علينا أن نقول ان البناء الاقتصادي هو مهمتنا الرئيسية الا بعد انتهاء الحرب الاهلية ، وانه لمن الوهم الخالص ان نسعى ، في ملء حرب اهلية ، الى القيام بمهام البناء الاقتصادي في زمن السلم ، وهو ليس ضروريا الا في المستقبل وليس في الوقت الحاضر ، كما لن يكون ممكنا الا في المستقبل وليس في الظروف الراهنة . ان المهمات الحالية هي تلك المهمات التي تتطلبها الحرب بصورة دائمة ، ويجب أن تكون جميعا في خدمة الحرب ، ولا يمكن أن تكون اية مهمة منها مشروعا خاصا بزمن السلم ومنفصل عن الحرب . . واذا كان بعد رفاق يفقدون افكارا عن القيام بالبناء الاقتصادي بصورة منفصلة عن الحرب ، فان من واجهم تصحيح خطئهم في الحال .

وانه ليستحيل ، دون اسلوب صحيح في القيادة والعمل ، ان نوسع سريعا الحملة في الجبهة الاقتصادية . وتلك مسألة هامة ينبغي حلها في هذا الاجتماع . ذلك انه ليس من واجبك ، عند عودتكم الى مراكزكم ، ان تنخرطوا في العمل من فوركم فحسب ، بل أن توجهوا أيضا عددا كبيرا من الملاكات للعمل في الاتجاه نفسه . وذلك بهم بصورة خاصة الرفاق العاملين في ادارات الاقضية والنواحي ، وكذلك الرفاق العاملين في التعاونيات ، ومكاتب الفداء ، ومكاتب التجارة ، ومراكز التموين . ان من واجب هؤلاء المناضلين أن يحلوا مهمات عملية عاجلة : أن يجندوا الجماهير بصورة مباشرة من أجل تنظيم التعاونيات ، وينظموا المؤن الغذائية ونقلوا ويشرفوا على تجارتنا مع المناطق الخارجية . فاذا كان اسلوبهم في القيادة غير صحيح ، أو اذا لم يتبنوا اساليب صحيحة وفعالة في العمل ، فسوف يتأثر عملنا بذلك فورا ، وسوف نخفق في كسب تأييد الجماهير الواسعة لعملنا ، وفي تحقيق مشروع الحكومة المركزية للبناء الاقتصادي بصورة تامة في سياق الخريف والشتاء من هذا العام ، والربيع والصيف من العام المقبل .

ولذا فاني أريد أن اقدم الى الرفاق التعليمات التالية :

أولاً ، أن يجندوا الجماهير الشعبية بواسطة العمل التنظيمي . فالأمر الأولي هو انه يتوجب على الرفاق في مكاتب اللجان التنفيذية على مختلف المستويات ، والرفاق العاملين في دوائر الاقتصاد الوطني وفي الدوائر المالية من الاجهزة الحكومية ، ان يضعوا في جدول اعمالهم بصورة منظمة مناقشة بعض الاعمال ، كتوظيف السندات ، وتطوير التعاونيات ، وتنظيم التمويل ، وتحسين الانتاج والتجارة ، والاشراف على هذه الاعمال ومراجعتها . ومن ثم فانه يجب تعبئة المنظمات الجماهيرية ، وبصورة رئيسية نقابات العمال واتحادات الفلاحين الفقراء ويتوجب على نقابات العمال ان تجند جماهير أعضائها من أجل العمل على الجبهة الاقتصادية . وان اتحادات الفلاحين الفقراء تشكل أساساً متيناً من أجل تجنيد الجماهير في سبيل تطور التعاونيات والائتتاب بالسندات ، وانه يتوجب على هذه السلطة على صعيد القضية والنواحي ان تأخذ على عاتقها أمر قيادتهم بكل حزم .

وفيما عدا ذلك ، فإنه ينبغي لنا القيام بالتحريض من أجل البناء الاقتصادي في الاجتماعات الجماهيرية التي تعقد في كل قرية ، بل في كل مزرعة ، مفسرين بوضوح العلاقة التي تربط بين الحرب الثورية والبناء الاقتصادي ، ومبينين بصورة ملموسة حتى الدرجة القصوى كيف يجب تحسين الشروط المعيشية للجماهير وزيادة قدرتنا القتالية . توجهوا الى الجماهير كي يكتبوا في السندات ، ويطوروا الحركة التعاونية وينظموا المؤن الغذائية ، ويمتنوا الاوضاع المالية ويطوروا التجارة ! توجهوا اليهم لكي يناضلوا من أجل تحقيق هذه الشعارات واقدحوا الحماسة في قلب الجماهير الشعبية فلا يمكن الوصول الى اهدافنا اذا لم نجند الجماهير ونعرضها بالاجوء الى العمل التنظيمي ، اذا لم نبذل اقصى جهودنا من أجل ايضاح القضايا لها ، يعني اذا لم نعمل مكاتب اللجان التنفيذية على مختلف المستويات ، ودوائر الاقتصاد الوطني ، والدوائر المالية في الاجهزة الحكومية

الى جعل البناء الاقتصادي في مركز اهتماماتها ومناقشته ومراجعتها ، واذا اهتمت تعبئة المنظمات الجماهيرية وعقد الاجتماعات من أجل التحريض .

ثانياً ، يجب ان لا نكون بيروقراطيين في اساليب تجنيد الجماهير . فلا يمكن السماح بالقيادة البيروقراطية في البناء الاقتصادي اكثر منها في اي فرع آخر من العمل الثوري . هذه القذارة التي هي البيروقراطية يجب ان يلقي بها في البالوعة ، لان احدا من الرفاق لا يمكن ان ينتفع بها . ان ما يجب ان يحبه كل الرفاق هي الاساليب الجماهيرية في عملهم ، يعني هذه الاشكال من العمل العزيزة على قلب كل عامل وفلاح . وان احدى تظاهرات البيروقراطية هو التواني في العمل المسبب عن اللامبالاة او التهاون . ويتوجب علينا القيام بنضال قاس ضد هذه الظاهرة . وان تظاهرة أخرى لهذه البيروقراطية هي اللجوء الى التدابير الادارية المحضة الممضة . وليس الموظفون الذين يطبقون هذه الطريقة بمتوانين ظاهرياً في عملهم ، بل يلوح انهم يعملون بحمية عظيمة . وفي الواقع ان محاولة تطوير التعاونيات بطريقة تعسفية لا يمكن ان تحقق أي نجاح ، وحتى اذا لاحظنا تطوراً سوريا لبعض الوقت ، فانه تطور لا يمكن توطيده ، ولسوف تفقد الجماهير الثقة في النهاية ويتوقف التقدم من جديد . وان تشجيع الاكتتاب بالسندات بطريقة تعسفية دونما أي اعتبار لما اذا كان الناس يفهمون اهمية هذه السندات أو المبلغ الذي يستطيعون تقديمه للاكتتاب ، وتوزيعها بصورة اعتباطية ، بالاعتماد على الارقام وحدها ، سوف يؤديان الى اثاره استياء الجماهير وجعل الاكتتاب الجيد امراً مستحيلاً في آخر الامر . ومن المؤكد انه يتوجب علينا رفض هذه النزعة التعسفية . ان ما نحتاج اليه هو تحريض نشيط في سبيل اقناع الجماهير ، وفي الوقت نفسه تطوير التعاونيات ، وتشجيع الاكتتاب بالسندات ، والقيام بمختلف أنواع العمل من أجل التعبئة الاقتصادية ، وذلك وفقاً للظروف الحسية ومشاعر الجماهير الحقيقية .

ثالثاً ، ان تطوير البناء الاقتصادي يتطلب عددا كبيرا من الملاكات . تلك قضية لا يكفيها عشرات أو مئات من الناس ، بل تتطلب الالوف من الذين

يتوجب علينا أن ننظمهم ونرسلهم الى جبهة البناء الاقتصادي .
ولسوف يصبحون قادة الجبهة الاقتصادية ، بينما الجماهير الفقيرة هي
الجنود في ميدانها . وكثيرا ما يتأوه الناس لنقص الملاكات . لكن اصحيح
ايها الرفاق ان هذه الملاكات تنقصنا ؟ ان عدداً لا يحصى من الملاكات قد انبثق
من الجماهير التي عركتها النضالات الزراعية والاقتصادية والحرب الثورية .
فكيف يمكننا أن نقول إن ثمة نقصا في الكادرات ؟ طلقوا وجهة نظركم الخاطئة
وسوف تجدون الملاكات تحت ايديكم مباشرة .

رابعا ، يجب الا نفصل البناء الاقتصادي في الوقت الحاضر لا عن المهمة
الرئيسية فحسب ، بل عن المهمات الاخرى أيضاً . ان انصرافنا الى حملة
استقصاء الارض (١) بصورة جدية يمكننا وحده من القضاء بصورة حاسمة
على الملكية العقارية القطاعية ونصف القطاعية ، ومن زيادة فعالية الفلاحين
في الانتاج ، ومن حمل الجماهير الفقيرة للفلاحين على الانضمام سراعاً الى جبهة
البناء الاقتصادي . وان تنفيذا حازما لقانون العمل يستطيع وحده ان يحسن
الشروط المعيشية لجماهير العمال ، بحيث يستطيعون ان يسهموا بنشاط
وسرعة في البناء الاقتصادي ويمتنوا دورهم القيادي حيال طبقة الفلاحين .
وان توجيهاً صحيحا في الحملة الانتخابية وحملة المقاضاة الشعبية (٢) ،
المتطورتين جنباً الى جنب مع حملة استقصاء الارض ، يستطيع وحده ان
يمكن منظماتنا الحكومية من تقوية نفسها ، بحيث تستطيع حكومتنا أن تفود
الحرب الثورية وسائر قطاعات العمل الاخرى ، بما فيها العمل الاقتصادي ،
بشيء أكثر من الحزم والشدة .

وان رفع المستوى السياسي والثقافي للجماهير عن طريق العمل الثقافي

-
- (١) تدبير تم اللجوء اليه بعد اصلاح الزراعي للتأكد مما اذا كانت اعادة توزيع الارض
قد تمت كما ينبغي .
- (٢) حملة ديموقراطية كانت الجماهير تشجع فيها على عرض أية اساءة يرتكبها موظفو
الحكومة الديموقراطية في سلوكهم .

والتعليمي لأمر هام جداً أيضاً في تطوير الاقتصاد الوطني . وانه لمن الواضح أن توسيع الجيش الأحمر أمر ينبغي عدم إهماله حتى ولا ليوم واحد . والجميع يدركون أن الحصار الاقتصادي الذي يطبقه العدو سوف يستند أكثر فأكثر إذا لم يحرز الجيش الأحمر انتصارات مستمرة . ومن جهة أخرى ، فمما لا ريب فيه أن تطور الاقتصاد الوطني وتحسن الظروف المعيشية للجماهير سوف يساعدان بصورة ملموسة على توسيع الجيش الأحمر ويحثان الجماهير الفقيرة على الانطلاق بلهفة إلى الجبهة . وباختصار ، فإذا حققنا سائر الشروط الآنفة الذكر ، بما فيها هذا الشرط الجديد والعظيم الأهمية الذي هو البناء الاقتصادي ، ووضعناها جميعاً في خدمة الحرب الثورية ، فإن الظفر في الحرب الثورية سوف يكون لنا بصورة لا يتطرق الشك إليها .

كيف نحلل الطبقات في المناطق الريفية

(تشرين الاول ١٩٣٣)

كتب هذه الوثيقة في تشرين الاول عام ١٩٣٣ لتصحيح الانحرافات التي وقعت في عمل اصلاح الزراعي وتقديم الحل الصحيح للقضية الزراعية ، وقد تبنتها الحكومة المركزية الديمقراطية للعمال والفلاحين بوصفها مقياسا في تحديد المراتب الطبقة في المناطق الريفية .

١ - الملاك العقاري .

ان الملاك العقاري هو ذلك الذي يملك أرضاً ، لكنه لا يعمل بنفسه ، أو لا يسهم الا في عمل يشكل بالنسبة اليه مصدرا اضافيا للدخل ، ويعيش باستثماره الفلاحين . وان الاستثمار الذي يحققه الملاكون العقاريون يتخذ بصورة رئيسية شكل جمع ايجار الارض ، وفيما عدا ذلك ، فان الملاك العقاري يستطيع الحصول على مداخيل اضافية ، اما بممارسة الربا واما باستثمار العمال الأجورين ، واما بتناول المداخيل من المشاريع الصناعية والتجارية . ولكن ابتزازه ايجار الارض من الفلاحين هو الشكل الرئيسي للاستثمار الذي يمارسه . وان ادارة الاملاك الجماعية وجمع ايجارات أراضي المدارس (١) يتسبان ايضا الى مقولة الاستثمار بواسطة ايجار الارض .

(١) ان في المناطق الريفية من الصين اشكالا مختلفة من الملكية المشتركة للارض ، الارض التي تملكها حكومة الناحية أو القضاء ، أو الهيكل الجدي لعشيرة ما ، أو كنيسة كاثوليكية أو هيكل

وان اولئك الملاكين العقاريين الذين ، على الرغم من افلاسهم ، لا يبرحون حتى الآن أناساً لا يعملون ، لكن يعيشون على الاختلاس ، أو السلب ، أو على نفقة اقربائهم واصدقائهم ، وهم على أية حال أفضل حالا من الفلاح المتوسط ، اولئك ينبغي اعتبارهم ملاكين عقاريين بعد .

وان سادة الحرب ، والبيروقراطيين ، والعتاة المحليين والاشراف السيئين ، ليمثلون سياسياً طبقة الملاكين العقاريين وهم اشد أعضائها وحشية . وغالبا ما يصادف أيضاً عتاة محليون وأشراف سيئون أقل نفوذاً بين الفلاحين الاغنياء .

وان اولئك الذين يساعدون الملاكين العقاريين في جمع ايجارات الارض ، وفي تدبير مشاريعهم ، والذين يستندون الى استثمار الملاكين العقاريين للفلاحين كمصدر رئيسي لرزقهم ، والذين حالتهم أفضل من حالة الفلاح المتوسط ، ينبغي أن يعاملوا بمثل معاملة الملاكين العقاريين .

وان شخصاً يعتمد على الاستثمار الربوي كمصدر رئيسي لرزقه ، وهو أحسن حالا من الفلاح المتوسط ، يدعى مراكياً وينبغي معاملته بمثل معاملة الملاكين العقاريين .

٢ - الفلاح الغني .

ان الفلاح الغني ، كقاعدة عامة ، يملك أرضاً . بيد ان ثمة فلاحين اغنياء لا يملكون سوى قسم من الارض التي يزرعونها ، ويستأجرون الارض الباقية . . وثمة آخرون أيضاً لا يملكون أرضاً على الإطلاق ، فهم يستأجرون كل الارض التي يستثمرونها . وان الفلاح الغني ليملك على العموم وسائل انتاج كثيرة نسبياً ،

بوذي أو ناوي أو اسلامي ، أو دير للراهبات ، أو منظمة جماعية لبناء الجسور والطرق والمحافظة عليها ، أو مؤسسة ثقافية . وان الارض التي تملكها مثل هذه المؤسسات تدعى « أرض المدرسة » ومنها الدخل المدرسي . وان معظم مثل هذه الاراضي تخضع بالفعل لاشراف الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنياء ، ولا يمكن لسوى قسم صغير من الفلاحين المساهمة في ادارتها .

ويملك رأسمالاً نقدياً ، ويشترك في العمل بنفسه ، لكنه يعتمد بصورة منتظمة على الاستثمار كمصدر لقسم من دخله ، أو القسم الأعظم من هذا الدخل . وان الاستثمار الذي يمارسه الفلاح الفني هو بصورة رئيسية استثمار العمل المأجور (استئجار عمال زراعيين لفترة طويلة) . وبالإضافة الى ذلك ، فان في مكنته كذلك ان يترك قسماً من أرضه من أجل الاستثمار بالايجار ، وان يمارس الربا ، أو يشتغل في مشاريع صناعية أو تجارية . وان معظم الفلاحين الاغنياء يديرون كذلك الاملاك الجماعية . ويملك بعضهم مقدارا هائلاً من الارض الجيدة ويسهمون في العمل بأنفسهم دون ان يستأجروا عمالاً زراعيين ، لكنهم يستثمرون فلاحين آخرين بواسطة ايجار الارض ، والفائدة ، أو الربا ، وهكذا دواليك . هؤلاء الاشخاص يجب ان يعاملوا كذلك مثل الفلاحين الاغنياء . ان الفلاح الفني يشترك بصورة منتظمة في الاستثمار ، وفي كثير من الحالات يشكل دخله من الاستثمار القسم الأعظم من دخله الاجمالي .

٣ - الفلاح المتوسط .

يملك قسم كبير من الفلاحين المتوسطين أرضاً ، وبعضهم لا يملك سوى قسم من الارض التي يزرعونها ويستأجرون القسم الآخر ، والبعض الآخر لا يملكون أرضاً البتة ، فهم يستأجرون كل الارض التي يزرعونها . ومهما يكن من امر ، فان الفلاحين المتوسطين يملكون الادوات الزراعية الكافية . ويعتمد الفلاح المتوسط بصورة كلية أو بصورة رئيسية على عمله الخاص كمصدر لدخله ، وعلى العموم لا يستثمر أشخاصاً آخرين ، بل هو يستثمر في كثير من الحالات من قبل أناس آخرين ، ولا بد له ان يدفع مقدراً صغيراً من ايجار الارض وفائدة القروض . بيد ان الفلاح المتوسط ، على العموم ، لا يبيع قوته على العمل . وان قسماً من الفلاحين المتوسطين (الفلاحين المتوسطين الميسوري الحال) يستثمرون على نطاق ضيق عمل الغير ، بيد ان هذا الاستثمار لا يتحلى بصفة دائمة ، وهو لا يشكل اساس دخلهم .

٤ - الفلاح الفقير .

يملك الفلاح الفقير ، في بعض الحالات ، قسماً من الأرض التي يزرعها وأدوات غير كاملة ، ولا يملك في حالات أخرى أي أرض على الإطلاق ، بل مجرد أدوات غير كاملة . وعلى العموم ، لا بد للفلاح الفقير أن يستأجر الأرض من أجل زراعته ، وهو مضطر - إذ يستثمره الآخرون - أن يدفع إيجار الأرض وفائدة على القروض ، ويؤجر قسماً صغيراً من عمله .

وإذا كان الفلاح المتوسط لا يحتاج على العموم لأن يبيع قوة عمله ، فلا بد للفلاح الفقير أن يبيع قسماً من قوة عمله - وهذا هو المقياس الرئيسي في تمييز الفلاح المتوسط عن الفلاح الفقير .

٥ - العامل .

لا يملك العمال (بما فيهم العمال الزراعيون) على العموم أرضاً أو أدوات البتة ، ويملكون في بعض الحالات قدراً صغيراً جداً من الأرض وبعض الأدوات . ان العمال يعيشون بصورة كلية أو بصورة رئيسية من بيع قوة عملهم .

سِياسَتُنَا الإِقْصَادِيَّة

(٢٣ كانون الثاني ١٩٣٤)

هذا تقرير قدم الى المؤتمر الوطني الثاني للمندوبين العمال والفلاحين المنعقد في كانون الثاني عام ١٩٣٤ في جوكين ، في مقاطعة كيانغسي .

ان سادة الحرب الكيومنتانغيين الوقحين هم وحدهم الذين ينشرون الشائعات ، بعدما يفكرون عملياً الشعب في المناطق الخاضعة لحكمهم ويستنفدون موارده الشعبية ، عن مبلغ ما هي عليه المناطق الحمر من دمار مطلق . وان هدف الاستعمار والكيومنتانغ هو تقويض المناطق الحمر ، ونسف البناء الاقتصادي الذي يتقدم حالياً فيها ، وتدمير رفاهية عشرات الملايين من العمال والفلاحين المحررين . ولذا فهم لم ينظموا قواهم المسلحة للقيام « بحملاتهم » العسكرية فحسب ، بل طبقوا كذلك سياسة من الحصار الاقتصادي الصارم . لكننا لم نحطم فحسب بصورة متكررة ، بجماهيرنا الفقيرة والجيش الاحمر الخاضع لقيادتنا ، « حملاتهم » المتكررة ، بل نقوم ايضاً بكل ما هو ممكن وضروري في ميدان البناء الاقتصادي ، وذلك كي نحطم الخطط الشريرة التي ابتكرها العدو من أجل خنقنا بالحصار الاقتصادي ، ونحن نحقق في هذا المجال ، بكل عزم ، انتصارات متعاقبة .

وان المبدأ الذي يوجه سياستنا الاقتصادية هو القيام بكل ما هو ممكن وضروري في مجال البناء الاقتصادي ، وتعبئة مواردنا الاقتصادية في سبيل

تموين الجبهة ، وبذل قصارانا في الوقت نفسه في سبيل تحسين شروط الشعب المعيشية ، وتمتين الاتحاد الاقتصادي بين العمال والفلاحين ، وتأمين قيادة البروليتارية لطبقة الفلاحين ، والعمل بحيث تؤمن الدور القيادي لقطاع الدولة بالنسبة الى القطاع الخاص ، وخلق شروط الانتقال الى الاشتراكية في المستقبل .

وان بناءنا الاقتصادي ليتمركز حول تطور الانتاج الزراعي والصناعي ، وتطور التجارة الخارجية ، وتطور التعاونيات .

ومن الواضح ان الزراعة تتقدم حالياً في المناطق الحمر . ففي منطقة جنوبي كيانفسى وغربي فوكيين ، زاد الانتاج الزراعي لعام ١٩٣٣ بنسبة ١٥ بالمائة عنه سنة ١٩٣٢ ، وبلغت هذه الزيادة ٢٠ بالمائة في منطقة تخوم فوكيين - شيكيانغ - كيانفسى ، كما كان الموسم في منطقة تخوم شيشوان - شنسي جيداً . ولقد كان الانتاج الزراعي يتدنى غالباً (١) في المناطق الحمر خلال السنة الاولى أو السنتين الاوليين بعد تأسيسها . لكنه لما استقرت ملكية الارض بعد اعادة توزيع الارض ولاقى الانتاج التشجيع اللازم ، فقد زادت حماسة جماهير الفلاحين للعمل ، وجعل الانتاج يرتفع . وفي اليوم الحاضر ، لم يرجع الانتاج في بعض الاماكن الى المستوى الذي كان عليه قبل الثورة فحسب ، بل لقد تجاوزه ايضاً . وفي اماكن اخرى ، لم يعاود الناس زراعة الارض التي أهملت أثناء الانتفاضات الثورية فحسب ، بل جعلوا يستصلحون اراضي جديدة . وفي اماكن عديدة نظمت فرق عمل وزمر حراثة لتبادل المعونة (٢) ، وذلك بفيه احكام استخدام قوة العمل في القرى ، كما نظمت

(١) نتج هذا التدني المؤقت بصورة رئيسية عن الواقع التالي ، ألا وهو أن الفلاحين ما كان يمكن أن يعزموا على الانتاج ما دامت الملكية الارضية لم تثبت بعد ، ولا النظام الاقتصادي الجديد قد تحقق بصورة تامة في أثناء اعادة توزيع الارض .

(٢) عمد الفلاحون في المناطق الحمر الى تشكيل هذين النوعين من فرق تبادل المعونة ، المؤسسين على الزراعة الفردية لتسهيل الانتاج بواسطة تنظيم أفضل لقوة العمل . وكان الاعضاء ،

تعاونيات ثيران الجر في سبيل التغلب على المصاعب الناجمة عن نقص الماشية .
وفي الوقت نفسه ، جعلت الجماهير الفقيرة من النساء يشتركن في الانتاج .

ومن المؤكد أن هذه الاشياء جميعاً ما كان يمكن ان تصنع في مرحلة سيطرة
الكيومنتانغ . كانت الارض ملكاً للملاكين العقاريين في ذلك الحين ، وما كان
الفلاحون يريدون ولا يقدرّون على تحسينها بجهودهم الخاصة . ولم تنطلق
حماسة الجماهير الفلاحية للعمل قدماً وتحقق انتصارات عظيماً في الانتاج
الا بعدما عمدنا الى توزيع الارض على الفلاحين والى تشجيع انتاج الفلاحين
وتحريضه . وتنبغي الإشارة هنا الى أن الانتاج الزراعي يحتل في الظروف
الراهنة المحل الاول في بنائنا الاقتصادي ، ومن الواجب ان يحل هذا الانتاج
ليس قضية الحبوب فحسب ، وهي القضية الأهم ، بل كذلك قضية توفير
المواد الخام كالقطن ، والقنب ، وقصب السكر ، والخيزران ، الخ . . . ،
هذه المواد المستخدمة في صناعة الحاجات اليومية الضرورية مثل الثياب ،
والسكر ، والورق . وان التحريج والتشجير يشكلان أيضاً قسماً هاماً
من الزراعة . وانه لمن الممكن والضروري على السواء وضع خطط ملائمة على
أساس الزراعة الفلاحية الصغيرة من اجل بعض المنتجات الزراعية الهامة ،
وتجنيد الفلاحين للسعي في سبيل تحقيق هذه الخطط . ويتوجب علينا في

على أساس المشاركة الارادية والنفع المتبادل ، اما أن يقوموا بمقدار متساو من العمل لبعضهم
بعضاً واما ان يدفع أحدهم للآخر ، عندما لا يكون في قدرته أن يقدم له مساعدة متساوية مقابل
مساعدته ، مبلغاً من المال يتناسب مع الفارق في وقت العمل . وبالإضافة الى ذلك ، كان أعضاء
زمر العمل لتبادل المعونة يقدمون المساعدة أيضاً الى عائلات جنود الجيش الاحمر بصورة حبية
تماماً . وكذلك كانوا يعملون لمصلحة الشيوخ العاجزين أو اليتامى دون مقابل سوى مايتناولون
من طعام اثناء قيامهم بهذا العمل .

ولما كانت هذه التدابير المستهدفة تبادل المعونة ذات فائدة عظيمة للانتاج ، وكان تنفيذها
يتم على أساس معقول ، فقد اكتسبت تأييد الجماهير . وقدم الرفيق ماوتسي تونغ تقريراً عنها
في بعض مؤلفاته .

المستقبل أن نبذل اهتماما أكثر ونكرس لها جهوداً أعظم .

ويتوجب علينا ان نقود الفلاحين بحزم في سبيل حل تلك المشكلات الصعبة التي تعوق خلق الشروط الضرورية للانتاج الزراعي ، امثال ذلك قضايا قوة العمل ، وثيران الجر ، والاسمدة ، والبذور ، والري . وان احكام استخدام قوة العمل بطريقة منظمة وتشجيع النساء على الالتحاق بالانتاج هما مهمتنا الاساسية الاولى في مجال الانتاج الزراعي . وان تنظيم فرق العمل وزمر الحراثة لتبادل المعونة ، وكذلك تجنيد سائر الناس في القرى والاشراف عليهم خلال مواسم الحراثة الهامة في الربيع والصيف ، هي التدابير الصالحة لحل مشكلة قوة العمل . والمشكلة الكبرى الاخرى هي ان نسبة كبيرة من الفلاحين (حوالي ٢٥ بالمائة) يفتقرون الى ثيران الجر . وانه لينبغي لنا ان نعنى بتنظيم تعاونيات ثيران الجر بتشجيع البيوت التي لا تملك ثيراناً على الاسهام بملء ارادتها في ابتياع الثيران للاستخدام الجماعي . ويشكل الري عصب حياة الزراعة ، وهو يستأهل ايضاً اهتمامنا الشديد . وطبيعي اننا لا نستطيع بعد طرح مسألة مزارع الدولة والمزارع الجماعية ، لكن الحاجة تمس ، في سبيل تسريع التطور الزراعي ، الى تنظيم محطات زراعية تجريبية صغيرة وتأسيس مدارس زراعية واقامة معارض الانتاج الزراعي في اماكن مختلفة .

ولقد خلق حصار العدو مصاعب في وجه تصدير منتجاتنا . وهكذا تدهورت قطاعات عديدة من الانتاج الحرفي في المناطق الحمر ، وعلى الاخص انتاج التبغ والورق . بيد ان مثل هذه الصعوبات في التصدير ليست كؤودة بصورة مطلقة . ان الحاجات الجماهيرية تخلق لدينا سوقاً واسعة . وانه ليتوجب علينا ، في سبيل سد نفقاتنا الخاصة أولاً وفي سبيل التجارة مع المناطق البيضاء ثانياً ، ان نجدد ونطور الحرف اليدوية وبعض الصناعات الاخرى بصورة منهجية . وخلال السنتين الاخيرتين ، وعلى الاخص منذ النصف الاول من عام ١٩٣٣ ، شرعت قطاعات حرفية عديدة وبعض الفروع

المنزلة في الانتاج ترفع رأسها لأننا كرسنا لها المزيد من الاهتمام ولأن تعاونيات المنتجين قد تطورت تدريجيا بين الجماهير ، وأقصد هنا بصورة خاصة صناعات التبغ ، والورق ، والتانفستين ، والكافور ، والادوات الزراعية ، والاسمدة (مثل الكلس) . وفيما عدا ذلك ، فانه يتوجب علينا في الظروف الراهنة الان نهمل أمر حياة ثيابنا القطنية الخاصة ، وصنع ادويتنا الخاصة ، وتقطير سكرنا الخاص . وفي منطقة تخوم فوكيين - شيكيانغ - كيانغسي ، أخذت بعض الصناعات التي كانت متقاعسة فيما مضى ، مثل صناعة الورق ، وحياكة القطن ، وتقطير السكر ، تتطور وتحقق نجاحات مرضية . وكما يعالج النقص في ملح المائدة ، فقد بدىء كذلك باستخراجه من ملح البارود .

ويتطلب الامر تنهيجاً ملائماً للمحافظة على استمرار الانتاج الصناعي . ومن المؤكد ان التنهيج المفصل الشامل مستحيل على اساس الحرف اليدوية المبعثرة . ومع ذلك فان مناهج على قدر وافر من التفصيل أمر ضروري بصورة مطلقة في بعض المشاريع الرئيسية ، وبصورة أولية في مشاريع الدولة أو التعاونيات . وانه ليتوجب على كل من المشاريع الصناعية الحكومية أو التعاونية ، منذ بداية نشاطها ، ان يضع حسابات دقيقة عن انتاج المواد الخام ، ويقدر امكانيات المبيع في المناطق العدوّة وفي مناطقنا على السواء .

وانه لمن الضروري بصورة مخصوصة في الوقت الحاضر ان نعمل الى التنظيم المنهجي لتجارة السكان مع المناطق البيض ، ونضع في يد الدولة امر الاشراف المباشر على تداول بعض البضائع الاساسية ، ومثال ذلك استيراد ملح المائدة والثياب القطنية ، وتصدير الحبوب والتانفستين ، وتنظيم تجارة المؤن الغذائية داخل مناطقنا الخاصة . وقد عمد الى مثل هذا العمل اول الامر منطقة تخوم فوكيين - شيكيانغ - كيانغسي ، كما بدىء في المنطقة المركزية في ربيع ١٩٣٣ . وقد تم تحقيق نجاحات اولية منذ انشاء مكتب التجارة مع المناطق الخارجية وبعض الوكالات الاخرى المماثلة .

ويتشكل اقتصادنا الوطني في الوقت الحاضر من ثلاث قطاعات : قطاع الدولة ، والقطاع التعاوني ، والقطاع الخاص .

ويقتصر قطاع الدولة على الامور الممكنة والاساسية. وان مشاريع الدولة الصناعية والتجارية العاملة قد شرعت في النمو منذ الآن ، ولا حدود للآفاق المفتوحة امامها .

اما بخصوص المشاريع الخاصة ، فبقدر مالا تخرق الحدود القانونية المقررة من قبل الحكومة ، فنحن لن نمتنع عن لجمها فحسب ، بل سوف نساعدنا ونشجعها . ان تطور القطاع الخاص يحتل الآن مركزا متفوقا بصورة مطلقة ، وسوف تستمر هذه الحال فترة طويلة من الزمن بعد . ولا يبرح القطاع الخاص ، في المناطق الحمر في الوقت الحاضر ، تمثله مشاريع صغيرة .

وينمو القطاع التعاوني بسرعة فائقة . وتشير احصائيات ايلول ١٩٣٣ ، الواردة من سبعة عشر اقليما في مقاطعتي كيانفسي وفوكيين ، ان ثمة على الاجمال ١٤٢٣ تعاونية مختلفة برأسمال يزيد عن ٣٠٠.٠٠٠ دولار . ولقد ازدهرت تعاونيات المستهلكين وتعاونيات الحبوب في المحل الاول ، وتأتي تعاونيات المنتجين في اثرها . ولم تبأشر تعاونيات التسليف نشاطها الا حديثا . وعندما يتم تنسيق التعاونيات ومشاريع الدولة ويمضي عليها فترة طويلة من الزمن ، فلسوف تصبح قوة هائلة في المجال الاقتصادي ، وتتفوق تدريجيا على المشاريع الخاصة وتحتل المركز القيادي بالنسبة اليها . وبنتيجة ذلك ، فان تنمية القطاع الحكومي بمختلف الوسائل الممكنة وتنمية التعاونيات على نطاق واسع يجب ان تتقدما بصورة متوافقة مع تشجيع القطاع الخاص وتطويره .

وكيما نظور مشاريع الدولة ونمد يد المعونة الى التعاونيات ، اصدرنا بمساندة الجماهير سندات البناء الاقتصادي التي تقدر قيمتها بثلاثة ملايين دولار . وان الاعتماد بمثل هذه الطريقة على قوة الجماهير من أجل حل مشكلة الاعتمادات الخاصة بالبناء الاقتصادي هي الوسيلة الوحيدة الممكنة في اللحظة الراهنة .

وان زيادة دخلنا بتنمية الاقتصاد الوطني هو الخطة الاساسية في سياستنا

المالية ، وقد ظهر تأثيرها بكل وضوح في منطقة تخوم فوكيين - شيكيانغ - كيانغسي ، كما شرعنا بجني ثمارها في المنطقة المركزية . وان تنفيذ هذه الخطة بحزم هو واجب منظمتنا المالية والاقتصادية . وان ما يتطلب كل عنايتنا هنا هو أن مصرف الدولة يجب أن يصدر الاوراق النقدية بصورة تتفق جوهرياً مع متطلبات تطور الاقتصاد الوطني ، اما الحاجات المالية الخاصة فيجب الا تعطى سوى الاعتبار الثانوي .

ويجب أن تخضع النفقات المالية لمبدأ الاقتصاد . وينبغي أن نوضح لسائر الملاكات الحكومية أن الفساد والتبذير هما أفدح الجرائم . وفي الماضي ، حقق النضال ضد الفساد والتبذير بعض النتائج ، لكن الحاجة تمس الى جهود أخرى . وان المبدأ المهيمن على نظامنا في المحاسبة هو أن كل قرش نحاسي يجب توفيره من أجل الحرب ، من أجل القضية الثورية ، ومن أجل بنائنا الاقتصادي . ان اساليب استخدامنا لمداخل الدولة يجب ان تختلف بصورة جذرية عن اساليب الكيومنتانغ .

وفي هذا الوقت بالذات حيث تنجرف الصين في الكارثة الاقتصادية ويماني مئات الملايين من الناس ضائقة شديدة ويشكون الجوع والبرد ، تقوم حكومتنا الشعبية في اندفاع ، دون اعتبار لسائر المصاعب ، بتحقيق البناء الاقتصادي من أجل الحرب الثورية وفي مصلحة الامة . ان القضية برمتها لواضحة تماماً : عندما نقهر الاستعمار والكيومنتانغ ، وعندما نحقق بناء اقتصاديا منهجاً ومنظماً ، عندئذ فقط نستطيع أن نحرر الشعب في سائر ارجاء البلاد من مثل هذه الكارثة التي لم يسبق لها مثيل .

الإشهاد بشروط الجاهل المعيشية والغاية بأساليب العمل

(٢٧ كانون الثاني ١٩٣٤)

هذا قسم من التقرير الختامي المقدم في المؤتمر الوطني الثاني للمندوبين
العمال والفلاحين، المنعقد في شهر كانون الثاني من عام ١٩٣٤ في جوكين ،
من مقاطعة كيانتسي .

ثمة قضيتان لم يعمد الرفاق الى التشديد عليهما اثناء المناقشات، وأشعر
انه لا بد من العودة اليهما لايضاحهما قليلا .

وتتعلق القضية الاولى بشروط الجماهير المعيشية .

ان مهمتنا المركزية في الوقت الراهن هي تجنيد الجماهير الفقيرة للمشاركة
في الحرب الثورية ، وبنتيجة ذلك قلب الاستعمار والكيومنتانغ ، ونشر الثورة
في ارجاء البلاد ، وطرده الاستعمار خارج الصين . وكل من يتهاون في تنفيذ
هذه المهمة الاساسية هو مناضل ثوري سيء . واذا فهم رفاقنا حقاً هذه
المهمة الاساسية وادركوا ان الثورة يجب بأي ثمن ان تكون ارعاء البلاد ،
فانهم لن يهملوا مطلقاً او يستخفوا بقضية المصالح المباشرة للجماهير الفقيرة ،
قضية شروط هذه الجماهير المعيشية . ولما كانت الحرب الثورية حرباً
جماهيرية ، فاننا لا نستطيع القيام بالحرب الا بتجنيد الجماهير والاعتماد
عليها .

واذا لم نقيم بأي عمل آخر سوى مجرد تجنيد الشعب للقيام بالحرب، فهل سيكون في مكنتنا اذن تحقيق الهدف الذي هو هزيمة العدو ؟ من المؤكد ان لا . اذا كنا نريد ان ننتصر ، فلا يزال اماننا بعد مقدار كبير من العمل . يجب ان نقود الفلاحين في النضالات الزراعية ونوزع الاراضي عليهم ، ونرفع حماسهم للعمل بنية زيادة الانتاج الزراعي ، ونحمي مصالح العمال ، وننشئ التعاونيات ، ونطور التجارة مع المناطق الخارجية ، ونحل المشاكل التي تجابه الجماهير ، مشاكل الثياب ، والغذاء ، والمأوى ، والمحروقات ، والارز ، وزيت الطهي ، والملح ، والصحة والمشاكل الصحية ، والزواج . وباختصار فان سائر المشاكل التي تجابه الجماهير في حياتها اليومية يجب ان تسترعى اهتمامنا . واذا عطينا بهذه المشاكل من صميم قلوبنا وحللناها بصورة ترضي الجماهير ، فاننا سنصبح اذن ، بالفعل ، المنظمين الحقيقيين لحياة الجماهير ، ولسوف تلتف هذه الجماهير بالفعل حولنا وتدعمنا بحرارة . وهل سيكون في قدرتنا عندئذ ، ايها الرفاق ، ان نتوجه الى الجماهير من اجل المشاركة في الحرب الثورية ؟ اجل ، بكل تأكيد .

ولقد وجدنا الحالة كما يلي بين ملاكاتنا . انهم لا يتحدثون سوى عن توسيع الجيش الاحمر ، وتوسيع وسائل النقل ، وجمع ضرائب الارض وتشجيع الاكتتاب في السندات ، أما بخصوص سائر القضايا الاخرى ، فان هؤلاء الناس لا يتحدثون عنها ولا يعنون بها ، بل يتجاهلونها تماماً .

ومثال ذلك ان مجلس مدينة تنفشو البلدي قد اعرض لفترة من الزمن ، وهو مأخوذ بأمر توسيع الجيش الاحمر وتجنيد وسائل النقل ، عن شؤون حياة الجماهير اليومية . وكانت المشاكل التي تجابه جماهير مدينة تنفشو هي افتقارها الى الحطب ، وعدم توفر الملح في السوق لان الرأسماليين احتكروه ، وعدم توفر المأوى لبعض الناس ، ونقص الارز وارتفاع اسعاره . هذه هي المشاكل العملية التي كانت تجابه جماهير شعب مدينة تنفشو ، الذين كانوا يتوقعون منا بلهفة ان نساعدهم في ايجاد الحلول لها . بيد ان

مجلس مدينة تنفشوو البلدي لم يناقش أية قضية من هذه القضايا البتة . وهكذا ، بعد اجتماعات عديدة لم تجر فيها مناقشة سوى !مر توسيع الجيش الاحمر وأمر تعبئة وسائل النقل ، فيما شروط الجماهير المعيشية لم تعر ادنى اهتمام ، فان المندوبين المائة أو الاكثر ، المنتخبين حديثا ، لمؤتمر عمال وفلاحي مدينة تنفشوو لم يعودوا يبدون أي اهتمام في حضور المؤتمر وجلساته اللاحقة . ونتيجة لذلك ، فان المؤتمر لم يستطع أن يحقق سوى الشيء القليل جدا في مضمار توسيع الجيش الاحمر وتعبئة وسائل النقل . هكذا كان الوضع في أحد الامكنة .

أيها الرفاق ، مما لا ريب فيه أنكم قرأتم الكراستين اللتين وزعتا عليكم بشأن الناحيتين النموذجيتين . ان الوضع هناك مختلف كل الاختلاف . لشدما اتسع الجيش الاحمر في ناحية شانغ كانغ (١) في كيانغسي وفي ناحية تسايكي (٢) في فوكيين : ان ثمانين من كل مائة رجل أو امرأة من الشباب ومتوسطي الاعمار قد انضموا الى الجيش الاحمر في ناحية شانغ كانغ ، اما في ناحية تسايكي ، فقد بلغت هذه النسبة ثمانية وثمانين بالمائة . وان الاكتتابات في السندات لمرقومة أيضا ، فقد أكتتبت ناحية شانغ كانغ ، وسكانها لا يزيدون عن ١٥٠٠ نسمة ، بمبلغ ٤٥٠٠ دولار فصي ، كما حققت نجاحات كبرى في مجالات أخرى من العمل . فما السبب في ذلك ؟ ان بعض الامثلة ستوضح لنا الامر بصورة جلية . لقد التهمت النار في ناحية شانغ كانغ غرفة وحوالي نصف غرفة أخرى من دار أحد الفلاحين الفقراء ، فتوجهت لجنة الناحية التنفيذية الى الجماهير لمساعدة ذلك الفلاح بالمال . وكان ثلاثة أشخاص يعانون حالة شديدة من البؤس فشرعت لجنة الناحية وجمعية تبادل المعونة ، على الفور ، في جمع الارز من أجل مساعدتهم . وفي مجاعة الصيف الاخير ،

(١) ناحية في اقليم سينكوو ، من مقاطعة كيانغسي .

(٢) ناحية في اقليم شانغ هانغ ، من مقاطعة فوكيين .

حصلت لجنة الناحية على الارز من اقليم كونغ لويه (١) ، وهي على ابعد من مائتي لي ، واستطاعت أن تخفف عن الجماهير . ولقد حققت ناحية تسايكي عملاً رائعاً ايضاً بهذه الروح نفسها . وان مثل هذه السلطات الناحية لنموذجية حقاً في نوعها ، وهي تختلف كل الاختلاف عن مجلس مدينة تنفشوو البلدي بأساليبه البيروقراطية في القيادة . وينبغي لنا أن نتعلم من ناحيتي شانغ كانغ وتساكي ونعارض القادة البيروقراطيين من أمثال أولئك الذين في مدينة تنفشوو .

ولقد اقترحت جدياً على هذا المؤتمر أن يعير كل اهتمامه لمشاكل حياة الجماهير المعيشية ، بدءاً من مشاكل الارض والعمل حتى المحروقات والارز وزيت الطهي والملح . ان جماهير النساء يردن أن يتعلمن الحراثة وعزق الارض . ومن أين لنا من يعلمهن ؟ ويريد الاطفال أن يدرسوا ، فهل اقمنا المدارس لهم ؟ ان الجسر الخشبي القريب ضيق جداً ويمكن أن يقع الناس عنه . أفلا يجب اصلاحه ؟ وثمة اناس كثيرون يشكون من امراض مختلفة ، فما هي التدابير التي يمكننا اتخاذها ؟ ان سائر هذه القضايا المتعلقة بشروط الجماهير المعيشية يجب أن تكون في جدول اعمالنا باستمرار . وينبغي أن نناقشها، ونتخذ القرارات بشأنها ، ونطبق هذه القرارات ونتحقق من النتائج . وينبغي أن نفهم الجماهير الواسعة اننا نمثل مصالحهم ، وأن حياتنا وحياتهم متشابكتان بصورة صميمية .

ينبغي أن نفهمهم ، على أساس هذه القضايا ، ما نقترحه عليهم من المهمات الاعلى مرتبة ، الا وهي مهمات الحرب الثورية ، بحيث يدعمون الثورة وينشرونها في أرجاء البلاد ، ويجيبون على شعاراتنا السياسية ويناضلون حتى النهاية من أجل انتصار الثورة . ان الجماهير في اقليم شانغ يقولون :

(١) اقليم في منطقة كيانغسي الحمراء وقتذاك ، ومركزها في مدينة تونغكو ، الى الجنوب الشرقي من اقليم كيان . ولقد سميت باسم الرفيق هوانغ كونغ - لويه ، قائد الجيش الاحمر الثالث ، الذي استشهد هناك في تشرين الاول ١٩٣١ .

« ان الحزب الشيوعي صالح حقاً - لقد فكر في كل شيء من أجلنا » . وأن الملاكات . في اقليم شانغ كانغ . لمثال يحتذى بالنسبة الينا جميعا . ويا نهم اناساً رائعين ! لقد كسبوا عطف الجماهير الفقيرة ، وندأؤهم للتجند من أجل الاشتراك في الحرب يلاقي تأييد هذه الجماهير . انريد ان نكسب تأييد الجماهير ؟ انريد الجماهير ان يكرسوا كل جهودهم من أجل الجهة الحرية ؟ اذا كنا نريد ذلك ، فانه يتوجب علينا ان نذهب الى الجماهير ، ونرفع نشاطهم ، ونهتم بسرائهم وضرائهم ، ونعمل بحماسة واخلص في سبيل مصلحتهم . ونحل مشاكلهم الخاصة بالانتاج والشروط المعيشية ، ومشاكلهم الخاصة بالملح ، والارز ، والمأوى ، والثياب ، والولادة ، وباختصار سائر مشاكلهم . فاذا فعلنا ذلك ، فمما لا ريب فيه ان الجماهير الفقيرة سوف تؤيدنا وتصبح الثورة بالنسبة اليها شيئاً حيوياً ، راية المجد الاعظم . واذا ماشن الكيومنتانغ هجماته على المناطق الحمر ، فان الجماهير الفقيرة ستبدل حياتها في القتال . وليس ثمة ريب في هذا الامر ، اذ لم نسحق حتى الآن حملات العدو « للتطويق والافناء » الاولى والثانية والثالثة والرابعة ؟

ان الكيومنتانغ ينفذ في الوقت الحاضر سياسته في بناء التحصينات (١) ، واقامة اكبر عدد من « قواقع السلحفاة » (٢) فكانها جدران من البرونز والحديد . ايها الرفاق ، اهي حقاً جدران من البرونز والحديد ؟ ابداً !

(١) قرر شيانغ كاي - شيك ، كتعبئة جديدة لحملة الخامسة « للتطويق والافناء » ، في اجتماع عسكري عقد في ملجأ جبلي في كولينغ من مقاطعة كيانغسي في تموز ١٩٣٣ ، قرر ان يبني التحصينات حول المناطق الحمر . ولقد قدر ان ٢٩٠٠ حصن بنيت في كيانغسي حتى نهاية كانون الثاني ١٩٣٤ . ولقد لجأ المعتدون اليابانيون فيما بعد الى نفس التعبئة في قتالهم لجيش المسير الثامن والجيش الرابع الجديد . وقد برهنت التجربة تماماً ان هذه التعبئة الخاصة بالثورة المضادة يمكن القضاء عليها بتبني المبادئ السوقية للرفيق ماوتسي تونغ عن الحرب الشعبية .

(٢) تلك حيلة شعبية في الحصون كان جنود الكيومنتانغ ينسحبون اليها عندما يهاجمون ، وهي أشبه بالسلحفاة التي تنسحب الى قوقعتها .

احكموا على ذلك بأنفسكم : ألم تنهض ، طوال ألوف السنوات ، حصون
الاباطرة الاقطاعيين وقصورهم وهي على ما يكفي من الثبات ؟ بيد أنها تهاوت
الواحد تلو الآخر عندما هبت الجماهير . ولقد كان قيصر روسيا واحدا من
أقسى الحكام في العالم ، ولكن ما الذي بقي منه عندما اندلعت ثورة البروليتاريا
وطبقة الفلاحين ؟ لم يبق منه شيء على الاطلاق . وجدرانه البرونزية
والحديدية ؟ لقد تهاوت جميعا . أيها الرفاق ، ما هو في الواقع جدار من
البرونز أو الحديد ؟ انه الجماهير ، الملايين فوق الملايين ، من الجماهير
الذين يؤيدون الثورة باندفاع واخلاص . انهم بالفعل جدار من البرونز
والحديد لا يمكن لاية قوة ، اية قوة على الاطلاق، أن تحطمه . ان القوى المضادة
للثورة لن تستطيع مطلقاً أن تهزمنا ، لكننا سوف نهزمها . اذا جمعنا الملايين
من الجماهير حول الحكومة الثورية وعممنا الحرب الثورية ، فسوف يكون في
مكنتنا أن نكنس كل الثورات المضادة ونحرر الصين بأسرها .

وتتعلق القضية الثانية بأساليب العمل .

اننا قادة ومنظمو الحرب الثورية كا نحن قادة ومنظمو حياة الجماهير .
وان تنظيم الحرب الثورية وتحسين شروط الجماهير المعيشية هما المهمتان
الرئيسيتان المترتبان علينا . وهنا تجابهنا مشكلة اساليب العمل بكل
خطورتها . ولا يكفي ان نحدد المهمات ، بل يتوجب علينا أن نحل مشكلة
الاساليب التي تمكننا من تحقيق هذه المهمات وقد تكون مهمتنا هي
عبور أحد الأنهر ، لكننا لا نستطيع عبوره دون جسر أو قارب . واذا لم نحل
قضية الجسر أو القارب ، فكل حديث عن عبور النهر باطل . ومن دون حل
مشكلة اساليب العمل ، فان الحديث عن المهمات ثرثرة خالصة . ومن دون
الاهتمام بأمر العمل على توسيع الجيش الاحمر ، أو العناية بأساليب توسيعه ،
فاننا لن نستطيع تحقيق أي نجاح في آخر الامر ، حتى لو كررنا ألف مرة
الجملة التالية : « توسيع الجيش الاحمر » والاكثر من ذلك أننا لا نستطيع ،
في استقصاء الارض (١) ، والبناء الاقتصادي ، وأمر الثقافة والتعليم ، والعمل

(١) انظر ملاحظة سابقة في هذا الشأن في « يجب أن نمنى بالعمل الاقتصادي » .

في المناطق المحررة حديثاً وفي الاقضية النائية من مناطقنا ، وبالفعل في جميع أنواع العمل ، لا نستطيع اذن أن ننجز المهمات المترتبة علينا اذا لم نفعل سوى اقتراحها ، من دون العناية بأساليب تحقيقها ، واذا لم نعارض الاساليب البيروقراطية في العمل ونتبن بدلا عنها أساليب عملية وحسية ، واذا لم نضع حداً للأسلوب التعسفي في العمل ونتبن بدلا منه أسلوب الاقتناع الصبور .

ولقد حقق الرفاق في هسينكوو عملاً عظيماً جداً وهم يستأهلون مديحنا بوصفهم مناضلين نموذجيين . وكذلك قام الرفاق في شمالي شرقي كيانفسي بعمل ممتاز وهم أيضاً مناضلون مثاليون . ولما كان الرفاق في هسينكوو وفي شمالي شرقي كيانفسي قد ربطوا حياة الجماهير بالحرب الثورية ، فقد حلوا قضية الاساليب الثورية للعمل وقضية المهمات الثورية على السواء . انهم يعملون بوجدان ويحلون المشاكل بعناية فائقة ، لقد أخذوا على عاتقهم مسؤولياتهم باندفاع ولهفة حيال الثورة ، وانهم لمنظمون وقادة جيدون للحرب الثورية كما هم منظمون وقادة جيدون لحياة الجماهير . وفيما عدا ذلك ، ففي بعض الاماكن من أقاليم شانغ هانغ وشانغ تينغ ويونغ تينغ من مقاطعة فوكين ، وفي سيكيانغ وأماكن أخرى في جنوبي كيانفسي ، وفي بعض الاماكن في أقاليم شالينغ ويونفسين وكيان من منطقة تخوم هونان - كيانفسي ، وفي بعض الاماكن في اقليم يونفسين من منطقة تخوم تونان - حوييه ، كيانفسي ، وفي اقضية ونواحي في اقاليم عديدة أخرى من كيانفسي ، وفي جوكين ، الاقليم الذي تديره الحكومة المركزية مباشرة - في هذه الاماكن جميعاً حقق الرفاق تقدماً ملحوظاً في عملهم وهم يستأهلون كذلك المديح من جانبنا .

ومما لا ريب فيه ان ملاكات نشيطة عديدة ورفاقاً جيدين قد انبثقوا من الجماهير في سائر الاماكن الخاضعة لقيادتنا . وان هؤلاء الرفاق ليحملون على كواهلهم المسؤولية التالية ، الا وهي المساعدة على تحسين العمل في تلك الاماكن التي لا ينجز فيها العمل جيداً ومساعدة أولئك الرفاق الذين لم يصبحوا أكفاء حتى الآن . اننا نقف وجهاً لوجه أمام حرب ثورية عظيمة ، وانه ليتوجب علينا أن ننفذ من خلال عملية العدو الواسعة النطاق المستهدفة « التطويق والافناء » ، ويتوجب علينا أن نعمم الثورة في أرجاء البلاد . وان

سائر المناضلين الثوريين يحملون على كواهلهم مسؤولية هائلة . وينبغي لنا بعد هذا المؤتمر ان نطبق تدابير عملية لتحسين عملنا ، فالمناطق المتطورة يجب ان تواصل تقدمها ، والمناطق المتخلفة يجب ان تلحق بالمناطق المتقدمة . يجب ان نخلق آلافاً من نواحي شانغ كانغ وانتصارات اقاليم سينكوو . وهذه يجب ان تكون قواعدنا المتينة . واذا ما استطعنا ان نملك مثل هذه القواعد مرة ، فسوف يكون في مكنتنا اذن ان نعد الى تمزيق حملة العدو « للتطويق والافناء » وقلب حكم الاستعمار والكيومنتانغ في البلاد بأسرها .

في تعبته قتال الإستعمار الياباني

(٢٧ كانون الاول ١٩٣٥)

هذا النص تقرير قدم في اجتماع للمناضلين الحزبيين عقد في وايا وباو في شمالي تنسي بعد اجتماع المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في المكان نفسه في كانون الاول ١٩٣٥ . ولقد دحض اجتماع المكتب السياسي ، وهو من أهم الاجتماعات التي عقدها المركز الحزبي حتى ذلك اليوم ، النظرة المغلوطة المنتشرة في الحزب والقائلة انه من المستحيل على البورجوازية الوطنية الصينية أن تضم قواها الى العمال والفلاحين الصينيين من أجل مقاومة اليابان ، وقرر خطة انشاء جبهة وطنية موحدة . وقد اوضح الرفيق ماوتسي تونغ بكل جلاء ، على اساس قرارات المركز الحزبي ، كيف انه من الممكن والمهم على السواء ، في ظروف الحرب المناهضة لليابانيين ، اقامة الجبهة الموحدة من جديد مع البورجوازية الوطنية ، مبرزا بشدة المفزى الحاسم للدور القيادي الذي يجب ان يلعبه الحزب الشيوعي والجيش الاحمر في هذه الجبهة الموحدة ، مشيرا الى الصفة الطويلة الاملد للثورة الصينية ، ومنتقدا المصيبة الضيقة والاندفاع الثوري اللذين سادا في الحزب زمنا طويلا وكانا السبب الاساسي لما تعرض له الحزب والجيش الاحمر من نكسات خطيرة خلال الحرب الثورية الاهلية الثانية . ولقد وجه انتباه الحزب في الوقت نفسه الى العبرة التاريخية المستمدة من انتهاء الانتهازية « اليمينية » لشن تو - هسيو بالثورة الى الهزيمة عام ١٩٢٧ ، وبين ان شيانغ كاي - شيك سيسعى بكل تأكيد الى تدمير قوى الثورة ، ممكنا بذلك الحزب من ان يظل صافي الذهن في الاوضاع الجديدة ، ومنقذا الثورة من تكبد الخسائر على الرغم من مكر شيانغ كاي - شيك المتصل وهجماته المسلحة التي لا عداد لها .

وفي الاجتماع الواسع للمكتب السياسي للجنة المركزية في كانون الثاني ١٩٣٥ ، المنعقد في تسويني

في كويشوو، تشكلت قيادة جديدة للجنة المركزية برئاسة الرفيق ماوتسي تونغ مكان القيادة السابقة المؤلفة من الانتهازيين « اليساريين » . ومهما يكن من أمر ، فانه ما كان يمكن ان تتخذ القرارات الا بخصوص القضايا العسكرية المستعجلة جدا وتنظيم امانة السر واللجنة المركزية ، وذلك لان الاجتماع الانف الذكر قد عقد في سياق المسيرة الطويلة للجيش الاحمر . ولم يتمكن المركز الحزبي الا بعد وصول الجيش الاحمر الى شمالي شنسي بعد المسيرة الطويلة ان يوضح بصورة منهجية مختلف قضايا الاستراتيجية السياسية ، وهي ما يعطي هذا التقرير تحليلا كاملا عنها .

• خصائص الوضع السياسي الراهن •

ايها الرفاق ، لقد طرأ تبدل عظيم جداً على الوضع السياسي في الوقت الراهن ، وقد حدد حزبنا مهماته على أساس هذا التبدل .

ما الذي يميز الوضع الراهن ؟

ان الميزة الرئيسية للوضع الراهن هي أن الاستعمار الياباني يريد ان يجعل من الصين مستعمرة له .

ويعلم الجميع أن الصين بقيت ، طوال قرابة مائة عام ، بلداً نصف مستعمر يخضع للإشراف المشترك لعدة قوى استعمارية . وان الصين لتستطيع بعد ، بفضل نضال الشعب الصيني ضد الاستعمار والنزاعات القائمة بين القوى الاستعمارية ، أن نحافظ على وضعيتها نصف المستقلة ، وقد مكنت الحرب العالمية الاولى الاستعمار الياباني من السيطرة لوحده على الصين لفترة من الزمن . بيد ان المطالب الواحد والعشرين (١) الموقعة وقتذاك

(١) قدمت هذه المطالب الى الحكومة الصينية التي يرأسها يوان شيه - كاي في ١٨ كانون الثاني ١٩١٥ . وفي ٧ ايار ، ارسل الاستعماريون اليابانيون انذاراً يدعو الى قبول المطالب الواحد والعشرين خلال ثمان واربعين ساعة .

وكانت هذه المطالب مقسمة الى خمسة أقسام . فالمطالب الاربعة الاول تتضمن ما يلي :

تحويل الحقوق التي اكتسبتها المانيا بصورة غير عادلة في شانتونغ الى اليابان ، وضمان حقوق اضافية لليابان في شانتونغ ، والسماح لليابانيين باستئجار الارض أو امتلاكها في جنوبي منشوريا

من قبل الداهية الخائن يوان شيه - كاي (١) من أجل تسليم الصين لليابان ما كان يمكن ، كنتيجة لنضال الشعب الصيني ضد الاستعمار الياباني وتدخل القوى الاستعمارية الأخرى ، إلا أن تصبح لاغية باطلية . وفي مؤتمر الدول التسع الذي دعت اليه الولايات المتحدة في واشنطن عام ١٩٢٢ ، عقد ميثاق (٢) وضع الصين من جديد تحت الاشراف المشترك لعدة قوى

وشرقي منغوليا، وبالسكن، والاشتغال بالصناعة والتجارة ، واحتكار حق بناء السكك الحديدية والتنقيب عن المعادن ، واعادة تنظيم شركة هان - ييه - ينغ للحديد والفولاذ في الصين الوسطى في مشروع صيني ياباني مشترك ، وامتناع الصين عن ايجار أو تسليم أية مرافئ أو جزر على طول الشاطئ لاية دولة ثالثة .

وكان القسم الخامس يشتمل على طلبات السماح لليابان بالاشراف على حكومة الصين وماليتها وبوليسها ودفاعها الوطني ، والسماح لليابان ببناء الخطوط الحديدية الحيوية التي تربط مقاطعات هوييه وكيانغسي وكوانغ تونغ .

وقد قبل يوان شيه - كاي سائر المطالب باستثناء القسم الخامس التي توسل بخصوصها من أجل « مفاوضات لاحقة » . وعلى أية حال فان هذه المطالب اليابانية لم تنفذ ، وذلك بفضل المعارضة الجماعية لها من قبل الشعب الصيني .

(١) زعيم العصابة الشمالية من سادة الحرب ، المؤلفة خلال السنوات الاخيرة من حكم عائلة مانشو . وعند قلب نظام آل مانشو بثورة ١٩١١ ، مكن الموقف المشبوه للبورجوازية التي كانت تقود الثورة يومذاك يوان من الاستيلاء على رئاسة الجمهورية بواسطة تأييد الاستعماريين وبمساعدة الجيش المناهض للثورة الذي كان تحت قيادته . ولقد شكل أول حكومة لسادة الحرب الشماليين ، وكانت تمثل طبقات الاقطاعيين الكبار والمستوردين الاحتكاريين الكبار . وفي ١٩١٥ ، اقام نظاماً امبراطورياً ونصب نفسه على العرش ، وقبل مطالب الاستعماريين اليابانيين الواحد والعشرين بغية كسب تأييدهم . وحدثت انتفاضة في مقاطعة يونان في كانون الاول امتدت حتى أصبحت تمرداً قومي النطاق ، مما اضطر يوان الى الغاء الحكومة الامبراطورية في آذار ١٩١٦ . وقد مات بعد ذلك بوقت قصير ، في حزيران من العام نفسه .

(٢) في تشرين الثاني ١٩٢١ ، دعت حكومة الولايات المتحدة الصين وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا

استعمارية . وعلى أية حال ، فلم يمض وقت قصير حتى تبدلت الاوضاع من جديد ، اذ بدأت مع أحداث ١٨ ايلول ١٩٣١ (١) مرحلة الاستعمار الياباني للصين . بيد أن العدوان الياباني ظل محصورا ، لفترة من الزمن ، في المقاطعات الشمالية الشرقية الاربعة (٢) ، الأمر الذي جعل بعض الناس يحسبون ان الاستعماريين اليابانيين لن يتقدموا بكل تأكيد أكثر من ذلك . لكن الأمور تختلف في الوقت الحاضر : فثمة دلائل لا تخطيء تشير الى أن

وبلجيكا وهولندا والبرتغال واليابان الى مؤتمر للدول التسع في واشنطن . ولم يكن في الحقيقة سوى براز بين الولايات المتحدة واليابان من أجل السيطرة في الشرق الأقصى . وفي ٦ شباط ١٩٢٢ ، وقعت معاهدة تضم الدول التسع تحت المبدأ الذي ترعاه الولايات المتحدة من « الباب المفتوح » أو « مساواة الفرص في الصين أمام سائر الأمم من أجل التجارة والصناعة » . وقد هيات هذه المعاهدة ، الى جانب اقامة الاشراف المشترك بين القوى الاستعمارية على الصين ، الطريق امام الولايات المتحدة كي تفسد مساعي اليابان من أجل سيطرتها الوحيدة على الصين ، وتحقق في الختام احتكارها الخاص عليها .

(١) في ١٨ ايلول ١٩٣١ ، استولى جيش « كوانتونغ » الياباني ، المعسكر في شمال شرقي الصين ، على مو كدن . ونزولا عند أوامر شيانغ كاي - شيك الخاصة « بعدم المقاومة المطلق » ، انسحب جيش الصين الشمالي الشرقي في مو كدن وغيرها الى الجنوب من الجدار الكبير . وهكذا تمكنت القوات اليابانية ان تحتل بسرعة المقاطعات الشمالية الشرقية السابقة ، لياونينغ وكيرين وهيلونغ كيانغ .

(٢) كانت هذه المقاطعات تشمل قسماً كبيراً من المنطقة المنغولية الداخلية ذات الحكم الذاتي في الوقت الحاضر ، والمقاطعات الست في المنطقة الادارية الشمالية الشرقية : لياوتونغ ولياوسي وكيرين وسونغ كيانغ وجيهول . وكانت المقاطعات الخمس الاولى والقسم الاكبر من منغوليا الداخلية تشكل وقتذاك المقاطعات الثلاث المذكورة في الملاحظة السابقة . وقد استولى عليها اليابانيون بعد حادث ١٨ ايلول ١٩٣٨ ، أما مقاطعة جيهول فقد استولوا عليها عام ١٩٣٣ .

الاستعماريين اليابانيين يريدون ان يتقدموا الى الصين الحقيقية (١) ويحتلوا الصين برمتها . انهم يريدون الآن ان يحولوا الصين من نصف مستعمرة تنقسمها عدة دول استعمارية الى مستعمرة تحتكرها اليابان وحدها . وان الاحداث الجديدة في شرقي هوبه (٢) والمفاوضات الدبلوماسية (٣) دلائل واضحة على الاتجاه نحو اوضاع تهدد وجود الشعب في مختلف أرجاء البلاد . وفي مثل هذه الظروف ، تجد سائر الطبقات وسائر الجماعات السياسية في الصين نفسها وجهاً لوجه أمام السؤال التالي: ما العمل ؟ المقاومة ؟ الاستسلام ؟ أم التارجح بين هذين الاتجاهين ؟

والآن ، فلنر كيف تجيب الطبقات المختلفة في الصين على هذا السؤال . ان العمال والفلاحين على السواء في الصين يطالبون بالمقاومة . ان ثورة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، والثورة الزراعية منذ عام ١٩٢٧ حتى الوقت الراهن ، والانتفاضة المناهضة لليابانيين منذ أحداث ١٨ ايلول ١٩٣٨ ، تثبت جميعاً ان طبقتي العمال والفلاحين الصينيين هما القوتان الأشد حزمًا في الثورة الصينية .

(١) تسمية تاريخية جغرافية لذلك القسم من الصين حيث تشكلت الإدارة الإقليمية في اوائل حكم آل مانشو ، وهي لا تشمل منشوريا وسينكيانغ ومنغوليا والتبت وشينغهاي .

(٢) اقام بين جو - كنف ، أحد شركاء الكيومنتانغ ، بمساعدة اليابانيين وتحريضهم ، ما سماه زورا « الإدارة الذاتية المناهضة للشيوعيين في شرقي هوبه » وذلك في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥ . وكانت هذه الإدارة المزيفة تشمل اثني وعشرين اقليماً في شرقي هوبه .

(٣) اشارة الى المفاوضات الدبلوماسية بين حكومة شيانغ كاي - شيك والحكومة اليابانية بخصوص ما سمي « مبادئ هيروتا الثلاثة » : ١ - قضاء الصين على سائر الحركات المناهضة لليابانيين . ٢ - التعاون الاقتصادي « المانشو كواي » الصيني الياباني (ومانشو كوو هي الحكومة المركزية التي اقامتها اليابان في شمالي شرقي الصين) . ٣ - الدفاع المشترك الصيني الياباني ضد الشيوعية . وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٣٦ ، أخبر هيروتا - وزير خارجية اليابان - مجلس النواب ان الحكومة الصينية « قبلت المبادئ الثلاثة المقترحة من قبل الامبراطورية » .

وتطالب البورجوازية الصغيرة الصينية بالمقاومة أيضا . ألم يباشر الطلاب الشباب والبورجوازية الصغيرة المدنية ، منذ الآن . حركة واسعة مناهضة لليابانيين (١) ؟ ان العناصر البورجوازية الصغيرة في الصين قد أسهمت في ثورة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ . وان وضعيتهم الاقتصادية ، مثلها مثل وضعية الفلاحين ، هي وضعية انتاج على نطاق ضيق ، وهو ما يتنافر مع الاستعمار . وقد أساء الاستعمار وقوى الثورة المضادة في الصين اليهم اساءة عظمت ، اذ القوا بعدد كبير منهم في البطالة ، او الافلاس ، او نصف الافلاس . واذ يرون الآن أنهم قد يصبحون في وقت قريب عبيداً لامة اجنبية ، فانهم لا يجدون سبيلا الى الخلاص الا في المقاومة .

ولكن ما هو موقف البورجوازية الوطنية ، وطبقات المستوردين الاحتكاريين والملاكين العقاريين ، ما هو موقف الكيومنتانغ عندما يجابههم هذا السؤال ؟

ان العتاة المحليين والاشراف السيئين الكبار ، وسادة الحرب الكبار ، والبيروقراطيين الكبار ، والمستوردين الاحتكاريين الكبار ، قد عقدوا

(١) شاهدت سنة ١٩٣٥ انتفاضة جديدة للحركة الوطنية الشعبية القومية النطاق . وقد نظم الطلاب في بكين ، بقيادة الحزب الشيوعي الصيني ، مظاهرة وطنية في ٩ كانون الاول ، هاتفين بالشعارات التالية : « انهاء الحرب الاهلية ! » « اتحدوا ضد هذا العدوان الاجنبي ! » « يسقط الاستعمار الياباني ! » وقد حطمت هذه الحركة حكم الارهاب المفروض من قبل حكومة الكيومنتانغ بالاتحاد مع المعتدين اليابانيين واكتسبت على الفور تأييد الشعب في سائر ارجاء البلاد ، ومنذ ذلك الحين يشار اليها بوصفها « حركة ٩ كانون الاول » . وبعد ذلك أصبحت التبدلات في العلاقات الطبقية في الصين واضحة ، وراح سائر الناس الوطنيين ينادون علناً بالجهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، المقترحة من الحزب الشيوعي على اعتبارها الوسيلة الوحيدة لانتقاذ الوطن الام . وهكذا قضي على السياسة الماكرة التي تنتهجها حكومة شيانغ كاي - شيك .

عزمهم منذ زمن طويل . لقد قالوا ولما يبرحوا يقولون ان الثورة (من اي نوع كانت) هي أسوأ من الاستعمار على أية حال . ولقد شكلوا معسكراً من الخونة ، وان مسألة ما اذا كان يمكن أن يصبحوا عبيداً لأمة اجنبية أم لا غير موجودة بالنسبة اليهم البتة ، اذ طمسوا سلفاً الفواصل القومية ، فاذا مصالحهم غير منفصلة عن مصالح الاستعمار . وان زعيم زعمائهم ليس سوى شيانغ كاي - شيك (١) . ان الخونة في هذا المعسكر

(١) كان شيانغ كاي - شيك، زمن كتابة هذا التقرير ، يسلم اليابانيين شمال الصين بعدما سلمهم شمالي شرقها ويتابع حربه المجنونة ضد الجيش الاحمر . وبالتالي ما كان الحزب الشيوعي يستطيع سوى بلد قصاره كي يفرضه كخائن لوطنه . وبطبيعة الحال ، ما كان يمكن في مثل هذه الظروف ان يضم شيانغ الى الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، المقترحة من الحزب الشيوعي . ومهما يكن من أمر ، فقد تحدث الرفيق ماوتسي تونغ سلفاً في هذا التقرير عن تفسخ ممكن في معسكر طبقات الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين في الصين كنتيجة للتناقضات بين الدول الاستعمارية . وقد قامت نزاعات خطيرة فيما بعد بين الاستعماريين اليابانيين والانكلو اميركيين بعد عدوان الاستعمار الاول على شمال الصين . وباعتبار العلاقة الوثيقة بين فريق شيانغ كاي - شيك والاستعمار الانكلو اميركي ، فقد استنتج الحزب أن شيانغ يمكن أن يدل موقفه حيال اليابان بتحريض من أسياده الانكلو اميركيين ، وبالتالي تبني سياسة اجبار شيانغ كاي - شيك على الالتفات الى مقاومة اليابان . وفي أيار ١٩٣٦ ، لدى عودته الى شمال تنسي من شانشي ، توجه الجيش الاحمر مباشرة الى حكومة الكيومنتانغ في نانكنغ يستحثها على ايقاف الحرب الاهلية وتوحيد المقاومة ضد اليابان . وفي آب من السنة نفسها ، وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني رسالة الى اللجنة المركزية للكيومنتانغ تطلب فيها جبهة موحدة ثنائية ضد اليابان ، ومفاوضات بين ممثلي الجانبين . بيد أن شيانغ كاي - شيك رفض الاقتراح . ولم يضطر شيانغ كاي - شيك الى قبول طلب الحزب الشيوعي للسلم الداخلي والحرب ضد اليابان الا في كانون الاول ١٩٣٦ ، عندما احتجز في سيان من قبل ضباط جيش الكيومنتانغ لمصلحة الاتحاد مع الشيوعيين من أجل مقاومة اليابان .

هم الد أعداء الشعب الصيني . ولولا وجود مثل هذه العصابة من الخونة
ما استطاع الاستعمار الياباني أن يكون على مثل هذه الدرجة من العدوانية .
انهم اجراء الاستعمار .

وتشكل البورجوازية الوطنية مشكلة معقدة . فقد اشتركت هذه الطبقة
في ثورة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، بيد انها انضمت فيما بعد ، وقد هالها لهيب هذه
الثورة ، الى صفوف أعداء الشعب ، أعني كتلة شيانغ كاي - شيك .
والسؤال الآن هو ما اذا كان يمكن للبورجوازية الوطنية أن تتغير في الظروف
الراهنة . ونحن نعتقد ان ذلك في مقدورها . والسبب في ذلك ان البورجوازية
الوطنية لا تشبه طبقات الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين ، بل ثمة
فارق بينها وبينهم . فالبورجوازية الوطنية لا تملك من الصفة الاقطاعية
مثل ما تملكه طبقة الملاكين العقاريين ، ولا هي تملك من صفة المستوردين
الاحتكاريين مثل ما تملكه طبقة هؤلاء الاحتكاريين . وان البورجوازية الوطنية
لتضم قسماً من الناس لهم ارتباطات وثيقة بالرأسمال الاجنبي والمصالح
العقارية الصينية ، وهم أناس يشكلون الجناح اليميني من هذه البورجوازية
الوطنية ، ونحن لن نناقش في الوقت الحاضر ما اذا كان يمكن أن يتغيروا
أم لا . ان المقصود هي تلك الفئات من هذه البورجوازية الوطنية التي ليس
لها ارتباطات من هذا القبيل ، أو أن ارتباطاتها هذه قليلة نسبياً . ونحن
نعتمد ان موقف هذه الفئات من البورجوازية الوطنية يمكن ان يتغير في
الوضع الراهن ، حيث تتعرض الصين لخطر التحول الى مستعمرة محضة ،
ويبين التغير في تأرجحهم . انهم يكرهون الاستعمار من جهة ويخشون اكتمال
الثورة من جهة أخرى ، وهكذا يتأرجحون بين الأمرين . وهذا ما يعمل
اشتراكهم في الثورة في ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، كما يعمل انضمامهم في نهاية هذه
الفترة الى صفوف شيانغ كاي - شيك .

ما هو الفارق بين الوضع الراهن والوضع عام ١٩٢٧ إبان خيانة شيانغ كاي - شيك للثورة ؟ لم تكن الصين في ذلك الحين سوى نصف مستعمرة ، لكنها تتجه الآن نحو وضعية المستعمرة التامة . وفي السنوات التسع الماضية تخلت البورجوازية الوطنية عن حليفها ، الطبقة العاملة ، وارتبطت بأواصر الصداقة مع طبقات الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين . لكن هل ربحت شيئاً ؟ أبداً على الإطلاق ، أن ما ربحته هو الإفلاس التام أو الجرئي للصناعة والتجارة الوطنيتين . ولذا فإننا نعتقد أن موقف البورجوازية الوطنية يمكن أن يتغير في الوضع الراهن . وكما سيكون مدى التغير ؟ سيكون التآرجح ميزته العامة . لكن فئة منها (الجناح اليسر) يمكن أن تشارك في النضال في مراحل معينة من نضالنا ، كما يمكن أن ينتقل القسم الآخر من التآرجح الى الحياد .

وما هي المصالح الطبقية التي يمثلها الجيش التاسع عشر الذي يقوده تساي تينغ كاي (١) وآخرون ؟ انه يمثل مصالح البورجوازية الوطنية ،

(١) كان تساي تينغ - كاي القائد المفوض للجيش التاسع عشر الكيومنتانغى وقائد احدى فرقته ، فيما الفرقتان الاخريان يقودهما شن مينغ - شو وشيانغ كوانغ - ناي . وقد قاتل هذا الجيش الجيش الاحمر في كيانغسي ونقل الى شنغهاي بعد حادث ١٨ ايلول . وعندما هاجمت البحرية اليابانية شنغهاي في ليل ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٢ ، قاتل الجيش التاسع عشر المعسكر وقتذاك في شنغهاي ، بجرفه التيار العظيم للانتفاضة الشعبية المناهضة لليابانيين في مختلف أرجاء البلاد ، ضد الغزاة جنبا الى جنب مع شعب شنغهاي . وقد فشلت الحملة أخيراً بسبب خيانة شيانغ كاي - شيك ووانغ شينغ - وي . وقد نقل الجيش مرة أخرى ، بأمر من شيانغ كاي - شيك ، الى فويكين لمحاربة الجيش الاحمر . بيد أن قادة الجيش تنبهوا بصورة تدريجية على عبث مثل هذا القتال . وفي تشرين الثاني من عام ١٩٣٣ ، اتحدوا مع ذلك القسم من قوى الكيومنتانغ الخاضع لقيادة لي شي - شن وآخرين ، وانكروا شيانغ

والمرتبة العليا من البورجوازية الصغيرة ، والفلاحين الاغنياء والملاكين العقاريين الصغار في الريف . افلم يخض تساي تينغ - كاي وشركاؤه مرة معارك يائسة ضد الجيش الاحمر ؟ لكنهم عقدوا فيما بعد مع هذا الجيش الاحمر اتحاداً مناهضاً لليابانيين ومناهضاً لشيانغ على السواء . ولقد هاجموا الجيش الاحمر في كيانغسي ، لكنهم قاوموا الاستعمار الياباني بعدئذ في شنغهاي ، وبعدما ذهبوا الى فوكين ، اتفقوا مع الجيش الاحمر وفتحوا النار على شيانغ كاي - شيك . واذا غضضنا الطرف عن الطريق التي يمكن ان يسلكها تساي تينغ - كاي وشركاؤه في المستقبل وغضضنا النظر عن الحقيقة التالية ، الا وهي تعلقهم اثناء قيام حكومة فويكين الشعبية بأساليبهم القديمة من دون تعبئة الشعب من أجل النضال ، فانه يجب ان نعتبر من الافعال المفيدة للثورة توجيههم النار المسلطة من قبل على الجيش الاحمر ضد الاستعمار الياباني وشيانغ كاي - شيك . وان هذا ليشكل انقساماً داخل معسكر الكيومنتانغ . واذا امكن أن تنقسم هذه الفئة من الناس على معسكر الكيومنتانغ في الظروف التي أعقبت أحداث ١٨ أيلول ١٩٣١ ، فلماذا لا يمكن ان يحدث انقسام آخر ضمن الكيومنتانغ في ظروف اليوم الحاضر ؟ ويخطئ أولئك الذين يدافعون في حزبنا عن النظرة القائلة ان كل معسكر طبقة الملاكين العقاريين والبورجوازيين متحد وثابت الأسس ، وانه لا يمكن في أي حال من الاحوال أن يطرأ عليه أي تبدل ، فهم لا يخفقون في

كاي شيك علناً ، وأقاموا في فويكين « الحكومة الثورية الشعبية لجمهورية الصين » ، ووقعوا اتفاقاً مع الجيش الاحمر لمهاجمة شيانغ كاي - شيك ومقاومة اليابان . وقد انهار الجيش التاسع عشر وحكومة فويكين الشعبية أمام هجمات قوات شيانغ . ولقد بدل تساي تينغ - كاي وشركاؤه موقفهم منذ ذلك الحين ، فهم ينادون بالتعاون مع الحزب الشيوعي .

ادراك الحالة الخطيرة الراهنة فحسب ، بل ينسون التاريخ أيضاً .

وليسمح لي أن أعود باقتضاب الى المعطيات التاريخية . في عام ١٩٢٦ وعام ١٩٢٧ ، منذ شرع الجيش الاحمر يتقدم على ووهان حتى استولى على هذه المدينة واجتاز حدود هونان ، انضم تانغ - شيه وفنغ يوهسيانغ (١) الى الثورة . ولقد وحد فنغ يو - هسيانغ والشيوعيون قواهم في عام ١٩٣٣ كي يشكلوا الجيوش المتحدة المناهضة لليابانيين في شاهر .

ولنأخذ مثلاً بارزاً آخر : أفلم يقيم الجيش السادس والعشرون الكيومنتانفي ، الذي هاجم ذات مرة الجيش الاحمر في كيانغسي بالاشتراك مع الجيش التاسع عشر ، بانتفاضة نينغتو (٢) في كانون الاول ١٩٣١ ، متحولاً الى جيش احمر ؟ ولقد أصبح قادة انتفاضة نينغتو ، شاو - بو شنغ

(١) عندما استولى جيش الحملة الشمالية على ووهان في ايلول ١٩٢٦ ، أعلن فنغ يو - هسيانغ في مقاطعة سيويان نهاية اتحاده مع العصبة الشمالية من سادة الحرب وانضم الى الثورة . ولقد خرجت قواته في اوائل عام ١٩٢٧ من شنسي لمهاجمة هونان بالتعاون مع جيش الحملة الشمالية . وبعد خيانة شيانغ كاي - شيك وانغ شينغ - وي للثورة عام ١٩٢٧ . ساهم فنغ في الفعاليات المضادة للشيوعية . ومهما يكن من أمر ، فقد استمرت مصالحه في تصادم مع مصالح شيانغ كاي - شيك وكنلته . وطفق بعد أحداث ١٨ ايلول يؤيد المقاومة ضد اليابان ، وفي ايار ١٩٣٣ انضم بقواته الى الشيوعيين كي يشكل الجيوش الموحدة الشعبية المناهضة لليابان في كالفان . ولقد فشلت هذه المحاولة في آب تحت الضغط المزودج لقوات شيانغ كاي - شيك والغزاة اليابانيين ، لكن فنغ ثابر في السنوات التالية على التعاون مع الشيوعيين .

(٢) حدث هذا التمرد العسكري ، الذي اشترك فيه اكثر من عشرة آلاف ضابط وجندي ، في كانون الاول ١٩٣١ تلبية لنداء الشيوعيين من اجل المقاومة ضد اليابان .

وتونغ شن - تانغ وآخرون ، رفاقاً راسخين في الثورة .

وان الفعاليات المناهضة لليابانيين التي يقوم بها ما شان - شان (١) في المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث لتشكل انقساماً آخر في معسكر الطبقات الحاكمة .

هذه الأمثلة جميعاً تشير الى أنه عندما يمتد مرمى قاذفات القنابل اليابانية الى الصين كلها ، وعندما يبدل الصراع سيره الطبيعي وينطلق قدماً بصورة مباغتة ، فسوف يحدث انقسام في المعسكر العدو .

والآن ، أيها الرفاق ، فلنلتفت الى احد مظاهر القضية الاخرى .
ايكون الاعتراض على آرائنا صحيحاً على أساس الترهل السياسي والاقتصادي للبورجوازية الوطنية ، والمناداة بأن البورجوازية الوطنية الصينية لا يمكن ان تبدل موقفها على الرغم من تبدل الظروف ؟ أعتقد مرة أخرى ان لا .
اذا كانت البورجوازية الوطنية لا يمكن أن تبدل موقفها بسبب من ترهلها ، فلماذا بدلت اذن موقفها الطبيعي في ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، فلم تتخذ موقفاً متردداً فحسب ، بل انضمت الى الثورة ؟ ايمن ان يكون ترهل البورجوازية الوطنية عيباً اكتسبته حديثاً وليس عنصراً ولادياً حملته معها في رحم أمها ؟ ايمن ان تكون هذه الطبقة مترهلة اليوم ، لكنها لم تكن كذلك البارحة ؟ ان احدى الخصائص الرئيسية لسياسة البلد نصف المستعمر واقتصاده هي بالضبط ترهل بورجوازيته الوطنية . وهذا هو بالضبط السبب في ان الاستعمار يجرؤ على الاستبداد بهذه الطبقة ، وهذا يقرر احدى ميزات هذه الطبقة ، التي هي كراهيتها للاستعمار . ومما لا ريب فيه اننا لاننكر مطلقاً ، بل نعترف بالاحرى بأن هذه

(١) ضابط في الجيش الشمالي الشرقي ، وكانت قواته معسكرة في هيلونغ كيانغ . وبعد أحداث ١٨ ايلول ، قاوم مع قواته الغزاة اليابانيين ، متجهاً صوب هيلونغ كيانغ من طريق لياونينغ .

الميزة هي كذلك في ان الاستعماريين والملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين يستطيعون بسهولة اجتذاب هذه الطبقة اليهم باستخدامهم الرشوة من اجل اغرائها ، ومن هنا كان انعدام اخلاصها حيال الثورة . لكننا لا نستطيع ان نقول ، بسبب من ذلك كله ، انه ليس في الظروف الراهنة أي فارق بين البورجوازية الوطنية وطبقات الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين .

ولذا فقد شددنا على ان معسكر الكيومتانغ سوف ينقسم على نفسه عندما تبلغ الازمة القومية مرحلتها الحرجة ، وفي الاعمال المناهضة لليابانيين التي قام بها اشخاص مسؤولون من طراز فنغ يو - هسيانغ وتساى تينغ - كاي وماشان - شان الذين يتمتعون الآونة بشعبية عظيمة . وان مثل هذه الاوضاع هي في واقع الامر مناهضة للثورة المضادة وملائمة للثورة . وان امكانية مثل هذا الانقسام لتعاضد بسبب من عدم الاستقرار في تطور الصين السياسي والاقتصادي ، وعدم الاستقرار الناتج عن ذلك في تطور الثورة .

ايها الرفاق ، هذا يكفي بخصوص الجانب الايجابي من المسألة . والآن ، فلنر الى جانبها السلبي ، ألا وهي وجود بعض العناصر في قلب الجماهير البورجوازية الوطنية قد اكتسبت الحنكة في تضليل الجماهير الشعبية . لماذا ؟ لاننا اذا تركنا جانبا المؤيدين المخلصين لقضية الشعب الثورية ، فان الكثيرين من افراد هذه الطبقة يمكن ان يتخذوا لزمنا ما موقفا ثوريا او نصف ثوري ، وهم في هذا المجال قادرون على تضليل الشعب بحيث يصعب عليه ان يرى انعدام الاخلاص عندهم ومظاهرهم المصطنعة وتلاعبهم . وهذا مايزيد مسؤولية الحزب الشيوعي في نقد حلفائه ، وفضح الثوريين الكاذبين ، والنضال من اجل كسب الزعامة . ان انكارنا امكانية تذبذب البورجوازية الوطنية خلال جيشان عظيم وانضمامها الى الثورة يعني اهمالنا او استخفافنا على الاقل بمهمتنا الحزبية في كسب الزعامة . ذلك انه اذا كانت البورجوازية الوطنية تشبه الملاكين العقاريين تماماً ، وتحلى باللامح الوحشية الخاصة

بخونة الامة ، فان حزبنا يستطيع اذن أن يفض النظر كليا عن مهمته في النضال من اجل الزعامة ، أو يقلل من عنايته بها على الاقل .

وعندما نقوم بتحليل عام لوقف طبقة الملاكين العقاريين الصينيين والبورجوازية الصينية أثناء الجيوشانات العظيمة ، فانه ينبغي ابراز مظهر آخر ايضا ، الا وهو انعدام الوحدة التامة حتى داخل معسكر الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين . وتلك نتيجة للوضع نصف المستعمر لبلادنا ، أي للصراع الذي تخوضه عدة دول استعمارية فيما بينها من اجل السيطرة على الصين . وعندما يكون نضالنا موجها ضد الاستعمار الياباني ، فان الكلاب المدللة للولايات المتحدة ، أو حتى لبريطانيا ، وفقا لصرامة الاوامر الصادرة اليها من سادتها ، يمكن ان تناضل سرا أو حتى علنا ضد الاستعماريين اليابانيين وكلابهم المدللة . وثمة في الماضي امثلة عديدة عن مثل هذه الخصومات بين الكلاب ولن نناقشها هنا . لكنني سأكتفي بأن أعيد الى الازهان اليوم ان هوهان - مين (١) نفسه ، وهو سياسي كيومنتانفي سجنه شيانغ كاي - شيك مرة ، قد وضع توقعه قبل زمن غير بعيد على وثيقة برنامجنا السادس النقاط من اجل مقاومة اليابان و خلاص الامة (٢) .

(١) سياسي كيومنتانفي شهير . ولقد كان خصما لسياسة الدكتور صن يات - صن في التعاون مع الحزب الشيوعي الصيني وشريكا لشيانغ كاي - شيك في انقلابه المضاد للثورة في ١٢ نيسان ١٩٢٧ . لكنه اعتقل فيما بعد من قبل شيانغ كاي - شيك بوصفه خصما له في السلطة . وما أن أطلق سراحه بعد احداث ١٨ ايلول ، حتى ذهب من نانكنغ الى كانتون ونجح لبعض الوقت في توجيه سادة حرب كوانغ تونغ وكيانغسي ضد حكومة شيانغ كاي - شيك في نانكنغ .

(٢) المقصود هنا « البرنامج الاساسي للشعب الصيني لقتال اليابان » المقترح من قبل الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٣٤ ، والمشور بتوقيع سونغ شينغ - لينغ (السيدة صن يات - صن) وآخرين . وكان البرنامج يتألف من المواد التالية : ١ - تعبئة سائر القوات البحرية والبرية والجوية لقائلة اليابان ٢ - تعبئة الشعب بأسره ٣ - تسليح الشعب العام

وان سادة الحرب من عصابة كوانغ تونغ وكيانغسي (١) الذين يشكلون القوى التي يعتمد عليها هوهان - مين قد عارضوا بدورهم شيانغ كاي - شيك تحت الشعارات الكاذبة التالية : « استرداد الارض المفقودة » و « مقاومة اليابان وتصفية الاشقياء في وقت واحد » (٢) (وكان شعار شيانغ كاي - شيك « هو تصفية الاشقياء قبل مقاومة اليابان ») أفلا يبدو لكم ذلك غريباً نوعاً ما ؟ أبداً ، اذ هو قتال بين كلاب كبيرة وكلاب صغيرة ، كلاب شبعانة وكلاب جائعة وهو قتال يلهيها هي نفسها ، اذ يمثل شقاً لا هو كبير ولا هو صغير ، تناقضاً يدغدغ ويؤذي في وقت واحد . بيد أن هذا القتال أو الشق أو التناقض يعود بالنفع في الحقيقة على الشعب الثوري . وانه ليتوجب علينا الا نهمل هذه النزاعات والشقوق والتناقضات القائمة داخل المعسكر المعادي ، بل نستخدمها ضد من هو العدو الرئيسي في اللحظة الراهنة .

واذا اختصرنا مشكلة العلاقات الطبقية ، فانه يمكننا أن نقول ان التبدلات الجذرية الناشئة عن الغزو الياباني للصين الحقيقية استتبعت تبدلات في العلاقات المتبادلة بين الطبقات الصينية المختلفة ، فتعاظمت قوى معسكر الثورة الوطنية ووهنت قوى معسكر الثورة المضادة .

فلنبحث الآن في الاوضاع السائدة في معسكر الثورة الوطنية الصينية .

٤ - مصادرة املاك الاستعماريين اليابانيين في الصين . واملاك سائر المتعاونين معهم لسد نفقات الحرب ، ٥ - انشاء لجنة للصين كلها من أجل الدفاع المسلح ، وهي تنتخب من قبل ممثلي العمال والفلاحين والجنود والطلاب ورجال الاعمال ، ٦ - تشكيل اتحاد مع سائر القوى المعادية للاستعماريين اليابانيين ، واقامة علاقات صداقة مع سائر البلدان التي تحافظ على حيادها .

(١) اشارة الى العصابات التي كان يتزعمها شن شي - تانغ من جهة في كوانغ تونغ ، ولي تسونغ - جن وباي شونغ - هي في كوانغسي من جهة أخرى .

(٢) كانت عصابة شيانغ كاي - شيك تسمى الشعب « أشقياء » وتسمى هجماتها الملحة على الشعب الثوري ومذابحها « تصفية الاشقياء » .

أولاً ، ظرف الجيش الاحمر . أيها الرفاق ، أنتم تعرفون ان المفارز الرئيسية الثلاث للجيش الاحمر الصيني تعتمد الى تبديل تام لمراكزها منذ سنة ونصف السنة تقريباً . فبعدما قاد الرفيق جن بي - شيه (١) وآخرون الجيش السادس في آب من السنة الماضية نحو مراكز جديدة في اتجاه المكان الذي تعسكر فيه قوات الرفيق هولونغ (٢) ، فقد باشرنا على الفور في تشرين الاول (٣) نقل جيشنا الى قواعد جديدة . وفي آذار من العام الحالي ، شرع الجيش الاحمر في منطقة تخوم شيشوان - شنسي في اتخاذ مراكز جديدة . ان المفارز

(١) عضو محنك في الحزب الشيوعي الصيني ومن رواده الاولين ، وهو ينتخب عضواً في اللجنة المركزية في كل مؤتمر حزبي ومنذ المؤتمر الوطني الخامس للحزب عام ١٩٢٧ . وفي الاجتماع الكامل للجنة المركزية في ١٩٣١ (وهو الاجتماع الرابع بعد المؤتمر السادس) انتخب عضواً في المكتب السياسي . وفي عام ١٩٣٣ ، عمل الرفيق جن سكرتيراً للجنة المقاطعة في منطقة تخوم هونان - كيانغسي ، وفي الوقت نفسه مندوباً سياسياً في مجموعة الجيش السادس من الجيش الاحمر . وعندما ضمت مجموعتنا الجيش السادس والجيش الثاني قوامها ليشكلا جيش الجبهة الثاني ، أصبح جن المندوب السياسي لهذا الجيش . وعندما بدأت الحرب المناهضة لليابان ، كان جن مدير الدائرة السياسية الهامة للجيش الثامن . ولقد بدأ ، عام ١٩٤٠ ، يعمل في أمانة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني . وفي الاجتماع الكامل للجنة المركزية في ١٩٤٥ (الاجتماع الاول بعد المؤتمر الوطني السابع) انتخب عضواً في لجنة المكتب السياسي وفي أمانته . ولقد توفي في بكين في ٢٧ تشرين الاول عام ١٩٥٠ .

(٢) ان مجموعة الجيش السادس من الجيش الاحمر للعمال والفلاحين ، المعسكرة في الاصل في القاعدة الثورية لتخوم هونان - كيانغسي ، قد أمرت من قبل لجنة الحزب المركزية بخرق حصار العدو والانتقال الى مراكز أخرى في آب ١٩٣٤ . ولقد انضمت الى مجموعة الجيش الثاني التي يقودها الرفيق هولونغ في شرقي كويشو في تشرين الاول ١٩٣٤ ، فشكلت هاتان المجموعتان جيش الجبهة الثاني وخلقتا القاعدة الثورية في تخوم هونان - هوبيه - شيشوان - كويشو .

(٣) في تشرين الاول ١٩٣٤ ، قام جيش الجبهة الاول ، يعني الجيش الاحمر المركزي (الذي يشمل مجموعات الجيوش الاول والثالث والخامس) من الجيش الاحمر للعمال والفلاحين ،

الثلاث من الجيش الاحمر قد غادرت جميعاً مواقعها القديمة واستقرت في مواقع جديدة . ولقد قلب هذا الانتقال الجبار المناطق القديمة الى مناطق لحرب الانصار في حين أضعفت هذه التنقلات الجيش الاحمر حتى درجة بعيدة . واذا ما أخذنا بعين الاعتبار الوضع العام من وجهة النظر هذه تبين لنا ان العدو قد ربح انتصاراً مؤقتاً وجزئياً ، فيما تكبدنا نحن هزيمة مؤقتة وجزئية . أياكون هذا التأكيد صحيحاً ؟ أظن ذلك ، لانه تقرير للحقيقة الواقعة . بيد ان بعض الناس (شانغ كيو - تاو (١) مثلاً) يقولون

قام بتحقيق انتقال استراتيجي عظيم . ان الجيش الاحمر ، وقد خرج من شانغ تينغ ونيونغوا في غربي فويكين وجويكين ويوتو في جنوبي كيانغسي ، واجتاز المقاطعات الاحدى عشرة التالية : فويكين ، وكيانغسي ، وكوانغ تونغ ، وهونان ، وكوانغسي ، وكويشو ، وشيشوان ، ويونان ، وسيكانغ ، وكانسو ، وشنسي ، وتسلق جبالا عالية تتوجها الثلوج طوال العام ، ومشى عبر مناطق متوحشة يندر أن يشاهد فيها كائنات بشرية ، واجتاز محناً لم يسبق لها ذكر ، وهزم العدو تكراراً في محاولاته المستهدفة التطويق ، وذلك طوال مسير متصل بلغ ٣٥٠٠٠ كم (١٢٥٠٠ كيلو متر) ، وصل أخيراً ظافراً الى المنطقة القاعدية الثورية في شمالي شنسي في تشرين الاول ١٩٣٥ . (٤) المقصود هنا جيش الجبهة الرابع من الجيش الاحمر للعمال والفلاحين الذي غادر قاعدته في منطقة تخوم شيشوان - شنسي في آذار ١٩٣٥ . وعلى الرغم من انشقاق شانغ كيو - تاو (انظر الملاحظة اللاحقة) ، فقد وصل قسم منه آخر الامر الى شمالي شنسي في تشرين الاول ١٩٣٦ مع كامل جيش الجبهة الثاني . وكان هذا الجيش الاخير قد حطم قبل ذلك حصار العدو وغادر منطقة تخوم هونان - هوبيه - شيشوان - كويشو في حزيران ١٩٣٦ وانضم الى الجيش الاول في سيكانغ .

(١) انضم شانغ كيو - تاو ، المرتد عن الثورة الصينية ، الى الحزب الشيوعي الصيني في مرحلته الاولى . ولقد ارتكب اخطاء عديدة أدت الى جرائم قضيعة . وفي ١٩٣٥ ، وقد كان يعارض سير الجيش الاحمر في اتجاه الشمال ، قام بتنفيذ اقتراحه الانهزامي والفراري بانسحاب الجيش الاحمر الى مناطق الاقليات القومية في تخوم شيشوان وسيكانغ مسبباً بذلك خسائر فادحة لجيش الجبهة الرابع . ولقد تمرد علناً ، في الوقت نفسه ، على الحزب واللجنة المركزية،

ان الجيش الاحمر المركزي (١) قد باء بالهزيمة . ايكون هذا التأكيد صحيحاً؟ كلا ، لأن تلك ليست هي الحقيقة الواقعة . فحين يدرس الماركسي قضية ما ، يتوجب عليه ألا يقتصر على جزء منها ، بل ان يدرسها في مجموعها . ان الضفدع القابع في قعر بئر يقول : « ليست السماء الا بحجم فوهة البئر » . وذلك خطأ ، لان السماء ليست محدودة بحجم فوهة البئر . أما اذا قال هذا الضفدع: « ان قسماً معيناً من السماء هو بحجم فوهة البئر » ، فانه سيكون على حق ، لأن ذلك يتفق مع الوضع . وهكذا فاننا نقول ان الجيش الاحمر قد فشل بمعنى ما (وذلك بالمحافظة على قواعده الاصلية) ، بيد انه حقق النصر بمعنى آخر (وذلك بانجازه خطة المسيرة الطويلة) . ومن جهة ثانية ، فان العدو قد ربح نصراً بمعنى ما (وذلك باحتلال قواعدها الاصلية) ، بيد انه اخفق بمعنى آخر (وذلك بنتائج حملات « التطويق والافناء » و « المطاردة والافناء » التي يشنها ضدها) . هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها طرح القضية بصورة مضبوطة ، ذلك اننا نجحنا رغماً عن كل شيء في تحقيق المسيرة الطويلة .

وما دام الحديث يدور عن المسيرة الطويلة ، فبودي ان أسأل : « مامفري هذه المسيرة ؟ » اننا نقول ان المسيرة الطويلة هي اول مسيرة من نوعها عرفها التاريخ ، وانها كانت رائدة ومحرضة وخميرة في وقت واحد . ومنذ فصل

وذلك باقامته لجنة مركزية مزيفة تحت اشرافه الخاص بفيّة تحطيم وحدة الحزب والجيش الاحمر . لكن ضباط جيش الجبهة الرابع وجماهير ملاكاته الواسعة سرعان ما عادت الى حظيرة القيادة الصحيحة للجنة المركزية وذلك بفضل ما قام به الرفيق ماوتسي تونغ واللجنة المركزية من عمل تنقيفي صبور ، وقد لعبوا منذ ذلك الوقت دوراً رائعاً في النضالات اللاحقة . أما شانغ نفسه فقد أثبت أنه ممتنع على الاصلاح . وفي ربيع ١٩٣٨ ، فر لوحده من منطقة تخوم شنسي - كانسو - نينغشيا وانضم الى مكتب استعلامات الكيومنتانغ .

(١) ان الجيش الاحمر المركزي أو جيش الجبهة الاول يدل على الجيش الاحمر الذي نظم في منطقة تخوم كيانغسي - فويكين باشراف مباشر من اللجنة المركزية .

بان كو السماء عن الارض وقيام حكم السادة الثلاثة والاباطرة الخمسة (١) ، هل عرف التاريخ مسيرة طويلة مثل مسيرتنا ؟ لقد تعرضنا طوال اثني عشر شهراً لغارات استكشافية وهجومية يومية تقوم بها زمر كبيرة من الطائرات ، ولقد كنا محاصرين ، ومطاردين ، تسد علينا الطريق وتعترضنا على الارض قوة كبرى تتألف من عشرات الالوف من الرجال ، ولقد لاقينا مصاعب لم يسبق لها مثيل وعقبات عظمت في طريقنا ، لكننا قطعنا على ارجلنا مسافة تزيد عن ٢٠٠٠ لي واجتازنا احدى عشر مقاطعة ، هل عرف التاريخ مسيرة طويلة مثل مسيرتنا ؟ كلا أبداً . ولقد كانت المسيرة الطويلة رائدة ايضاً ، اعلنت للعالم اجمع ان الجيش الاحمر هو جيش من الابطال ، وان الاستعماريين واذنابهم ، شيانغ كاي - شيك وأمثاله ، هم أصفار لاغية . انها تعلن للعالم اجمع افلاس جميع المحاولات التي يقوم بها المستعمرون وشيانغ كاي - شيك من اجل تطويقنا واعتراض سبيلنا . وان المسيرة الطويلة سلاح للتحرير ايضاً قد روت لحوالي مائتي مليون من سكان احدى عشرة مقاطعة ان طريق الجيش الاحمر هي طريق تحررهم الوحيدة . وكيف كان يمكن للجماهير الفقيرة أن تعرف بمثل هذه السرعة ، من دون المسيرة الطويلة ، ان في العالم أفكاراً عظيمة كتلك التي يجسدها الجيش الاحمر ؟ وان المسيرة الطويلة خميرة ايضاً قد زرعت بذوراً كثيرة في احدى عشرة مقاطعة ، وهي بذور ستنبثق ، وتورق ، وتزهر ، وتثمر ، وتعطي موسماً في المستقبل . وباختصار ، فقد انتهت المسيرة الطويلة بانتصارنا وهزيمة العدو . ومن ذا الذي قاد هذه الحملة الى النصر ؟ الحزب الشيوعي . فلا يمكن بدون الحزب الشيوعي ادراك مثل هذه الحملة أبداً . ان الحزب الشيوعي الصيني - بأجهزته القيادية وملاكاته وأعضائه لا يخاف من المصاعب او

(١) في البثولوجيا الصينية أن يان كو هو خالق العالم وأول حاكم للجنس البشري ، وكان الاسياد الثلاثة والاباطرة الخمسة حكاماً اسطوريين في الصين القديمة .

الحرمانات . وان كل من يشك في قدرتنا على قيادة الحرب الثورية سيقع في مستنقع الانتهازية .

ولقد نشأت اوضاع جديدة منذ انتهاء المسيرة الطويلة مباشرة . ففي معركة مدينة شيهلو ، حطمت فصائل الجيش الاحمر في المنطقة الوسطى المتضامنة اخوياً مع فصائل الجيش الاحمر في منطقة الشمال الغربي حملة « التطويق والافناء » التي شنّها الخائن شيانغ كاي - شيك ضد منطقة تخوم شنسي - كانسو (١) ، وبذلك وضعت حجر الزاوية في المشروع العظيم الذي يقوم به المركز الحزبي للحزب الشيوعي في انشاء القيادة الوطنية للثورة في الشمال الغربي .

واذا كانت تلك هي الحال مع القوى الرئيسية للجيش الاحمر ، فماذا عن حرب الانصار في المقاطعات الجنوبية المختلفة ؟

لقد تعرضت حركة الانصار في الجنوب لبعض الهزات ، لكنها لم تمحُ تماماً . وانها تتجدد في بعض الاماكن ، وتنمو وتمتد (٢) .

(١) بدأت القوات الكيومنتانغية حملتها الثالثة « للتطويق والافناء » ضد المنطقة القاعدية الثورية في شنسي - كانسو في تموز ١٩٣٥ . ولقد نجحت وحدات من الجيش الاحمر المتمركز أصلاً في المنطقة القاعدية ، وبالتضامن مع بقية الوحدات القادمة من الصين الوسطى والجيش الاحمر المركزي القادم من جنوبي الصين بعد المسيرة الطويلة ، نجحت في سلسلة من المعارك في اباداة الوية و فرق كاملة من القوات الكيومنتانغية بين النهر الاصفر في الشرق وتخوم شنسي - كانسو في الغرب . وكانت معركة شيهلو ، في الجنوب الغربي من اقليم فو ، آخر معركة كبرى اشترك فيها الجيش الاحمر المركزي بعد وصوله في تشرين الاول ، وهي معركة قضى فيها تماماً على فرقة كاملة من قوى العدو . ولم يطل شهر تشرين الثاني حتى كانت حملة « التطويق والافناء » الثالثة قد سحقت تماماً .

(٢) عندما تحركت القوى الرئيسية للجيش الاحمر في جنوبي الصين في اتجاه الشمال في ١٩٣٤ - ١٩٣٥ ، تركت بعض وحدات الانصار في المؤخرة . وقد قاوم هؤلاء الانصار في اربع عشرة منطقة قاعدية في مئاني مقاطعات : جنوبي شيكيانغ ، شمالي فويكين ، شرقي فويكين ،

وفي المناطق التي يسيطر الكيومنتانغ عليها ، ينقل العمال نضالهم الآن الى خارج جدران العمل ، ويتحولون من النضال الاقتصادي الى النضال السياسي . ان النضال البطولي الذي تخوضه الطبقة العاملة ليفلي بشدة في الوقت الحاضر ، واذا ما أخذنا الوضع الراهن بعين الاعتبار ، فان الانفجار قاب قوسين أو أدنى .

اما نضال الفلاحين فلم ينقطع مطلقاً . ان الفلاحين ، المعرضين للاضطهاد الاجنبي وعواقب الحرب الداخلية والكوارث الطبيعية ، قد بدأوا نضالاً واسعاً على صورة حرب الانتصار والانتفاضات الجماهيرية ، والفتن المجاعية ، الخ . . . وان حرب الانتصار المناهضة لليابانيين لتدور رحاها الآونة في المقاطعات الشمالية الشرقية وفي شرقي هوبيه (١) . ذلك هو الرد على هجوم الاستعمار الياباني .

جنوبي فويكين ، غربي فويكين ، شمالي شرقي كيانغسي ، تخوم فويكين - كيانغسي ، تخوم كوانغ تونغ - كيانغسي ، جنوبي هونان ، تخوم هونان - كيانغسي ، تخوم هونان - هوبيه - كيانغسي ، تخوم هوبيه - كيانغسي ، تخوم هوبيه - هونان - أنهوي ، جبال تونغ بيه في جنوبي هونان ، وجزيرة هاينان في شانشي، كوانغ تونغ .

(١) عندما استولت اليابان على شمالي شرقي الصين عام ١٩٣١ ، نادى الحزب الشيوعي الصيني الشعب هناك للقيام بالمقاومة المسلحة . ولقد عمد الى تنظيم مفارز الانتصار المناهضين لليابانيين والجيش الشعبي الثوري الشمالي الشرقي ، وقدم المساعدة الى قوى المتطوعين المناهضين لليابان على اختلاف اشكالهم . وفي ١٩٣٤ ، أعيد تنظيم سائر القوات المناهضة لليابانيين في الشمال الشرقي تحت قيادة الحزب في جيوش مختلطة مقاومة لليابانيين في الشمال الشرقي ، وقائدها الأعلى يانغ شينغ - يو ، وهو شيوعي بارز . وقد استمرت هذه الجيوش طوال زمن مديد تقوم بفعاليات الانتصار المناهضين لليابان في الشمال الشرقي .

وفي شرقي هوبيه ، قام الفلاحون بعصيان مناهض لليابان في أيار من عام ١٩٣٥ .

وتتقدم الحركة الطلابية بخطوات واسعة ، ومن المؤكد انها ستتنمو أكثر فأكثر في المستقبل . لكن هذه الحركة لا يمكن أن تتخذ صفة دائمة ، رغم أنف القانون الحربي الذي اصدره الخونة ، وسياسة التقسيم والقتل المطبقة على نطاق واسع من قبل الشرطة والعملاء السريين والجواسيس في المؤسسات التعليمية والفاشيين ، الا اذا تناسقت مع نضال العمال والفلاحين والجنود . وقد سبق ان بحثنا في امكانية تأرجح البورجوازية الوطنية والفلاحين الاغنياء والملاكين العقاريين الصغار في الريف ، وحتى امكانية اسهامهم في النضال المضاد لليابان .

اما الاقليات القومية ، وعلى الاخص أهالي منغوليا الداخلية المعرضين مباشرة لخطر الاستعمار الياباني ، فانهم يهبون الآونة الى النضال . ولسوف يذوب نضالهم في المستقبل مع نضال الشعب في شمالي الصين وفعاليات الجيش الاحمر في الشمال الغربي .

وان هذه الاشياء جميعا تشهد على ان القطاعات المختلفة من جبهة الثورة قد اخذت تنصهر في جبهة وطنية واحدة ، وان تطور الثورة الذي كان ذا صفة متفاوتة في الماضي يصبح بصورة تدريجية متساوية حتى درجة ما . واننا نقف اليوم على عتبة تبدلات عظيمة ، وواجب الحزب ان يشكل جبهة قومية ثورية موحدة ، وذلك بتوحيد فعاليات الجيش الاحمر مع سائر فعاليات العمال والفلاحين والطلاب والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الكبيرة في مختلف أرجاء البلاد .

الجبهة الوطنية الموحدة .

بعدما شرحنا الاوضاع القائمة في معسكر الثورة وفي معسكر الثورة المضادة على السواء ، فسوف نجد من الميسور علينا أن نوضح مهمات الحزب التبعوية .

ما هي المهمة التعبوية الاساسية للحزب ؟ ليست هذه المهمة سوى خلق جبهة وطنية ثورية موحدة واسعة .

وعندما تطرا تبدلات على تطور الثورة ، فانه ينبغي أن تحدث تبدلات مقابلة في التعبئة الثورية وفي أساليب القيادة الثورية . ان مهمة الاستعماريين اليابانيين والاعوان والخونة هي تحويل الصين الى مستعمرة ، أما مهمتنا فهي تحويل الصين الى بلد مستقل ، حر يحافظ على سلامة اراضيه .

وان كسب استقلال الصين وحريتها لمهمة عظمى . ولا بد لنا ، في سبيل هذه الغاية ، من ان نحارب الاستعمار الاجنبي والقوى الداخلية المضادة للثورة . لقد قرر الاستعمار الياباني ان يتججح ويشق طريقه الى الصين . وكذلك فالقوى الداخلية المضادة للثورة الخاضعة للاشراف العقاريين وطبقة المستوردين الاحتكاريين تتفوق بعد على القوى الشعبية الثورية . ولا يمكن ان ننجز في يوم او يومين مهمة سحق الاستعمار الياباني والقوى الصينية المضادة للثورة ، ولذا ينبغي ان نتهياً لصراع طويل الامد ، وكذلك لا يمكن تحقيق هذه المهمة بقوى صغيرة ، ولذا ينبغي لنا أن نجتمع قوى كبيرة . ان القوى المضادة للثورة في الصين وفي أرجاء العالم لأضعف مما كانت عليه ، فيما القوى الثورية في الصين وفي أرجاء العالم قد ازدادت قوة حتى درجة بعيدة . وهذا تقدير صحيح ، لكنه تقدير من زاوية واحدة . ذلك انه يتوجب علينا ايضا ، في الوقت نفسه ، أن ندخل في حسابنا ان القوى المضادة للثورة في الصين وفي أرجاء العالم لما تتفوق بعد في الوضع الراهن على القوى الثورية . وهذا ايضا تقدير صحيح ، وهو تقدير من زاوية أخرى . وانه ليستج ، عن عدم الاستقرار في التطور السياسي والاقتصادي في الصين ، عدم استقرار في تطور الثورة . ان الثورة لتبدأ على العموم وتتطور وتنتصر في الاماكن حيث القوى المضادة للثورة ضعيفة نسبيا ، فيما هي لم تندلع بعد او هي تتطور ببطء عظيم في الاماكن حيث تلك القوى شديدة البأس . وتلك هي

الحالة التي واجهتها الثورة الصينية خلال فترة طويلة في الماضي . وانه
ليمكن ان نتوقع ، في بعض المراحل في المستقبل ، على الرغم من تطور الاوضاع
الثورية قدما ، استمرار مثل هذا التفاوت . وان تحويل مثل هذا التفاوت
الى استقرار عام يتطلب زمنا طويلا وجهودا كثيرة ، ويتطلب خطة تعبوية
حزبية صحيحة . ولما كانت الحرب الثورية التي قادها الحزب الشيوعي في
الاتحاد السوفييتي^(١) قد انتهت في ثلاث سنوات ، فان الحرب الثورية التي
يقودها الحزب الشيوعي الصيني قد استغرقت زمناً طويلاً حتى الآن ، ولا
بد لنا أن نتهياً للنضال زمناً طويلاً آخر كيما نتمكن من التغلب بصورة نهائية
على القوى المضادة للثورة الداخلية والاجنبية ، وان الاندفاع المتطرف الذي
ابديناه في مناسبات عديدة في الماضي لن يكفي لذلك البتة . وانه ينبغي في
الوقت نفسه وضع تعبئة ثورية صحيحة ، فاذا ثابرنّا على الدوران في دوائر
ضيقة كما كانت الحال في الماضي ، فاننا لن نحقق ابداً اعمالاً عظيمة . وانا
لا أقول ان الامور في الصين لا يمكن انجازها الا على مهل ، دون عجلة البتة ،
انه يتوجب ان نعمل بكل سرعة وجراة ، لانه خطر الاستعباد القومي الذي
يتهددنا لن يسمح لنا بالتردد لحظة واحدة . ان نسق الثورة سيتسارع بكل
تأكيد من الآن فصاعداً ، بصورة ملموسة بالنسبة الى الماضي ، لان كلي
الصين والعالم يدخلان مرحلة جديدة من الحرب والثورة . وعلى الرغم من
ذلك كله ، فان الحرب الثورية الصينية ستتمدد وقتاً آخر ، وتبعه ذلك
تقع على كاهل قوة الاستعمار وتطور الثورة المتفاوت .

ولقد قلنا ان ما يميز الحالة الراهنة هو اقتراب انتفاضة جديدة من الثورة
الوطنية ، هي كون الصين على عتبة ثورة جديدة عظيمة تشمل الوطن كله ،

(١) المقصود هنا القتال الذي خاضه الشعب السوفييتي بقيادة الحزب الشيوعي وهزم
فيه التدخل المسلح لبريطانيا وفرنسا واليابان وبولونيا والولايات المتحدة ، الخ ، كما قضي
فيه على تمرد الحرس الابيض ، وذلك في ١٩١٨ - ١٩٢٠ .

وان تلك احدى خصائص الوضع الثوري الحاضر . وهذه حقيقة واقعة ، أو احد مظاهر الحقيقة الواقعة . بيد اننا نقول الآن ان الاستعمار لما يبرح قوة ينبغي أن يحسب لها حساب بصورة جدية ، وان التفاوت في تطور القوى الثورية لا يزال عيباً خطيراً ، وانه يتوجب علينا كي نهزم اعداءنا ان نتهياً لخوض غمار حرب طويلة الامد ، وتلك هي الخاصة الاخرى للوضع الثوري الحاضر . وهذه هي حقيقة واقعة ايضاً ، أو مظهر آخر من الحقيقة الواقعة . وان كلا الخاصتين ، كلا الحقيقتين الواقعتين تعلماننا وتستحثاننا كي نكيف انفسنا مع الوضع القائم ، ونعيد النظر في تعبئتنا ، وننظم صفوفنا مجدداً من اجل القتال . ان الوضع الراهن يتطلب منا ان نطرح بكل جرأة العصبية المغلقة ، ونشكل جبهة موحدة واسعة ، ونكبح جماح روح المفامرة . ومالم ندق ساعة المعركة الحاسمة ، ومالم تكن لدينا القوى الضرورية من اجل خوضها ، فانه يتوجب علينا الا نخوض غمارها بكل تهور واندفاع .

ولن آتي هنا على ذكر العلاقة بين العصبية المغلقة وروح المفامرة ، أو الاخطار التي يمكن لروح المفامرة ان تجلبها عندما تقع الاحداث الخطيرة الشأن في المستقبل ، اننا نستطيع تأجيل ذلك الى مناقشات مقبلة . ولسوف اكتفي بالاشارة هنا الى أن تعبئة الجبهة الموحدة وتعبئة العصبية المغلقة هما تعبئتان مختلفتان وعلى طرفي تقيض من بعضهما بعضاً .

فالتعبئة الواحدة تتطلب حشد قوى كبيرة لحاصرة اعداءنا وابدانهم . أما التعبئة الثانية فتضمن انخراطنا لوحداً في معركة غير متكافئة وقاسية ضد عدو جبار .

والتعبئة الواحدة تعلمنا بأنه لن يكون في مكنتنا ، دون تقدير مناسب للتبدلات التي ستطرأ على معسكر الثورة ومعسكر الثورة المضادة في الصين بنتيجة أعمال الاستعمار الياباني المستهدفة تحويل الصين الى مستعمرة له ، أن نقدر بصورة ملائمة امكانية تشكيل جبهة ثورية وطنية موحدة واسعة ، انه لن يكون في مكنتنا ،دون تقدير مناسب لبأس القوى اليابانية المضادة للثورة

وضعفها على السواء ، وللقوى الصينية المضادة للثورة ، وللقوى الثورية الصينية ، ان تقدر بصورة ملائمة ضرورة تنظيم جبهة وطنية ثورية موحدة واسعة ، وان نتخذ تدابير حاسمة لتحطيم العصبية المغلقة ، كما لن يكون في مكنتنا ان نستخدم سلاحا كالجبهة الموحدة من أجل تنظيم وتوحيد الجماهير الشعبية الفقيرة وسائر حلفاء الثورة الممكنين كي نتحول الى مهاجمة عدونا الرئيسي - الاستعمار الياباني وأذنايه من الخونة الصينيين - أو ان نستخدم تعبئتنا كسلاح من أجل مهاجمة الهدف المركزي الذي يجابهنا ، بل سوف يكون لنا على العكس اهداف متعددة ، وبالتالي فان رصاصنا سوف يصيب الاعداء الأقل شأنًا ، وحتى اصدقاءنا وحلفاءنا ، من دون عدونا الرئيسي . وهذا يعني العجز عن تحديد العدو الحقيقي ، وسوف نضيع ذخيرتنا عبثًا ولن يكون في قدرتنا بهذه الطريقة أن نحصر العدو في مركز منعزل ، كما أنه لن يكون في قدرتنا بهذه الطريقة أن نجذب الى صفوفنا ، من معسكر العدو ومن جبهته ، سائر أولئك الذين انضموا اليه بالقوة والضغط ، أولئك الذين كانوا أعداءنا البارحة لكنهم قد يصبحون حلفاءنا اليوم . وبالفعل ، فاننا سنساعد العدو بهذه الطريقة ، مؤخرين الثورة وعازلين اياها ، ودافعين بها الى التقلص والانحطاط ، بل سائرين بها ايضاً في طريق الهزيمة .

وان التعبئة الثانية لتقول على العكس من ذلك : ان سائر هذه المحاكمات مغلوطة . ان قوى الثورة يجب ان تكون نقية ونقية بصورة مطلقة ، ودرب الثورة ينبغي أن تكون مستقيمة ومستقيمة بصورة مطلقة . ولا حقيقة الا ما تتضمنه قوانيننا . فالبورجوازية الوطنية مقدر لها ان تكون بجماعها مضادة للثورة ، ولسوف تظل كذلك حتى ابد الأبد . ولن نقوم بأي تنازل للفلاحين الاغنياء . اما بخصوص نقابات العمال الصفر ، فيجب ان نحاربها بالظفر والناي . واذا لم يكن لنا بد من مصافحة تساي تينغ - كاي ، فلا ننس ونحن

نصافحه ان ندعوه «ثورياً مضاداً» . وهل كان في يوم من الايام قط لا يجب اللحم أو سيد حرب ليس هو ثورياً مضاداً ؟ لا يمكن للمفكرين أن يكونوا ثوريين سوى ليوم أو يومين ، ومن الخطر تجنيدهم . ومن هنا كان الاستنتاج التالي : ان العصبية المفلقة هي العصا السحرية الوحيدة ، والجهة الموحدة هي تعبئة الانتهازية .

ايها الرفاق، أين هي الحقيقة إذن؟ في جانب الجبهة الموحدة أم في جانب العصبية المفلقة ؟ وأين تقف الماركسية – اللينينية ؟ لسوف اجيب بكل حزم : انها الى جانب الجبهة الموحدة وضد العصبية المفلقة . ان الاطفال الذين في الثالثة من العمر قد يتمكنون من صياغة احكام مصيبة عديدة ، بيد انه لا يمكن تكليفهم بقضايا الدولة الخطيرة ، لانهم لا يفهمونها بعد . أن الماركسية – اللينينية تناضل ضد الامراض الطفولية في الصفوف الثورية ولكن هذه التعبئة التي يتشبث بها بكل عناد انصار العصبية المفلقة هي مجموعة من مثل هذه الامراض الطفولية . ان طريق الثورة ، مثلها مثل سبيل تطور سائر الظواهر في هذا العالم ، للتوية دائماً ، وغير مستقيمة البتة وان جبهة الثورة وجبهة الثورة المضادة – قابلتان للتغيرات كما هي حال سائر الظواهر في العالم . وان التعبئة الحزبية الجديدة المستهدفة تشكيل جبهة موحدة واسعة لتنطلق من الحقيقتين الاساسيتين التاليتين : اولاً ، ان الاستعمار الياباني مصمم على تحويل الصين برمتها الى مستعمرة له وثانياً ، أن القوى الثورية الصينية تعاني بعد ضعفاً جدياً في الوقت الحاضر . وان القوى الثورية الراهنة لتحتاج ، في هجومها على القوى المضادة للثورة ، ان تنظم الملايين والملايين من الناس وتدير جيشاً ثورياً عملاقاً . وان مثل هذه القوة لتستطيع وحدها ان تسحق الاستعمارين اليابانيين والاعوان والخونة ، وتلك حقيقة بينة في اعين سائر الناس . وبالتالي فان تعبئة الجبهة الموحدة هي تعبئة ماركسية لينينية . اما تعبئة العصبية المفلقة فهي على العكس تعبئة انزالية . وان العصبية المفلقة ، على طريقة

« اخافة السمك بحيث يهرب الى المياه العميقة ، واخافة الطيور بحيث تهرب الى الغابات البعيدة ، » سوف تطرد « الملايين والملايين » و « الجيش العملاق » الى جانب العدو ، الامر الذي يسر له هذا العدو حتى الدرجة القصوى . والحقيقة ان المتعصبين المفلقين هم العبيد الاولياء للمستعمرين اليابانيين والاعوان والخونة . وان ما يسميه المتعصبون المفلقون « نقياً » و « مستقيماً » هو بالضبط ما تصفعه الماركسية اللينينية ، وما يمتدحه الاستعمار الياباني . وانه ليتوجب علينا ان نرفض بصورة نهائية العصبية المفلقة . ان ما يلزمنا هو الجبهة الوطنية الثورية التي ستكون ساحقة بالنسبة الى المستعمرين اليابانيين والاعوان والخونة .

الجمهورية الشعبية (١)

اذا قلنا ان حكومتنا كانت حتى اليوم حكومة قائمة على الاتحاد بين العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدنية ، فانه ينبغي لنا من الآن فصاعداً أن نصلحها بحيث تمثل ، الى جانب العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدنية ، عناصر سائر الطبقات الاخرى التي تريد ان تسهم في الثورة الوطنية . وان المهمة الاساسية لهذه الحكومة في الوقت الراهن هي مقاومة مساعي الاستعمار الياباني لابتلاع الصين . وينبغي أن يكون لهذه الحكومة تركيب رحب جداً ، فلا يقبل فيها اولئك المعنيون بالثورة الوطنية وحدها من دون

(١) ان طبيعة السلطة السياسية للجمهورية الشعبية ، بالاضافة الى سياسة مثل هذه الجمهورية كما يوضحها الرفيق ماو ، قد ابانتها الممارسة بصورة تامة في المناطق الشعبية المحررة تحت قيادة الحزب الشيوعي خلال الحرب المناهضة لليابان . وهذا كان في مقدور الحزب الشيوعي أن يقود الشعب في مؤخرة العدو الى قتال مظفر ضد الغزاة اليابانيين . وبعد استسلام اليابان ، اندلعت الحرب الاهلية الثالثة . وبقدر ماكانت الحرب تتطور ، كانت المناطق الشعبية المحررة تمتد حتى تم تحرير البلاد برمتها . وان اقامة جمهورية الصين الشعبية الموحدة عام ١٩٤٩ تدل على تحقق فكرة الرفيق ماو الخاصة بجمهورية شعبية تشمل البلاد بأسرها .

الثورة الزراعية ، بل ان اولئك الذين لا يريدون معارضة الاستعمار الاوروبي والاميركي لما لهم به من علاقات وثيقة ، لكنهم يعارضون الاستعمار الياباني وأجرائه ، يمكنهم الانضمام الى هذه الحكومة اذا شأؤوا . وبالتالي فان برنامج هذه الحكومة . بصورة مبدئية ، يجب ان يتلاءم مع المهمة الرئيسية التي هي محاربة الاستعمار الياباني واجرائه ، كما ينبغي لنا ان نعدل سياستنا الماضية بصورة تتفق مع هذا الامر .

وان ما يميز معسكر الثورة في الوقت الحاضر هو وجود حزب شيوعي مجرب وجيش احمر مجرب . وهذه قضية ذات أهمية عظمى . ولقد كانت مصاعب عملاقة تعترضنا لولا وجود هذا الحزب الشيوعي وهذا الجيش الاحمر المجربين . لماذا ؟ لأن الاعوان والخونة كثيرون واقوياء في الصين ، ومن المؤكد انهم سيبتكرون كل وسيلة لنسف هذه الجبهة الموحدة ، لسوف يلجؤون الى تدابير مختلفة كالتهديد والرشوة والمناورات الدنيئة ، وزرع الانقسام والاختلاف ، واستعمال القوة المسلحة في سبيل اضطهاد سائر تلك الجماعات التي هي اضعف منهم والتي تريد أن تفصل عن الخونة وتنضم اليها لمحاربة اليابان ، وسحقها الواحدة تلو الاخرى ، وهو ما سوف يحدث بصورة محتومة في حال غياب العاملين الحيويين ، الحزب الشيوعي والجيش الاحمر ، من الحكومة المناهضة لليابان والجيش المناهض لليابان ولقد فشلت ثورة عام ١٩٢٧ على الاخص لان السياسة الانتهازية التي انتهجها الحزب الشيوعي وقتذاك لم تبذل أي جهد في سبيل توسيع صفوف الثورة (يعني توسيع الحركة العمالية والفلاحية والقوى المسلحة التي يقودها الحزب الشيوعي) ، بل اعتمدت كلياً على حليف مؤقت هو الكيومنتانغ . وبنتيجة ذلك أصدر الاستعمار أوامره الى اذنابه ، الاشراف العقارين وطبقة المستوردين الاحتكاريين ، كي يستخدموا لواصهم التي لا حصر لها في سبيل جر شيانغ كاي - شيك اولاً ، ومن ثم وانغ شينغ - وي ، الامر الذي انتهى بالثورة الى الفشل . ولم يكن في الجبهة الثورية الموحدة في ذلك الحين أي

ركن يستند اليه ، لم يكن فيها أية قوات مسلحة ثورية قوية . وعندما وقعت الارتدادات في كل حذب و صوب ، وجد الحزب الشيوعي نفسه عاجزاً ، وهو مجبر على القتال لوحده ، عن احباط تعبئة المستعمرين والثورة المضادة الصينية ، هذه التعبئة المستهدفة سحق قوات الثورة كلا على حدة . وعلى الرغم من وجود قوات هولونغ وييه تينغ في ذلك الحين ، فانها لم تكن تشكل بعد جيشاً وطيدا سياسياً ، والاكثر من ذلك ان الحزب لم يكن ناجحاً في قيادتها ، بحيث انتهت هي الاخرى الى الهزيمة . وكان ذلك درساً دامياً ، درساً يبين كيف ان الثورة ستبوء بالهزيمة حتماً في حال انعدام المحور المركزي .

بيد ان الاوضاع تبدلت اليوم بهذا الخصوص فثمة اليوم حزب شيوعي قوي وجيش احمر قوي ، كما ان هناك القواعد الثورية للجيش الاحمر . ان الحزب الشيوعي والجيش الاحمر لا يقومان في الوقت الراهن بمجرد دور المحرضين على الجبهة الوطنية المناهضة لليابانيين ، بل سوف يصبحان بصورة محتومة في المستقبل العماد الوطيد للحكومة المناهضة لليابان والجيش المناهض لليابان ، مانعين بذلك المستعمرين اليابانيين وشيانغ كاي - شيك من بلوغ غايتهم القسوى فيما يتبعونه من سياسة فسم عرى الجبهة الوطنية الموحدة . انه ليتوجب علينا ان نكون يقظين جداً ، اذ من المؤكد ان المستعمرين اليابانيين وشيانغ كاي - شيك سيستخدمون التهديد والرشوة وسائر المناورات الملتوية الممكنة .

ولا ريب انه لا يمكننا ان نتوقع من جميع اطراف الجماعات الواسعة للجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين الحزم الذي يتحلى به الحزب الشيوعي والجيش الاحمر . ففي سياق النشاط تنسحب بعض العناصر السيئة الواقعة تحت نفوذ العدو من الجبهة الموحدة . ومهما يكن من امر ، فاننا لا نخشى مثل هذه الارتدادات . ان الطالحين يمكن ان يقعوا تحت تأثير

العدو ويفادرونا ، بيد ان الصالحين سوف يقعون تحت تأثيرنا وينضون
الىنا . وما دام الحزب الشيوعي والجيش الاحمر موجودين وناميين ، فان
الجهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ستظل موجودة ونامية . هذا
هو الدور القيادي للحزب الشيوعي والجيش الاحمر في الجهة الوطنية
الموحدة . ان الشيوعيين لم يعودوا اطفالا صفاراً بعد اليوم . انهم يعرفون ما يجب
عمله وكيف يتصرفون مع حلفائهم . واذا كان يمكن للاستعماريين اليابانيين
وشيانغ كاي - شيك اللجوء الى المناورات والخطط الداهية ضد القوى الثورية
فان الحزب الشيوعي يستطيع ان يفعل الشيء نفسه ضد القوى المضادة
للثورة . واذا كانوا يستطيعون ان يجتذبوا اليهم العناصر السيئة من
صفوفنا ، فاننا نستطيع ان نجذب اليانا « العناصر السيئة » (العناصر
الطيبة من وجهة نظرنا) من صفوفهم . واذا كنا نستطيع ان نجذب اكبر
عدد ممكن من الناس من معسكر العدو ، فان صفوفه ستترق وتنضم الى
صفوفنا . وباختصار ، فان قوتين اساسيتين تتصارعان في الوقت الراهن ،
وانه لمن الجلي ان سائر القوى المتوسطة يجب ان تنحاز الى هذا المعسكر او
ذاك . ذلك هو منطق الاحداث الذي لا يلين . وان سياسة استعباد الصين
وخياتتها ، وهي السياسة التي يتبعها المستعمرون اليابانيون من جهة
وشيانغ كاي - شيك من جهة اخرى ، لا يمكن الا ان تسوق قوى عديدة
الى جانبنا ، إما كي تنضم بصورة مباشرة الى صفوف الحزب الشيوعي
والجيش الاحمر ، وإما كي تشكل معنا جبهة موحدة . ان هذه الفاية ستتحقق
ما دامت تعبئتنا ليست تعبئة العصبية المفلقة .

ولماذا يجب تحويل جمهورية العمال والفلاحين الى جمهورية شعبية ؟
إن حكومتنا لا تمثل العمال والفلاحين فحسب ، بل الامة بأسرها .
ولقد كان هذا الامر متضمناً في الاصل في شعار الجمهورية الديمقراطية
للعمال والفلاحين ، لأن العمال والفلاحين يشكلون ٨٠ الى ٩٠ بالمائة من

السكان . وان البرنامج العشاري (١) الذي تبناه المؤتمر الوطني السادس لحزبنا لا يدافع عن مصالح العمال والفلاحين فحسب ، بل عن مصالح الأمة بأسرها . بيد أن الحالة الراهنة تحملنا على تبديل الشعار وتحويله الى شعار الجمهورية الشعبية . ومرد ذلك ان العدوان الياباني بدل العلاقات الطبقية في الصين ، بحيث لم يعد اليوم في مقدور البورجوازية الصغيرة وحدها ، بل البورجوازية الوطنية أيضا ، أن تنضم الى النضال المناهض لليابان .

ومما لا يتطرق الشك اليه ان الجمهورية الشعبية لاتمثل مصالح الطبقات المعادية . بل ان الامر على العكس من ذلك ، فجمهورية الشعب تناهض بصورة مباشرة أذئاب الاستعمار ، الاشراف العقاريين وطبقة المستوردين الاحتكاريين ، وهي لا تشملهم في مقولة « الشعب » . ويمكننا هنا أن نقيم

(١) في تموز من عام ١٩٢٨ ، تبنى المؤتمر الوطني السادس للحزب الشيوعي الصيني البرنامج التالي المؤلف من عشر نقاط :

- ١ - قلب حكم الاستعمار .
- ٢ - مصادرة سائر أراضي ومشاريع الرأسمال الاجنبي .
- ٣ - توحيد الصين والاعتراف بالحق القومي في تقرير المصير .
- ٤ - قلب حكومة سادة الحرب الكيومتانفية .
- ٥ - اقامة مجالس لمثلي العمال والفلاحين والجنود بوصفها شكلا للحكومة .
- ٦ - تحقيق يوم العمل المؤلف من ثماني ساعات ، وزيادة الاجور ، واقامة المساعدة للعاطلين عن العمل والضمان الجماعي .
- ٧ - مصادرة أراضي الملاكين العقاريين واعادة توزيعها على الفلاحين .
- ٨ - تحسين شروط حياة الجنود واعطاء الارص وتوفير العمل للمرحين من الخدمة .
- ٩ - إلغاء سائر الضرائب الفاحشة والفرائض المختلفة وتطبيق نظام تصاعدي وطيد الاسس للضرائب .
- ١٠ - تشكيل الاتحاد مع البروليتاريا العالمية ومع الاتحاد السوفيتي .

المقارنة مع « الحكومة الوطنية لجمهورية الصين » ، وهي حكومة شيانغ كاي - شيك التي لا تمثل سوى الاثرياء من دون عامة الشعب ، هؤلاء الذين لا يعدون بين « المواطنين » . ولما كان ٨٠ الى ٩٠ بالمائة من سكان الصين يتألفون من العمال والفلاحين فان واجب الجمهورية الشعبية قبل كل شيء ان تمثل مصالحهم . لكنه اذا ما تخلصت الجمهورية الشعبية من النير الاستعماري وحقت للصين الحرية والاستقلال ، اذا ما تخلصت من نير الملاكين العقاريين وخلصت الصين من النظام نصف الاقطاعي ، فلن يفيد من ذلك العمال والفلاحون فحسب ، بل فئات الشعب الاخرى ايضا . وأن مجموع مصالح العمال والفلاحين والفئات الاخرى من الشعب تشكل مصالح الأمة الصينية . وعلى الرغم من ان طبقة الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين تعيش على التربة الصينية أيضاً ، فانها لا تعنى بمصالح الأمة ، ان مصالح هذه الطبقات تتعارض مع مصالح غالبية الشعب . ولما كنا لا نفصل سوى عن هذه الحفنة الصغيرة من الملاكين العقاريين والمستوردين الاحتكاريين ونصطدم بهم وحدهم ، فان لنا الحق في ان ندعو أنفسنا ممثلين للأمة بمجموعها .

وثمة صدام في المصالح ايضا بين الطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية . اننا لا نستطيع ان نوسع بنجاح الثورة الوطنية اذا لم نمنح الحقوق السياسية والاقتصادية لطليعتها ونمكن الطبقة العاملة من توجيه قواها في النضال ضد الاستعمار وأذنا به من خونة الشعب . أما اذا انضمت البورجوازية الوطنية الى الجبهة الموحدة ضد الاستعمار، فانه سيكون للطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية اذن مصالح مشتركة ولن تعتمد الجمهورية الشعبية ، في مرحلة الثورة الديمقراطية البورجوازية ، الى الغاء الملكية التي لا تحمل الطابع الاستعماري الاقطاعي ، ولن تصدر المشاريع الصناعية والتجارية الخاصة بالبورجوازية الوطنية ، بل ستشجع نموها بالاحرى . اننا سنحمي كل

بورجوازي وطني ما دام لا يدعم المستعمرين والخونة . ان للصراع بين العمل ورأس المال حدوده في المرحلة الراهنة من الثورة الديمقراطية واذا كان قانون العمل في الجمهورية الشعبية يحمي مصالح العمال ، فانه ليس موجهاً ضد عملية الربح الخاصة بالبورجوازية الوطنية ، او ضد تطور مشاريعها الصناعية والتجارية ، ذلك ان مثل هذا التطور ليس في مصالح الاستعمار بل في مصالح الشعب الصيني . وهكذا فانه من الواضح ان الجمهورية الشعبية تمثل مصالح الطبقات المختلفة من الشعب التي تناهض الاستعمار والقوى الاقطاعية ، ان حكومة الجمهورية الشعبية تعتمد بصورة رئيسية على العمال والفلاحين ، بيد انها تستقبل في الوقت نفسه ممثلين عن سائر الطبقات الاخرى المناهضة للاستعمار والقوى الاقطاعية .

لكن ، اليس من الخطورة بمكان أن ندع ممثلي مثل هذه الطبقات يشتركون في حكومة الجمهورية الشعبية ؟ كلا . ان العمال والفلاحين يشكلون القسم الاساسي من جماهير هذه الجمهورية . وحين نعطي البورجوازية الصغيرة المدنية والمفكرين والعناصر الاخرى التي تدعم البرنامج المناهض للاستعمار والمناهض للاقطاعية حق الادلاء برأيهم والعمل في حكومة الجمهورية الشعبية ، الحق في أن ينتخبوا وينتخبوا ، فاننا لا نجازف بمصالح القسم الاساسي من الجماهير ، أي العمال والفلاحين . ان الجزء الاساسي من برنامجنا ينبغي أن يكون حماية القسم الاساسي من الجماهير ، أي العمال والفلاحين . ان الغالبية المؤلفة في هذه الحكومة من ممثلي القسم الاساسي من الجماهير ، أي العمال والفلاحين ، وقيادة الحزب الشيوعي وفعالياته فيها ، تتضمن كي تجعل اشتراك ممثلي هؤلاء الناس خالياً من الخطر . وانه لمن الواضح كل الوضوح ان الثورة الصينية في المرحلة الخاضرة لما تبرح ثورة بورجوازية

ديموقراطية ، وليست ثورة بروليتارية اشتراكية . ان التروتسكيين (١) المناهضين للثورة وحدهم يمكن ان يؤكدوا بكل سخر ان الثورة الديموقراطية البورجوازية قد تحققت في الصين ، وان التطور اللاحق للثورة لا يمكن ان يكون سوى الثورة الاشتراكية . لقد كانت ثورة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ثورة بورجوازية ديموقراطية ، لكنها لم تتحقق ، بل انتهت الى الفشل . وان الثورة الزراعية التي نقودها منذ ١٩٢٧ حتى اليوم الحاضر هي ثورة بورجوازية ديموقراطية ايضاً ، لأن مهمتها هي النضال ضد الاستعمار والاقطاعية ،

(١) كان الفريق التروتسكي في الاصل زمرة مناهضة للينينية في الحركة العمالية الروسية ، وقد تفسخ فيما بعد الى عصابة مضادة للثورة بصورة علنية . ولقد قدم الفريق ستالين ، في تقريره امام الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٧ ، ايضاً للطريق التي سلكها هذا الفريق من المرتدين كما يلي : « في الماضي ، قبل سبع او ثمان سنوات ، كانت التروتسكية تشكل أحد الاتجاهات السياسية في الطبقة العاملة ، وصحيح انه اتجاه مناهض للينينية ، وبالتالي مفلوط تماماً ، بيد انه اتجاه سياسي على أية حال .. أما التروتسكية الراهنة فليست اتجاهاً سياسياً في الطبقة العاملة ، بل عصابة لا مبادئ لها ولا افكار ، عصابة من المخربين والمضللين ، وعملاء مكتب الاستخبارات البريطاني ، والجواسيس ، والقذلة ، عصابة من الاعداء الالاء للطبقة العاملة ، العاملين في خدمة مكاتب الاستخبارات للدول الاجنبية » . وبعد هزيمة الثورة الصينية في ١٩٢٧ ، ظهر في الصين عدد ضئيل من التروتسكيين . ولقد شكلوا في ١٩٢٩ ، مع شن تو - هسيو ، ومرتدين آخرين ، عصابة صغيرة مضادة للثورة ونشروا دعابة مناهضة للثورة تدعي ان الكيومنتانغ قد حقق مسبقاً الثورة البورجوازية الديموقراطية . ولقد انضم التروتسكيون الصينيون الى مكتب استخبارات الكيومنتانغ واصبحوا أداة الاستعماريين والكيومتانغ على السواء في اضطهادهم للشعب الصيني . ولقد شرعوا ، وهم يعملون بوحى أوامر المرتد المجرم تروتسكي « بعدم معارضة احتلال الصين من قبل الامبراطورية اليابانية » ، يتعاونون مع العملاء السريين اليابانيين بعد أحداث ١٨ ايلول . ولقد تلقوا الاعانات من الغزاة اليابانيين وعملوا في مختلف أنواع النشاطات التي سهلت العدوان الياباني .

وليس النضال ضد الرأسمالية . وسوف تحتفظ الثورة بهذه الصفة زمنًا طويلاً في المستقبل .

ولا تبرح القوى المحركة للثورة ، بصورة رئيسية ، العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدنية، بيد أنه يمكن أن تنضم إليها الآونة البورجوازية الوطنية .

وان تحويل ثورتنا الى ثورة اشتراكية هو من المهمات المقبلة . ان الثورة الديمقراطية سوف تتحول في المستقبل بصورة محتومة الى ثورة اشتراكية . اما متى سيتم هذا التحول ، فذلك أمر يتعلق بنضوج الظروف اللازمة له ، ومما لا ريب فيه انه سيتطلب زمنًا طويلاً . وحتى يتم نضوج سائر الشروط السياسية والاقتصادية الضرورية ، حتى يكون الانتقال غير مؤذ بل مفيداً للغالبية العظمى من الشعب في مختلف أرجاء البلاد ، فانه ينبغي لنا الا نتحدث بكل طيش عن الانتقال . انه لمن الخطأ أن نشك في ذلك وأن نتوقع حدوث الانتقال خلال زمن قصير ، كما فعل بعض رفاقنا في الماضي الذين كانوا ينادون بأن الانتصارات الاولى للثورة الديمقراطية في المقاطعات الرئيسية ، تعني بدء ذلك الانتقال . ولقد كان هؤلاء الرفاق يفكرون على هذا الضرار لأنهم لم يدركوا أي نوع من البلدان هي الصين سياسياً واقتصادياً ، لأنهم لم يعرفوا ان تحقيق الثورة الديمقراطية في الصين ، في الميدانين الاقتصادي والسياسي ، هو أمر أصعب بما لا يقاس منه في روسيا ، كما انه يتطلب وقتاً أطول وجهوداً أعظم .

التأييد الأممي .

وأخيراً ، فلا بد من كلمة بخصوص الروابط المتبادلة بين الثورة الصينية والثورة العالمية .

فمنذ ظهر ذلك الشيطان الذي هو الاستعمار والامور في العالم مترابطة عضوياً بحيث من المحال فصلها عن بعضها البعض . واننا لنملك ، نحن الشعب الصيني ، تلك الروح البطولية التي تدفعنا الى خوض غمار حرب دامية ضد الاعداء حتى النهاية ، وذلك العزم على استرداد ارضنا الضائعة بجهودنا الخاصة ، وتلك القدرة على النهوض والوقوف على قدم المساواة مع شعوب العالم الاخرى . لكن هذا لا يعني ان في مكتتنا الاستغناء عن التأيد الأممي . لا ، فالتأيد الأممي ضروري اليوم من اجل النضال الثوري في كل بلد وفي كل أمة . وكما يقول القدماء « لم يكن ثمة حروب عادلة في عصر الربيع والخريف (١) » فالأولى ألا يكون اليوم ، في عصرنا ، حروب عادلة بين المستعمرين ، ان الأمم المضطهدة والطبقات المضطهدة وحدها تستطيع ان تخوض غمار حروب عادلة . ان سائر تلك الحروب في العالم التي هبت الشعوب فيها ضد مضطهديها هي حروب عادلة . لقد كانت ثورتا شباط وتشرين الاول في روسيا حروبا عادلة ، وكانت الثورات الشعبية التي اندلعت في بلدان اوربية مختلفة بعد الحرب العالمية الاولى حروبا عادلة . أما في الصين ، فان الحرب المناهضة للأفيون (٢) ، وحرب مملكة تاينغ السماوية (٣) ، وحرب اليوكسر (٤) ، والحرب الثورية عام ١٩١١ (٥) ،

(١) من « كتاب منسيوس » . ولقد قال منسيوس ذلك لانه في المرحلة المعروفة بعصر الربيع والخريف (٧٢٢ - ٤٨١ ق م .) ، لم ينقطع الامراء الاقطاعيون في الصين عن مقاتلة بعضهم البعض من أجل السلطة .

(٢) بين ١٨٤٠ - ١٨٤٢ اجتاحت البريطانليون الصين ، ثارا من نضال الشعب الصيني ضد تجارة الأفيون ، بحجة حماية تجارتهم . وقاومهم الجيش الصيني ، بقيادة لين تي - هسو . وفي الوقت نفسه ، قامت « القوة المناهضة للبريطانيين » ، التي نظمها بصورة عفوية مواطنو مدينة كانتون ، بتوجيه ضربات قاسية أيضا للمعتدين البريطانيين .

(٣) المقصود هنا الحرب الثورية التي خاض غمارها الفلاحون الصينيون في أواسط القرن التاسع عشر ضد الحكم الاقطاعي والاضطهاد القومي لعائلة المانشو . وفي كانون الثاني

والحملة الشمالية عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ، والحرب الزراعية منذ عام ١٩٢٧ حتى يومنا الراهن ، والحرب الراهنة ضد اليابان والخونة ، هي جميعاً حروب عادلة .

ولسوف نشاهد مع الانتفاضة الراهنة للنضال المناهض لليابان في البلاد بأسرها والانتفاضة الراهنة المناهضة للفاشية في العالم أجمع ، أن الحروب العادلة ستشمل كل الصين والكرة الأرضية بأسرها . ويجب أن تدعم سائر الحروب العادلة بعضها بعضاً كما يجب أن تتحول سائر الحروب غير العادلة الى حروب عادلة - هذه هي الخطة اللينينية (١) . ان حربنا المناهضة لليابان

١٨٥١ ، قاد هونغ هسيو - شوان ويانغ هسيو - شينغ وآخرون الفلاحين للقيام بانتفاضة في قرية شينتين من اقليم كويبينغ في مقاطعة كوانغسي ، واقاموا مملكة تايبينغ السماوية . وفي ١٨٥٢ ، نظمت القوى الثورية في كوانغسي حملة على المناطق الاخرى ، واجتازت هونان وهوبي وكيانغسي وأنهوي ، واحتلت نانكنغ عام ١٨٥٣ ، وبعد ذلك ، أرسل قسم من القوى الثورية في اتجاه الشمال حتى وصلت الى جوار تيينستين . وعلى أية حال ، فان جيش تايبينغ لم يتم قواعد وطيدة في المناطق المحتلة من قبله ، وبعد ما جعل من نانكنغ عاصمة للمملكة ، ارتكبت قيادته عدة أخطاء سياسية وعسكرية فاشحة . ونتيجة لذلك فشل الجيش في صد الهجمات التي شنّها عليها جيش المانشو بالاشتراك مع المعتدين البريطانيين والفرنسيين والاميركيين ، ولقي الهزيمة النهائية في ١٨٦٤ .

(٤) المقصود هنا الحركة الجماهيرية العفوية الواسعة التي قام بها الفلاحون والحرفيون في شمال الصين عام ١٩٠٠ . ولقد انتظم هؤلاء الفلاحون والحرفيون في جمعيات سرية تقوم على أساس الطقوس الوهمية ، وقاموا بنضال مسلح ضد الاستعمار ، وعندئذ احتلت القوى المشتركة لثمانى دول استعمارية بكين وتيينستين وقضت على الحركة بطريقة وحشية (٥) انظر ملاحظة بهذا الشأن في « تقرير عن تحقيق في الحركة الفلاحية في هونان » .

(١) أنظر لينين : « البرنامج الحربي للثورة البروليتارية » وراجع أيضاً « تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي » الفصل السادس ، القسم الثالث .

تحتاج الى تأييد شعوب العالم ، وقبل كل شيء تأييد شعوب الاتحاد السوفييتي ، ومن المؤكد أن هذه الشعوب ستدعمنا ، لاننا مشتركون واياها في السراء والضراء . ولقد فصلت القوى الثورية في الماضي ، لفترة من الزمن ، عن القوى الثورية العالمية من قبل شيانغ كاي - شيك ، وبهذا المعنى كنا في حالة من العزلة . بيد أن الحالة قد تبدلت الآونة في مصلحتنا . ولسوف تتبدل الحالة من الآن فصاعداً أكثر فأكثر في مصلحتنا . ولن نكون بعد الآن في عزلة . وذلك شرط أساسي كي تتحقق الصين النصر في حربها المناهضة لليابان وفي ثورتها .

القضايا السوقية للحرب الثورية في الصين

(كانون الاول ١٩٣٦)

هذه خلاصة تجربة الحرب الاهلية الثورية الثانية (١٩٢٧ - ١٩٣٦) . ولا كانت نتيجة لنزاع حزبي داخلي كبير بشأن القضايا العسكرية خلال الحرب الاهلية الثورية الثانية ، فانها تعرض آراء أحد الاتجاهين العسكريين في تعارضها مع آراء الاتجاه العسكري الآخر . ولقد حسم الجدل في اجتماع تسووني الذي عقده المركز الحزبي في كانون الثاني ١٩٣٥ ، وفيه تبني المجتمعون آراء الرفيق ماوتسي تونغ الصائبة كما رفضوا آراء الخطة المفلوطة .

ولقد انتقل المركز الحزبي الى شمالي شنسي في تشرين الاول ١٩٣٥ ، وفي كانون الاول قدم الرفيق ماو تقريره « في نمية قتال الاستعمار الياباني » الذي حل فيه بصورة حاسمة مشكلة الاتجاه السياسي في الحرب الاهلية الثورية الثانية . ولقد كتب بعد ذلك بسنة واحدة هذا الكتيب كي يقدم ايضاحاً منهجياً للقضايا السوقية للحرب الثورية في الصين .

وان الفصول الخمسة المنشورة هنا قد ألفت في الاصل كمحاضرات في كلية الجيش الاحمر في شمالي شنسي ، وقد جاء حادث سيان وعقابيله فشغل الرفيق ماو كثيراً بحيث لم يستطع تكميل مؤلفه بفصول خاصة بالهجوم السوقي والعمل السياسي والقضايا الاخرى .

الفصل الاول

كيف ندرس الحرب

١ - ان قوانين الحرب تطورية .

قوانين الحرب ... هذه قضية ينبغي لكل من يدير حرباً أن يدرسها ويتمكن منها .

قوانين الحرب الثورية ... هذه قضية ينبغي لكل من يدير حرباً ثورية أن يدرسها ويتمكن منها .

قوانين الحرب الثورية في الصين ... هذه قضية ينبغي لكل من يدير الحرب الثورية في الصين أن يدرسها ويتمكن منها .

واننا لنحارب في الوقت الحاضر ، وان حربنا لحرب ثورية ، وان حربنا الثورية لتدور رحاها في هذا البلد نصف الاقطاعي ونصف المستعمر الذي هو الصين . وهكذا فانه لا يكفي ان ندرس قوانين الحرب على العموم ، بل يجب ان ندرس ايضا قوانين الحرب الثورية المخصصة ، والاكثر من ذلك ان ندرس القوانين الأكثر خصوصية للحرب الثورية في الصين .

ويعلم الجميع ان المرء لا يستطيع عند قيامه بعمل ما ، اذا لم يفهم ظروف هذا العمل وخصائصه وعلاقاته بالامور الاخرى ، ان يعرف قوانينه ، ولسوف يكون جاهلاً اذن بكيفية صنعه ، وبالتالي سيكون عاجزاً عن صنعه جيداً .

لقد بدأت الحرب مع ظهور الملكية الخاصة والطبقات الاجتماعية ، ولا تزال الشكل الأعلى للنضال ، وهو الشكل الذي يستجد به في سبيل تسوية التناقضات بين الطبقات ، وبين الأمم ، وبين الدول ، أو بين الكتل السياسية في مراحل معينة من تطور تناقضاتها . وإذا لم نفهم ظروف الحرب ، وخصائصها ، وعلاقاتها بالأمور الأخرى ، فأننا لن نستطيع ان نعرف قوانين الحرب ، لن نستطيع ان نعرف كيف نديرها ، ولن نستطيع ان نكسب النصر .

وان للحرب الثورية ، أو الحرب الطبقيّة الثورية ، أو الحرب الوطنيّة الثورية ، ظروفها وخصائصها الخاصة بالإضافة الى ظروف وخصائص الحرب على العموم . وهكذا فهي تخضع ، فضلا عن القوانين العامة للحرب ، لقوانين خاصة بها . وإذا لم نفهم هذه الظروف والخصائص الخاصة ، اذا لم نعرف قوانينها الخاصة ، فأننا لانستطيع ان ندير حرباً ثورية ونكسب النصر فيها .

والحرب الثورية في الصين ، سواء اكانت حرباً أهلية أم حرباً وطنية ، تدور رحاها في محيط الصين الخصوصي ، وإذا ما هي قورنت بالحرب على العموم أو بالحرب الثورية على العموم ، فإن لها ايضاً ظروفها الخاصة وخصائصها الخاصة . وهكذا فهي تخضع ، فضلا عن قوانين الحرب على العموم وقوانين الحرب الثورية على العموم ، لبعض القوانين الخاصة بها ايضاً ، وإذا لم نفهم هذه القوانين فأننا لن نستطيع ان نكسب النصر في الحرب الثورية في الصين .

ولذا فانه يتوجب علينا ان ندرس قوانين الحرب العامة ، ويتوجب علينا كذلك ان ندرس القوانين العامة للحرب الثورية ، وأخيرا يتوجب علينا ان ندرس قوانين الحرب الثورية في الصين .

وثمة فريق من الناس ينادون برأي خاطيء ، وقد دحضناه منذ زمن طويل . انهم يعلنون انه يكفي ان ندرس قوانين الحرب العامة وحدها ،

يعني بصورة ادق انه يكفي أن نتبع القواعد العسكرية التي نشرتها الحكومة الصينية الرجعية أو الاكاديميات العسكرية الرجعية في الصين . ولا يدرك انصار هذا الرأي ان هذه القواعد انما تعرض قوانين الحرب العامة ، والاكثر من ذلك انها منسوخة بكليتها عن الكتب الاجنبية . واذا ما نسخناها نحن وطبقناها بصورة آلية دون أدنى تعديل في الشكل أو المضمون ، فسوف يكون ذلك أشبه بمن يبري قدمه كي تناسب الحذاء ، ولا بد أن تؤدي بنا الى الهزيمة . ويتذرع اولئك الناس بالحجة التالية : ان هذه الاشياء قد تعلمها الشعب في الماضي بثمن باهظ ، فلماذا نعرض عنها ؟ وهم لا يدركون انه اذا كان يتوجب علينا أن نحترم ما اكتسبه الشعب في الماضي من تجارب قدم دماء ثمنا لها ، فانه يتوجب علينا كذلك ان نحترم ما اكتسبناه من تجارب كان دمنا ثمناً لها .

وثمة فريق آخر من الناس ينادون برأي ثانٍ خاطيء ، وقد دحضناه كذلك منذ زمن طويل . وانهم ليعلمون انه يكفي أن ندرس تجارب روسيا عن الحرب الثورية، يعني بصورة ادق انه يكفي أن نتقيد بالقوانين الموجهة للحرب الاهلية في الاتحاد السوفييتي وما اصدرته القيادة العسكرية هناك من تنظيمات عسكرية . ولا يدرك انصار هذا الرأي ان هذه القوانين الخاصة بالحرب في الاتحاد السوفياتي والتنظيمات العسكرية في الاتحاد السوفييتي تتضمن الميزات الخاصة للحرب الاهلية وللجيش الاحمر في الاتحاد السوفييتي ، فاذا ما نسخناها نحن وطبقناها بصورة آلية دون ان نعدل فيها مطلقاً ، فذلك سيكون أيضا أشبه بمن يبري قدمه كي تناسب الحذاء ، ولا بد أن تؤدي بنا الى الهزيمة . ويتذرع اولئك الناس بالحجة التالية : ان حربنا ، مثلها مثل الحرب في الاتحاد السوفياتي ، هي حرب ثورية ، وما دام الاتحاد السوفييتي قد انتصر ، فكيف يمكن أن تكون ثمة طريق أخرى غير الاقتداء به ؟ وهم لا يدركون انه اذا كان يتوجب علينا بصورة خاصة ان نحترم التجارب

السوفييتية عن الحرب لانها احدث التجارب عن الحرب الثورية وقد تم اكتسابها بتوجيه لينين وستالين ، فانه يتوجب علينا ايضا ان نحترم تجارب الحرب الثورية في الصين ، لان ثمة عدداً كبيراً من الظروف الخاصة بالثورة الصينية والجيش الاحمر الصيني .

وثمة فريق آخر من الناس ينادون برأي ثالث خاطيء ، وقد دحضناه كذلك منذ زمن طويل . انهم يعلنون ان تجارب الحملة الشمالية عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ هي اعظم التجارب قيمة ، ويجب ان ندرسها ، يعني بصورة اذق انه ينبغي ان نتعلم منها كيف نضع نصب أعينا الفارات الجريئة المستهدفة احتلال المدن الكبرى . ولا يدرك انصار هذا الرأي انه اذا كان يجب دراسة تجارب الحملة الشمالية ، فانه لا يجوز نسخها بصورة آلية ، وذلك لان ظروف حربنا الراهنة مختلفة . انه يتوجب علينا ان نتبنى من تجربة الحملة الشمالية فقط تلك التدابير التي تصلح للظروف الحاضرة ، وان نضع خطاً جديدة بصورة تتفق مع ظروفنا الحاضرة .

وهكذا فان الاختلاف في ظروف الحروب يقرر الاختلاف في القوانين الموجهة للحروب ، هذه القوانين التي تختلف وفقا للزمان والمكان وخاصة الحرب .

واذا ما أخذنا بعين الاعتبار شرط الزمان ، فان الحرب وقوانينها الموجهة تتطور مع الزمن ، ولما كان لكل مرحلة تاريخية خصائصها ، فان لقوانين الحرب في كل مرحلة تاريخية خصائصها ، ولا يمكن تطبيقها بصورة آلية في مرحلة مختلفة .

واذا ما أخذنا بعين الاعتبار خاصية الحرب ، فلما كان لكل من الحرب الثورية والحرب المضادة للثورة خصائصها الخاصة ، فان لقوانين كل منهما أيضا خصائصها الخاصة ، والقوانين المسيرة للحرب الواحدة لا يمكن ان تطبق بصورة آلية على الحرب الاخرى .

واذا ما أخذنا بعين الاعتبار شرط المكان ، فلما كان لكل بلد أو أمة ، وعلى

الاخص البلد الكبير والامة الكبرى ، خصائصه المميزة ، فان لقوانين الحرب في كل بلد أو أمة خصائصها المميزة ، ولا يمكن نسخها بصورة آلية أيضاً .

وعندما ندرس القوانين الموجهة للحرب في المراحل التاريخية المختلفة ، في حروب ذات خصائص مختلفة قد دارت رحاها في الامكنة المختلفة وخاضتها الامم المختلفة ، فانه ينبغي ان نركز انتباهنا على خصائصها المختلفة ونحيط بتطورها ، وأن نعارض كل نظرة آلية الى القضايا التي تطرحها ادارة الحرب . وليس هذا كل شيء . فلنأخذ أي ضابط كان . انه يتعلم كيف يأمر فصيلاً صغيراً بادیء الامر ، ومن بعد ينتقل الى قيادة وحدة كبيرة ، وهذا يعني انه يتقدم ويتطور . وان ثمة فارقاً بين القيام بالعمليات في نفس المكان الواحد والقيام بها في امكنة متعددة . وانه لما يدل على التقدم والتطور من جانب القائد أن يصبح قادراً على العمل في أماكن متعددة . مختلفة بعدما لم يكن قادراً على العمل سوى في مكان واحد مألوف لديه . وان الظروف في كل مرحلة من الحرب تختلف أيضاً بسبب من التطورات التقنية والتعبوية والسوقية من جانب العدو ومن جانبنا . وانه لما يدل على تقدم وتطور أعظم من جانب القائد أن يصبح قادراً على قيادة الحرب في مرحلتها المتقدمة بعدما لم يكن قادراً على قيادتها سوى في مرحلتها الاولى . اما القدرة على قيادة وحدة عسكرية معينة في مكان معين وفي مرحلة معينة من تطور الحرب فقط فتعني انعدام التقدم والتطور . وهناك أناس لا يحققون أي تقدم ، فهم يقتصرون على موهبة وحيدة ونظرة محدودة ، وان في مكنتهم أن يلعبوا دوراً ما في الثورة في زمان ومكان معينين ، لكن لا يمكنهم أن يلعبوا دوراً هاماً فيها . أما نحن فنحتاج الى قادة حربيين في مقدورهم ان يلعبوا ادواراً هامة . ان سائر القوانين الموجهة للحرب تتطور مثلما يتطور التاريخ ومثلما تتطور الحرب ، ولا شيء يظل جامداً دون تغيير .

٢ - غاية الحرب هي القضاء على الحرب .

ان الحرب ، هذا الافناء المتبادل الرهيب للانسانية ، سوف يقضي عليها

في النهاية بفعل تقدم المجتمع البشري ، وفي مستقبل غير بعيد أيضاً . بيد أن ثمة سبيلاً واحداً للقضاء عليها ، ألا وهو مجابهة الحرب بالحرب ، مجابهة الحرب المضادة للثورة بالحرب الثورية ، ومجابهة الحرب الوطنية المضادة للثورة بالحرب الوطنية الثورية ، ومجابهة الحرب الطبقيّة المضادة للثورة بالحرب الطبقيّة الثورية . فليس في التاريخ سوى نوعين من الحروب ، العادلة وغير العادلة ، ونحن نؤيد الحروب العادلة ونقاوم الحروب غير العادلة . وإن سائر الحروب المضادة للثورة هي غير عادلة ، وسائر الحروب الثورية هي عادلة . ولسوف نضع حداً بأيدينا لعصر الحروب في تاريخ الإنسانية ، ومن المؤكد أن الحرب التي نخوض غمارها هي جزء من الحرب الأخيرة . بيد أنه من المؤكد أيضاً أن الحرب التي نجابهها هي جزء من أعظم الحروب اتساعاً وأشدّها قسوة . إن أعظم وأقسى سائر الحروب غير العادلة المضادة للثورة تهددنا ، وإذا لم نرفع راية الحرب العادلة ، فإن غالبية الجنس البشري ستفني وتقرض . إن راية حرب الجنس البشري العادلة هي راية خلاص الجنس البشري ، كما إن راية حرب الصين العادلة هي راية خلاص الصين . وإن حرباً يخوض غمارها الغالبية الساحقة من الجنس البشري ومن الشعب الصيني سوف تكون من دون أدنى ريب حرباً عادلة ، تتوجها أعظم الامجاد ، ووسيلة لانقاز الإنسانية والصين من الخراب ، ولسوف تشكل جسراً يؤدي بالتاريخ العالمي الى عصر تاريخي جديد . وعندما ينتهي المجتمع البشري في سياق تطوره الى القضاء على الطبقات والدولة ، فلن تبقى حروب على الاطلاق ، سواء اكانت ثورية أم مضادة للثورة ، عادلة أم غير عادلة ، وسوف يكون ذلك عصر السلام الابدي للجنس البشري . وحين ندرس قوانين الحرب الثورية فاننا ننطلق من الطموح الى القضاء على سائر الحروب - وهذا هو الخط الفاصل بيننا نحن الشيوعيين وبين جميع الطبقات المستثمرة .

النظر عنه وعني باعتبارات ثانوية ، فانه لن يستطيع على وجه التقريب ان يتجنب الخذلان المحقق .

اما بشأن الرابطة القائمة بين الكل والاجزاء فهي ليست قائمة بين سوقية الحرب وقيادة العمليات فحسب ، بل كذلك بين قيادة العمليات والتعبئة . وان الرابطة بين عمل الفرقة وعمل اللواء او الفوج ، والرابطة بين عمل السرية وعمل الفصيل او الشزيمة ، هما مثالان حسيان على ذلك . ان الضابط ، على أي مستوى كان في القيادة ، يجب ان يركز اهتمامه على القضايا أو العمليات الاهم والابعد اثرا في الوضعية الشاملة التي يعالجها ، وبالمقابل فان من واجبه الا يركز كل اهتمامه على القضايا والعمليات الاخرى .

وان اهمية الشيء أو مفزاه الحاسم لا يتقرران تبعاً للظروف بصورة عامة أو بصورة مجردة ، بل تبعاً للظروف الحسية . ففي سباق العمليات العسكرية ينبغي أن يتحدد اختيار توجيه الضربة ونقطتها وفقاً لوضعية العدو ، وطبيعة الارض ، ووضعية قوانا الخاصة في تلك اللحظة . وحيث تكون المؤن غزيرة ، فانه ينبغي الانتباه كي لا يسرف الجنود في الطعام ، لكنه يتوجب حيث يوجد نقص في المؤن الانتباه كي لا يتعرض هؤلاء الجنود للجوع . وفي المناطق البيض يمكن لمجرد تسرب بعض المعلومات ان يؤدي الى الهزيمة في اشتباك لاحق ، لكن تسرب المعلومات في المناطق الحمر لا يشكل على العموم مشكلة شديدة الخطورة . ويتوجب على الضابط المكلف بالقيادة العليا ان يساهم شخصيا في بعض الحملات من دون حملات أخرى . وان النقاط الاهم بالنسبة الى اكااديمية عسكرية هي التالية : اختيار المدير والمدرسين ووضع برنامج تعليمي . أما في الاجتماعات الجماهيرية ، فان العناية يجب أن توجه بصورة رئيسية نحو تعبئة الجماهير لحضور تلك الاجتماعات ونحو تقديم الشعارات الملائمة . وهكذا دواليك . وباختصار ، فان المبدأ الوحيد هو تركيز اهتمامنا على الحلقات الهامة التي تترك أثرها في الوضعية الشاملة .

بيد أن الوضعية الشاملة لا يمكن أن تنفصل عن أجزائها وتصبح مستقلة عن هذه الأجزاء ، ان الوضعية الشاملة تصنع من جميع أجزائها المركبة . وقد تتعرض بعض الأجزاء في الإحايين للدمار أو الهزيمة ، ومع ذلك فان الوضعية الشاملة لا تتأثر بذلك بصورة حيوية ، لان تلك الأجزاء ليست حاسمة بالنسبة الى الوضعية الشاملة . وإذا كانت بعض الهزائم أو الخذلانات في بعض المعارك أو الحملات لا تؤدي في الحرب الى تفاقم الوضعية العسكرية الشاملة ، فذلك بالضبط لانها ليست هزائم ذات أهمية حاسمة . لكنه في حالة خسران معظم المعارك التي تشكل وضعية عسكرية شاملة أو خسران معركة حاسمة أو معركتين حاسمتين ، فان مجرى الحرب كلها سوف يتبدل في الحال ، وذلك بالضبط لان « معظم المعارك » أو « المعركة الواحدة أو المعركتين » قد كانت ذات أهمية حاسمة . ولدينا في التاريخ الحربي أمثلة حيث انتهت الهزيمة في معركة واحدة ، بعد سلسلة من المعارك الراحبة ، الى ابطال سائر الانتصارات السابقة ، كما لدينا كذلك أمثلة حيث انتهى النصر في معركة واحدة ، بعد هزائم عديدة ، الى قيام وضعية جديدة . وهذا يعني ان « سلسلة الانتصارات » أو « سلسلة الهزائم » قد كانتا من طبيعة جزئية لا تلعب اي دور حاسم بالنسبة الى الوضعية العامة ، بينا « الهزيمة الواحدة » و « النصر الواحد » قد كانا حاسمين على السواء . وتشهد سائر هذه الأمثلة على أهمية العناية بالوضعية الشاملة . وان أهم ما يعترض الشخص الذي يقود الوضعية العامة هو تكريس اهتمامه لتقدير الوضعية العسكرية الشاملة . ان أهم الأشياء بالنسبة اليه هو أن يأخذ بعين الاعتبار ، على اساس الظروف القائمة ، سائر القضايا المتعلقة بتظيم وحداته وتشكيلاته العسكرية ، والرابطة بين العمليات ، والرابطة بين المراحل المختلفة من العمليات ، والعلاقات بين المجموع الكلي لفاعليات العدو والمجموع الكلي للفاعليات الخاصة به . . . ذلك هو العنصر الأشد جزمًا ، وإذا هو غرض

النظر عنه وعني باعتبارات ثانوية ، فانه لن يستطيع على وجه التقريب ان يتجنب الخذلان المحقق .

اما بشأن الرابطة القائمة بين الكل والاجزاء فهي ليست قائمة بين سوقية الحرب وقيادة العمليات فحسب ، بل كذلك بين قيادة العمليات والتعبئة . وان الرابطة بين عمل الفرقة وعمل اللواء او الفوج ، والرابطة بين عمل السرية وعمل الفصيل او الشرذمة ، هما مثالان حسيان على ذلك . ان الضابط ، على أي مستوى كان في القيادة ، يجب ان يركز اهتمامه على القضايا أو العمليات الاهم والابعد اثرا في الوضعية الشاملة التي يعالجها ، وبالمقابل فان من واجبه الا يركز كل اهتمامه على القضايا والعمليات الاخرى .

وان اهمية الشيء أو مفزاه الحاسم لا يتقرران تبعاً للظروف بصورة عامة أو بصورة مجردة ، بل تبعاً للظروف الحسية . ففي سباق العمليات العسكرية ينبغي أن يتحدد اختيار توجيه الضربة ونقطتها وفقاً لوضعية العدو ، وطبيعة الارض ، ووضعية قوانا الخاصة في تلك اللحظة . وحيث تكون المؤن غزيرة ، فانه ينبغي الانتباه كي لا يسرف الجنود في الطعام ، لكنه يتوجب حيث يوجد نقص في المؤن الانتباه كي لا يتعرض هؤلاء الجنود للجوع . وفي المناطق البيض يمكن لمجرد تسرب بعض المعلومات ان يؤدي الى الهزيمة في اشتباك لاحق ، لكن تسرب المعلومات في المناطق الحمر لا يشكل على العموم مشكلة شديدة الخطورة . ويتوجب على الضابط المكلف بالقيادة العليا ان يساهم شخصيا في بعض الحملات من دون حملات أخرى . وان النقاط الاهم بالنسبة الى اكااديمية عسكرية هي التالية : اختيار المدير والمدرسين ووضع برنامج تعليمي . أما في الاجتماعات الجماهيرية ، فان العناية يجب أن توجه بصورة رئيسية نحو تعبئة الجماهير لحضور تلك الاجتماعات ونحو تقديم الشعارات الملائمة . وهكذا دواليك . وباختصار ، فان المبدأ الوحيد هو تركيز اهتمامنا على الحلقات الهامة التي تترك أثرها في الوضعية الشاملة .

ويتوجب علينا ، كي نتعلم القوانين الأساسية للحرب في مجموعها ، أن نبذل مجهوداً فكرياً قاسياً . فنحن لا نستطيع ان نرى الوضعية الشاملة بأعيننا ، ولا نستطيع ان نتفهمها الا باستخدام ذهننا بصورة جدية ، وليس ثمة سبيل آخر . لكنه لما كانت الوضعية الشاملة مركبة من اجزائها ، فان الاشخاص المجربين في الوضعيات الجزئية أو قيادة العمليات أو القيادة التعبوية يستطيعون ان يفهموا تلك العناصر الاشد تعقيدا اذا ما استخدموا عقولهم . وان بعض القضايا السوقية كالعلاقة بين العدو وبيننا ، أو العلاقة بين الحملات المختلفة أو بين المراحل المختلفة من العمليات ، وبعض الاجزاء ذات المفزى (الحاسمة) بالنسبة الى الوضعية الشاملة ، وخصائص الوضعية الشاملة ، والرابطة بين الجبهة والمؤخرة والفوارق والروابط القائمة بين العوامل التالية : الخسائر والامدادات ، والقتال والراحة ، والتمركز والتفرق ، والهجوم والدفاع ، والتقدم والتراجع ، والاضاع المغطاة والاضاع المكشوفة ، واتجاه الضربة الرئيسية واتجاه الهجمات المكملة ، والهجوم المفاجيء والعمليات المستهدفة تجميد العدو ، والقيادة المركزية والقيادة اللامركزية ، والحرب الطويلة الامد والحرب الخاطفة ، وحرب التمركز وحرب الكر والفر ، وقوانا والقوى المعادية ، والخدمة الواحدة والخدمة الاخرى ، والمراتب العليا والمراتب الدنيا ، والملاكات والجنود ، والجنود المحنكين والجنود الجدد ، والملاكات العليا والملاكات الدنيا ، والملاكات القديمة والملاكات الجديدة ، والمناطق الحمر والمناطق البيض ، والمناطق الحمر القديمة والمناطق الحمر الجديدة ، والمناطق المركزية ومناطق التخوم ، والطقس الدافئ والطقس البارد ، والنصر والهزيمة ، والتشكيلات المحاربة الكبيرة والتشكيلات المحاربة الصغيرة ، والجيش النظامي وقوى الانصار ، وابادة العدو وكسب الجماهير ، وتوسيع الجيش الاحمر وتوطيده ، والعمل العسكري والعمل السياسي ، والمهام الماضية والمهام الراهنة ، والمهام

المقبلة ، والمهمات التي تملئها هذه الظروف ، والجبهات الثابتة والجبهات غير الثابتة ، والحروب الاهلية والحروب الوطنية ، وهذه المرحلة التاريخية الواحدة والمرحلة التاريخية الاخرى ، الخ ، الخ ... اننا لا نستطيع أن نرى اياً من هذه الامور جميعا بأعيننا ، ومع ذلك ففي مكنتنا ، اذا عملنا فكرنا بشدة ، أن نتفهما جميعاً وندركها ونسيطر عليها ، وهذا يعني اننا نستطيع أن نرفع سائر القضايا الهامة للحرب أو للعمليات الى مستوى مبدئي أعلى ونحلها . وان الواجب في دراسة القضايا السوقية هو تحقيق هذه الغاية .

٤ - المسألة الهامة هي : ان يحسن المرء التعلم .

لِمَ نظمنا الجيش الاحمر ؟ لاننا نريد استخدامه في سحق العدو . لِمَ يجب أن ندرس قوانين الحرب ؟ من اجل تطبيقها في الحرب .

وليس نتعلم بالامر السهل ، واصعب منه ان يطبق المرء ما تعلمه . وحين نتحدث في المدرجات والكتب عن العلم العسكري بوصفه مادة للمعرفة ، فان الاشياء تبدو على خير ما يرام في انظار الكثيرين من الناس . بيد ان النصر في القتال الفعلي يكون حليف بعض الناس ، بينما تحل الهزيمة بالآخرين . ان كلي التاريخ العسكري وتجربتنا الحربية الخاصة يشبتان ذلك .

اين هو المفتاح الذي يمكننا من حل هذه القضية

اننا لا نستطيع ، في الحياة الفعلية ، ان نطالب بقيادة لا يقهرون ابدا ، فمنذ العصور القديمة لم يعرف العالم سوى عدد ضئيل جدا من مثل هؤلاء القادة . اننا نطلب قادة شجعانا وأكفاء على السواء ، يربحون عادة المعارك في سياق الحرب قادة يجمعون بين الحكمة والشجاعة . وكما نتوصل الى مزج الحكمة والشجاعة ينبغي أن نتعلم طريقة واحدة - طريقة لا غنى عنها في التعلم وفي تطبيق ما تعلمناه في الوقت نفسه .

وما هي هذه الطريقة ؟ انها تقوم في الدراسة العميقة لسائر مظاهر وضعية

العدو ووضعيتنا على السواء، وفي اكتشاف القوانين المتحركة في افعال العدو،
واخذ هذه القوانين بعين الاعتبار عند تقرير افعالنا الخاصة .

وان المؤلفات العسكرية في بلدان عديدة تشدد على ضرورة « تطبيق
المبادئ بمرونة وفقاً للحالة القائمة » كما ان تلك هي حالة التدابير الواجب
اتخاذها في الهزيمة . وان المبدأ الاول يحذر القائد من ارتكاب الاخطاء
الشخصية التي يمكن ان تنشأ عن تطبيق التنظيمات بصورة عمياء ، بينما
يعلمه المبدأ الثاني كيف يتصرف في حال ارتكابه مثل هذه الاخطاء ، او في حال
حدوث تبدلات غير منتظرة وحاسمة في الظروف القائمة .

وما هو السبب في وقوع الاخطاء الشخصية ؟ ذلك لان ترتيب القوى
في حرب أو معركة وقيادتها لا يتلاءم مع الظروف السائدة في الزمان
والمكان ، لانه لم يحدث اتفاق وتطابق وتلاق بين القيادة الذاتية وشروط
الواقع الموضوعي ، وبكلمات أخرى لان التناقض بين الذاتي والموضوعي لم
يحل ويكاد الناس لا يستطيعون ان يتجنبوا مثل هذه الاوضاع في أي مجال ،
وكل ما في الامر ان بعضهم أكثر اهلية والآخرين اقل اهلية لهذه المهمة او تلك .
اننا نطلب كفاءة اعظم في انجاز المهام ، وفي الحرب نطلب من القائد المزيد من
الانتصارات ، او على العكس اقل قدر ممكن من الهزائم . ان اللفظ هنا يقوم
بالضبط في التوفيق بين الذاتي والموضوعي .

فلنأخذ مثالا على ذلك في مجال التعبئة . اذا كانت النقطة المنتخبة
لتوجيه الهجوم تقع على جناح مخصوص في جيش العدو هو بالضبط نقطة
الضعف عنده ، وكان الهجوم ناجحاً بنتيجة ذلك ، فان الذاتي يتفق مع
الموضوعي اذن ، او أن استطلاع القائد ومحاكمته وقراره قد اتفقت جميعاً
مع وضعية العدو الفعلية من جهة واحدة ، ومع تنظيماته الخاصة بالقتال من
جهة أخرى . أما اذا وقعت النقطة المختارة للهجوم على جناح آخر او على
قلب جيش العدو ، واصدم الهجوم بمقاومة عنيفة ولم يستطع ان يشق

له طريقاً ، فهذا يعني ان مثل ذلك التوافق بين الذاتي والموضوعي لم يتوفر .
فاذا حدث الهجوم في الوقت المناسب ، واذا نزلت القوى الاحتياطية الى
الميدان غير متأخرة كثيراً وغير مبكرة كثيراً ، واذا كانت الترتيبات الاخرى
المتخذة في سياق المعركة وجميع الاعمال الحربية قد جرت بصورة ملائمة لنا
ومنافية للعدو ، فمعنى ذلك ان الذاتي (ممارسة القيادة) متفق كل الاتفاق
مع الموضوعي (شروط القتال) . ونادراً ما يحدث مثل هذا الاتفاق التام في
حرب أو معركة ، لأن كلي الخصمين في الحرب أو المعركة جماعات من الكائنات
البشرية المسلحة التي تخفي اسرارها عن بعضها بعضاً ، الامر الذي يختلف
كل الاختلاف عن معالجة الاشياء الجامدة أو قضايا الحياة اليومية . لكنه
اذا ما تم الوصول الى توافق عام بين القيادة والحالة القائمة ولو في الخطوط
العامة ، يعني في العناصر ذات الاهمية الحاسمة ، فإن أسس النصر تتوفر
أذن .

ان اجراءات القائد المضبوطة تصدر عن قراراته المضبوطة ، وقراراته
المضبوطة تصدر عن احكامه المضبوطة ، واحكامه المضبوطة تصدر عن
الاستطلاع الواعي والضروري ، كما تصدر عن المناقشة المنهجية للوقائع
المختلفة التي جمعت من مثل ذلك الاستطلاع . وحين يستخدم القائد سائر
طرق الاستطلاع الممكنة والضرورية، فانه يخضع المعلومات المختلفة التي جمعها
هكذا عن حالة العدو لمداولة دقيقة كي يستبعد الكاذب منها ويحتفظ
بالحقيقي ، كي يطرح الخاطئ ويحتفظ بالصحيح ، وينتقل من الخاص الى
العام ، متقدماً من الخارج الى الداخل . ومن ثم يقابل القائد العام هذه
المعطيات مع الظروف القائمة من جانبه ، ويدرس نسبة قوى الطرفين
وعلاقتهم المتبادلة . مشكلاً بهذه الطريقة احكامه ، ومتخذاً قراراته ،
ومنفذا خطته - تلك عملية كاملة من المعرفة الموجهة نحو دراسة أحد الاوضاع،
هذه العملية التي يجتازها الرجل العسكري قبل ان يصوغ خطته السوقية

أو التعبوية .

لكن القادة الذين يفتقرون الى الحنكة ونفاذ البصيرة لا يتصرفون هكذا ، بل يقيمون خطتهم العسكرية على اساس تفكيرهم الخاص المشبع بالاماني ، ومن هنا تكون هذه الخطة خيالية وغير متفقة مع الوقائع . وان القادة العسكريين اللامبالين الذين يعتمدون على الحماسة وحدها لا يمكن الا ان يقعوا في افخاخ العدو ، انهم يخدعون بالمعلومات السطية أو الجزئية عن أوضاع العدو ، أو تجرفهم اقتراحات مرؤوسيههم غير المسؤولة ، وهي اقتراحات لا تعتمد على معرفة حقيقية ولا على نظرة ثاقبة ، وبالتالي لا يمكن الا ان يخطئوا لانهم اما لا يعرفون واما لا يريدون ان يعرفوا ان اية خطة عسكرية يجب ان تعتمد على استطلاع لا غنى عنه وعلى مناقشة دقيقة لأوضاعهم الخاصة وأوضاع العدو ولترابط هذه الاوضاع جميعاً في الوقت نفسه .

ولا تمس الحاجة الى هذه العملية الخاصة بمعرفة الحالة القائمة قبل صياغة الخطة العسكرية فحسب ، بل بعد صياغتها أيضاً . ان عملية جديدة من المعركة تجري منذ بداية تنفيذ الخطة حتى انتهاء المعركة ، وتلك هي عملية وضع الخطة موضع الممارسة والتطبيق . ولا بد في هذه العملية من اعادة النظر في أمر الخطة المقررة في العملية السابقة ، اترأها تتفق مع الوقائع أم لا . فاذا كانت الخطة لا تتفق أو لا تتفق كلياً مع الوقائع ، فانه يتوجب علينا اذن ، وفقاً للمعرفة الجديدة ، ان نشكل احكاماً جديدة ونتخذ قرارات جديدة كي نعدل الخطة الاصلية بحيث تتفق مع الاوضاع الجديدة . ولا بد من بعض التعديلات الجزئية في كل معركة على وجه التقريب ، بل قد يتطلب الامر تبديل الخطة كلياً . وان الاحمق الذي لا يعرف كيف يبدل خطته أو لا يريد ان يبدلها ، بل يعمل بصورة عمياء ، لا بد ان يصطدم بصورة محتومة بعقبات كأداء يحطم رأسه عليها .

وينطبق ما سبق على العملية السوقية ، أو الحملة ، أو المعركة . فاذا

كان الرجل العسكري المجرب متواضعاً ومستعداً لأن يتعلم ، وكان على اطلاع وثيق بخصائص قواته المميزة (الضباط والجنود ، والاسلحة والمؤن ، الخ .. وبحصيلة هذه العوامل جميعاً) ، وعلى اطلاع أيضاً بشروط قوى العدو (الضباط ، والجنود أيضاً . والاسلحة ، والمؤن ، الخ .. وبحصيلة هذه العوامل جميعاً) ، وكان ملماً بسائر الشروط الاخرى المتعلقة بالحرب ، كالسياسة ، والاقتصاد ، والجغرافيا ، والمناخ ، فسوف يكون أعظم ثقة في قيادة الحرب أو العملية ، وسوف يكون أعظم حظاً في النجاح . وانما السبب في ذلك انه تعلم خلال فترة مديدة من الزمن في معسكره وفي معسكر العدو على حد سواء ، واكتشف قوانين العمل ، وحل التناقض بين الذاتي والموضوعي . وان هذه العملية من المعرفة لعظيمة الاهمية ، فبدون هذه التجربة المتراكمة خلال فترة مديدة يصعب فهم قوانين الحرب بمجموعها والتحكم فيها . فليس قائد كفؤ حقاً من مرتبة عالية ينبثق من قائد مبتدئ في الحرب ، او من قائد لا يعرف الحرب الا على الورق، وكما يصبح المرء مثل ذلك القائد ، فلا بد له أن يتعلم في سياق الحرب نفسها .

ان سائر القوانين التي توجه سير الحرب وجميع النظريات العسكرية ذات الصفة المبدئية هي تعميم التجارب العسكرية الماضية كما لخصها الناس في الازمان الغابرة والحديثة على السواء . وينبغي لنا أن ندرس بكل عناية الدروس التي تعلمها الناس من الحروب الماضية بثمن باهظ من الدماء والتي ورثناها عنهم . وتلك احدى مهماتنا ، لكن هناك مهمة أخرى ، الا وهي انه ينبغي لنا أيضاً ان نخضع النتائج التي تم الوصول اليها هكذا لمحك تجربتنا الخاصة ونمتص النافع منها وبرفض عديم النفع ، ونضيف اليها نصيبنا الخاص ما هو خاص بنا وحدنا وان هذه المهمة الاخيرة لذات أهمية استثنائية ، لاننا لن نستطيع بغير ذلك أن نقود حرباً .

ان التعلم في الكتب دراسة ، بيد أن تطبيق ما تعلمناه في الكتب دراسة

ايضاً وهو الشكل الأهم من الدراسة . وان نتعلم كيف نقاتل في سياق الحرب نفسها – هذه هي طريقتنا الرئيسية . وان شخصاً لم تسنح له الفرصة الانتساب الى المدارس الحربية يمكنه أن يتعلم الحرب أيضاً ، الامر الذي يعني تعلم القتال في سياق الحرب . ولما كانت الحرب الثورية من شأن جماهير الشعب ، فغالباً ما يخاض غمارها دونما أي تعلم سابق ، لكن تعلمها يتحقق في غمار القتال . . . ان القتال هو بحد ذاته تعلم . ان مسافة تفصل بين المدني والجندي ، لكن هذه المسافة ليست بطول الجدار الطويل ، ويمكن اجتيازها بسرعة ، والسبيل الى ذلك هو القيام بالثورة ، هو خوض غمار الحرب . وحين نقول ان التعلم والتطبيق عسيران فانما نعني انه من العسير على المرء أن يتعلم بصورة كاملة ويطبق معارفه بكل براعة . وحين نقول ان المدنيين يمكن ان يصبحوا جنوداً بسرعة فانما نعني انه ليس من العسير تدريبهم . ويمكننا عند تلخيص هذين المظهرين أن نطبق مثلاً صينياً قديماً يقول : « ليس في العالم مصاعب ، وكل ما يتطلبه الامر هو العزم » . ليست الدراية ضعبة ، والنبوغ ممكن كذلك ، ما دام المرء قد وطد عليهما عزمه وكان يتعلم جيداً .

ان القوانين العسكرية مثلها مثل قوانين سائر الظواهر الأخرى ، هي انعكاس في ذهننا للوقائع الموضوعية ، ان الاشياء جميعاً باستثناء وعينا ، هي وقائع موضوعية . وبنتيجة ذلك فان ما نريد ان نتعلمه ونعرفه يشمل الاشياء الواقعة في جانب العدو وفي جانبنا على السواء ، بحيث يجب ان ندرس هذين المظهرين معاً . وذهننا وحده (القدرة على التفكير) هو الذات التي تقوم بالدراسة . وهناك اناس قادرون على معرفة ذواتهم ، لكنهم حمقى في معرفة خصومهم ، وآخرون هم على العكس من ذلك تماماً قادرون على معرفة الآخرين ، لكنهم حمقى في معرفة ذواتهم ، وكلا الفريقان لا يستطيعان حل مشكلة تعلم قوانين الحرب وتطبيقها . وينبغي لنا ألا تقلل من أهمية المبدأ الوارد في كتاب صن ووتسو (١) ، العسكري الكبير للصين

(١) هي (ووتسو أو صن سو) ، وهو عالم عسكري صيني شهر في القرن الخامس قبل

القديمة : « اعرف عدوك واعرف نفسك ، ويمكنك عندئذ أن تخوض مائة معركة دونما كارثة » ، وهو مبدأ يتعلق بمرحلة التعلم وبمرحلة التطبيق على السواء ، كما يتعلق على حد سواء بمعرفة قوانين تطور الوقائع الموضوعية وبتخاذ القرارات الخاصة بأعمالنا وفقاً لتلك القوانين بغية التغلب على العدو الذي يواجهنا .

ان الحرب هي الشكل الاعلى من الصراع بين الامم ، والدول ، والطبقات ، أو الكتل السياسية ، والامة ، والدولة ، والطبقة أو الكتلة السياسية التي تخوض حرباً تستخدم جميع قوانين الحرب في سبيل تحقيق النصر . ولا جدال في ان النجاح أو الفشل في الحرب يتقرر بصورة رئيسية بفعل الشروط العسكرية والسياسية والاقتصادية والطبيعية السائدة في كلي الجانبين . لكن ليس هذا كل شيء ، فالنجاح أو الفشل يتقرر كذلك بفعل الهارة الذاتية لدى كل من الطرفين في قيادة الحرب . ان القائد العسكري لا يستطيع أن يسعى الى كسب النصر خارج الحدود المفروضة على الحرب من قبل الشروط المادية ، لكنه يستطيع ويتوجب عليه ضمن هذه الحدود ان يقاتل ويربح . ان مسرح فعل العسكري يتحدد بالشروط المادية الموضوعية ، لكنه يستطيع في نطاق هذا المسرح ان يدير تمثيل مسرحيات ظريفة عديدة ، طافحة أصداء وألوانا ومفعمة قوة وعظمة . ولذا يتوجب علينا نحن قادة الجيش الاحمر ، على أساس مادي معين - الشروط العسكرية والسياسية والاقتصادية والطبيعية المقررة - أن نطور قوتنا وأن نسحق على رأس الجيش برمته اعداءنا القوميين والطبقيين ، ونبدل ملامح هذا العالم الشرير . واننا لنتحتاج في سبيل ذلك اشد الحاجة الى الحنكة الشخصية في موضوع القيادة ولن نسمح لأي من قادة جيشنا الاحمر ان يصبح أحمق متهوراً ، بل يجب ان نسعى كي يصبح كل ضابط في الجيش الاحمر بطلاً شجاعاً وحكيماً في وقت واحد ، لا يملك الشجاعة من أجل التغلب على سائر العوائق

المسيح . والجملة المتقطعة واردة في كتابه الذي يحمل هذا العنوان « سوعية الهجوم » وهو مترجم الى الانكليزية .

فحسب ، بل كذلك القدرة على توجيه مجرى الحرب في كل تبدلاتها وتطوراتها . يجب الا يفرق القائد العسكري في محيط الحرب ، بل يتوجب عليه ان يعرف كيف يبلغ الشاطئ المقابل ، شاطئ النصر ، بباعات موزونة . ان قوانين قيادة الحروب تشكل فن السباحة في محيط حربي . تلك هي طريقتنا .

الفصل الثاني

الحزب الشيوعي الصيني

والحرب الثورية الصينية

وان الحرب الثورية في المراحل الثلاث جميعاً قد جرت وسوف تجري مرحلتين ، اعني مرحلة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ومرحلة ١٩٢٧ - ١٩٣٦ ، وتبدأ حالياً مرحلة جديدة هي مرحلة الحرب الثورية الوطنية المناهضة لليابانيين .

وان الحرب الثورية في المراحل الثلاث اميعة قد جرت وسوف تجري بقيادة البروليتاريا الصينية وحزبها ، الحزب الشيوعي الصيني . وان اعداءنا الرئيسيين في الحرب الثورية الصينية هم الاستعمار والقوى الاقطاعية . وعلى الرغم من ان البورجوازية الصينية يمكن ان تسهم في الحرب الثورية في بعض المناسبات التاريخية المحددة ، فانها لا تريد ولا تستطيع على اية حال ، بسبب من انانيتها وافتقارها الى الاستقلال السياسي والاقتصادي، ان تقود الحرب الثورية الصينية الى النصر التام . وان جماهير الفلاحين الصينيين والبورجوازية الصغيرة المدنية لتواقة الى الاسهام الفعال في

الحرب الثورية والى تحقيق النصر التام ، وهي تشكل القوى الرئيسية في الحرب الثورية ، ومع ذلك فان الانتاج الصغير الذي يمثل خاصتهم الرئيسية ويحدد افقهم السياسي (فضلا عن ذلك فان قسماً من العاطلين عن العمل يكونون مشربين بالايديولوجية الفوضوية) ، يجعلهم عاجزين عن قيادة الحرب قيادة صحيحة . وهكذا ، في عصر شهد ظهور البروليتاريا على المسرح السياسي ، تقع مسؤولية القيادة في الحرب الثورية الصينية بصورة حتمية على كاهل الحزب الشيوعي الصيني . ولا بد لاية حرب ثورية في مثل هذا الزمان ان تنتهي بالتأكد الى الهزيمة اذا لم تخضع لقيادة البروليتاريا والحزب الشيوعي او افلتت من هذه القيادة . ذلك ان البروليتاريا والحزب الشيوعي وحدهما ، من بين سائر الفئات الاجتماعية والجماعات السياسية في الصين نصف المستعمرة ، هما اللذان يجهلان كل ضيق فكري وكل أناة ، وهما اللذان يملكان النظرة السياسية الاكثر رحابة والصفة التنظيمية الاسمى مرتبة ، وهما أيضا الاكثر استعدادا للتعلم بكل اخلاص من تجارب البروليتاريا العالمية المتقدمة وأحزابها ، وفي الوقت نفسه لتطبيق ما تعلموه لاغراضهم الخاصة . وهكذا فان البروليتاريا والحزب الشيوعي وحدهما يستطيعان ان يقودا طبقة الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة المدنية ، والبورجوازية ، وأن يتغلبا على ما يميز طبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة من ضيق فكري ، وما تتصف به الجماهير العاطلة عن العمل من فوضوية ، وما تمتاز به البورجوازية من تأرجح وانعدام الحزم (بشرط ألا تحدث أخطاء في سياسة الحزب الشيوعي) وبالتالي ان يقودا الثورة والحرب على طريق الظفر .

ولقد دارت رحى الحرب الثورية لأعوام ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، بصورة أساسية ، تحت التأثير السياسي الذي مارسه البروليتاريا العالمية والبروليتاريا الصينية وأحزابها على البورجوازية الوطنية الصينية وحزبها ، في شروط

التعاون السياسي بينها . بيد أن هذه الحرب الثورية أخفقت في برهة التوتر الأقصى في الثورة والحرب ، وذلك بسبب من خيانة البورجوازية الكبيرة بصورة رئيسية ، وكذلك بسبب ما أقدم عليه الانتهازيون في الصفوف الثورية من تنازل ارادي عن قيادة الثورة .

وقد دارت رحى الحرب الثورية الزراعية منذ ١٩٢٧ حتى الآن في ظروف جديدة . فليس العدو في هذه الحرب الاستعمار وحده، بل كتلة البورجوازية الكبيرة وطبقة الملاكين العقاريين الكبار أيضاً . وفيما عدا ذلك، فإن البورجوازية الوطنية قد أضحت ذبلاً للبورجوازية الكبيرة . ولما كان الحزب الشيوعي يقود لوحده الحرب الثورية ، فقد تسلم القيادة المطلقة في الحرب . وان هذه القيادة المطلقة للحزب الشيوعي هي الشرط الأهم من أجل متابعة الحرب الثورية بحزم حتى النهاية . وبدون هذه القيادة المطلقة ما كان يمكن تصور الاستمرار في الحرب الثورية بمثل هذا العناد .

لقد قاد الحزب الشيوعي الصيني الحرب الثورية الصينية بكل شجاعة وعزم ، كما أن الحزب أظهر للشعب الصيني طوال خمسة عشر عاماً أنه صديق له وأنه يقف علم الدوام في الصفوف الأولى من جبهة الحرب الثورية، مقاتلاً في سبيل مصالح الشعب وحرته وتحرره .

إن الحزب الشيوعي الصيني ، بما له من تجارب في النضالات الشاقة ، وبفضل دماء وآلام مئات الألوف من أعضائه المقدامين وعشرات الألوف من ملاكاته الشجعان ، قد لعب دوراً عظيماً بوصفه مثقفاً لمئات الملايين من أفراد الأمة بأسرها . إن نجاحات الحزب الشيوعي التاريخية الكبرى في حقل النضال الثوري قد أدت إلى النتيجة التالية : إذ يجتاح عدونا القومي بلادنا في هذا الوقت العصيب ، فإن الصين تجد أن خلاصها مؤكد ضد خطر الموت الذي يهددها ، وضمانة هذا الخلاص وجود القائد السياسي الذي يتمتع بثقة الغالبية العظمى من الشعب، وهو قائد تمرس خلال مرحلة طويلة،

ولذا فقد وقع اختيار الشعب عليه . ان الشعب اليوم يعبر اذناً صاغية الى الحزب الشيوعي اكثر من أي حزب آخر . ولولا هذا القتال الشاق المنصرم الذي خاضه الحزب الشيوعي الصيني طوال خمسة عشر عاماً لكان من المحال التغلب على الخطر الجديد الذي يتهددنا ، الا وهو استعباد أمتنا .

وفضلاً عن أخطاء شن تو - هسيو (١) الانتهازية اليمينية وأخطاء لي لي - سان (٢) الانتهازية « اليسارية » ، ارتكب الحزب الشيوعي الصيني هاتين

(١) اشتهر شن تو - هسيو ، عندما كان استاذاً في جامعة بكين ، كرئيس تحرير « الشبيبة الجديدة » ، وهي مجلة عظيمة النفوذ نشرت بحركة الرابع من أيار . ولقد أسهم في تأسيس الحزب الشيوعي الصيني وأصبح أميناً عاماً له بفضل شهرته وعدم نضوج الحزب بعد . وفي المرحلة الأخيرة من ثورة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، تطورت الانتهازية اليمينية في الحزب ، وكانت ممثلة به ، الى نزعة الاستسلام . ويقول الرفيق ماو في « الوضع الراهن ومهمتنا » أن أصحاب نزعة الاستسلام في ذلك الحين «نبدوا بطبية خاطر قيادة الحزبين جماهير الفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية المتوسطة ، وعلى الاخص بين القوى المسلحة ، مسببين بذلك هزيمة الثورة » . وفقد شن تو - هسيو بعد هزيمة ١٩٢٧ ، مع قبضة من اصحاب نزعة الاستسلام الآخرين ، ايمانهم بمستقبل الثورة وانقلبوا الى نزعة التصفية ، منضمين الى موقف التروتسكين الرجعي ومؤلفين معهم عصبة صغيرة مناهضة للحزب . وبنتيجة ذلك طرد شن تو - هسيو من الحزب عام ١٩٢٩ ، ومات عام ١٩٤٢ . (انظر بشأن هذه الانتهازية اليمينية هوامش « تحليل الطبقات في المجتمع الصيني » و « تقرير عن تحقيق في الحركة الفلاحية في هونان »)

(٢) اشارة الى الاتجاه الانتهازي « اليساري » المدعو « اتجاه لي لي - سان » باسم صاحبه ، وقد وجد في الحزب حوالي أربعة شهور بدأت في حزيران ١٩٣٠ ، حين كان الرفيق لي لي - سان أعظم القادة نفوذاً في المركز الحزبي ، وكان مناهضاً للسياسة التي رسمها مؤتمر الحزب السادس ، منكراً الحاجة الى بناء القوة الجماهيرية في الثورة ، رافضاً الاعتراف بعدم الاستقرار في التطور الثوري ، معتبراً ان فكرة الرفيق ماو القائلة بتكديس الجهد الرئيسي خلال فترة مديدة من الزمن لخلق قواعد ثورية ريفية بحيث تحاصر المدن من قبل قوى الريف ويعجل

الخطيئتين في الحرب الثورية . كانت الخطيئة الاولى الانتهازية « اليسارية »
للاعوام ١٩٣١ - ١٩٣٤ (١) التي أدت الى خسائر فادحة جدا في الحرب الثورية

بالانتفاضة الثورية من هذه القواعد الثورية « مفلوطة حتى الدرجة القصوى » بوصفها « نظرة
رفيعة ومحافظة أساسها العقلية الفلاحية » . وكان يدعو ، بصورة مضادة لهذه الفكرة ، الى
التهيئة لانتفاضات سريعة في طول البلاد وعرضها .

وعلى أساس هذا الاتجاه المفلوط ، وضع الرفيق لي لي - سان خطته المحفوفة بالمخاطر
والداعية لتنظيم انتفاضات مسلحة سريعة في المدن الكبرى في سائر أرجاء البلاد . ولما كان ينكر
التطور غير النابت في الثورة العالمية ، فقد كان يعتقد ان اندلاع نيران الثورة الصينية سيؤدي
بالضرورة الى الثورة العالمية ، وأن الثورة الصينية « لا يمكن ان تنجح » دون هذه الثورة
الصينية البورجوازية الديمقراطية ، فقد كان يعتقد ان كسب النصر في مقاطعة أو عدة مقاطعات
أولا سوف يشكل نقطة التحول نحو الاشتراكية ، ولقد قامت عدة سياسات « يسارية » خاطئة
محفوفة بالمخاطر على مثل هذا الاساس .

ولقد كان الرفيق ماو ضد هذا الاتجاه المفلوط ، وطلب عدد كبير من الملاكات وقاعدة الحزب
كلها تصحيحه . وفي ايلول ١٩٣٠ ، في الجلسة الكاملة للجنة المركزية (الثالثة منذ بعد المؤتمر
الوطني السادس) ، اعترف الرفيق لي لي - سان باخطائه ، وبنتيجة ذلك تنازل عن منصبه
القيادي في المركز الحزبي . ولما كان قد صحح اخطائه بصورة كلية بعد ذلك ، فقد أعيد انتخابه
عضواً في اللجنة المركزية في مؤتمر الحزب السابع عام ١٩٤٥ .

(١) هو الاتجاه المفلوط لجماعة من الرفاق غير المجربين في النضال الثوري . وكان يقودهم
شن شاو - يو (المعروف بوانغ مينغ) والرحوم شن بانغ - هسيين (المعروف ببوكو) .
ولقد ساد هذا الاتجاه في الحزب منذ الجلسة الكاملة للجنة المركزية في كانون الثاني ١٩٣١
حتى اجتماع تسويني في كانون الثاني ١٩٣٥ ، عندما أقامت اللجنة المركزية قيادتها الجديدة
وعلى رأسها الرفيق ماو . وقبل ذلك ، كانت تدابير فعالة عديدة تستهدف تصفية اتجاه
لي لي - سان قد اتخذت في الجلسة الكاملة للجنة المركزية في ايلول ١٩٣٠ ، ولفترة ما من
الزمن من قبل المركز الحزبي المعاد تشكيله . ومهما يكن من أمر ، فان الرفيقتين شن شاو -

الزراعية ، مما نتج عنه فشلنا في حملتنا الخامسة ضد « التطويق والافناء » ، وفقدان القواعد الثورية وازعاف الجيش الاحمر ، وقد صحح هذا الخطأ في الاجتماع الموسع للمكتب السياسي المركزي في تسويني في كانون الثاني ١٩٣٥ . وكانت الخطيئة الثانية الانتهازية اليمينية لشانغ كيو - ناو في ١٩٣٥ - ١٩٣٦ (١) ، هذه الانتهازية التي نمت كثيرا بحيث نسفت الانضباط

يو وشن بانغ هيين قد قادا أتباعهما لمناهضة تدابير اللجنة المركزية . ولقد أكد هذان الرفيقتان ، في كراس بعنوان « خطتان أو النضال في سبيل بلشفة زائدة للحزب الشيوعي الصيني » ان الخطر الذي يواجه الحزب ليس هو الانتهازية « اليسارية » بل الانتهازية اليمينية ، ووجها تدابير لنشاطهما « تقدمهما » ضد « الاتجاه اليميني » لاتجاه لي لي - سان . ولقد قدما برنامجا سياسيا بعثت فيه خطة لي لي - سان والآراء والسياسات « اليسارية » الأخرى ، المتصلة والمتطورة في وضعية جديدة ، وقاما يواجهان الخطة الصحيحة لماو تسي تونغ .

ولقد كتب الرفيق ماوتسي تونغ هذا الكتيب مستهدفاً في المحل الأول انتقاد الأخطاء العسكرية التي ارتكبت بدافع من هذا الاتجاه الانتهازي « اليساري » الجديد . ولقد أدى هذا الاتجاه الانتهازي الذي سيطر على الحزب طوال اربعة اموام (أكثر مما ساد أي اتجاه انتهازي سابق) الى اصابة الحزب بأفدح الخسائر ، وعلق بصورة جديدة تقدم الثورة الصينية . ومهما يكن من أمر ، فان الرفاق الذين ضلوا في هذا الاتجاه « اليساري » قد أدركوا بعد سنوات من التجربة العملية أخطاءهم وصححوها وأدوا خدمة عظمى للحزب والشعب . ولقد اتحدوا ، على أساس تفاهم سياسي مشترك ، مع سائر الرفاق الآخرين في الحزب تحت قيادة الرفيق ماو .

أنظر من أجل تفصيل سائر مظاهر هذا الاتجاه المغلوط « قرارات حول بعض القضايا التاريخية » في الجزء السادس من هذه المؤلفات المختارة ، وهي القرارات المتخذة في الجلسة الكاملة للجنة المركزية في نيسان ١٩٤٥ .

(١) أنظر هوامش « في تعبئة الاستعمار الياباني » .

في الحزب وفي الجيش الاحمر والحقت خسائر فادحة بقسم من قوى الجيش الاحمر الرئيسية . بيد ان هذه الخطيئة أيضا صححت أخيرا بفضل القيادة الصحيحة للجنة المركزية والوعي السياسي لاعضاء الحزب والقادة والجنود في الجيش الاحمر . ومن المؤكد أن سائر هذه الاخطاء اساءت الى حزبنا ، وإلى ثورتنا وإلى الحرب ، بيد أنها صححت جميعاً في آخر الامر ، ولقد تمرس حزبنا وجيشنا الاحمر في التغلب على هذه الاخطاء وازدادوا بأساً وقوة .

لقد قاد الحزب الشيوعي ولا يزال الحرب الثورية الكبرى ، العظيمة ، المجيدة والظافرة ، التي لا تشكل راية تحرير الصين فحسب ، بل هي أيضا بالغة المعاني بالنسبة الى الثورة العالمية . ان اعين الجمهور الثورية الوطنية المناهضة للعالم تشخص الينا . وفي المرحلة الجديدة من حربنا الثورية الوطنية المناهضة لليابانيين الفزاة ، سوف تقود الثورة الصينية الى اكتمالها ، ونمارس في الوقت نفسه نفسه تأثيراً بعيد المدى على الثورة في الشرق وفي العالم بأسره على السواء . وثبتت حروبنا الثورية الماضية أننا لا نحتاج الى خطة سياسية ماركسية مضبوطة فحسب ، بل الى خطة عسكرية ماركسية مضبوطة أيضا .

وان خمسة عشر عاماً من الثورة والحرب قد صهرت عندنا هاتين الخطتين السياسية والعسكرية . ونحن نعتقد أن هاتين الخطتين سوف تتطوران قدماً من الآن فصاعداً في المرحلة الجديدة من الحرب ، وسوف تثبتان بالحجة وتفتنيان في الظروف الجديدة ، وتقودانا الى هدفنا الذي هو دحر العدو الوطني . ويحدثنا التاريخ أن الخطط السياسية والعسكرية المضبوطة لاتنبثق وتتطور بصورة عفوية ولينة ، بل في سياق النضال ضد الانتهازية « اليسارية » من جهة ، وضد الانتهازية اليمينية من جهة أخرى . وأنه ليستحيل ، دون النضال ضد مثل هذه الاتجاهات المؤذية التي تهدد الثورة والحروب الثورية والتغلب عليها بصورة تامة ، تحقيق خطة مضبوطة والنصر في الحرب الثورية . وهذا هو السبب في انني أعود كثيراً في هذا الكتيب على الآراء المفلوطة .

الفصل الثالث

خصائص الحرب الثورية في الصين

١ - أهمية الموضوع .

ان الاشخاص الذين لم يقبلوا ، أو لم يفهموا ، أو لا يريدون أن يفهموا ان للحرب الثورية الصينية خصائصها الخاصة قدعالجوا الحرب التي خاضها الجيش الاحمر ضد قوى الكيومتانغ على اعتبارها ذات طبيعة مماثلة للحروب العادية أو الاهلية في الاتحاد السوفييتي . والحقيقة أن لتجربة الحرب الاهلية في الاتحاد السوفييتي ، بقيادة لينين وستالين ، مغزى عالمياً . وان سائر الاحزاب الشيوعية ، بما فيها الحزب الشيوعي الصيني ، تعتبر تلك التجربة والتعميم النظري لها من قبل لينين وستالين نبراسها الموجه . بيد ان هذا لا يعني مع ذلك ان من واجبنا ان نطبق هذه التجربة بصورة آلية في ظروفنا الخاصة . ان الحرب الثورية الصينية تتميز بخصائص عديدة عن الحرب الاهلية في الاتحاد السوفييتي . ومما لا ريب فيه ان القصور في تقدير هذه الخصائص أو انكارها امر خاطيء ، وهذا ما اثبتته بصورة جازمة تاريخ حربنا في الاعوام العشرة الماضية .

ولقد ارتكب عدونا كذلك أخطاء مماثلة ، فرفض أن يعترف بأن قتال الجيش الاحمر يتطلب سوقية وتعبئة مختلفتين عن السوقية والتعبئة التين تتطلبهما العمليات العسكرية الاخرى . ولقد استصفر شأننا ، مستندا الى تفوقه في مجالات مختلفة ، وتعلق بطرقه الحربية القديمة . وتلك كانت الحال

عام ١٩٣٣ سواء قبل حملته الرابعة من « التطويق والافناء » أو اثناءها ، وكان نصيبه نتيجة لذلك سلسلة من الهزائم . وكان الجنرال الكيومنتانفي الرجعي ليو وي - يوان اول من قدم وجهة نظر جديدة في هذا الموضوع ومن بعده تاي يو ، وتبنى شيانغ كاي - شيك توصياتهما أخيرا . وهكذا أسس شيانغ كاي - شيك مدارس تدريب ضباطه الجديدة في كولينغ (١) ، ولجأ الى المبادئ العسكرية الرجعية الجديدة (٢) التي طبقها في حملته الخامسة من « التطويق والافناء » .

لكنه عندما عدل العدو مبادئه العسكرية كي تتناسب مع ظروف الحرب ضد الجيش الاحمر ، ظهر في صفوفنا نفسها جماعة من الناس الذين توجهوا من جديد الى « الطريقة القديمة » . . كانوا يزعمون باستمرار ضرورة العودة الى المبادئ العامة لمواصلة الحرب ، ويرفضون الاعتراف بخصائص وضعيتنا الخاصة ، وينكرون هذه التجربة التي سقاها الجيش الاحمر بدمائه ، ويستصفرون شأن قوى الاستعمار والكيومنتانغ كما يستصفرون شأن قوة جيش الكيومنتانغ ، ويتجاهلون عن قصد المبادئ الرجعية الجديدة التي تبناها العدو . وبنتيجة ذلك ، فقد فقدت سائر القواعد الثورية باستثناء تخوم شنسي - كانسو ، وتناقص الجيش الاحمر من ٣٠٠٠٠ رجل الى عشرات قليلة من الالف الرجال ، كما نقص عدد أعضاء الحزب الشيوعي الصيني من ٣٠٠٠٠٠٠ عضو الى عشرات قليلة من الالف الأعضاء ، كما سحقَت المنظمات الحزبية في المناطق الكيومنتانفية بصورة كلية

(١) منظمة أسسها شيانغ كاي - شيك في تموز ١٩٣٣ في كولينغ ، وهي ملاذ جبلي صيفي في كيو كيانغ من مقاطعة كيانغسي ، في سبيل تدريب الملاكات الناهضة للشيوعية . وكان الضباط من جيش شيانغ يرسلون بصورة دورية الى هناك كي يتلقوا تدريباً سياسياً وعسكرياً فاشياً من قبل مدرسين المانيين وإيطاليين وأميركيين .

(٢) سوقية بناء الماقل والتقدم البطيء .

تقريباً . وباختصار ، فقد تعرضنا لعقاب تاريخي كبير جداً . وكانت هذه الجماعة من الناس تسمى نفسها ماركسية – لينينية ، لكنها في واقع الامر لم تتعلم حرفاً واحداً من الماركسية – اللينينية . ولقد قال لينين ان « الشيء الاكثر جوهرية في الماركسية ، الروح الحية للماركسية » هو « التحليل الحسي للظروف الحسية » (١) وان هذه النقطة بالضبط هي التي غابت عن ذهن اولئك الرفاق .

ويتضح من هنا ان الفشل في ادراك خصائص الحرب الثورية الصينية يعني العجز عن ادارتها أو قيادتها الى النصر .

٢ - ما هي خصائص الحرب الثورية الصينية ؟

ما هي اذن خصائص الحرب الثورية الصينية ؟
اعتقد ان خصائصها الرئيسية هي أربع خصائص .
والخاصة الاولى للحرب الثورية الصينية هي ان الصين بلد شاسع الابعاد نصف مستعمر ، ذو تطور متفاوت سياسياً واقتصادياً على حد سواء ، وقد شهد ثورة ١٩٢٤ – ١٩٢٧ .

وهذه الخاصة تبين انه يمكن للحرب الثورية الصينية أن تتطور وتنتصر .
ولقد اشرنا الى ذلك (في اجتماع الحزب الاول في منطقة تخوم هونان – كيانغسي (١)) ، عندما اثار بعض الرفاق في منطقة تخوم هونان – كيانغسي – جبال شينغ كانغ – في أواخر عام ١٩٢٧ واولئ عام ١٩٢٨ ، بعد اندلاع حرب

(١) يقول لينين في نقده للشيعي المجري بلاكون انه « يعمل الشيء الاكثر جوهرية في الماركسية ، الروح الحية للماركسية التي هي ، التحليل الحسي للظروف الحسية » .
(المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، موسكو ١٩٥٠ ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٤٣) .
(١) عقد في ٢٠ أيار عام ١٩٢٨ في ماو بينغ من ولاية نينغ كانغ في تالك المنطقة من التخوم .

الانصار الصينية بوقت قصير ، مسألة « هل سيظل العلم الاحمر خفاقاً ؟ »
ذلك ان لهذه المسألة أهمية فائقة ، لاننا اذا لم نجب على هذا السؤال الاساسي
بشأن بقاء القواعد الثورية الصينية والجيش الاحمر الصيني وتطورها ،
فلن نستطيع ان نتقدم خطوة واحدة . وفي عام ١٩٢٨ ، اجاب المؤتمر الوطني
السادس للحزب الشيوعي الصيني على هذا السؤال مرة أخرى . وبنتيجة
ذلك زودت الحركة الثورية الصينية بأساس نظري صحيح .

فلنحلل الآن هذه الخاصة .

التفاوت في تطور الصين السياسي والاقتصادي - تجاور اقتصاد
رأسمالي هزيل واقتصاد نصف اقطاعي متفوق ، وتجاور مدن صناعية
وتجارية حديثة قليلة ومناطق ريفية راكدة شاسعة الابعاد ، وتجاور عدة
ملايين من العمال الصناعيين من جهة واحدة ومئات الملايين من الفلاحين
والحرفيين اليدويين من جهة أخرى ، وتجاور اسياذ عقاريين كبار يسيطرون
على الحكومة المركزية الرجعية ، يعني ما يسمى الجيش المركزي بقيادة شيانغ
كاي - شيك وقوات من أنواع شتى تحت قيادة سادة الحرب في المقاطعات ،
وتجاور عدد قليل من السكك الحديدية وخطوط الملاحة والطرق المعبدة
من جهة واحدة ، وعدد هائل من طرق العربات ودروب المشاة فقط من جهة
أخرى ، وكثرة منها يصعب حتى على هؤلاء المشاة سلوكها .

الصين بلد نصف مستعمر - ان الخلاف بين البلدان الاستعمارية قد
ادى الى الخلاف بين الكتل السائدة المختلفة في الصين . ان بلدا نصف مستعمر
تسيطر عليه دول عديدة يختلف عن مستعمرة تسيطر عليها دولة واحدة .

الصين بلد شاسع الابعاد - « عندما يكون الشرق مظلماً بعد ، يكون
الغرب نيراً ، وعندما يهبط الليل في الجنوب ، يشرق النهار في الشمال . »
وبالتالي فللا داعي للقلق بشأن ضيق المكان .

ولقد اجتازت الصين ثورة عظمى زودتنا ببذور الجيش الاحمر ، والحزب

الشيوعي الصيني الذي يقود الجيش الاحمر ، والجماهير التي اسهمت في الثورة .

ولذا قلنا ان الخاصة الاولى للحرب الثورية الصينية هي ان الصين بلد شاسع الابعاد نصف مستعمر ، قد اجتاز ثورة ، وهو ذو تطور متفاوت سياسياً واقتصادياً . ولا تقرر هذه الخاصة بصورة أساسية سوقيتنا وتعبئتنا السياسيتين فحسب ، بل سوقيتنا وتعبئتنا العسكريتين أيضاً .

والخاصة الثانية للحرب الثورية الصينية هي قوة العدو العظيمة .

ما هي أوضاع الكيومنتانغ ، عدو الجيش الاحمر ؟ ان الكيومنتانغ حزب استولى على السلطة السياسية وجعلها في حالة استقرار نسبي وهو ينتفع بتأييد البلدان الرئيسية المعادية للثورة في العالم . ولقد اصلح جيشه بحيث أصبح هذا الجيش مختلفاً عن أي جيش آخر في التاريخ الصيني ومشابهاً على العموم لجيوش دول العالم الحديثة ، وان جيشه ليزود بالاسلحة والمعدات الاخرى بفزارة تفوق تسليح الجيش الاحمر حتى درجة بعيدة ، وهو اعظم قوة عديدة من أي جيش في التاريخ الصيني ، بل حتى من أي جيش نظامي في العالم كله . وثمة عالم من الفوارق بين الجيش الكيومنتانغي والجيش الاحمر . فقد استولى الكيومنتانغ على سائر المراكز الحساسة وسائر المراكز الاستراتيجية الرئيسية في ميادين السياسة والاقتصاد والمواصلات والثقافة في الصين ، وسلطته السياسية تشمل البلاد بأسرها .

وان الجيش الاحمر الصيني ليجابه مثل هذا العدو الجبار . هذه هي الخاصة الثانية للحرب الثورية الصينية . وان هذه الخاصة لتجعل من المحتم أن تختلف الحرب التي يخوض الجيش الاحمر غمارها ، بأساليب مختلفة ، عن الحروب العادية ، وعن الحرب الاهلية في الاتحاد السوفيتي وعن حملة الشمال .

والخاصة الثالثة للحرب الثورية الصينية هي أن الجيش الاحمر الصيني جيش ضعيف .

لقد ولد الجيش الاحمر الصيني بعد خذلان الثورة العظيمة الاولى ، ناشئاً على صورة وحدات من الانصار . ولا يعمل هذا الجيش في مرحلة من سيادة الرجعية في الصين فحسب، بل في مرحلة من الاستقرار السياسي والاقتصادي النسبي في البلدان الرأسمالية الرجعية في العالم .

ان سلطتنا السياسية مبعثرة ومعزولة في مناطق جبلية أو بعيدة ، وهي محرومة من أي عون خارجي . وان القواعد الثورية متخلفة عن المناطق الكيومتانية في مضمار الاقتصاد والثقافة ، وهي لا تشمل سوى مناطق ريفية ومدن صغيرة . ولقد كانت هذه القواعد صغيرة جداً في البداية ، ولم تتسع الا قليلاً منذ ذلك الحين . والاكثر من ذلك أنها كثيراً ما تتغير بحيث لا يملك الجيش الاحمر أية قواعد وطيدة .

وان الجيش الاحمر صغير العدد رديء التسلح يعاني مصاعب عظيمة في الحصول على الطعام ، والسكن ، والملبس ، والمؤن الاخرى . وهذه الخاصة على طرفي نقيض مع الخاصة السابقة . وان سوية الجيش الاحمر وتعبئته لتقومان على أساس هذا التنافر الحاد .

والخاصة الرابعة للحرب الثورية الصينية هي قيادة الحزب الشيوعي والثورة الزراعية .

وهذه الخاصة هي النتيجة الحتمية للخاصة الاولى ، وهي تؤدي الى الصفتين التاليتين . فمن جهة واحدة يمكن للحرب الثورية الصينية ، على الرغم من قيامها في مرحلة من تسلط الرجعية في الصين وفي سائر أرجاء العالم الرأسمالي ، أن تظفر لان الحزب الشيوعي يقودها ولان طبقة الفلاحين تدعمها . وان قواعدنا الثورية لتمتع رغماً عن صغرها بسلطة سياسية كبرى لاننا حصلنا على تأييد الفلاحين ، وهي تستطيع أن تقف بثبات في وجه

سلطة الكيومنتانغ السياسية التي تمتد على مساحات شاسعة . وان هذه الاوضاع لتخلق ، من وجهة نظر عسكرية ، صعوبات عملاقة في وجه تقدم القوات الكيومنتانغية ، لان الفلاحين يقدمون العون الينا وان الجيش الاحمر ليملك ، رغماً عم صفره قدرة عظيمة على القتال ، لان رجاله قد انبثقوا ، بقيادة الحزب الشيوعي ، من الثورة الزراعية، وهم يقاتلون من اجل مصالحهم الخاصة ، ولان الضباط والجنود متحدون سياسياً .

ومن جهة أخرى ، فان وضعنا على طرفي نقيض مع وضع الكيومنتانغ . ان الكيومنتانغ ، المعارض للثورة الزراعية ، محروم من تأييد طبقة الفلاحين . وعلى الرغم من حجم جيشه الهائل ، فهو لا يستطيع ان يستثير حماسة الجنود او عدد كبير من الضباط الصفار الرتب ، الذين كانوا في الماضي منتجين صفارا ، ويدفعهم الى التضحية بحياتهم عن طيبة خاطر في سبيل اهدافه . ان الضباط والجنود فيه منقسمون سياسياً ، وهذا ما ينقص من قدرته على القتال .

٣ - هكذا تنشأ سوقيتنا وتعبئتنا .

بلد نصف مستعمر شاسع الابعاد ، متفاوت التطور سياسياً واقتصادياً ، وقد اجتاز ثورة كبرى ، وعدو جبار ، وجيش احمر ضعيف وصغير : والثورة الزراعية ... هذه هي الخصائص الاربع الرئيسية للحرب الثورية في الصين . وانها لتحدد الخط الموجه للحرب الثورية الصينية ومبادئها السوقية والتعبوية . وان الخاصة الاولى والرابعة تقرران امكانية نمو الجيش الاحمر الصيني وقهره العدو ، والخاصة الثانية والثالثة تقرران استحالة نمو الجيش الاحمر الصيني بسرعة او قهره العدو سريعاً ، او تقرران بكلام آخر طبيعة الحرب الطويلة الامد، وامكانية انتهاء الحرب الى الفشل اذا ما ساءت الامور .

هذان هما مظهرها الحرب الثورية الصينية . وانهما لمتواجدان ، يعني ان ثمة ظروفًا ملائمة كما ان ثمة ظروفًا صعبة في الوقت نفسه . وذلك هو

القانون الاساسي للحرب الثورية في الصين الذي تشتق منه قوانين عديدة اخرى ، والذي اثبت تاريخ السنوات العشر من الحرب صحته . ومن له عينان لكن لا يرى هذه القوانين ذات الصفة الاساسية لا يستطيع ان يقود الحرب الثورية في الصين ، لا يستطيع ان يقود الجيش الاحمر نحو الظفر .

وانه لمن الواضح تماماً انه من الضروري ، كيما نحدد بصورة مضبوطة اتجاهنا السوقي ، أن نحل بصورة مضبوطة سائر القضايا المبدئية ، ومثلها مقاومة روح المفامرة في العمليات الهجومية ، ومقاومة روح التحفظ عندما تكون في وضعية الدفاع ، ومقاومة مبدأ الفرار عند تبديل مواقع قواتنا ، ومقاومة مبدأ حرب الانصار في الجيش الاحمر ، وفي الوقت نفسه تأييد طابع حرب الانصار فيها ، ومقاومة الحملات الطويلة الامد وسوقية الحرب الخاطفة ، وتأييد سوقية الحرب الطويلة الامد والحملات الخاطفة ، ومقاومة جهات العمليات الثابتة والحرب الموضعية ، وتأييد جهات العمليات المائعة والحرب المتحركة ، ومقاومة العمليات العسكرية المستهدفة هزيمة العدو فقط وتأييد العمليات الحربية المستهدفة افناءه ، ومقاومة مبدأ الضرب بالقبضتين وتأييد مبدأ الضرب بيد واحدة (١) ، ومقاومة تشكيل المؤخرات الواسعة وتأييد تشكيل المؤخرات الضيقة ، ومقاومة القيادة المركزية المطلقة وتأييد القيادة المركزية النسبية ، ومقاومة وجهة النظر العسكرية الخالصة وذهنية « الخارجين على القانون » (٢) ، لكن تأييد النظرة القائلة ان الجيش الاحمر هو داعية الثورة الصينية ومنظم لها ، ومقاومة أعمال الشقاوة (٣) وتأييد الانضباط السياسي الصارم ، ومقاومة نظام اسياذ الحرب وتأييد أسلوب

(١) انظر بعد صفحات موضوع : « قضايا مركزة القوات » .

(٢) انظر هوامش الصفحة ١٤٧ .

(٣) أعمال السلب والنهب المجردة عن الانضباط والتوجيه السياسي الواضح والتنظيم .

ديموقراطي في الحياة ضمن حدود انضباط عسكري حازم، ومقاومة السياسة الشيوعية المفلوطة بشأن الملاكات ، وتأييد سياسة صحيحة في هذا المضمار ، ومقاومة روح الانعزالية وتأييد كسب كل الحلفاء الممكنين ، وأخيراً مقاومة تجريد الجيش الاحمر في مسرح نشاطه القديم وتأييد انتقاله الى مرحلة جديدة .

وحين نناقش القضايا السوقية نعلم الى ايضاح هذه القضايا بكل جلاء على اساس الدروس المستقاة من تاريخ السنوات العشر من الحرب الدامية التي خاضتها الثورة الصينية .



الفصل الرابع

حملات « التطويق والافناء » والحملات المضادة

الاشكال الرئيسية للحرب الاهلية في الصين

لقد جوبهنا طوال عشر سنوات ، اي منذ اليوم الذي اندلعت فيه حرب الانصار ، بمايشنه العدو حول كل وحدة مستقلة من الانصار الحمر او الجيش الاحمر ، او حول كل قاعدة ثورية ، من حملات « التطويق والافناء » . ان العدو ينظر الى الجيش الاحمر نظرتة الى شيطان رجيم ، فيجهد لاصطياده . انه يحث الخطا أبداً في اعقاب الجيش الاحمر ، ويحاول دائماً تطويقه . ولم يتبدل هذا الشكل من الحرب طوال عشر سنوات ، واذا لم تحل الحرب الوطنية مكان الحرب الاهلية ، فان هذا الاسلوب سيبقى على حاله حتى اليوم الذي يضحي العدو فيه الخصم الاضعف والجيش الاحمر الخصم الاقوى .

وتتخذ عمليات الجيش الاحمر شكل حملات مضادة « للتطويق والافناء » .

وان النصر بالنسبة الينا لعنې في الدرجة الاولى النجاح في حملاتنا ضد حملات « التطويق والافناء » التي يشنها العدو ، وتلك هي انتصاراتنا السوقية والتعبوية . ويشكل كل قتال ضد « التطويق والافناء » حملة تتألف عادة من سلسلة من عشرات المعارك الكبرى والصغرى . وحتى اذا ربحنا معارك عديدة ، فليس في مكنتنا أن نقول أن النصر السوقى او النصر في الحملة بكاملها قد تحقق لنا ما لم تسحق حملة العدو « للتطويق والافناء » بصورة قاضية . وان تاريخ السنوات العشر في الحرب التي خاضها الجيش الاحمر هو تاريخ النضال ضد تلك « الحملات » .

ويستخدم في حملة العدو « للتطويق والافناء » وحملة الجيش الاحمر المضادة ، مثل ذلك مثله في سائر الحروب ، القديمة منها والحديثة ، الدائرة رحاها في الصين أو أي مكان آخر ، شكلان من القتال ، الدفاع والهجوم . ومهما يكن من أمر ، فان ما يميز الحرب الاهلية في الصين هو التناوب الطويل الاملد لهذين الشكلين . ففي كل حملة من « التطويق والافناء » يعتمد العدو الى الهجوم ضد دفاع الجيش الاحمر ، ويعمد الجيش الاحمر الى الدفاع ضد هجوم العدو - وهذه هي المرحلة الاولى من الحملة المضادة . ومن ثم يعتمد العدو الى الدفاع ضد هجوم الجيش الاحمر ، ويعمد الجيش الاحمر الى الهجوم ضد دفاع العدو - وهذه هي المرحلة الثانية من الحملة المضادة . وكل حملة من هذا النوع تستقيم في هاتين المرحلتين ، المتناوبتين خلال فترة مديدة من الزمن .

واننا لنعني « بالتناوب » المديد تناوب هذين الشكلين من القتال ، في الحرب وفي كل معركة على حد سواء . وهذه حقيقة واضحة في نظر الجميع . ان حملة « التطويق والافناء » والحملة المضادة لها هما الشكلان المتناوبان للحرب . وان المرحلة الاولى التي يقابل العدو فيها دفاعنا بهجومه وتقابل هجومه بدفاعنا ، والمرحلة الثانية التي يقابل العدو فيها هجومنا بدفاعه

وتقابل دفاعه بهجومنا ، هما الشكلاان المتناوبان للقتال في كل حملة .

أما بخصوص مضمون المعارك أو الحرب ، فليس ثمة تناوب في كل مرة فحسب ، بل ثمة تحول أيضاً . وهذه حقيقة واضحة أيضاً في نظر الجميع . وفي هذا المضمار ، أصبحت القاعدة أن يتسع نطاق الحملة أو الحملة المضادة كل مرة ، وأن تزداد الحالة تعقيداً ، ويزداد القتال شدة .

وهذا لا يعني ، على أية حال ، أن ليس هناك أية تقلبات . فبعد حملة « التطويق والافناء » الخامسة ، حين ضعف الجيش الاحمر حتى درجة بعيدة ، وفقدت سائر القواعد الثورية في الجنوب ، ولم يعد الجيش الاحمر يملك بعد انتقاله الى الشمال الغربي أي مركز هام ضد العدو الداخلي كما كانت الحال في الجنوب ، فان نطاق الحملة ضاق نوعاً ما ، وأصبحت الحالة أبسط ، والقتال أقل شدة .

ما هي الهزيمة بالنسبة الى الجيش الاحمر ؟ اذا اتخذنا وجهة النظر السوقية لا يمكننا ان نقول ان ثمة هزيمة - وهي هزيمة جزئية مؤقتة مع ذلك - الا عندما تنتهي الحملة المضادة « للتطويق والافناء » الى الخذلان التام . ذلك ان خذلان الجيش الاحمر النهائي في الحرب الاهلية انما يعني ابادته التامة ، الامر الذي لم يحدث قط . وان فقدان بعض القواعد الواسعة واعادة تجميع الجيش الاحمر في مواقع جديدة يشكلان هزيمة مؤقتة وجزئية ، وليس هزيمة نهائية وتامة ، حتى اذا كانت كلمة « جزئي » تعني هنا فقدان ٩٠ بالمائة من القواعد ، ومن اعضاء الحزب ، ومن القوات المسلحة . واننا نسمي اعادة التجمع استمراراً لدفاعنا ، والمطاردة التي يقوم بها العدو استمراراً لهجومه . وهذا يعني اننا ، في حملة « التطويق والافناء » العدو وحملتنا المضادة ، قد فشلنا في الانتقال من الدفاع الى الهجوم ، بل ان دفاعنا ، على العكس ، قد حطمه هجوم العدو ، وهكذا أضحى دفاعنا تراجعاً وأضحى هجوم العدو مطاردة . لكنه عندما بلغ الجيش الاحمر منطقة جديدة ، ومثال

ذلك عندما انتقلنا من كيانفسي وأماكن أخرى الى شنسي ، فان تناوب حملة « التطويق والافناء » والحملة المضادة قد استئنف من جديد . ولذا فاننا نقول ان انسحاب الجيش الاحمر السوقي (المسيرة الطويلة) قد كان استمراراً لدفاعه السوقي ، وان مطاردة العدو السوقية قد كانت استمراراً لهجومه السوقي .

ثمة شكلان أساسيان للقتال ، الهجوم والدفاع ، في الحرب الاهلية الصينية كما في أي حرب أخرى ، قديمة أم حديثة ، في الصين أم في أي مكان آخر . وان الصفة المميزة للحرب الاهلية في الصين تقوم في التناوب الطويل الالامد لحمات « التطويق والافناء » والحمات المضادة ، التناوب الطويل الالامد لهذين الشكلين من القتال ، الهجوم والدفاع . وفضلا عن ذلك فان هذه الحرب تتضمن أيضاً ذلك التجميع السوقي العظيم (المسيرة الطويلة) على مسافة تزيد عن اثني عشر ألفاً من الكيلومترات .

وتعني الهزيمة من جانب العدو الامر نفسه ، فهزيمته السوقية تعني أن حملته منيت بالفشل ، وأن دفاعنا تحول نتيجة ذلك الى هجوم ، فيما اضطر هو الى الدفاع والى اعادة تنظيم قواه قبل أن يستطيع شن حملة جديدة . ولم يضطر عدونا الى اللجوء الى ذلك التجمع السوقي على مسافة تزيد عن اثني عشر الف كيلو متر كما حدث لنا ، لانه يحكم البلاد كلها ، ولانه أقوى منا حتى درجة بعيدة . بيد ان تنقلاً جزئياً للقوات من جانبه قد حدث ، اذ عمدت القوى المعادية في الاستحكامات المحاصرة من قبل الجيش الاحمر في بعض قواعدنا الثورية الى خرق حصارنا في الاحايين والانسحاب الى المناطق البيضاء بغية تنظيم هجوم جديد . واذا ما استمرت الحرب الاهلية واتسع نطاق انتصارات الجيش الاحمر ، فسوف تحدث مثل هذه التنقلات بصورة متزايدة . بيد أن العدو لا يمكن أن ينتهي الى مثل النتائج التي حصل عليها الجيش الاحمر ، لانه لا يتمتع بتأييد الشعب ولان ضباطه وجنوده يقترون

الى الوحدة . واذا ما اضطر الى تقليد الجيش الاحمر في اعادة تجمع قواته على مسافات بعيدة ، فلا بد ان يباد اذن .

وفي فترة سيطرة اتجاه لي لي - سان عام ١٩٣٠ ، لم يدرك الرفيق لي لي - سان الطبيعة الطويلة الامد للحرب الاهلية الصينية ، ولذا كان عاجزاً عن تمييز قانون هذه الحرب ، الا وهو وجود تناوب طويل الامد لحملات « التطويق والافناء » وفشلها (كانت ثلاث حملات في مناطق تخوم هونان - كيانغسي وحملتان في فوكيين قد جرت حتى ذلك الحين) ، وبنتيجة ذلك اصدر اوامره الى الجيش الاحمر ، في محاولة لتحقيق ظفر الثورة سريعاً على نطاق وطني شامل ، بالهجوم على ووهان ، كما امر بانتفاضة مسلحة على نطاق وطني شامل ايضاً ، وكان الجيش الاحمر في طفولته بعد . وهكذا فقد ارتكب خطيئة انتهازية « يسارية » .

وكذلك لم يؤمن الانتهازيون « اليساريون » خلال الاعوام ١٩٣١ - ١٩٣٤ بقانون التناوب المتصل لحملات « التطويق والافناء » والحملات المضادة . ولقد ظهرت نظرية « القوى الاضافية » في القاعدة الثورية في منطقة تخوم هوبيه - هونان - انهوي حيث كان بعض الرفاق المسؤولين يعتبرون ان قوى الكيومنتانغ ، بعد هزيمتها في حملة « التطويق والافناء » الثالثة ، لا يمكن ان تقاتل سوى بوصفها « قوى اضافية » وانه لا بد للراسماليين انفسهم بعد الآن ، في سبيل القيام بهجمات لاحقة على الجيش الاحمر ، ان ينزلوا الى الميدان بوصفهم القوى الرئيسية . وعلى اساس هذا التقدير ، كان اتجاه الجيش الاحمر السوقي هو مهاجمة ووهان . وكان هذا الاتجاه يتفق مع آراء اولئك الرفاق في كيانغسي الذين كانوا ينادون بضرورة هجوم الجيش الاحمر على نانشانغ ، والذين كانوا يعارضون تحويل القواعد الثورية المختلفة الى منطقة متصلة واجتذاب العدو عميقاً في اراضيها ، بل كانوا ينادون بأن الاستيلاء على العاصمة والمدن الكبرى الاخرى في احد الاقاليم سيؤمن

« الانتصار في الاقليم » كله ، والذين كانوا يعتقدون ان « القتال ضد حملة التطويق والافناء الخامسة » هو الاشتباك الحاسم بين الطريق الثوري والطريق الاستعماري في تطور الصين الخ . ولقد زرعت هذه الانتهازية « اليسارية » بذور الخطة المفلوطة المطبقة في المعارك ضد حملة « التطويق والافناء » الرابعة في منطقة تخوم هوبيه - هونان - انهوي كما في المعارك ضد حملة « التطويق والافناء » في المنطقة المركزية في كيانغسي ، مما أدى الى وقوع الجيش الاحمر في مأزق حرج أمام حملات العدو الوحشية والى تكبد الثورة الصينية خسائر جسيمة .

ولا تقل عن ذلك خطأ النظرية التي تنكر ، بطريقة انتهازية « يسارية » ، تناوب الحملات وتزعم أنه لا يجوز للجيش الاحمر في أي حال من الاحوال ان يلجأ الى الدفاع .

ان الثورة او الحرب الثورية هي هجوم ... من المؤكد أن هذا التقرير صحيح بمعنى ما . ان الثورة او الحرب الثورية تنتقل من الولادة الى النمو ، ومن الصفر الى الكبر ، ومن انعدام السلطة الى الاستيلاء على السلطة ، ومن انعدام الجيش الاحمر الى خلق الجيش الاحمر ، ومن انعدام القواعد الثورية الى انشاء القواعد الثورية . ولا بد لها من التقدم باستمرار ، ولا يجوز لها ان تراوح في مكانها أبداً . ان الواجب هو أن نناضل ضد كل ميول محافظة .

ان الثورة أو الحرب الثورية هي هجوم ، ومع ذلك فان لها أيضاً مرحلتها الدفاعية وتراجعها : هذه هي الموضوعة الوحيدة الصحيحة بصورة مطلقة . الدفاع بغية الهجوم ، والتراجع بغية التقدم ، والقيام بعمل جانبي بغية القيام بعمل جبهوي ، والانحراف بغية التقدم باستقامة - هذه مصادفات محتومة في عملية تطور الكثير من الظواهر ، وبالأحرى في الميدان العسكري .

وقد يكون اول هذين التأكيدين صحيحاً في الميدان السياسي، لكنه خاطيء عندما يطبق في المجال العسكري. والأكثر من ذلك أنه لا يكون صحيحاً سياسياً الا في ظروف معينة (عندما تكون الثورة في مرحلتها الصاعدة) . لكنه خاطيء

في ظروف أخرى (عندما تكون الثورة في حالة تراجع ، تراجع شامل كما حدث في روسيا عام ١٩٠٦ (١) ، وفي الصين عام ١٩٢٧ ، أو تراجع جزئي كما حدث في روسيا زمن معاهدة بريست ليتوفسك ١٩١٨ (٢) . وان التأكيد الثاني وحده هو الصحيح . وان الانتهازية « اليسارية » للاعوام ١٩٣١ - ١٩٣٤ ، التي كانت تعارض بصورة آلية في استخدام التدابير العسكرية الدفاعية ، انما كانت تمثل أسلوباً طفولياً حتى الدرجة القصوى في التفكير .

ومتى ينتهي أسلوب التناوب في حملات « التطويق والافناء » والحملات المضادة ؟ في رأيي أنه اذا استمرت الحرب الأهلية طويلاً ، فان التناوب سينتهي عندما يحدث تبدل أساسي في القوة النسبية بين العدو وبيننا ، فإذا ما أصبح الجيش الأحمر أشد بأساً من عدوه ، فان مثل هذا التناوب سينتهي . وعندئذ سيكون من عملنا تطويق العدو وإبادته ، وسيكون العدو مضطراً أن يلجأ الى الحملات المضادة ، بيد ان الظروف السياسية والعسكرية لن تسمح للعدو أن يكتسب المركز الذي كان للجيش الأحمر في حملاته المضادة . ويمكننا القول بكل ثقة أن أسلوب التناوب في حملات « التطويق والافناء » والحملات المضادة سينتهي إذن ، ان لم يكن بصورة حاسمة ، فبصورة أساسية على الأقل .

(١) بعد هزيمة ثورة كانون الاول عام ١٩٠٥ ، تراجع المد الثوري في روسيا بصورة تدريجية . راجع : « تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي » الفصل التاسع ، القسم الخامس والسادس .

(٢) معاهدة صلح عقدت بين روسيا السوفيتية والمانيا في آذار ١٩١٨ ، فقد اضطرت القوة الثورية التي تجابه قوة معادية تتفوق عليها بصورة لا جدال فيها ، أن تتراجع بصورة مؤقتة كي تمنع الاستعمارين الالمان من شن هجوم على الجمهورية السوفيتية الحديثة الولادة التي لا تملك بعد جيشاً خاصاً بها . وقد وفر عقد هذه المعاهدة الوقت للجمهورية السوفيتية كي تقوي السلطة السياسية للبروليتاريا ، وتعيد تنظيم اقتصادها ، وتؤسس الجيش الأحمر . وهكذا تمكنت البروليتاريا ، بعدما وطدت قيادتها على طبقة الفلاحين وجمعت القوى الكافية ، أن تهزم الحرس الأبيض في الاعوام ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، وأن تدحر كذلك قوى التدخل المسلحة الموجهة من بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ، واليابان ، وبولونيا ، وبلدان أخرى .

الفصل الخامس

الدفاع السوقي

سوف أناقش تحت هذا العنوان القضايا التالية : ١ - الدفاع الايجابي والدفاع السلبي ، ٢ - التهيئة لحملة ضد «التطويق والافناء» ، ٣ - الانسحاب السوقي ، ٤ - الهجوم المضاد السوقي ، ٥ - بدء الهجوم المضاد ، ٦ - مركزة القوات ، ٧ - الحرب المتحركة ، ٨ - الحرب الخاطفة ، ٩ - حرب الافناء .

١ - الدفاع السلبي والدفاع الايجابي

لم ينبغي أن نبدأ بمناقشة الدفاع ؟

بعد فشل الجبهة الوطنية الموحدة الأولى في الصين في الأعوام ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، أضحت الثورة حرباً طبقية شديدة وقاسية حتى الدرجة القصوى . وكان العدو يحكم البلاد بأسرها ، في حين لم نكن نملك سوى قوات مسلحة قليلة ، وبنتيجة ذلك لم يكن لنا بد من أن نقاتل ، منذ اللحظة الأولى ، ضد حملات «التطويق والافناء» العدو . وكانت هجمتنا وثيقة الارتباط بمحاولتنا تحطيم هذه الحملات ، كما أن امكانية تطورنا كانت وثيقة الارتباط بامكانية نجاحنا في هذه المحاولات . وكانت عملية تحطيم تلك الحملات تتبع خطأً ملتوية ولا تجري بصورة منتظمة مطلقاً . وكانت مشكلتنا الأولى والأشد خطورة هي كيف نحفظ بقوتنا ونتحين الفرصة لهزيمة العدو . وهكذا فان الدفاع

السوقي هو القضية الأشد تعقيداً والأكثر أهمية بالنسبة إلى عمليات الجيش الأحمر وكثيراً ما حدث انحرافان بشأن الدفاع السوقي في سياق السنوات العشر من الحرب : الانحراف الواحد هو استتصار شأن العدو والانحراف الآخر هو الركوع أمام العدو .

ولقد هزمت وحدات عديدة من الأنصار نتيجة لاستتصار شأن العدو ، وفشل الجيش الأحمر في تحطيم عدد كبير من حملات « التطويق والافناء » العدو .

وعندما قامت وحدات الانصار الثورية الأولى ، أخفق قادتها غالباً في تقدير وضعية العدو ووضعيتنا الخاصة تقديراً صحيحاً . ولقد كانوا يستهينون بالعدو عادة لأنهم عندما ينجحون في انتفاضة مسلحة وقعت بصورة مفاجئة في مكان محدد أو في اندلاع عصيان بين القوات البيضاء تنضم اليهم بعض الفصائل المسلحة إثره ، فانهم ما كانوا يلاحظون سوى الظروف الموانية في تلك اللحظة المعينة ، لكنهم ما كانوا يأخذون بعين الاعتبار الظروف المنافية . وفيما عدا ذلك ، فانهم ما كانوا يفهمون نقاط ضعفهم الخاص (افتقارهم إلى التجربة وضالة قواتهم) . لقد كانت الحقيقة الموضوعية هي قوة العدو وضعفنا ، ومع ذلك فان هؤلاء الناس لم يكونوا يتحدثون ، وهم يرفضون التأمل في تلك الحقيقة ويعرضون عن الدفاع والتراجع ، سوى عن الأخذ بالهجوم ، مجردين هكذا أنفسهم معنوياً من ذلك السلاح الذي هو الدفاع ، وموجهين أعمالهم في الاتجاه الخاطئ . ولقد هزم عدد كبير من وحدات الانصار لهذا السبب .

والأمثلة عن إخفاق الجيش الأحمر في تحطيم حملة « التطويق والافناء » للأسباب نفسها هي هزيمة عام ١٩٢٨ في قطاع هيفينغ ولوفونغ ، من مقابلة كوانغ تونغ (١) ، وفقدانه حرية العمل في منطقة تخوم هوبيه - هونان -

(١) في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩٢٧ ، قام فلاحو هيفينغ ولوفونغ في كوانغ تونغ بشورتهم الثالثة

انهوي ، في الحملة المضادة الرابعة عام ١٩٣٢ ، عندما اتخذ اتجاهها خاطئاً
بوحى النظرية القائلة ان الكيومنتانغ « قوى اضافية » .

وثمة امثلة عديدة عن تفهقنا المسبب عن جزعنا من العدو .

لقد عظم البعض في شأن العدو ، على العكس من اولئك الذين كانوا
يستهيئون به ، واستصغروا شأنهم الخاص ، وبنتيجة ذلك فقد لجأوا الى
التراجع في حين كان في مقدورهم ان يتجنبوه ، مجردين انفسهم معنوياً ايضاً
من ذلك السلاح الذي هو الدفاع . وكانت نتيجة ذلك هزيمة وحدات الانصار ،
وهزيمة الجيش الاحمر في بعض الحملات ، او فقدان بعض القواعد الثورية .

وان اوضح مثال عن فقدان هذه القواعد هو فقدان القاعدة المركزية
في كيانفي في الحملة الخامسة ضد « التطويق والافناء » . وكانت الخطيئة
هنا نتيجة وجهة نظر يمينية . ان القادة ، الذين كانوا يخشون العدو فكانه
نمر ، قد اقاموا خطوط الدفاع في كل مكان وراحوا يقاومون على خطوط
متتالية ، ولم يجراوا ان يشنوا هجوماً على مؤخرة العدو ، الأمر الذي كان
منذ البدء في مصلحتنا ، او ان يقدموا على حيلة جريئة ، فيجتنبونه للنفل
بعيداً عن اراضينا ، بحيث يباغتونه ويبيدونه . وبنتيجة ذلك فقدنا القاعدة
برمتها ، وعمد الجيش الاحمر الى المسيرة الطويلة التي تزيد عن ١٢٠٠ كيلو
متر ، بيد ان مثل هذه الخطيئة يسبقها عادة الخطيئة « اليسارية » الناشئة
عن الاستهانة بالعدو . وان المفامرة العسكرية التي تظاهرت في الهجوم على
المدن الكبرى عام ١٩٣٢ قد كانت بالضبط السبب الجذري في خطة الدفاع
السليبي التي اتخذت فيما بعد بشأن مجابهة حملة « التطويق والافناء »
العدوة الخامسة .

بقيادة الحزب الشيوعي . ولقد احتلوا قطاع هيفنغ - لوفنغ ، ونظموا الجيش الاحمر ، واقاموا
حكومة العمال والفلاحين الديمقراطية . ولقد هزم الثوار نتيجة استهانتهم بقوة العدو .

وإن أبرز مثال عن الركوع أمام العدو هي خطة شانغ كيو - تاو الذي كان ينادي بالانسحاب . وكانت هزيمة الطابور الغربي من جيش الجبهة الرابع من الجيش الأحمر غربي النهر الأصفر^(١) إعلاناً عن إفلاس هذه السياسة بصورة نهائية .

ويمكننا أن نسمي الدفاع الايجابي الدفاع الهجومي أو الدفاع باشتباك حاسم ايضاً ، كما يمكننا أن نسمي الدفاع السلبي الدفاع المجرد أو الخالص . وفي الحقيقة ان الدفاع السلبي دفاع كاذب ، ولا يمكن أن يكون الدفاع الحقيقي الا ايجابياً ، دفاعاً في سبيل الهجوم المضاد والتقدم . وليس هناك ، فيما أعلم ، اي كتاب مدرسي عسكري قيم ، أو اي خبير عسكري فطن ، في الازمان القديمة أو الحديثة ، في الصين أو في أي مكان آخر ، إلا ويعارض الدفاع السلبي ، السوقي والتعبوي على السواء . ولا يتعلق بالدفاع السلبي كورقة رابحة سوى المفرقين في الحماسة والجنون . ومهما يكن من امر ، فان مثل هؤلاء الناس موجودون في العالم ، كما ان مثل هذه الاشياء تحدث فعلاً . وتلك خطيئة في الحرب ، دلالة على روح المحافظة العسكرية التي يجب ان نعارضها بعزم .

وإن الخبراء العسكريين في البلدان الرأسمالية التي دخلت الحلبة العالمية بصورة متأخرة نسبياً ، وهي تتطور بخطى عاجلة جداً ، كالمانيا واليابان ،

(١) بعدما تلاقي جيشا الجبهة الثاني والرابع من الجيش الاحمر في سياق المسيرة الطويلة في خريف ١٩٣٦ ، اتجا شمالاً من سيكانغ الواقعة في الشمال الشرقي . ولقد استمر شانغ كيو - تاو ، الذي كان يقود الجيش الرابع ، في سياسة الانسحاب والتصفية التي كان يتابعها طوال الوقت . وعندما وصل كلا جيشي الجبهة الى كانسو في تشرين الاول ، نظم الوحدات المتقدمة من جيش الجبهة الرابع ، وتعدادها يزيد عن عشرين الف رجل ، في طابور غربي مهمته عبور النهر الاصفر والتقدم غرباً الى شينغهاي . وقد هزم الطابور الغربي هزيمة شتاء في تشرين الاول ، وهزم كلياً في آذار التالي .

ليباهون حقاً بحسنات الهجوم السوقي ويدينون الدفاع السوقي . ولا تناسب هذه الفكرة على الاطلاق الحرب الثورية في الصين . ويشير مثل هؤلاء الخبراء العسكريين إلى ان العيب الكبير في الدفاع يقوم في هذا الواقع، الا وهو انه يشبط من معنويات الشعب بدلا من استثارته . لكن هذا لا ينطبق سوى على البلدان حيث التناقضات الطبقية حادة وحيث الحرب مجدية للطبقات الحاكمة الرجعية او الجماعات الرجعية المستولية على الحكم فقط . اما اوضاعنا فتختلف عن ذلك . فنحن نستطيع ، تحت شعار إنقاذ القواعد الثورية وانقاذ الصين ، ان نجمع الغالبية العظمى من الشعب في سبيل القتال بكل خلوص طوية ، لاننا ضحايا الاضطهاد والعدوان . ولقد هزم الجيش الاحمر في الاتحاد السوفيتي اعداءه كذلك بحرب دفاعية اثناء الحرب الأهلية . وهو لم يخض الحرب تحت شعار الدفاع عن السوفييتات عندما نظمت الدول الاستعمارية الحرس الابيض للقيام بمذبحة رهيبة ، بل قام كذلك بتعبئة عسكرية تحت شعار الدفاع عن العاصمة عندما كانت انتفاضة أكتوبر في سبيل التحضير . ان المعارك الدفاعية في الحرب العادلة لا تجمد العناصر الفربية سياسياً فحسب ، بل تستطيع ايضاً أن تعبئ الفئات المتخلفة من الجماهير في سبيل الانضمام الى الحرب .

وعندما قال ماركس ان الانتفاضة المسلحة اذا ما بدئت مرة فلا يجوز ايقاف الهجوم لحظة واحدة (١) ، فقد كان يعني ان من واجب الجماهير ، اذا ما أخذت العدو على حين غرة في ثورة ما ، الا تدع للطبقات الحاكمة الرجعية أدنى فرصة للاحتفاظ بسلطتها السياسية او استردادها ، بل ينبغي ان تنتهز هذه اللحظة لشن هجوم مباغت على القوى الحاكمة الرجعية في النطاق

(١) انظر كارل ماركس وفريدريك انجلز : « المؤلفات المختارة » ، الطبعة الانكليزية ،

المجلد الثاني ، « من ماركس الى كوغلمان » ، ص ٤١١ .

الوطني ، وأن من واجبها الا تكتفي قط بالانتصارات التي كسبتها ، والا تبخس من قيمة العدو ، والا تتماهل في هجماتها عليه ، او تتردد في الذهاب قدماً . بحيث تضع فرصة إبادة العدو وتسبب فشل الثورة . وإن هذا لصحيح . لكنه لا يعني على أية حال اننا لا نستطيع ، نحن الثوريين ، ان نعتمد الى تدابير دفاعية حتى عندما نكون قد سبق ونزلنا الى ميدان المعركة مع عدو اقوى منا يمارس علينا ضغطاً عنيفاً . ان المجانين وحدهم يفكرون على هذا الفرار .

ولقد كانت حربنا الماضية هجوماً على الكيومنتانغ رغماً عن اتخاذها ، عسكرياً ، شكل دحر حملات « التطويق والافناء » العدو !

وإذا اردنا ان نتحدث بالتعابير العسكرية ، فان حربنا تقوم في تناوب الدفاع والهجوم . ولا فرق لدينا هل اعتبر هجومنا لاحقاً بدفاعنا أم سابقاً له ، لان نقطة التحول تأتي عندما نسحق حملات « التطويق والافناء » . إنه يظل دفاعاً حتى تسحق حملة « التطويق والافناء » . ومن ثم ينقلب على الفور هجوماً ، وليس الدفاع والهجوم سوى مرحلتين من العملية نفسها ، لكن كل حملة « تطويق وإفناء » يشنها العدو تتبعها عن قرب حملة أخرى . والمرحلة الدفاعية هي ، من بين المرحلتين ، المرحلة الأشد تعقيداً والاكثر أهمية ، فهي تتضمن قضايا عديدة تتعلق بكيفية سحق « الحملة » المعادية . بيد ان المبدأ الأساسي هو تطبيق الدفاع الإيجابي ورفض الدفاع السلبي .

وفي الحرب الأهلية ، عندما يتفوق الجيش الأحمر على العدو ، فلن يكون بعدئذ حاجة للدفاع السوقي بصورة عامة . وعندئذ سيكون اتجاهنا الرئيسي هو الهجوم السوقي . وإن مثل هذا التبدل هو حسيطة تبدل عام في كل نسبة القوى . وعندئذ تكون التدابير الدفاعية الباقية ذات طبيعة جزئية .

٢ - التهيئة للحملات المضادة .

إذا لم تكن مهئين كما ينبغي ، بصورة تامة ، ضد حملة العدو المدروسة ، فاننا سنضطر إذن حتماً أن نلجأ الى الدفاع السلبي . فقبولنا للمعارك بصورة ارتجالية وعاجلة لا يمكن أن يوفر لنا النصر . وبالتالي فانه من الضروري بصورة مطلقة في الحقيقة أن نعد ، بصورة متواقة مع تهيئة العدو لحملته من « التطويق والافناء » ، الى التهيئة لحملتنا المضادة . وإن الرأي المعارض لهذه التهيئة ، هذا الرأي الذي كان له انصار في صفوفنا ذات يوم ، لسخيف ومضحك في وقت واحد .

وتطرح هنا قضية عسيرة تؤدي الى الخلاف بكل سهولة ، الا وهي متى يجب ان نضع حداً لهجومنا ونتحول الى مرحلة التهيئة لحملتنا المضادة التالية ؟

عندما نتقدم ظافرين ، يكون العدو في وضعية دفاعية ، ويكون عاكفاً على تهيئة حملته التالية « للتطويق والافناء » بصورة سرية ، بحيث يصعب علينا أن نعرف متى سيبدأ هجومه . واذا شرعنا في تهيئة حملتنا المضادة بصورة مبكرة جداً ، فقد نفقد بعض المكاسب التي ستنج عن هجومنا ، بل يمكن في الاحايين أن يتعرض الجيش الأحمر والشعب لمؤثرات غير مرغوب فيها . ذلك ان التدابير الرئيسية في المرحلة التحضيرية هي الترتيبات العسكرية والتعبئة السياسية من أجل التراجع . وفي الاحايين ، عندما نشرع في التهيئة بصورة مبكرة جداً ، نضطر الى انتظار العدو ، وقد ننتظر طويلاً دون أن يظهر العدو ، فلا يبقى امامنا سبيل إلا أن نشن هجوماً جديداً . وقد يبدأ العدو هجومه احياناً ، وهجومنا الجديد قد بدأ لتوه ، فنقع في مركز حرج . وهكذا فان لاختيار اللحظة المناسبة من أجل بدء تهيئتنا اهمية كبرى . وانه يجب تحديد اللحظة المناسبة وفقاً لوضع العدو وأوضاعنا على السواء ، ووفقاً للعلاقة التي تربط بينها . ولا بد لنا ، كي نفهم وضع

العدو ، من جمع المعلومات عن ظروفه السياسية والعسكرية والمالية ، وعن حالة الرأي العام في مناطق نفوذه . وينبغي لنا عندما نحلل مثل هذه المعلومات أن نأخذ بعين الاعتبار قوة العدو الكلية ، وفيما يتوجب علينا ألا نبالغ في مدى هزائمه السابقة ، يتوجب علينا كذلك أن نعتبر التناقضات داخل معسكره الخاص ، ومصاعبه المالية ، وتأثير هزائمه الماضية ، الخ . . أما نحن ، ففيما يتوجب علينا ألا نبالغ في مدى انتصاراتنا الماضية ، يتوجب علينا أيضاً أن نأخذ بعين الجد تأثيرها ومفعولها .

أما بخصوص لحظة الشروع في التهيئة ، فالنصيحة العامة هي « الوقت المبكر جداً أفضل من الوقت المتأخر جداً » ذلك أن التهيئة التي يشرع فيها باكراً جداً تؤدي الى خسائر أقل من التهيئة التي يشرع فيها في وقت متأخر جداً ، وحسنة التهيئة المبكرة تقوم في ان الاستعداد يقضي على الأخطاء ويضعنا في مركز لا يقهر أبداً .

والقضايا الهامة في مرحلة التهيئة هي الترتيبات من أجل انسحاب الجيش الأحمر ، والتعبئة السياسية ، وتجنيد جنود جدد ، والتحضيرات المالية والغذائية ومعالجة العناصر الغريبة سياسياً .

ويعني التهيؤ للانسحاب ، بالنسبة الى الجيش الأحمر ، التأكد من عدم اتخاذ اتجاهات قد تسيء الى انسحابه اللاحق ، ومن اندفاعه بعيداً جداً في هجومه ، ومن عدم تعرضه للاعياء الشديد . ويجب ان نتذكر قوى الجيش الأحمر الرئيسية هذه الحقائق جيداً عشية الهجوم العام الذي يشنه العدو . وفي مثل هذا الوقت ، يتوجب على الجيش الأحمر أن يركز اهتمامه كله على خطط تهيئة مراكزه المحصنة ، وتجميع وسائله المادية ، وزيادة قوائمه وتدريبها .

والتعبئة السياسية هي القضية الأهم في الحملة المضادة « للتطويق والافناء » . وهذا يعني انه يتوجب علينا أن نعلن بكل وضوح وجلاء وحزم

لأفراد الجيش الأحمر وللشعب في القاعدة الثورية عن الهجوم المعادي المحتوم والعقيد ، وعن الخطر الكبير الذي يعنيه مثل هذا الهجوم بالنسبة اليهم ، وفي الوقت نفسه عن ضعف العدو ، وعن ظروف الجيش الأحمر الملائمة ، وعن إرادتنا التي لا تقهر في النصر ، وعن الخطة العامة لعملنا ، الخ . . وينبغي مناداة الجيش الأحمر والسكان جميعاً للقتال ضد حملة « التطويق والافناء » وللدفاع عن القاعدة الثورية . ويجب ان تتحقق التعبئة السياسية ، باستثناء الأسرار العسكرية ، بصورة علنية وواسعة بحيث تبلغ سائر أولئك الذين يمكن ان يدافعوا عن مصالح الثورة . وان النقطة الحيوية هنا هي فضلا عن ذلك في إقناع الملاكات .

ويجب علينا ، في تجنيد الجنود الجدد ، ان نسلك خطتين ، فمن جهة واحدة يجب ان نلاحظ مستوى الوعي السياسي عند الشعب وكثافة السكان، ومن جهة أخرى يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ظروف الجيش الأحمر القائمة والاتساع الممكن لخسائره في سياق الحملة المضادة برمتها .

ولا جدال في أن الأموال والمؤن الغذائية أمور عظيمة الأهمية في تخوف المضادة . ولا يفربن عن بالنّا أن العدو يمكن أن يطيل حملته . وينبغي أن يكون ثمة تقدير للحد الأدنى من المتطلبات المادية ، وعلى الأخص بالنسبة الى الجيش الأحمر، ومن ثم حاجات الشعب في القاعدة الثورية، وذلك طوال ديمومة الحملة المضادة .

ويجب أن نكون يقظين حيال العناصر السياسية الغريبة ، لكن دون تخوف في غير محله من خداعهم يحملنا على اتخاذ تدابير وقائية مفرطة . وينبغي التمييز بين الملاكين العقاريين ، والتجار ، والفلاحين الأغنياء ، والأمر الرئيسي هو ايضاح سياستنا لهم ، وكسب حيادهم ، وتنظيم جماهير الشعب لمراقبتهم . ويجب الا نلجأ الى التدابير الجذرية ، كالاقتال ، إلا

حيال العدد التافه من العناصر الأشد خطراً بينهم .
وإن مدى النجاح في الحملة المضادة لموقوف حتى درجة بعيدة على طريقة
حل القضايا المطروحة علينا في المرحلة التحضيرية . وإن تراخي الانضباط
في سياق هذه المرحلة ، المسبب عن الاستهانة بالعدو ، وكذلك الهلع الناشئ
عن الخوف من انهجوم المعادي ، هما اتجاهان ضاران يجب معارضتهما
بشدة . ان من واجبنا ان نوفق بين الحماسة والهدوء ، وبين شدة العمل
وفن التنظيم .

٣ - الانسحاب السوقي

إن الانسحاب السوقي خطوة سوقيّة مدروسة يلجأ إليها جيش أضعف ،
عاجز عن أن يسحق سراعاً هجوم قوة متفوقة ، وذلك بغية المحافظة على
قوته وانتظار اللحظة الملائمة لدحر العدو . بيد أن انصار روح المغامرة العسكرية
لا يريدون أن يسمعوا شيئاً عن مثل هذه الخطوة ، وهم ينادون بمبدأ « إيقاف
العدو خارج البوابة » .

ونحن نعلم جميعاً أنه عندما يتقاتل رجلان قويان ، فإن الحكيم بينهما
يتراجع عادة من حين لآخر ، فيما خصمه الأحق يحمل عليه بجنون ، ويستنفذ
كل قوته ومهارته منذ اللحظة الأولى ، بحيث أن الذي يتراجع هو الذي ينتصر
أخيراً في أغلب الأحيان .

وفي قصة « الهامش المائي » (١) ، هجم الملاك المحترف هونغ على خصمه
لن شونغ بكل قواه في بيت شاي شن ، فتراجع هذا الأخير وهو يهتف دون
انقطاع : « تعال ! تعال ! تعال ! » ، وفي النهاية كان لن شونغ المتفهم هو
الذي وجد نقطة الضعف في هونغ والقاه أرضاً بكلمة واحدة .
ولقد دارت رحى الحرب بين لو وتسي (٢) في عصر الربيع والخريف .

(١) قصة شهيرة عن حرب فلاحية ، مسندة الى شبه ناي - آن الذي اشتهر في أواخر
سلالة يوان وأوائل سلالة مينغ (القرن الرابع عشر بعد المسيح) وثمة ترجمة انكليزية لكتاب
نقدتها بيرل بول بعنوان « البشر جميعاً أخوة » .

(٢) دولتان اقطاعيتان في عصر سلالة شوو (١١٣٤ - ٢٢٧ ق م) ، وكانتا تحتلان في عصر

وكان امير لو يريد بادىء الامر ان يأمر بالهجوم قبل ان يصيب التعب قوات تسي ، لكن تساو كوي هذا من حميته، فقررا عندئذ تطبيق السياسة التالية : « عندما يتعب العدو نهجم » ، ولقد هزم جيش تسي ، وأصبحت المعركة مثالا كلاسيكياً في تاريخ الصين العسكري عن كيف يمكن لقوة ضعيفة ان تهزم عدواً قوياً . وهذا هو الوصف الذي كتبه المؤرخ تسيو شيو - مينغ(١) عن هذه الحادثة .

« كان الوقت ربيعاً ، وقد مشت علينا قوات تسي . وكان الأمير يهم بالقتال عندما طلب تساو كوي مقابلته . وقال له مواطن من تساو : « ان الحرب هي من شأن الاشراف اكلة اللحوم ، فلم تدس انفك في الأمر ؟ » وأجاب تساو : « ان الاشراف اكلة اللحوم ضيقو التفكير ، ولا يعرفون رسم خطط بعيدة المدى » . وهكذا مضى لمقابلة الأمير ، وسأله : « ايها الأمير بماذا تحارب ؟ » فأجاب الأمير : « لم أستمتع قط وحدي بالمأكول والملبس ، بل تقاسمتها على الدوام مع الآخرين » . فقال تساو : « لا يمكنك ان تغمر الناس جميعاً بعطايا زهيدة ايها الأمير ، والشعب لن يتبعك » . فأجاب الأمير : « اني لا أقدم قط للالهة ذبائح أو بهائم أو حريراً أقل مما وعدتهم به ، لقد كان سلوكي شريفاً دائماً » . فقال تساو : « لا يمكنك ان تكسب الثقة بتضحيات صغيرة ، والالهة ان تباركك » . فقال الأمير : « في الدعاوى الكبرى والصغرى - وحتى اذا لم أفهم مغزاها - حكمت بالعدل دائماً » . فقال تساو : « هذا يدل على اخلاصك لواجبك ، ففي مقدورك اذن أن تخوض المعركة . وعندما تقاثل ، ايها الأمير ،

الربع والخريف (٧٢٧ - ٤٨١ ق.م) ، الاولى منهما مقاطعة شانتونغ الشمالية الحالية ، والثانية مقاطعة شانتونغ الوسطى حالياً . وكانت تسي بلداً يفوق لو بأساً حتى درجة بعيدة . اما المعركة فحدثت عام ٦٨٤ ق.م .

(١) مؤلف « تسو - شوم » ، وهو تاريخ شهى لسلالة شوو .

اسمح لي أن أرافقك». واصطحبه الأمير على عربته، وخاض المعركة في شانغشوو . وعندما أوشك الأمير أن يقرع الطبل كي يتقدم المحاربون، قال تساو : « لم يحن الأوان بعد » . وبعدما قرعت قوات تسي الطبل ثلاث مرات ، قال تساو : « نستطيع الآن أن نقرع الطبل » . وهزم جيش تسي ، وتهيأ الأمير لمطاردته، فقال تساو من جديد : « لم يحن الأوان بعد » . ونزل من عربته وتفحص آثار دواليب عربات العدو ، ومن ثم تسلق ظهر العربة وأشرف على الحالة بأسرها . وقال : « حان الأوان » . عندئذ شرع جيش الأمير يطارد قوات تسي . وبعد النصر ، استفسر الأمير من تساو عن مبررات تصرفاته ، فأجابه هذا الأخير : « ان الحرب مسألة شجاعة . فالطبل الاول يستثير المعنويات التي تسترخي عند الطبل الثاني ، وتكون قد انهكت عند الطبل الثالث . ولقد انهارت معنويات العدو ، وكانت معنوياتنا في الذروة ، وبالتالي انتصرنا . لكنه من الصعب أن يعرف المرء قوى أمانة كبرى حين يقاتلها وهكذا فقد كنت خائفاً أن يكون في الأمر فخ . لكنني عندما وجدت أن عربات العدو متقاطعة وأن راياته متهاوية في اضطراب ، نصحت بالمطاردة » .

ان لدينا في هذه الرواية مثالا عن المقاومة التي تبديها أمانة صفري في وجه أمانة كبرى . ويحدثوننا فيها عن التهيئة السياسية للحرب : كسب ثقة الشعب ، وعن الوضع المناسب من أجل الانتقال الى الهجوم المضاد : شانغشوو ، وعن اللحظة المناسبة من أجل شن الهجوم المضاد : - لقد انهارت معنويات العدو ، وكانت معنوياتنا في الذروة ، وعن الوقت الذي بوشر فيه بالمطاردة : - عربات العدو متقاطعة وراياته متهاوية في اضطراب - . وعلى الرغم من أن المعركة لم تكن أكثر من معركة صغيرة ، فإنها تعرض أمامنا مع ذلك مبادئ الدفاع السوقي . وفي التاريخ العسكري الصيني أمثلة عديدة عن النصر الذي تحقق بفضل تطبيق هذه المبادئ . ففي المعارك الشهيرة

التي دارت رحاها بين شو وهان في شنغكاو (١) ، وبين هسين وهان في كونيانغ (٢) ، وبين يوان وتساو في كوانتو (٣) وبين وو ووي في شيهي (٤) ،

(١) كانت مدينة شنغكاو القديمة ، الواقعة الى الشمال الغربي من اقليم شنغكاو الحالي ، مقاطعة هونان ، ذات أهمية عسكرية كبرى . وقد استولى عليها بادیء الامر هسيانغ يو ، من ليو بانغ ملك هان ، ودحر تقريباً قوات هذا الاخير . لكن ليوبانغ ، وقد أعاد تنظيم قواته ، أجل هجومه المضاد حتى أصبحت قوات هسيانغ يو في ملء النيار لدى عبورها نهر ستي . وقد عاد هسيانغ يو بهزيمة منكرة واسترجع ليوبانغ مدينة شنغكاو .

(٢) ان كونيانغ ، الواقعة حالياً في اقليم ييه في الجنوب الغربي من مقاطعة هونان ، هي مكان انتصار ليو هسيو ، مؤسس سلالة هان الشرقية ، على وانغ مانغ امباطور سلالة هسين عام ٩٣ بعد المسيح . وكان الفارق العددي بين القوتين هو ٨٠٠٠ - ٩٠٠٠ رجل من جانب ليو ضد ٤٠٠٠٠ رجل من جانب وانغ . وقد استفاد ليو هسيو من عدم استعدادات قادة جيش وانغ مانغ الذين كانوا يستهينون بالعدو ، فهزم قوات وانغ الرئيسية بثلاثة آلاف رجل فقط من قواته ، واستفاد من هذا النصر ، فسحق على الفور البقية الباقية من قوات عدوه .

(٣) كانت كوانتو واقعة في الشمال الشرقي من اقليم شونغ موو الحالي ، في مقاطعة هونان . ووقعت المعركة في السنة ٢٠٠ بعد المسيح . وكان جيش يوان شاو يعد ١٠٠٠٠٠ رجل ، بينما لم يكن تحت تصرف تساو تساو سوى قوة هزيلة ، كما كان يفتقر الى المؤن . واستفاد تساو من انعدام اليقظة بين قوات يوان ، فبعث بمشاته الخفيفة لتشن على تلك القوات هجوماً مفاجئاً وتشعل النار في مؤنها . ووقعت قوات يوان في الغوضى ، وسحقت قوات جيشه الرئيسية .

(٤) تشير وو الى القوى التي بقيادة صن شوان ، ووي الى القوات التي بقيادة تساو تساو . وتقوم شيهي الواقعة في الشمال الشرقي من كياوو ، في مقاطعة هوبيه ، على الضفة الجنوبية من نهر يانغتزي . وفي السنة ٢٠٨ ميلادية ، قاد تساو تساو قوة هائلة تعدادها ٥٠٠٠٠٠ رجل ، وكان يدعي انها تبلغ ٨٠٠٠٠٠ رجل ، ليشن هجوماً على صن . وكان صن شوان ، مع حليفه ليوبين خصم تساو ، يقود جيشاً لا يزيد عن ثلاثين الفا . ولما كان الحليفان يعرفان ان الوباء يجتاح جيش تساو ، وان هذا الجيش لم يألف الحرب البحرية ، فقد أشعلوا النار في اسطوله وسحقوا ذلك الجيش الهائل .

وبين وو وشو في ييلنغ (١) وبين شن وشين في فيشوي (٢) ، كان الخصمان متفاوتين في القوة ، ومع ذلك فان الخصم الأضعف ، إذ تراجع خطوة بادية الأمر ، تغلب على الخصم الأقوى بواسطة العمل المؤجل وهزمه .

ولقد بدأت حربنا في خريف ١٩٢٧ ، عندما كنا نفتقر الى التجربة كلياً . وقد فشلت كلتا الانتفاضتان في نانشفانغ (٣) و كانتون (٤) .

(١) كانت بيلينغ تقع الى الشرق من ايشانغ الحالية ، في مقاطعة هوبيه ، حيث هزم لو صن ، وهو قائد من مملكة وو ، جيش ليويبي ، امبراطور شو ، في السنة ٢٢٢ ميلادية . وقد حققت قوات ليويبي بادية الامر سلسلة من الانتصارات ، ومع ذلك فقد وجدت انها توغلت ، عندما وصلت الى بيلينغ ، خمسة أو ستة آلاف لي في أرض وو . وقد تجنب لو صن المعركة حوالي سبعة شهور ، حتى كاد ليويبي يجن ، فيما انهكت قواته وانهارت معنوياتها . وعندئذ تمكن صن ان يهزم قوات بي هزيمة ساحقة ، مستفيداً من هبوب الرياح ليشعل النار في خيام الجيش المعادي .

(٢) جرت هذه المعركة في السنة ٣٨٣ ميلادية . وفيشوي نهر في مقاطعة أنهوي الشمالية ، وكان يفصل بين قوات المتحاربين . وكان فوشيين ، ملك شن ، يملك قوة من المشاة تزيد من ٦٠٠٠٠ رجل ، وقوة من الخيالة تبلغ ٢٧٠٠٠ فارس ، وفرقة من الحرس تعد ٣٠٠٠ رجل ، بينما كانت القوى البرية والنهرية التي تحت قيادة هسيه هسيان ، احد جنرالات شن الشرقية ، تعد ٨٠٠٠ رجل فقط . وعندما صف فوشيين قواته على الضفة المقابلة ، طلب منه هسيه هسيا ، مستفيداً من ثقلته الزائدة وغروره الذاتي ، ان يتراجع بقواته بحيث يفسح مجالاً لقوات شن الشرقية كي تجتاز النهر وتخوض معركة حاسمة . ونزل فوشيين عند طلبه . بيد ان التراجع ما كان يمكن ان يتوقف بعدما بدأ . وهكذا شن هسيه هسيه هجوماً على الفور وهزم عدوه .

(٣) نظم الحزب الشيوعي هذه الانتفاضة الشهيرة في الاول من آب ١٩٢٧ في نانشفانغ ، من مقاطعة كيانتسي ، ليكافح الثورة المضادة التي شنّها شيانغ كاي - شيك ووانغ شينغ - وي ، وليكمل ثورة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ . وقد اشتركت في الانتفاضة قوة مسلحة تزيد عن ثلاثين ألفاً بقيادة الرفاق شو ان - لاي وشوتيه وهو لونغ وييه تنغ . وقد انسحب جيش الانتفاضة من نانشفانغ في

كما أن الجيش الأحمر مني بعدة هزائم في انتفاضة الحصاد الخريفي (١) في منطقة تخوم هونان - هوبيه - كيانغسي ، واضطر الى الانتقال الى جبال شينغ كانغ في تخوم هونان - كيانغسي . ولحقت بنا في نيسان اللاحق الوحدات التي اجتازت محنة انتفاضة نانشانغ الفاشلة ، قادمة عن طريق هونان الجنوبية . ومهما يكن من أمر ، فقد توصلنا منذ ايار ١٩٢٨ الى مبدأ أساسي ، بسيط في طبيعته ، فيما يتعلق بحرب الأنصار ، وكان هذا المبدأ يتفق مع الظروف السائدة في ذلك الحين ، وقد صيغ في ست عشرة كلمة هي : « العدو يتقدم ، نحن ننسحب ، العدو يعسكر ، نحن نضايقه ، العدو يتعب ، نحن نهاجمه ، العدو ينسحب ، نحن نطارده . » وقد قبل المركز الحزبي ، قبل سيطرة اتجاه لي لي سان ، هذا المبدأ العسكري المصاغ في ست عشرة كلمة . وفيما بعد ، تطور مبدانا التعبوي خطوة الى الأمام . فعندما سارت الحملة الاولى ضد « التطويق والافناء » في منطقة كيانغسي القاعدية ، طرحنا هذا المبدأ « اجتذاب العدو بعيداً عن قواعده » وطبقناه بنجاح . وحين هزم العدو في حملته الثالثة كان الجيش الأحمر قد صاغ على غير وجه سلسلة كاملة من المبادئ التعبوية . وتلك كانت مرحلة

ب. أب كما كان متفقاً عليه من قبل ، لكنه مني بالهزيمة عند اقترابه من شاوشاو ولواتوو في مقاطعة كوانغ تونغ . وقد شق قسم من هذه القوات فيما بعد ، بقيادة الرفاق شوتيه وشن يي ولين بياو طريقه الى جبال شينغ كانغ وانضم الى الفرقة الاولى من الجيش الاول من جيش العمال والفلاحين الثوري بقيادة الرفيق ماوتسي تونغ .

(٤) انظر الهامش في الصفحة .

(١) في ايلول ١٩٢٧ قامت قوات الشعب المسلحة في سيوشوي وينغ سيانغ وبينغ كيانغ ولويوانغ في تخوم هونان - كيانغسي بانتفاضة الشهيرة بقيادة الرفيق ماوتسي تونغ . ولقد سارت هذه القوات ، المنظمة بوسطها الفرقة الاولى من الجيش الاول من جيش العمال والفلاحين الثوري ، بقيادة الرفيق ماوتسي تونغ الى جبال شينغ كانغ وأنشأت القاعدة الثورية هناك .

جديدة في تطور مبادئنا العسكرية التي اغتنت في مضمونها حتى درجة بعيدة ، وتبدلت في شكلها حتى درجة كبيرة ، وكانت الصفة الاساسية لهذا التبدل انها حطمت اطر صياغتها السابقة التي كانت ذات طابع بدائي . ومع ذلك فقد كانت المبادئ الاساسية مطروحة ، كما كانت الحال من قبل ، في الصيغة الآنفة الذكر المؤلفة من ست عشرة كلمة . وكانت الصيغة تتضمن المبادئ الاساسية للعمليات المضادة في كلتي مرحلتها، مرحلة الدفاع السوقي ومرحلة الهجوم السوقي . وكانت تشمل أيضا في مرحلة الدفاع السوقي مرحلتين هما الانسحاب السوقي والهجوم المضاد السوقي . ولم تكن الاشياء التي اعقبت ذلك سوى تطوير لاحق لهذه المبادئ .

بيد انه اعتباراً من كانون الثاني ١٩٣٢ ، بعد نشر قرار الحزب حول « كسب النصر اولاً في مقاطعة واحدة او عدة مقاطعات بعد سحق حملة العدو الثالثة » ، وهو القرار الذي يحتوي على عدة أخطاء مبدئية ، شرع الانتهازيون « اليساريون » يهاجمون هذه المبادئ الصحيحة حتى جحدوها في النهاية واستعاضوا عنها بسلسلة أخرى من « المبادئ الجديدة » أو « المبادئ النظامية » المزعومة ، التي كانت مناقضة للمبادئ الاولى على طول الخط . وبنتيجة ذلك لم يعد في الامكان اعتبار المبادئ القديمة صحيحة بعد الآن ، فرفضت بوصفها تعبيراً عن « ذهنية الانصار » . وساد جو من المعارضة « لذهنية الانصار » طوال ثلاث سنوات كاملة . وظهرت نزعة المغامرة العسكرية في المرحلة الاولى من هذه الفترة ، كيما تنقلب في المرحلة الثانية الى نزعة المحافظة العسكرية وتبرز أخيراً في المرحلة الثالثة على صورة الانهزامية . ولم يقرر افلاس هذه الخطة المفلوطة والتأكيد مجدداً على صحة الخطة القديمة الا في كانون الثاني ١٩٣٥ ، عندما دعا المركز الحزبي الى اجتماع موسع لمكتبه الحزبي في تسويني ، من مقاطعة كويشوو . لكن لشد ما كلفنا ذلك من ثمن باهظ .

وكان هؤلاء الرفاق الذين يعارضون ذهنية الانتصار بكل غزم يناقشون الأمور كما يلي : انه من الخطأ أن نضلل العدو ونجتذبه بعيداً عن قواعده لأننا سنضطر عندئذ الى التنازل عن قسم كبير من ارضنا . وصحيح اننا حققنا الانتصارات بتطبيق طرائقنا ، لكن الا تختلف الحالة الراهنة اليوم عنها في الماضي ؟ والأكثر من ذلك ، أفليس من الأفضل أن نهزم العدو دون أن نتنازل عن شبر من أرضنا ؟ ثم اليس الأفضل من ذلك أن نهزم العدو في مناطق بالذات ، أو على التخوم بين مناطق ومناطقنا ؟ لقد كانت الأساليب والوسائط القديمة مجردة عن أي « انتظام » ، ولم تكن صالحة سوى لحرب الانتصار . أما الآن فقد أسسنا دولتنا الخاصة وأصبح جيشنا الاحمر قوة نظامية . ولقد اضحى قتالنا ضد شيانغ كاي - شيك حرباً بين دولتين ، بين جيشين كبيرين . وينبغي الا يعيد التاريخ نفسه ، وينبغي أن نستبعد نهائياً ذهنية الانتصار . وان المبادئ الجديدة هي « الماركسية الكاملة » ، في حين أن المبادئ القديمة قد نشأت في قلب فصائل الانتصار في الجبال حيث لا ماركسية البتة . وهكذا فان المبادئ الجديدة تعارض المبادئ القديمة : « اذا كنا واحداً ضد عشرة ، وعشرة ضد مائة ، فلنقاتل بشجاعة وتصميم ، ولنكمل النصر بمطاردة العدو بشدة » ، « يجب أن نهاجم في سائر الجبهات » ، « يجب أن نستولي على المدن الكبرى » ، « لنضرب بكلتي القبضتين » . وان التدابير التي يجب ان نجابه بها هجمات العدو هي : « ايقاب العدو خارج البوابة » ، « البدء بالحركة الاولى في سبيل سحق العدو » ، « لن نسمح للعدو أن يأتي فيحطم عندنا الاحواض والقدور » ، « لن نتنازل عن شبر واحد من الارض » ، « فلنوزع القوى في ستة اتجاهات » ، وان المبادئ الجديدة تقوم في « الاشتباك الحاسم بين الطريق الثوري والطريق الاستعماري » ، وفي الهجمات الخاطفة ، وحرب التحصينات وحرب الافناء ، و « والحرب الطويلة » ، وفي مؤخرة عميقة ، وفي قيادة مركزية مطلقة ، ولقد انتهى هذا

كله ، كما هو معلوم ، بهجرة طويلة نحو مقام جديد . وان كل من يرفض هذه المبادئ يجب ان يعاقب ويعتبر انتهازياً ، الخ ، الخ .

ومما لا ريب فيه ان هذه النظرية وهذه الممارسة مغلوطنان كلياً ، ومردهما الى النزعة الذاتية ، وتظاهر للهستريا الثورية والروح فوق الثورية الخاصة بالبورجوازية الصغيرة في الظروف المواتية . لكنه عندما تسوء الاحوال ، تتحول النزعة الذاتية الى روح اليأس ، وبعدئذ الى روح المحافظة والفرارية . انها نظرية الحمقى والجهال وممارستهم ، وهي خالية من رائحة الماركسية ، بل هي مناهضة للماركسية .

ولسوف نناقش هنا الانسحاب السوقي وحده ، وهو ما كنا ندعوه في كياننسي « اجتذاب العدو بعيداً عن قواعده » وفي سيشوان « تقليص الجبهة » . وفي الماضي لم ينكر أي نظري أو أخصائي عسكري قط ان هذا التدبير ضروري بالنسبة الى جيش ضعيف في المرحلة البدئية من حربه ضد جيش قوي . وان الخبراء العسكريين الاجانب ليعبرون عن ذلك كما يلي : « ينبغي عادة في العمليات الدفاعية السوقية ، أن نتجنب بادئ الامر أية معركة حاسمة غير مواتية ، ولا نسعى اليها الا عندما تكون الظروف مواتية » . وان هذا لصحيح تماماً ، وليس لدينا ما نضيف عليه .

ان الهدف من الانسحاب السوقي هو الحفاظ على القوى والتهيئة للهجوم المضاد . ولا بد من الانسحاب امام هجوم عدو قوي ، والا عرضنا حتماً وجود الجيش نفسه للخطر . ومع ذلك ، فقد كان رفاق كثيرون يعارضون بحزم الانسحاب فيما مضى ، معتبرين اياه « خطة انتهازية دفاعية ضيقة » . ولقد برهنت تجربتنا انهم كانوا خاطئين تماماً .

ولا بد لنا في سياق التحضير للهجوم المضاد ، ان نختار ونحقق مجموعة من الظروف المواتية لنا ، لكن المنافية للعدو ، بحيث نحصل على تبدل في القوة النسبية بين العدو وبيننا ، وعندئذ ننتقل الى مرحلة الهجوم المضاد .

وتشير تجربتنا الماضية الى ان الحالة لا يمكن اعتبارها على العموم مواتية لنا ومنافية للعدو ، بحيث نستطيع ان نتنقل الى الهجوم المضاد ، الا اذا توفر خلال مرحلة الانسحاب شرطان على الاقل من الشروط التالية :

- ١ - المساعدة الفعالة التي يقدمها الشعب الى الجيش الاحمر ،
- ٢ - مراكز مواتية لسير العمليات ،
- ٣ - التمرکز التام لقوى الجيش الاحمر الرئيسية ،
- ٤ - اكتشاف نقاط الضعف عند العدو ،
- ٥ - اجهاد العدو حكماً ومعنوياً على السواء ،
- ٦ - اخطاء جسيمة من جانب العدو ..

ويشكل الشرط الاول اهم الشروط اطلاقاً بالنسبة الى الجيش الاحمر ، وهو يتوفر في اراضي القواعد الثورية وفيما عدا ذلك ، فانه يمكن مع توفر هذا الشرط خلق الشروط الرابع والخامس والسادس أو تحقيقها بسهولة . ولذا فانه عندما يشن العدو هجوماً عاماً ينسحب الجيش الاحمر دائماً من المنطقة البيضاء الى المنطقة القاعدية ، لان الشعب ههنا على أشد ما يكون نشاطاً في تأييده في قتاله ضد الجيش الابيض . ونجد فارقاً حتى داخل القواعد بين اقسامها المركزية واقسامها المحيطة . ان سكان المناطق المركزية اعظم فعالية من سكان المناطق المحيطة فيما يتعلق بمنع تسرب المعلومات ، وبلاستطلاع ، والنقل ، والمشاركة في القتال الخ . وهكذا فاننا في مجابهتنا لحملات « التطويق والافناء » الاولى والثانية والثالثة في كيانغسي ، حددنا « نهاية الانسحاب » في المناطق حيث الاوضاع جيدة او جيدة نسبياً من وجهة نظر الشرط الاول . وان هذه الخاصة التي تتحلّى بها القواعد الثورية قد اادت الى تبدل عظيم في أساليب قتال الجيش الاحمر ، باعتبارها متميزة عن أساليب القتال بصورة عامة ، وكانت في الوقت نفسه السبب الرئيسي الذي جعل العدو فيما بعد يعمد الى سياسة الاستحكامات .

ان من محسنات القتال على خط داخلي ، بالنسبة الى جيش متقهر ، قدرته على اختيار المراكز الملائمة وفرض ارادته على الجيش المهاجم . ولا بد للجيش الضعيف كي يهزم جيشاً قوياً ، ان يدرس بكل اعتناء شروط الميدان . بيد ان هذا الشرط وحده غير كاف ، ويحتاج ان يكمل بشروط اخرى ، وأهمها حالة الشعب ، ومن ثم نقاط الضعف القاتلة عند العدو . ومثال ذلك ان العدو قد يكون منهك القوى او ارتكب أخطاء فاحشة ، او أن احدى فصائله المتقدمة في اتجاه معين ذات قدرة على القتال ضعيفة نسبياً . وحين لا تتوفر هذه الشروط ، فانه يتوجب علينا ان نتخلى عن الارض ، مهما تكن مراكزها ممتازة ، ونستمر في التراجع كيما نؤمن الشروط التي نريدها . ولا تعوزنا المراكز الملائمة في المناطق البيضاء ، لكن تأييد الشعب معدوم هناك . وحين لا تتوفر الشروط الملائمة الاخرى او لا يمكن خلقها ، فليس أمام الجيش الاحمر من سبيل سوى الانسحاب الى القاعدة الثورية . وذلك هو الفارق على العموم ايضاً بين الاقسام المركزية والمحيطية في أية قاعدة ثورية .

وباستثناء القوات المحلية وقوى الارتباط ، يجب ان يكون التمرکز هو المبدأ العام بالنسبة الى سائر القوات الهجومية . وغالباً ما يعثر الجيش الاحمر قواه حين يهاجم عدواً انتقل الى حالة الدفاع السوقي . فاذا ما شن العدو هجوماً في سائر الجبهات ، طبق الجيش الاحمر ما يدعى « الانسحاب نحو المركز » . وتقع نهاية الانسحاب عادة في مركز القاعدة الثورية ، لكن في قسمها الامامي او في مؤخرتها احياناً ، وذلك تبعاً للظروف . وان مثل هذا الانسحاب نحو هذا المركز يمكن سائر القوى الرئيسية للجيش الاحمر من التجمع .

وثمة شرط أساسي آخر يجب ان يتوفر للجيش الضعيف الذي يقاثل جيشاً قوياً ، الا وهو أن يضرب العدو في نقاط ضعفه . لكننا غالباً ما لانعرف عند بدء هجوم العدو اياً من أرتاله المتقدمة هو الاقوى ، وأياً من هذه الارتال

يعقبه في القوة ، وأياً هو الاضعف بينها ، وأياً هو أقل ضعفاً من ذلك ، ولذا لا بد من الاستكشاف . وكثيراً ما تتطلب مثل هذه المعرفة وقتاً طويلاً منا . وهذا هو مبرر آخر للانسحاب السوقي .

وإذا كان العدو المهاجم يفوقنا كثيراً في القوة العددية والقدرة القتالية على السواء ، فإننا لا نستطيع أن نبلغ غايتنا من إحداث تبدل في القوى النسبية إلا عندما نجذب القوة المعادية عميقاً في منطقتنا القاعدية بحيث يتذوق جيداً مرارة الإقامة في هذه المنطقة — كما لاحظ رئيس أركان إحدى فصائل شيانغ كاي — شيك خلال الحملة الثالثة من « التطويق والافناء » : « لقد انهك القوي حتى صار هزيراً ، وانهك الهزيل حتى قضى نحبه » ، أو كما علق على ذلك شن منغ — شو ، القائد الأعلى لجيش التطويق الغربي من جيش « التطويق والافناء » الكيومنتانفي : « في كل مكان يتعثر الجيش الوطني في الظلمات ، بينما يسير الجيش الأحمر في وضوح النهار » . ولسوف يضعف العدو في مثل هذه الظروف حتى درجة بعيدة ، وذلك رغماً عن قوته ، وسوف تنهك قوى جنوده وتنهار معنوياتهم ، فتتكشف بذلك نقاط ضعف قاتلة عديدة . وبالمقابل فإن الجيش الأحمر يحتفظ بقوته ويكدس طاقته ، رغماً عن ضعفه ، منتظراً على مهله العدو المنهك جداً . ويحدث اذن في مثل هذه الظروف أن تبلغ القوة النسبية في الطرفين درجة معينة من التعادل ، أو أن يصبح تفوق العدو المطلق وضعفنا المطلق نسبين ، بل قد يصبح العدو في بعض المناسبات أضعف منا ، فتتفوق نحن عليه . ولقد عمد الجيش الأحمر في قتاله ضد الحملة الثالثة من « التطويق والافناء » في كيانغسي الى التراجع حتى الحد الأقصى (متجمعاً في مؤخرة القاعدة الثورية) ، الأمر الذي ما كان يستطيع من دونه أن يهزم عدواً كانت قوته العددية تتفوق عشرات المرات على قوة الجيش الأحمر العددية . وحين قال صن تسو : « تجنب القتال حين يكون العدو في ملء انطلاقه واضربه حين ينسحب منهوكاً » ، فقد كان

يقصد اعياء العدو معنوياً ومادياً بحيث يحرم من تفوقه .

وان الغاية الاخيرة التي يضمنها الانسحاب هي كشف اخطاء العدو ودفعه الى ارتكاب الجديد من هذه الاخطاء ، ويجب الانسى قط انه يستحيل على القيادة العدو ، مهما تكن حكيمة ، الا ترتكب بعض الاخطاء خلال فترة طويلة نسبياً من الزمن ، وبالتالي فان اماننا على الدوام إمكانية الاستفادة من اخطاء العدو . إن العدو يخطيء ، مثلما نخطيء نحن في بعض الأحيان ، وفي مقدوره ان يستفيد من اخطائنا مثلما نستفيد نحن من اخطائه . والاكثر ان هجومنا المضاد العمومي يبدأ بصورة دائمة على نطاق جزئي ، ولا بد « الحيلة » كما يسميها صن تسو (يعني « أنثير الصخب في المشرق ونضرب في المغرب ») ، أو بكلام آخر ان نقوم بمناورة كاذبة في الشرق ، فيما نشن هجومنا في الغرب) . وإذ نفعل ذلك ، فاننا لا نستطيع ان نحدد نهاية الانسحاب في منطقة معينة ، اذ لا مناص لنا أحياناً ، حين نبلغ المنطقة التي حددناها سلفاً دون أن تسنح لنا فرصة الاستفادة من الصدوع الحادثة في صفوف العدو ، من الانسحاب أكثر فأكثر حتى تسنح لنا تلك الفرصة .

إن الشروط الملزمة التي يجب ان نبحث عنها في سياق التراجع هي على العموم كما وصفناها آنفاً . بيد ان هذا لا يعني وجوب توفر سائر الشروط قبل شن الهجوم المعاكس ، اذ أن الحصول على سائر الشروط في نفس الوقت امر غير ممكن وبالتالي فليس هو الزامياً البتة . بيد أن تأمين بعض هذه الشروط الضرورية ، وفقاً لأوضاع العدو في تلك البرهة المحددة ، امر لا غنى عنه بالنسبة الى قوة ضعيفة تعمل في خطوط داخلية ضد عدو قوي ، وهذه حقيقة لا يصح انكارها .

وان اختيار نقطة انتهاء التراجع يجب أن يتم في ضوء الفهم الدقيق للوضع

برمته . وإنه لمن الخطأ أن نحدد هذه النهاية على أساس أن الوضع المحلي ، الجزئي ، يناسب انتقالنا الى الهجوم المضاد ، دون أن نهتم بما اذا كان الوضع العام لا يجعل انتقالنا الى الهجوم المضاد منافياً في تلك اللحظة . ذلك انه من واجبنا عندئذ أن نأخذ بعين الاعتبار التطورات اللاحقة ، اصف الى ذلك ان هجومنا المضاد العمومي يبدأ بصورة دائمة على نطاق جزئي ، ولا بد أحياناً من تحديد نهاية الانسحاب في مقدمة القاعدة ، مثلما كانت الحال خلال حملتنا الثانية والرابعة ضد « التطويق والافناء » في كيانفسي ، وحملتنا المضادة الثالثة في منطقة تخوم شنسي - كانسو . وفي أحيان أخرى ، يجب أن نحدد هذه النهاية في مركز القاعدة ، مثلما كانت الحال في الحملة المضادة الاولى في كيانفسي ، وفي أحيان أخرى أيضاً في مؤخرة القاعدة ، كما في الحملة المضادة الثالثة في كيانفسي . فالأمر موقوف على العلاقة القائمة بين الوضع الخاص والوضع العام . وفي حملتنا المضادة الخامسة في كيانفسي، حين رفض جيشنا الانسحاب فقد كان يتصرف في الواقع بصورة متهورة خرقاء ، لأنه لم ينعن لا بالوضع الخاص ولا بالوضع العام . إن أي وضع يتألف من مجموعة عوامل ، وإما يأخذ المرء بعين الاعتبار العلاقة بين الجزء والكل ، فمن واجبه أن يتفحص ظروف العدو وظروفنا على السواء كما هي واضحة في الوضع الجزئي وفي الوضع العام معاً ، ويحكم على ما اذا كانت تلك العوامل ملائمة في ذلك الوقت المحدد ، وحتى اية درجة ، من أجل قطاعات : في المقدمة ، في المركز ، في المؤخرة .

وعلى العموم ، فان نهاية الانسحاب ضمن القاعدة يمكن أن تقع في ثلاثة قطاعات : في المقدمة ، في المركز ، في المؤخرة .

هل يعني ذلك أننا نرفض بصورة قاطعة القتال في المناطق البيضاء ؟ كلا اننا نرفض هذا القتال فقط حين نجابه حملات «التطويق والافناء» المعادية الكبرى . إننا نقترح في حالة واحدة فقط ، حين يكون هناك تفاوت

شاسع في القوة بين العدو وبيننا ، أن ننسحب الى منطقتنا القاعدية ونجذب العدو للدخول عميقاً في هذه المنطقة ، وذلك على اساس مبدأ المحافظة على قوتنا في سبيل سحق العدو في اللحظة المناسبة ، إذ أننا لانستطيع سوى بهذه الطريقة ان نخلق او نكشف الشروط الملائمة لهجومنا المضاد . واذا لم يكن الوضع على درجة كبيرة من الخطورة ، او اذا كان خطيراً جداً بحيث لانستطيع الجيش الاحمر ان يبدأ هجومه المضاد حتى في منطقة القاعدة ، او اذا كان الوضع لا يلائم القيام بالهجوم المضاد وكان الاستمرار في التراجع ضرورياً في انتظار تبدل جذري في الوضع العام ، فانه يصبح من الجائز اذن ، نظرياً على الأقل ، تحديد نهاية التراجع في قلب المناطق البيضاء ، وذلك على الرغم من تجربتنا الضئيلة جداً في هذا المضمار في الماضي .

وعلى العموم ، يمكن تقسيم نهاية الانسحاب في منطقة بيضاء الى ثلاثة انواع ايضاً : (١) امام القاعدة ، (٢) على جناح القاعدة ، (٣) خلف القاعدة . وهذا مثال عن الانسحاب امام القاعدة : فقد كان يمكن خلال الحملة المضادة الاولى في كيانفسي ، لو لم يكن ثمة خلاف داخل الجيش الاحمر وشقاق في منظمات الحزب المحلية ، اعني لو لم نضطر الى تسوية القضيتين الخطيرتين لاتجاه لي لي - سان وفريق م . ب . (١) ، ان نركز قوانا في نقطة داخل المثلث المشكل من كيان ونانغ وشانغشو ونشن من هناك هجوماً مضاداً . ذلك ان قوى العدو المتقدمة في ذلك الحين بين نهري كان وفو (٢) ، لم تكن متفوقة جداً على الجيش الاحمر (١٠٠٠٠٠ ضد ٤٠٠٠٠) . وعلى الرغم من أن الاحوال هناك بشأن اوضاع السكان كانت أسوأ منها في اراضيها ، فقد كان شرط الأرض الملائمة متوفراً ، والاكثر من ذلك أنه كان في الامكان

(١) تعبير مختصر « للفريق المناهض للبلشفية » ، وهي منظمة ضد ثورية نظمها الكيومنتانغ للعمل السري داخل الجيش الاحمر .

(٢) يعني في المنطقة الوسطى من اقليم كيانفسي .

سحق ارتال العدو بصورة منعزلة ، لأنها كانت تتقدم على طرق منفصلة .

وهذا مثال عن نهاية الانسحاب على جناح القاعدة : فقد كان يمكن ، خلال الحملة المضادة الثالثة في كيانفي لو لم يكن هجوم العدو على مثل ذلك الاتساع ، ولو أن تشكيل العدو الذي كان يتقدم من كيينينغ وليشوان وتينينغ على تخوم فوكيين - كيانفي كان على قدر من القوة بحيث يصبح هدفاً لهجومنا ، فاننا نستطيع أن نتصور أن الأمور كانت جرت على هذا الفرار : كان يمكن اذن أن يكس الجيش الاحمر قواه في المنطقة البيضاء في غربي فوكيين ويسحق بادىء الامر ذلك التشكيل دون ان يضطر الى القيام بحركة التفاف طولها الف لي عبر جوكيين الى هسينغ كيو .

وهذا مثال عن نهاية الانسحاب خلف القاعدة : فقد كان يمكن خلال الحملة المضادة الثالثة في كيانفي أيضاً ، لو لم تتجه قوى العدو الرئيسية نحو الغرب واتخذت وجهة الجنوب بدلاً من ذلك ، أن يضطر الى التراجع الى اقليم هويشانغ - سونوا - انينان (الذي كان واقعاً في المنطقة البيضاء) بحيث نضل العدو ونجذب به الى الجنوب ، وعندئذ كان في مكنة الجيش الاحمر ان يدور على اعقابه ويضرب من الجنوب شمالاً ، في أعماق القاعدة ، فمن المؤكد أن قوى العدو لن تكون في هذه الاثناء كبيرة جداً في القسم الشمالي من القاعدة .

ان سائر هذه الحالات فرضية ، ونحن لا نملك أية تجربة فعلية عنها ، ولا نستطيع أن نعتبرها الا بوصفها حالات استثنائية بحيث لا نحولها الى مبادئ عامة . فالمبدأ العام بالنسبة اليها هو ان نضل العدو ، حين يشن حملة كبرى « للتطويق والافناء » ، بحيث نجذب به عميقاً في مناطقنا، وأن نتراجع الى القاعدة كي تنابع عملياتنا العسكرية فيها ، لان تلك هي اضمن طريقة لنا كي نسحق هجوم العدو .

وان أولئك الذين ينادون « بايقاف العدو خلف البوابة » يناهضون الانسحاب السوقي على أساس أن الانسحاب يعني فقدان الارض ، وتعريض الشعب للخطر (تحطيم الاحواض والقصور كما يقولون) وخلق انطباع غير ملائم في العالم الخارجي . ولقد احتجوا ، خلال الحملة المضادة الخامسة ، بأن خط استحكامات العدو سيتقدم خطوة الى الامام كلما تراجعنا خطوة الى الوراء ، وان القاعدة سوف تتقلص هكذا يومياً ، واننا لن نجد سبيلا اذن الى تعويض خسائرننا . واذا كان تضليل العدو واجتذابه عميقاً في أرضنا قد افادنا فائدة جمة في الماضي ، فانه عديم الجدوى اليوم في الحملة المضادة الخامسة ، حيث يلجأ العدو الى خطة بناء الاستحكامات . ففي سبيل مقاومة الحملة المضادة الخامسة لن ينفعنا سوى تدابير تقسيم قوانا في سبيل المقاومة المنتشرة والقيام بهجمات خاطفة قصيرة .

وانه لمن السهل أن ندحض مثل هذه الآراء ، وقد دحضها التاريخ على اية حال . اما فيما يتعلق بفقدان الارض ، فكثيراً ما يحدث أن التنازل عنها هو السبيل الوحيد من أجل الاحتفاظ بها . وهذا هو المبدأ القائل : « كي نأخذ يجب أن نعطي قبلاً » . فاذا كان ما نفقده هو الارض وما نكسبه هو النصر على العدو ، بالاضافة الى استرداد الارض ، بل توسيعها ، فتلك تجارة رابحة اذن . ومن الواضح في المعاملات التجارية أن الشاري لا يستطيع الحصول على البضاعة مالم يعط نقوده ، وان البائع لا يستطيع الحصول على النقود مالم يعط بضاعته . ان المصاريف في الحركة الثورية هي اعمال الخراب ، لكن المداخيل هي اعمال التحويل والعمران . وان الوقت ليضيع خلال النوم والراحة، بيد ان المرء يكسب اثناء ذلك قدرة من اجل عمل الفداء . واذا لم يفهم الابله هذه الحقيقة ورفض ان ينام، فلن تبقى له في الفداء طاقة ، وتلك تكون تجارة خاسرة . ولقد قمنا بتجارة خاسرة في حملة العدو الخامسة « للتطويق والافناء » لهذا السبب بالضبط . فلما رفضنا التنازل عن قسم من

الارض فقدنا الارض كلها بنتيجة ذلك . ولقد خسرت الحبشة كل اراضيها بالضبط لانها لم تعرف كيف تحميها بما يكفي من المرونة . ومن الطبيعي أن هذا ليس السبب الوحيد في الكارثة التي منيت بها .

وينطبق الامر نفسه على مسألة الاضرار التي يتعرض لها السكان المدنيون . فاذا لم نشأ أن تتكسر قدور وأحواض قسم من السكان في لحظة معينة ، فإن قدور وأحواض السكان جميعاً سوف تتكسر اذن لفترة طويلة من الزمن . وان الخوف من انطباع سياسي غير ملائم ، لكنه مؤقت ، سوف يجر معه انطباعاً غير ملائم ، لكنه طويل الامد . ولو أن البلاشفة الروس ، بعد ثورة اكتوبر ، قد عملوا بمقترحات الشيوعيين اليساريين ورفضوا أن يوقعوا معاهدة صلح مع الالمانيين ، فقد كانت مجالس السوفييت الحديثة الولادة قد تعرضت اذن لخطر محقق سريع (١) .

ان مثل هذه الآراء الثورية « اليسارية » الزائفة تنشأ عن فوق ثورية المفكرين البورجوازيين الصغار وعن الضيق الفكري وروح المحافظة عند المنتجين الفلاحين الصغار في الوقت نفسه . انهم ينظرون الى القضية بصورة وحيدة الطرف ، عاجزين عن تفهمها في مجموعها ، فيرفضون أن يربطوا مصالح اليوم الراهن بمصالح الغد ، او مصالح الجزء بمصالح الكل ، متعلقين بحزم بالامور الجزئية المؤقتة بحيث لا يفلتونها ابداً . وصحيح أن من واجبا أن نتعلق بعناد بتلك الاجزاء التي هي ، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الظروف الحسية ، ذات أهمية بالنسبة الى الوضع برمته في ذلك الوقت المحدد ،

(١) 'نظر : ف.١. لينين : « المؤلفات المختارة » . الطبعة الانكليزية ، موسكو ، ١٩٤٧ ، المجلد الثاني : « نظرات في مسألة عقد صلح مباشرة ، منفصل واتباعي » ، « امر غريب وشيطاني » ، « درس خطير ومسؤولية خطيرة » ، « تقرير عن الحرب والسلام » . وانظر أيضاً « تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي » الفصل السابع ، القسم السابع .

و ذات أهمية في الوقت نفسه بالنسبة الى المرحلة كلها ، وعلى الاخص كل عنصر جزئي ومؤقت ، لكنه ذو أهمية حاسمة ، والا أصبحنا من أنصار العفوية . وهذا هو السبب على وجه الدقة في وجوب تحديد نهاية الانسحاب . بيد ان من واجبنا الا نعتمد في حال من الاحوال على قصر نظر المنتج الصغير ، بل ينبغي لنا ان نتعلم حكمة البلاشفة . وحين يكون بصرنا المجرد قاصراً ، فعلينا ان نلجأ الى المرصد او المجهر . وان طريقة الماركسية هي مرصد ومجهر في القضايا السياسية والعسكرية .

ومن المؤكد ان ثمة صعوبات في كل انسحاب سوقي . فتحديد زمن البدء فيه ، واختيار نهاية له ، واقناع الملاكات والشعب سياسياً ، هذه جميعاً قضايا صعبة بكل تأكيد ، لكنه من الضروري حلها .

وان قضية تحديد زمن بدء الانسحاب لذات أهمية خطيرة . ولو ان انسحابنا في الحملة الاولى المضادة « للتطويق والافناء » في كيانفسي لم يتم في الوقت المناسب ، يعني لو أنه تأخر ، فقد كان بصرنا ، على أقل تقدير ، يتأثر في مداه . ومن المؤكد أن الانسحاب المبكر والانسحاب المتأخريؤديان على السواء الى تكبد الخسائر ، لكن الانسحاب المتأخر ، على العموم ، يسبب ضرراً أفدح من الانسحاب المبكر . اما الانسحاب الذي يتم في حينه فانه يجعلنا نملك زمام مبادرتنا ، ويساعد حتى درجة بعيدة في انتقالنا الى الهجوم المضاد حين نبلغ نهاية الانسحاب ، ونعيد تجميع قوانا ، وننتظر على مهلتنا العدو المنهك القوي جداً . ولقد تمكنا عندما سحقنا حملات العدو الاولى والثانية والرابعة « للتطويق والافناء » في كيانفسي ، ان نجابه العدو باتزان وثبات . اما الحملة الثالثة فاننا لم نكن ننتظر من العدو ، وقد مني بمثل تلك الهزيمة النكراء في الحملة الثانية ، ان يفتح هجومه الجديد بمثل تلك السرعة . لقد انهينا حملتنا المضادة الثانية في ٢٩ ايار ١٩٣١ وبدا شيانغ كاي - شيك حملته الثالثة في الاول من تموز ، وهكذا كان الجيش الاحمر ، الذي تجمع بعد القيام بحركات

التفاف سريعة ، متعباً جداً . ان تحديد بدء الانسحاب امر يرتبط كلياً بتجميعنا المعلومات الضرورية واتخاذنا القرارات على ضوء الوضع العام القائم بين العدو وبيننا ، مثل ذلك مثل تحديد زمن البدء بالمرحلة التحضيرية للهجوم المضاد الذي تحدثنا عنه سابقاً .

وان اقناع الملاكات والشعب بضرورة الانسحاب السوقي مهمة صعبة جداً عندما تعوزهم تجربة مثل هذا الانسحاب ، وعندما تكون قيادة الجيش ، وقد عهدت بالضرورة بأمر تقرير الانسحاب السوقي الى عدد قليل من الناس أو الى شخص واحد أيضاً ، غير مالكة بعد لقدر كبير من السلطان بحيث تتمتع بثقة الملاكات . ولقد لاقينا بسبب نقص تجربة الملاكات وانعدام ايمانهم بالانسحاب السوقي صعوبات كبرى في هذا المجال في بدء الحملتين المضادتين الاولى والرابعة وطوال الحملة المضادة الخامسة برمتها . فقد كانت الملاكات ، في الحملة المضادة الاولى ، متأثرة باتجاه لي لي - سان ، في جانب الهجوم حتى استطعنا أخيراً اقناعها بضرورة التراجع . وفي الحملة المضادة الرابعة عارضت الملاكات ، بتأثير روح المفامرة العسكرية ، في اتخاذ الترتيبات الواجبة من اجل الانسحاب . وفي الحملة المضادة الخامسة ظلت الملاكات بادىء الامر مخلصه لفاهيم روح المفامرة العسكرية، فعارضت محاولات تضليل العدو واجتذابه عميقاً في اراضينا بعيداً عن قواعده ، الامر الذي تطور فيما بعد الى روح المحافظة العسكرية . وان مثالا حسيّاً عن ذلك هو ان اتجاه شانغ كيو - تاو لم يعترف باستحالة اقامة قواعدنا في المناطق التيبية والاسلامية (١) حتى اسطدم بجدار لا يمكن تجاوزه . ان التجربة ضرورية للملاكات ، والاختفاق هو في الحقيقة أبو النجاح . بيد انه يتوجب على المرء أن يتعلم أيضاً بنية صافية ويستفيد من تجارب الآخرين ، اما الاصرار على خوض التجربة الذاتية

(١) التيبتيون في سيكانغ والمسلمون في شينغهاي وكانسو وسينكيانغ .

في كل شيء والتعلق العنيد بالأراء الشخصية مع رفض تجربة الآخرين فهو من قبيل « التجربة الضيقة » المحضة . ولقد تكبدنا أضراراً جسيمة من جراء ذلك في سياق الحرب التي نخوضها .

ولقد كان عدم ايمان الشعب بضرورة الانسحاب السوقي ، وهو عدم ايمان مسبب عن نقص في التجربة ، على أوضح ما يكون في الحملة المضادة الاولى في كيانسي . ولقد كانت سائر المنظمات الحزبية المحلية وجماهير الشعب في اقاليم كيان ، وهسينغ كيو ، ويونغ فنج ، معارضة لانسحاب الجيش الاحمر في ذلك الحين ، لكنهم بعدما اكتسبوا التجربة اللازمة في النضال الذي خاضوه في تلك الحملة المضادة ، فان مثل تلك القضية لم تثر مطلقاً في سياق الحملات المضادة اللاحقة . لقد اقتنع الجميع أن فقدان المنطقة القاعدية وآلام الشعب أمران مؤقتان ، وآمنوا جميعاً بقدرة الجيش الاحمر على سحق حملات « التطويق والافناء » . ومهما يكن من أمر ، فان ايمان الشعب مرتبط بصورة صميمة بايمان الملاكات ، وبالتالي فان المهمة الرئيسية والاولية هي اقناع الملاكات .

ان الهدف الوحيد من الانسحاب السوقي هو التحول الى الهجوم المضاد ، والانسحاب السوقي يشكل مجرد المرحلة الاولى من الدفاع السوقي . وان الحلقة الحاسمة في كل السوقية هي معرفة ما اذا كان في الامكان كسب النصر في المرحلة التالية ، مرحلة الهجوم المضاد .

٤ - الهجوم المضاد السوقي

اننا نعلم ، كما نهزم هجوماً معادياً يتمتع بالتفوق المطلق علينا ، على الاوضاع الجديدة المنبثقة في مرحلة الانسحاب السوقي ، هذه الاوضاع الملائمة لنا ، لكن غير الملائمة للعدو ، والتي تبدلت منذ بدء الهجوم المعادي ،

والتي تنشأ عن عوامل مختلفة . ولقد أشرنا الى ذلك أعلاه .

وعلى أية حال ، فان وجود وضع وشروط ملائمة لنا وغير ملائمة للعدو لا يعني سلفاً هزيمة العدو . ان مثل هذه الشروط ومثل ذلك الوضع لا تشمل سوى على امكانيات انتصارنا أو امكانيات هزيمة العدو ، لكنها لا تشكل بعد النصر أو الهزيمة ، كما أن النصر أو الهزيمة لم يصبحا بعد واقعاً قائماً بالنسبة الى أي من الطرفين المتنازعين . فكيما تتحول امكانية النصر أو الهزيمة الى واقع قائم لا بد للطرفين المتنازعين من خوض غمار اشتباك حاسم هو وحده الذي يقرر من سينتصر ومن سيمنى بالهزيمة . وتلك هي القضية الوحيدة في مرحلة الهجوم المضاد السوقي . ان الهجوم المضاد هو عملية طويلة ، العملية الأكثر دراماتيكية والأكثر حيوية ، كما أنها المرحلة الختامية من الحملة الدفاعية . وان ما يسمى دفاعاً فاعلاً يعني في الدرجة الاولى هجوماً مضاداً سوقياً له طبيعة الاشتباك الحاسم .

ولا تنشأ هذه الشروط وذلك الوضع في سياق مرحلة الانسحاب السوقي فحسب بل هي تثابر على النشوء في مرحلة الهجوم المضاد أيضاً ، لكنها لا تحافظ تماماً في هذه المرحلة الأخيرة على شكلها وطابعها في المرحلة السابقة .

وهناك أشياء عديدة يمكن أن تبقى على حالها شكلاً وطابعاً : مثلاً اعياء قوات العدو المتزايد والخسائر المتصلة في عددها . وليس هذا أكثر من استمرار للاعياء والنقص الحادثين في المرحلة السابقة .

بيد أن شروطاً مستحدثة كلياً ووضعاً جديداً كلياً سوف تنشأ بصورة محتومة . ومثال ذلك أن الشروط الملائمة لنا وغير الملائمة للعدو ، بعدما يمنى العدو بهزيمة واحدة أو هزائم متعددة ، لن تكون مجرد اعياء للعدو ، الخ . بل سيضاف إليها الشرط الجديد الذي هو الهزائم التي الحققت به . وان تبدلات

جديدة ستطرا على الوضع ايضاً : فسير الجيش المعادي سيضطرب ، وأفعاله ستصبح خبط عشواء ، كما ان القوى النسبية بين الجيشين سوف تتبدل عما كانت عليه قبلاً .

لكنه اذا لم يكن العدو بل نحن الذين منينا بهزيمة واحدة أو هزائم متعددة ، فان الشروط والوضع سوف تنقلب في الاتجاه المضاد اذن . وهذا يعني أن مساوئ العدو سوف تنقص ، بينما تروح مساوئنا تظل برأسها أو تتضاعف ايضاً . وتلك ظاهرة مختلفة تماماً عن الظاهرة السابقة .

وان الطرف المهزوم ، كائناً من كان ، لا بد له على الفور أن يبذل جهداً جديداً يستهدف انقاذ وضعه المتدهور ، واخراج نفسه من الشروط والوضع الناشئة حديثاً وغير الملائمة له ، لكن الملائمة لخصمه ، واعادة خلق الشروط والوضع الملائمة له وغير الملائمة لخصمه بحيث يستطيع أن يمارس ضغطه على هذا الاخير .

ولسوف تكون الجهود التي يبذلها الطرف المنتصر على النقيض من ذلك تماماً : انه سيسعى الى توسيع انتصاره وانزال خسائر أفدح في العدو ، والى تطوير الشروط والوضع الملائم له ، ومنع الخصم من تحقيق هدفه في اخراج نفسه من غير الوضع الملائم وتفادي الكارثة .

وهكذا فان الصراع في مرحلة الاشتباك الحاسم هو ، بالنسبة الى كلي الطرفين ، أكثر فترات القتال شدة ، وتعقيداً ، وتقلباً ، وصعوبة ، ومحنة . أما بالنسبة الى القائد فهو العقدة الاشد قسوة طوال فترة الحرب أو الحملة . وثمة قضايا عديدة مرتبطة بالهجوم المضاد ، وعلى الاخص قضية تحديد زمن البدء بالهجوم المضاد ، ومركزة القوات ، والحرب المتحركة ، والحرب الخاطفة ، وحرب الافناء .

وسواء أكنّا حيال هجوم مضاد أم هجوم عادي ، فإن مبادئ حل هذه القضايا هي نفسها بصورة أساسية . وبهذا المعنى نستطيع القول ان الهجوم المضاد ما هو سوى الهجوم العادي .

ومع ذلك فإننا لسنا حيال نفس الشيء تماماً . ان مبادئ الهجوم المضاد تطبق حين يكون العدو في حالة الهجوم ، كما أن مبادئ الهجوم تطبق حين يكون العدو في حالة الدفاع . وبالتالي فثمة فوارق بهذا المعنى بين كليهما .

ولهذا السبب، فعلى الرغم من أنني درست قضايا عديدة تتعلق بالعمليات الحربية في مناقشة الهجوم المضاد تحت مقولة الدفاع السوقي ، فيما قضايا أخرى لم تناقش ، تجنباً للتكرار ، إلا تحت مقولة الهجوم السوقي ، فإنه يتوجب علينا مع ذلك لدن تطبيقها إلا نفرض النظر عن أي من وجوه الشبه أو الخلاف بينها .

هـ - قضايا بدء الهجوم المضاد

ان قضايا بدء الهجوم المضاد هي قضايا ما يدعى « المعركة الاولى » أو « الاستهلال » .

وينصح الكثيرون من الخبراء العسكريين البورجوازيين بالحذر في المعركة الاولى ، سواء أكان ذلك في الدفاع السوقي أم في الهجوم السوقي ، لكن في الدفاع بصورة أخص . ولقد طرحنا هذه المشكلة أيضاً بصورة جدية في الماضي . وان الحملات المضادة لحملات « التطويق والافناء » العدو في كيانهم ، من الاولى حتى الخامسة ، قد وفرت لنا تجربة غزيرة لن تكون دراستها دون فائدة .

كان العدو في الحملة الاولى ، وهو يعد حوالي مائة رجل منتشرين في كان العدو في الحملة الاولى ، وهو يعد حوالي مائة ألف رجل منتشرين في ثمانية أرتال ، يتقدم جنوباً على قاعدة الجيش الاحمر على طول الخط بين

كيان وكيينينغ . وكان الجيش الاحمر يعد آنذاك أربعين ألفاً ، وكان متمركزاً في مقاطعة هوانغ بي وسيابو في نيفتو ، من كيانغسي .

وكان الوضع في ذلك الحين كما يلي :

١ - كانت قوى «الافناء» العدو لا تعد أكثر من مائة ألف رجل ، وليست هي من قوات شيانغ كاي - شيك الشخصية بحيث لم يكن الوضع العام على درجة كبيرة من الخطورة مطلقاً .

٢ - كانت الفرقة العدو التي يقودها لو لن تدافع عن كيان، وهي تتمركز على الضفة الغربية من نهر كيان فقط .

٣ - كانت الفرق العدو الثلاث بقيادة كونغ بينغ - فان وشانغ هوي - تسان وتان تاو - يوان تحتل منطقة فوتين - تونغكو - لونغ كانغ - يوان تاو، الى الجنوب الشرقي من كيان والى الشمال الغربي من نيفتو . وكانت القوى الرئيسية من فرقة شانغ معسكرة في لونغ كانغ والقوى الرئيسية من فرقة تان في يوان تاو . ولم يكن من الحكمة فتح ميدان معركة في فوتين وتونغكو حيث السكان ، وقد ضلّهم فريق م.ب. ، لا يثقون بعد بالجيش الاحمر ، بل يتصرفون بصورة سلبية حياله .

٤ - كانت الفرقة العدو بقيادة ليو هو - تينغ بعيدة جداً في كيينينغ في منطقة فوكين البيضاء ، ولم يكن من المتوقع أن تهجم على كيانغسي .

٥ - كانت الفرقتان العدوتان بقيادة ماو بينغ - ون وهسوكي - هسيانغ تقدمان في قطاع تاوبي - لوكو - تونغ شاو بين كوانغ شانغ ونيفتو . وكانت تاوبي واقعة في منطقة بيضاء ، ولوكو في منطقة للانصار ، وكانت تونغ شاو ، حيث يوجد فريق م.ب. ، تشكل منفذاً يمكن للمعلومات أن تتسرب منه بسهولة . وفيما عدا ذلك ، فلو أننا اتجهنا غرباً بعدما هزم ماو بينغ - ون وهسوكي - هسيانغ ، فقد كانت الفرق العدو بقيادة شانغ هوي - تسان

وتان تاو - يوان وكونغ بينغ - فان تتلاقى ، بحيث يصعب قهرها علينا ، وبالتالي انتهاء الحملة بصورة حاسمة .

٦ - كانت فرقنا شانغ هوي - تسان وتان تاو - يوان ، اللتان تشكلان القوى الرئيسية في جيش « التطويق والافناء » ، القوات الخاصة بلوتي - بينغ ، القائد الاعلى للحملة ورئيس الحكومة الاقليمية في كيانغسي ، وكان شانغ هوي - تسان في الوقت نفسه قائد العمليات في تلك الجبهة . وكانت اباداة هاتين الفرقتين تعني هزيمة حملة « التطويق والافناء » عملياً . وكانت كل من الفرقتين تعد اربعة عشر الف رجل ، وفضلا عن ذلك كانت فرقة شانغ هوي - تسان متمركزة في موضعين ، بحيث كنا نملك التفوق المطلق لو اننا هاجمنا كلا من الفرقتين على حدة .

٧ - كان قطاع لونغ كانغ - يوان تاو ، حيث تعسكر القوى الرئيسية من فرقتي شانغ وتان ، قريباً من المكان حيث تركز قواتنا . وفيما عدا ذلك ، فقد كانت الشروط ملائمة هنا بسبب تأييد السكان لنا ، وكان يمكن أن يحموا تقدمنا .

٨ - كانت مراكزنا ممتازة في لونغ كانغ ، ولم يكن من اليسير مهاجمة بوانتوو . لكنه اذا ما تقدم العدو الى سيابوو كي يهاجمنا ، فقد كانت مراكزنا ممتازة في هذا المكان أيضاً .

٩ - كان في مكنتنا أن نجتمع اكبر عدد ممكن من القوات في لونغ كانغ ، وكان لدينا في هسينغ كيوو ، على بعد بضعة عشرات لي الى الجنوب الغربي من لونغ كانغ ، فصيل مستقل يزيد تعداده عن الف رجل ، وفي قدرته أن يناور في مؤخرة العدو .

١٠ - اذا استطاعت قواتنا فك الحصار وخلق ثغرة في جبهة العدو ، فان ارتاله في الشرق والغرب ستنفصل اذن الى مجموعتين منعزلتين متباعدتين .

ولقد قررنا ، للأسباب المذكورة أعلاه ، أن نخوض معركتنا الأولى في ذلك المكان - ولقد أصبنا في الحقيقة - ضد القوة الرئيسية التي يقودها شانغ هوي - تسان ، ضد لوائيه وفرقة أركان حربه ، وأسرنا قوته الكاملة البالغة تسعة آلاف رجل ، بما فيها قائد الفرقة نفسه ، من دون أن يفلت رجل واحد أو حصان واحد . ولقد أربع هذا الانتصار في اشتباك واحد فرقتي تان وهسو حتى درجة بعيدة بحيث ولتا الأدبار ، فرقة تان نحو تونغ شاو وفرقة هسو نحو تويبي . وعندئذ طارد جيشنا فرقة تان وأباد نصفها . ولقد خضنا شمار معركتين في خمسة أيام (من ٢٧ كانون أول ١٩٣٠ حتى الأول من كانون الثاني ١٩٣١) ، فاذا القوى المعادية في فوتيين ، وتونغكو ، وتويبي تفر في فوضى شاملة ، خوفاً من الهزيمة . وهكذا انتهت الحملة الأولى .

وكان الوضع في حملة « التطويق والافناء » الثانية كما يلي :

١ - كانت قوى العدو المستخدمة في الحملة تعد مائتي ألف رجل ، وقائدها الأعلى هو ينغ - شين ، وأركان حربه في نان شانغ .

٢ - كانت تشترك في هذه الحملة ، كما كانت الحال في الحملة الأولى ، وحدات من غير قوات شيانغ كاي - شيك الشخصية . وكان الجيش التاسع عشر بقيادة تساي تينغ - كاي والجيش السادس والعشرون بقيادة صن لين - شونغ ، والجيش الثامن بقيادة شو شاو - هانغ ، كانت هذه الجيوش قوية جداً أو قوية نسبياً ، بينما كانت سائر القوى الأخرى ضعيفة .

٣ - كان فريق م . ب . قد صفى تماماً ، وكان جميع السكان في القاعدة يؤيدون الجيش الأحمر .

٤ - كان جيش الطريق الخامس بقيادة وانغ شن - يو ، القادم حديثاً من الشمال ، فريسة للقلق . وتلك كانت على العموم حالة الفرقتين اللتين تشكلان جناحه الأيسر بقيادة كيو هيو - تسونغ وهو منغ - لين .

٥ - اذا هاجمت قواتنا فوتيين اولاً ثم زحفت نحو الشرق ، فقد كنا نستطيع أن نوسع القاعدة في قطاع كيينينغ - ليشوان - تينينغ في تخوم فوكيين - كيانشي ونكدس المأون في سبيل سحق حملة « التطويق والافناء » التالية . اما اذا وجهنا ضربتنا غرباً بدلاً من ذلك ، فقد كنا نصطدم اذن بنهر كان ، حيث لا يبقى لنا مجال للتوسع بعد انتهاء المعركة . أما ان نستدير شرقاً من جديد بعد انتهاء المعركة ، فلن يؤدي ذلك الا الى ارهاق الجيش واضاعة الوقت .

٦ - على الرغم من ان قوة جيشنا العديدة نقصت عما كانت عليه في الحملة الاولى (حوالي ثلاثين الف رجل) ، فقد استراح جنودنا مدة أربعة شهور تمكنوا خلالها من استرداد قواهم وتجديد طاقتهم .

ولهذه الاسباب قررنا ان نخوض معركتنا الاولى في قطاع فوتيين ضد وحدات وانغ شين - يو وكونغ بينغ - فان (ومجموعها احدى عشرة كتيبة) . وبعدما احرزنا النصر ، هاجمنا تبعاً وحدات كيو هيوا - تسونغ ، وصن لين - شونغ ، وشو شاو - ليانغ ، وليو هو - تينغ . ولقد قطعنا مشياً على الاقدام ، خلال خمسة عشر يوماً (من ١٦ أيار حتى ٣٠ أيار ١٩٣٠) مسافة تبلغ سبعمائة لي ، وخضنا غمار خمس معارك ، واستولينا على أكثر من عشرين الف بندقية ، وسحقنا حملة « التطويق والافناء » بحمية ولذة عظيمتين . وحين قاتلنا وانغ شين - يو ، كانت مراكزنا تقع بين تساي - تينغ - كاي وكيو - هيوا - تسونغ ، على بعد حوالي عشرة لي من كيو وأربعين لي من تساي ، بحيث قال البعض اننا نركض الى دمار محتوم ، لاننا نحاول « التغفل بين قرني الثور » ، لكننا انتصرنا مع ذلك . ويُفسر ذلك من جهة واحدة بكوننا قاتلنا في أراضي قاعدتنا ، ومن جهة ثانية بالخلاف الواقع بين وحدات العدو . وبعد هزيمة فرقة كيو ولت فرقة هو الادبار على وجه السرعة الى يونغ فنغ ليلا ، وبذلك افلتت من الهزيمة .

وكان الوضع في حملة « التطويق والافناء » الثالثة كما يلي :

١ - أخذ شيانغ كاي - شيك على نفسه مهمة القيادة العليا مع ثلاثة قادة أخذ كل منهم على نفسه مسؤولية إحدى الطرق - اليسرى واليمنى والوسطى . وكانت الطريق الوسطى بقيادة هوينغ - شين الذي اتخذ مقر قيادته العامة ، مثل شيانغ ، في نانشانغ ، والطريق اليمنى بقيادة شن مينغ - شو الذي اتخذ مقر قيادته في كيان ، والطريق اليسرى بقيادة شوشاو - ليانغ الذي اتخذ مقر قيادته في نانفنج .

٢ - كانت قوى العدو المستخدمة في الحملة تعد ٣٠٠.٠٠٠ رجل ، وكانت القوى الرئيسية هي قوات شيانغ الشخصية ، التي كانت تتشكل من خمس فرق تعد كل منها تسع كتائب ، ومجموعها حوالي مائة ألف رجل ، يقودها بالترتيب شن شينغ ، ولوشو - رينغ ، وشاو كوان - تاو ، ووي لي - هوانغ ، وشيانغ تينغ - ون . وكانت تشترك في الحملة أيضاً الفرق الثلاث التي تعد أربعين ألف رجل بقيادة شيانغ كونغ - ناي ، وتساي تينغ - كاي وهان تي - شين . ويضاف إليها جيش صن لين - شونغ الذي يعد عشرين ألف رجل . أما بقية القوى ، وهي ضعيفة بالمقارنة ، فلم تكن من قوات شيانغ الشخصية .

٣ - كانت سوقية العدو في هذه الحملة « الاندفاع قدماً » في أرضنا - وهي سوقية تختلف كثيراً عن سوقية « توطيد كل خطوة » المتبعة في الحملة الثانية . وكانت الخطة الجديدة تستهدف حصر الجيش الأحمر عند نهر كان وإبادته هناك .

٤ - كان الفاصل بين نهاية الحملة الثانية وبدء الحملة الثالثة شهر واحد . ولم يكن الجيش الأحمر (وهو يعد الآونة حوالي ثلاثين ألف رجل) قد استراح أو تلقى الامدادات بعد ذلك القتال المرير ، وبالإضافة الى ذلك ، فقد قام

بحركة التفاف تبلغ الف لي كي يتجمع في هينغ كيو في القسم الغربي من المنطقة القاعدية في جنوبي كيانغسي ، فاذا هو يفاجأ بالعدو يتقدم عليه باستقامة في ارتال عديدة .

وكانت الخطة الاولى التي لجأنا اليها في مثل هذا الوضع هي اختراق خطوط العدو في فوتيين عن طريق هسينغ كيو ووانان ، ثم الزحف من الغرب الى الشرق لقطع خطوط تموين العدو ، وبذلك تحويل تغفلل قواته الرئيسية عميقاً في منطقتنا القاعدية في جنوبي كيانغسي الى عمل مجنون وتلك كانت المرحلة الاولى من عملياتنا . وحين ينسحب العدو متراجعاً شمالاً ، فسوف يكون على غاية الاعياء ، فتسنى لنا الفرص للضرب في نقاط ضعفه القاتلة وتلك كانت المرحلة الثانية من عملياتنا .

وكان الامر الرئيسي في هذه الخطة هو تجنب قوى العدو الرئيسية والضرب في مراكزه الضعيفة . لكن العدو اكتشف أمرنا حين كانت قواتنا تتقدم نحو فوتيين ، فنزلت الى الميدان على وجه السرعة الفرق التي يقودها شن - شينغ ولو شو - بينغ ، بحيث اضطررنا الى تغيير خطتنا والرجوع الى الارض المنبسطة في اوسينغ (في القسم الغربي من هينغ كيو) التي كانت هي وضواحيها البالغة عدة عشرات من الاميال المربعة المكان الوحيد الذي بقي لنا كي نتجمع فيه . وعندما تجمعنا ههنا وقضينا يوماً واحداً ، قررنا ان نسرع شرقاً في اتجاه لينتائغ (القسم الشرقي من هسينغ كيو ، وليانغ تسون) (في القسم الجنوبي من يونغ فن) وهوانغبي (في القسم الشمالي من نينغفو) . ومررنا في اليوم الاول تحت جناح الظلام عبر الثغرة البالغة أربعين لي والواقعة بين فرقة شيانغ تينغ - ون وقوات شيانغ كوانغ - ناي وتساي تينغ - كان دهان تي - شين ، ثم انعطفنا نحو لينتائغ . وفي اليوم التالي اشتبكت دورياتنا مع القوى التي يقودها شانغكوان يون - هسيانغ (الذي كان يأمر فرقته الخاصة وفرقة هومينغ - لينغ) ودارت رحى المعركة الاولى في اليوم الثالث

مع فرقة شانغكوآن ، والمركة الثانية في اليوم الرابع مع فرقة هو ، وبلغنا بعد مسير ثلاثة ايام هوانغ بيبي وخضنا المركة الثالثة مع فرقة ماو بيكنغ - ون . ولقد كسبنا المارك الثالث جميعاً واستولينا على اكثر من عشرة آلاف بندقية .

وعندئذ حولت سائر قوى العدو الرئيسية التي كانت تتقدم غرباً وجنوباً اتجاهها نحو الشرق ، مركزة ابصارها على هوانغ بيبي ، وراحت تحت الخطا بسرعة جنونية كي تفرض علينا المركة ، وهبطت علينا في حصار واسع كثيف . وعندئذ زحفنا مبتعدين عنها فوق جبل كبير في الشرق من خلال الثغرة البالغة عشرين لي والواقعة بين قوى شيانغ كوانغ - ناي وتساي تينغ - كاي وهان تي - شين من جهة وقوى شن - شينغ ولوشو - يينغ من جهة اخرى . وتجمعنا في اطراف هسينغ كيو في الغرب . وحين اكتشف العدو مناورتنا وشرع يتقدم غرباً ، وكانت قواتنا قد نالت راحت اسبوعين ، فيما كانت قوى العدو الجائعة ، المتعبة ، المنهارة معنوياً ، قد وهنت وعزمت على التقهقر . ولقد اكتسبنا فرصة تقهقرها فهاجمنا قوى شيانغ كوانغ - ناي وتساي تينغ - كاي وشيانغ تينغ - ون وفرقة هان - شين بكاملها . أما اشتباكنا مع الفرقتين اللتين يقودهما شيانغ كوانغ - ناي وتساي تينغ - كاي فقد كان عنيفاً جداً ، ولذا فضلنا ان ندعهما وشأنهما .

وكان الوضع في حملة « التطويق والافناء » الرابعة كما يلي : كانت قوى العدو تتقدم في ثلاثة ارنال على كوانغ شانغ ، وكانت القوة الرئيسية متمركزة في الشرق ، بينما كانت الفرقتان اللتان تشكلان طرف الكماشة الغربي مكشوفتين لنا وقريبتين جداً من نقطة تمرکزنا . وهكذا سنحت لنا الفرصة لمهاجمة الطرف الغربي أولاً في القسم الجنوبي من ييهوانغ ، وأبدنا بضربة واحدة الفرقتين اللتين يقودهما لي مينغ وشن - شيه - شي . ولما ارسل العدو على وجه السرعة فرقتين من طرفه الشرقي للتعاون مع الطرف الاوسط والقيام

بتقدم جديد ، فقد سنحت لنا الفرصة مرة ثانية لآبادة فرقة أخرى من قواته في القسم الجنوبي من ييهوانغ . ولقد استولينا في المعركتين على أكثر من عشرة آلاف بندقية ، وبذلك تحطمت حملة « التطويق والافناء » بصورة أساسية .

وفي حملة « التطويق والافناء » الخامسة تقدم العدو بسوقية جديدة هي بناء الاستحكامات ، واحتل ليشوان أولا . وعلى أية حال فقد عمدنا ، أملا في استرداد تلك المدينة وإيقاف العدو خلف حدود القاعدة ، الى مهاجمة سياتوسيه التي كانت نقطة حصينة للعدو في المنطقة البيضاء شمالي ليشوان . وأما ردنا في هذا الهجوم على أعقابنا ، فقد حولنا هجومنا على تريكيشياو وهي كذلك نقطة حصينة للعدو في المنطقة البيضاء جنوبي شرقي سياتوسيه ، لكننا لم نتقدم هذه المرة أيضاً قيد أنملة . وعندئذ حاولنا العمل بين قوى العدو الرئيسية واستحكاماته ، ساعين الى القتال ، بحيث فقدنا المبادرة كلها . ولم نستطع طوال الحملة المضادة الخامسة التي استمرت سنة كاملة ان نظهر ادنى مبادرة او قوة حركية . واخيراً لم يبق أمامنا من سبيل سوى الانسحاب من منطقتنا القاعدية في كيافنسي .

ولقد اثبتت التجارب التي اكتسبتها قواتنا في الحملات المذكورة أعلاه ضد « التطويق والافناء » ، من الحملة الاولى حتى الخامسة ، ان المعركة الاولى في الهجوم المضاد تتمتع بأهمية بالغة الحيوية بالنسبة الى الجيش الاحمر الذي يتخذ موقف الدفاع ، وذلك في محاولته لسحق قوى « الافناء » العدو ، الكبيرة والقوية . وان نجاح تلك المعركة الاولى او فشلها ذو تأثير هائل في الوضع بكامله ، بل يؤثر حتى في الاشتباك النهائي . ويمكننا ان نخلص من ذلك الى النتائج التالية :

اولا ، يجب كسب النصر في المعركة الاولى بأي ثمن . ينبغي ألا نضرب الا عندما نتأكد بيقين تام أن وضع العدو ، وطبيعة الارض ، والسكان ، والشروط الاخرى ، هي جميعاً ملائمة لنا وغير ملائمة للعدو . واذا لم يكن الامر كذلك ، فان من واجبنا ان نراجع اذن وننتظر الفرصة المواتية التي تسنح

لنا بكل تأكيد ، وينبغي الانقبال المعركة قط دون ترو .
ولقد كانت فكرتنا الاولى في الحملة المضادة الاولى ان نضرب قوات تان
تاو - يوان ، بيد أن قواتنا تقدمت مرتين ، واضطرت في المرتين أن تتراجع ،
وذلك لمجرد كون القوى العدو لم تغادر قط مراكزها المشرفة الحصينة في
يوانتاو . ولم تمض أيام قليلة حتى تقدمت الينا فرقة شانغ هوي - تسان
التي كان ضربها يسيراً علينا .

وفي الحملة المضادة الثانية تقدمت قواتنا الى تونغكو حيث عسكرنا قريباً
من العدو خمسة وعشرين يوماً ، وغايتنا الوحيدة من ذلك انتظار القوات
التي يقودها وانغ شين - يو حتى تغادر مراكزها القوية في فوتين ، معرضين
انفسنا عن طيب خاطر لخطر تسرب المعلومات ، رافضين كل الاقتراحات
التي يملها نفاذ الصبر ، ولقد بلغنا أخيراً الى غايتنا .

وفي الحملة المضادة الثالثة ، حين كان الوضع عاصفاً ، بعدما رجعت قواتنا
الى القاعدة بعد مسير حثيث مسافة ألف لي ، وكان العدو قد كشف خطتنا
الرامية الى الالتفاف عليه لمهاجمته من الخلف ، ألقنا من جديد عن خوض
المعركة وانسحبنا ، وغيرنا خطتنا وتسربنا في الممر الذي كان يمتد بين القوات
المعادية ، وأخيراً خضنا غمار معركة ناجحة في لينتاي .

وفي الحملة المضادة الرابعة ، بعد اخفاق هجومنا على نانفنج ، اتخذنا
بحزم طريق التراجع ، وجمعنا قواتنا ، منعطفين من حين لآخر على جناح
العدو الايمن ، في منطقة تونغشواو ، وبدانا معركتنا الظافرة الكبرى في القسم
الجنوبي من ييهوانغ .

ولم نعم تماماً عن إدراك أهمية المعركة الاولى سوى في الحملة المضادة
الخامسة ، فقد فقدنا صوابنا لفقدان مدينة اقليمية واحدة ، هي مدينة
ليشوان ، فتقدمنا شمالاً للملاقاة العدو في محاولة لاسترداد تلك المدينة ، وبعد
انتصار في لقاء غير منتظر مع العدو في سنكاو (وقد أبدنا في هذا اللقاء فرقة
كاملة للعدو) ، لم نعتبر هذا اللقاء المعركة الاولى كما لم ندخل في حسابنا

سائر التبدلات التي لا بد بالضرورة أن تنشأ عنه ، بل قمنا بدلا من ذلك بالهجوم على سياوتسيه بكل تهور ودون أدنى يقين في النصر . ولقد فقدنا المبادرة منذ الخطوة الاولى - وتلك بكل تأكيد أحقق واسوأ طريقة في القتال .

ثانياً ، يجب ان تكون خطة المعركة الاولى الاستهلال في خطة الحملة كلها وأن تشكل جزءاً عضوياً منها . وانه ليستحيل تماماً ، دون وضع خطة جيدة للحملة بكاملها ، ان نحصل على نجاح حقيقي في المعركة الاولى . وهذا يعني أن المعركة الاولى ، حتى اذا ربحنا النصر فيها ، اذا كانت تسيء الى الحملة بكاملها بالأحرى من أن تعود عليها بالفائدة ، فان النصر في مثل هذه المعركة لا يمكن اعتباره اذن سوى هزيمة (ومثال ذلك معركة سنكاو في حملة «التطويق والافناء» الخامسة) . وهكذا لا بد لنا ، قبل خوض المعركة الاولى ، أن نشكل فكرة عامة عن كيفية خوض المعركة الثانية ، والثالثة ، والرابعة ، وحتى الأخيرة ، وأن نتصور التبدلات التي ستطرأ على وضع العدو بعد كل انتصار لنا ، والتبدلات التي ستحدث في حال الاخفاق من جانبنا . وعلى الرغم من أن النتيجة لن تكون - وهي بكل تأكيد لن تكون - كما توقعنا بالضبط ، فانه يتوجب علينا أن نفكر بعناية وواقعية في ضوء الوضع العام الذي يجابه العدو ويواجهنا على السواء . واذا لم نفهم جيداً الوضع العام ، فانه يستحيل علينا القيام بأية حركة حكيمة حقاً .

ثالثاً ، يجب ان نأخذ بعين الاعتبار خطة المرحلة السوقية التالية من الحرب . فنحن لن نقوم بمسؤولياتنا كاملة كمديرين للسوقية اذا عنيينا بالهجوم المضاد فقط واهملنا التدابير التي يجب ان تتخذ بصورة لاحقة في حال كسبنا الهجوم المضاد أو ربما في حال خسارتنا اياه . فحين يجد مدير للسوقية نفسه في مرحلة سوقية ما ، فانه يتوجب عليه ان يأخذ بعين الاعتبار مراحل لاحقة عديدة ، او على الأقل المرحلة التي تلي مباشرة . وعلى الرغم من صعوبة التنبؤ بالتبدلات المقبلة ، وعلى الرغم من أن النظر يضرب كلما امتد بعيداً ، فانه يمكن الوصول الى تخمين عام ، كما ان تقدير الامكانيات البعيدة أمر ضروري .

وان طريقة الادارة التي تقصر اعتبارات المدير على الخطوة المباشرة وحدها هي طريقة ضارة ليس في السياسة فحسب ، بل في الحرب ايضاً . فمن واجب المرء اذن ، كلما اقدم على خطوة معينة ، ان يراعي التبدلات الحسية التي تنشأ عنها ويبدل او يطور خططه السوقية والتعبوية تبعاً لذلك ، والا فانه يتعرض للوقوع في خبيثة الاعمال المتهورة الطائشة . ومهما يكن من امر ، فان خطة عامة مدروسة طويلة الامد تشمل مرحلة سوقية كاملة ، بل عدداً من المراحل السوقية ، هي بالضرورة شيء لا يستغنى عنه . وان التماهل في تهيئة مثل هذه الخطة يعني بالضرورة التردّي في الاخطاء ، والوقوع في المآزق، والجمود في نفس المكان ، وبالتالي خدمة اهداف العدو السوقية بوضع انفسنا في مركز سلبي . ويجب الا ننسى ان قيادة العدو العليا لا تخلو من النظر البعيد. في شؤون السوقية . ولا يصبح النجاح السوقي ممكناً الا حين ندرب انفسنا على بلوغ مستوى أعلى من مستوى العدو ، وان الادارة السوقية التي مارسها أنصار الاتجاه الانتهازي « اليساري » واتجاه شانغ كاو – تاي على السواء أثناء حملة العدو الخامسة « للتطويق والافناء » قد تبين خطئها ، وذلك قبل كل شيء لأن ذلك الشرط لم يتحقق . وباختصار ، فان مرحلة الهجوم المضاد يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار حين نكون في مرحلة الانسحاب ، ومرحلة الهجوم يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار حين نكون في مرحلة الهجوم المضاد ، ومرحلة الانسحاب يجب ان تؤخذ ايضاً بعين الاعتبار حين نكون في مرحلة الهجوم . اما إهمال هذه الاشياء جميعاً والتقيّد بجمود بمحسنات اللحظة الراهنة ومساوئها فهو السبيل الى الكارثة .

يجب ان نكسب المعركة الاولى ، ويجب ان نأخذ بعين الاعتبار خطة الحملة بكاملها ، ويجب ان نأخذ بعين الاعتبار المرحلة السوقية التي تلي مباشرة – هذه هي المبادئ الثلاثة التي ينبغي الا ننساها حين نبدأ هجوماً مضاداً، يعني حين نخوض غمار المعركة الاولى .

٦ - قضايا مركزة القوات

يتراءى للوهلة الاولى ان مركزة القوات امر يسير جداً ، لكنه ليس كذلك في واقع الامر . ويعرف الجميع ان الطريقة الفضلى هي تركيز قوات أكثر عدداً من أجل قهر قوات اقل عدداً . لكن الامور تجري على خلاف ذلك في كثير من الحالات ، اذ ان الكثيرين من القادة غالباً ما يقسمون قواهم على العكس من المطلوب ، وان السبب في ذلك هو أن مثل هؤلاء القادة يعوزهم الفكر السوقي وتحيرهم الظروف المعقدة وتستعبدهم ، فيفقدون مبادرتهم ويروحون يخبطون خبط عشواء .

ومهما يكن الوضع الذي يجد القائد العسكري نفسه فيه معقداً ، حرجاً ، ويائساً ، فان اول واجباته هو تنظيم قواه الخاصة واستخدامها باستقلال ومبادرة تامة . وعلى الرغم من أن العدو كثيراً مايضطره الى وضع سلبي ، فالأمر الهام بالنسبة اليه هو استعادة المبادرة سريعاً ، وإلّا بقاء بالهزيمة . وليست المبادرة شيئاً وهمياً ، بل شيئاً حسياً ومادياً . والأمر الهام هنا هو الاحتفاظ بأكبر قوة فاعلة وتجميعها .

والحقيقة أن المرء في الحرب الدفاعية يمكن بسهولة أن يكره على السلبية، وهذه الحرب الدفاعية ، اذا ما قورنت بالحرب الهجومية ، هي أبعد كثيراً عن تطوير المبادرة تطويراً تاماً . ومهما يكن من أمر ، فانه يمكن للحرب الدفاعية ، وهي سلبية شكلاً ، أن تشتمل على المبادرة في محتواها ، وأن تبدل من مرحلة السلبية شكلاً الى مرحلة من المبادرة في الشكل والمضمون على السواء . ان الانسحاب السوقي المهيأ تهيئة كاملة يتم تحت الضغط شكلاً ، لكن مضمونه هو المحافظة على القوى وانتظار الفرصة المواتية لسحق العدو ، لتضليله واجتذابه عميقاً في أرضنا والتهيئة للهجوم المضاد . وبالمقابل ، فان رفض الانسحاب وقبول المعركة بتهور (كما في معركة سياوتسيه) هو نضال من أجل المبادرة بصورة ظاهرة فحسب ، بينما هو حركة سلبية في واقع الامر . وليس في الهجوم المضاد السوقي مبادرة في المضمون فحسب ، بل إن

الشكل السلبي من الانسحاب يطرح جانباً أيضاً . وان هجومنا المضاد ليعني ، بالنسبة الى العدو ، جهداً لحرمانه من مبادرته ولاكراهه في الوقت نفسه على السلبية .

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف بصورة تامة، تشكل مركزة القوات، والحرب المتحركة ، والحرب الخاطفة وحرب الافناء ، شروطاً ضرورية جميعاً . وان مركزة القوات هي الشرط الأول والأكثر جوهرية .

ان مركزة القوات أمر ضروري من أجل قلب الوضع بين العدو وبيننا .
أولاً ، يجب أن تؤدي مركزة القوات الى تبدل الادوار بين الفريقين فيما يخص التقدم والتراجع . لقد كان العدو هو الذي يتقدم سابقاً ، بينما نتراجع نحن ، اما الآن فاننا نسعى أن نتقدم ونحمل العدو على التراجع . وحين نلقي قواتنا الممركة في المعركة ونهزم العدو ، فاننا نحقق اذن غرضنا، لكننا نمارس فيما عدا ذلك بعض التأثير على مجرى الحملة كلها في الوقت نفسه .

ثانياً ، يجب أن تؤدي مركزة القوات الى تبدل الادوار بين الفريقين فيما يخص الهجوم والدفاع . فالاستمرار في الانسحاب حتى بلوغ نهايته أمر يخص في الاساس المرحلة السلبية من الحرب الدفاعية ، مرحلة « الدفاع » . اما الهجوم المضاد فيخصص المرحلة الفاعلة ، مرحلة « الهجوم » . وعلى الرغم من أن الدفاع السوقي ، في مجموعه ، لا يفقد صفته الدفاعية بعد، فان الهجوم المضاد لا يتبدل بالمقارنة مع الانسحاب ، شكلاً فحسب ، بل مضموناً أيضاً . ان الهجوم المضاد هو مرحلة انتقالية بين الدفاع السوقي والهجوم السوقي ، وهو في طبيعته استهلال للهجوم السوقي – وان مركزة القوى لتخدم هذا الغرض بالضبط .

ثالثاً ، يجب أن تؤدي مركزة القوات الى تبدل الادوار بين الفريقين فيما يخص العمليات على الجبهتين الداخلية والخارجية . ان جيشاً يقاتل داخل خطوطه السوقية يعاني كثيراً من المساوىء ، وبالخاصة الجيش الاحمر حين يجابه حملات « التطويق والافناء » الموجهة ضده . بيد اننا نستطيع ، ويجب

علينا بصورة مطلقة ، أن نقلب الوضع في سياق الحملات والمعارك . اننا نستطيع أن نحول « الحملة » الكبرى التي يوجهها العدو ضدنا الى عدد من الحملات الصغيرة المنفصلة التي تقوم بها قواتنا ضد العدو . اننا نستطيع أن نقلب هجوم العدو المركز علينا على مستوى سوقي الى هجومنا المركز عليه على مستوى تعبوي وخاص بالعمليات . اننا نستطيع أن نقلب تفوق العدو السوقي علينا الى تفوقنا عليه تعبوياً وعملياً . اننا نستطيع أن نحول وضع العدو القوي سقوياً الى وضع ضعيف على مستوى التعبئة والعمليات . واننا لنستطيع في الوقت نفسه أن نخفف من ضعفنا السوقي ببلوغ مركز قوي تعبوياً وعملياً . وهذا ما نسميه العمليات الخارجية الجبهة على الجبهة الداخلية ، التطويق والافناء ضمن « التطويق والافناء » ، والحصار ضمن الحصار ، والهجوم في الدفاع ، والتفوق في الانحطاط ، والقوة في الضعف ، والمحسنة في المساوئ ، والمبادرة في السلبية . وهكذا فان كسب النصر في دفاع سوقي يتعلق بصورة أساسية بتحقيق حركة واحدة ، الا وهي مركزة القوى .

وكثيراً ما أثار هذا الموضوع مناقشات هامة في التاريخ العسكري للجيش الاحمر الصيني . ففي معركة كيان في الرابع عشر من تشرين الأول ١٩٣٠ ، عمدنا الى التقدم والهجوم قبل ان تتم مركزة قواتنا بصورة تامة . ومن حسن الحظ أن العدو (الفرقة التي يقودها تينغ يينغ) قد فرّ من تلقاء نفسه ، وكان هجومنا يحد نفسه دون جدوى .

وابتداء من ١٩٣٢ ، اطلق الشعار القائل : « الهجوم على سائر الجبهات » ، الأمر الذي كان يتطلب منا توجيه الضربات من داخل القواعد في جميع الاتجاهات - شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . وليس هذا خطأ في حالة الدفاع السوقي فحسب ، بل في حالة الهجوم السوقي أيضاً . وما دام لم يحدث أي تبدل أساسي في القوة النسبية بين العدو وبيننا بصورة اجمالية ، فان الدفاع والهجوم ، أو العمل المكبوح الجماع والعمل الهجومى ، يسيران من طرفنا

جنباً الى جنب دائماً سوقياً وتعبوياً على السواء ، ونادراً ما يحدث في الميدان العملى أن نستطيع أن « نهجم على سائر الجبهات » . ان مثل هذا الشعار تفوح منه رائحة التقسيم المتساوي للقوات العسكرية الذي يرادف روح المفامرة العسكرية .

وفي ١٩٣٣ ، صاغ هؤلاء المنادون بالتقسيم المتساوي للقوات العسكرية نظرية « الضرب بكلتي القبضتين » ، مطالبين بتقسيم القوى الرئيسية للجيش الاحمر الى مجموعتين في سبيل احراز النصر في اتجاهين سوقيين بصورة متواقة . وكانت نتيجة ذلك ان احدى القبضتين ظلت عاطلة عن العمل ، فيما ارهقت القبضة الثانية بالقتال . وفيما عدا ذلك ، فقد فشلنا في تحقيق أعظم نصر ممكن في ذلك الحين . وفي رأي أن من واجبنا ، حين تجاهنا قوة عاوة كبيرة ، أن نستخدم جيشنا ، مهما يكن كبيراً ، في اتجاه رئيسي واحد لفترة محددة ، وليس في اتجاهين . ولست اعارض في قيام العمليات في اتجاهين أو أكثر ، لكنه يجب ألا يكون هناك ، في كل حين ، سوى اتجاه رئيسي وحيد . ان الجيش الاحمر الصيني ، وقد قهر في ميدان الحرب الأهلية كقوة صغيرة وضعيفة ، قد اعتمد حتى درجة بعيدة على استخدام قوة مركزة في قهره المتكرر لعدوه القوي واحرز الانتصارات التي ادهشت العالم كله . وان ايأ من انتصاراته العظمى يمكن أن تثبت هذه الحقيقة . وحين نقول : « واحد ضد عشرة ، وعشرة ضد مائة » ، فاننا نتحدث عن السوقية ، أو عن النسبة الكلية للقوى بين العدو وبيننا في الحرب كلها . وتلك هي الاوضاع بالنسبة الينا حقاً . بيد ان تلك الصيغة لا تصلح في اتجاه العمليات أو التعبئة ، ولا يمكننا ان نطبقها في هذا المجال مطلقاً . لقد عمدنا دائماً ، في الهجوم المضاد أو الهجوم العادي ، الى تجميع قوة ضارية عظيمة ضد رتل عدو . ولقد منينا بالخسارة من جراء مركزة غير ملائمة لقوانا في مثل تلك المعارك التي خضناها ضد تان تاو - يوان في جوار تونغشاو من اقليم نينغتو في مقاطعة كيانغسي في كانون الثاني ١٩٣١ ، وضد الجيش التاسع عشر في جوار كاوسينغ في اقليم

هسنع كيو في مقاطعة كيافسي في آب ١٩٣١ ، وضد شن شي - تانغ في جوار شيكاو من اقليم ناميونغ في مقاطعة كوانغ تونغ في تموز ١٩٣١ ، وضد شن شينغ في جوار توانتسون من اقليم ليشوان في مقاطعة كيافسي في آذار ١٩٣٤ . ولقد كانت المعارك من طراز معركة شيكاو ومعركة توانتسون تعتبر على العموم نجاحات ، بل نجاحات كبرى (لقد هزمنا في المعركة الاولى عشرين كتيبة بقيادة شن شي - تانغ وفي الثانية اثنتي عشرة كتيبة بقيادة شن شينغ) ، لكننا لم نفتبط قط بمثل هذه الانتصارات ، بل لقد اعتبرناها أيضاً هرايم حتى درجة ما . ذلك أننا نعتقد أن أية معركة تظل عديمة الاهمية اذا لم نحصل منها على غنائم حربية ، او اذا كانت الغنائم لا تتجاوز خسائرنا . ان سوقيتنا هي ان نقاتل بواحد ضد عشرة ، أما تعبئتنا فهي ان نقاتل بعشرة ضد واحد - هذا هو احد القوانين الأساسية التي تضمن انتصارنا على العدو .

وقد بلغ مفهوم التقسيم المتساوي للقوى اقصاه خلال الحملة الخامسة ضد « التطويق والافناء » عام ١٩٣٤ . وكان المعتقد أننا « بتقسيم قوانا على ستة اتجاهات » و « المقاومة على طول الجبهة » ، نستطيع أن نتغلب على العدو ، لكن ما حدث هو أن العدو تغلب علينا ، وذلك من جراء خوفنا من فقدان الارض . ولو أننا ركزنا قوانا الرئيسية في اتجاه واحد ولم نترك في الاتجاهات الأخرى سوى قوى محافظة ، فمن المؤكد أننا كنا نفقد بعض أراضينا ، بيد أن هذه الخسائر ستكون اذن مؤقتة وجزئية ، وسوف يعود عنها انتصارنا في الاتجاه الرئيسي لهجومنا . وحين نكسب مثل هذا النصر ، فقد كنا نسترد طبعاً الخسائر التي منينا بها في اتجاه عملياتنا المحافظة . ان حملات « التطويق والافناء » المعادية الاولى والثانية والثالثة والرابعة قد سببت لنا الخسائر ، وعلى الأخص الحملة الثالثة ، حيث فقدنا بصورة كلية تماماً قاعدة الجيش الاحمر في كيافسي ، بيد أننا لم نسترد في النهاية الارض المفقودة فحسب ، بل وسعناها أيضاً .

ان الافلال من اهمية قوة الجماهير الشعبية في مناطقنا القاعدية كثيراً

ما يؤدي الى قيام الخوف الذي لامبرر له من امكان ابتعاد الجيش الاحمر كثيراً عن هذه القواعد . وتلك كانت الحال حين قطع الجيش الاحمر مسافة طويلة عن كيانفسي ليهاجم شانغ شاو ، في مقاطعة فوكيين ، عام ١٩٣٢ ، وكذلك حين استدار لمهاجمة فوكيين بعد الانتصار في الحملة الرابعة ضد « التطويق والافناء » عام ١٩٣٣ . ولما كان يخشى ، في الحالة الاولى ، من احتلال العدو المنطقة القاعدية كلها ، وفي الحالة الثانية من احتلاله قسماً منها ، فقد رفضت فكرة مركزة القوى في مصلحة تقسيمها من أجل الدفاع ، بيد أن النتيجة أثبتت في الحالتين خطأ التصرف . فأولا كان من الخطر ، من وجهة نظر العدو ، التغفل في منطقتنا القاعدية ، كما أن الخطر الرئيسي بالنسبة اليه ، من جهة ثانية ، هو الجيش الاحمر الذي يجتاح المناطق البيض . ولذا كان اهتمام الجيش المعادي موجهاً على الدوام الى تحركات القوى الرئيسية للجيش الاحمر ، ونادراً ما طرح من اعتباره قوانا الرئيسية كي يكرس كل اهتمامه لمنطقتنا القاعدية . وحتى حين كان الجيش الاحمر يكره على الدفاع ، فإن العدو يركز كل اهتمامه عليه دائماً . ولقد كان تقليص منطقتنا القاعدية جزءاً من خطته الشاملة ، لكنه حين كان الجيش الاحمر يجمع قواه الرئيسية لآبادة أحد أرتال العدو ، فقد كانت قيادة العدو والعليا تضطر اذن الى تكريس اهتمام اعظم للجيش الاحمر ، واستخدام قوات أكبر ضده . وبالتالي فقد كان يمكن تحطيم خطته الهادفة الى تقليص الاراضي التي تقوم قواعدنا عليها .

أما النظرة القائلة انه كان من المستحيل ، خلال حملة العدو الخامسة « للتطويق والافناء » القائمة على أساس سياسة بناء الاستحكامات ، أن نركز قوانا في عملياتنا ، ولم نكن نستطيع سوى تقسيمها من أجل الدفاع وشن هجمات سريعة — فقد كانت خاطئة تماماً . أن حرب الاستحكامات التي لجأ اليها العدو ، بثفرائها البالغة ثلاثة الى خمسة لي ووثباتها البالغة نمائية الى عشرة لي ، تفسر بأن الجيش الاحمر كان يقاومه في سائر القطاعات . ولقد

كان الوضع يتبدل كلياً بكل تأكيد لو اننا أعرضنا عن تعبئة المقاومة في سائر القطاعات كي نتقدم ونهجم على جبهة العدو الداخلية حين يكون ذلك ضرورياً وممكناً . ان قانون مركزة القوى هو بالتأكيد أداة الانتصار على سياسة العدو في بناء الاستحكامات .

ولا تتضمن مركزة القوى التي ننادي بها الإقلاع عن عمليات الانصار . فالغاء عمليات الأنصار الضيقة النطاق ، وهو ما دعى اليه اتجاه لي لي - سان - « كل بندقية يجب أن تذهب الى الجيش الاحمر » - قد ثبت خطأه منذ زمن طويل . وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار الحرب الثورية في مجملها ، فان عمليات الانصار من جهة وعمليات القوة الرئيسية ، أي الجيش الاحمر ، من جهة أخرى تتكامل مثلما تتكامل ذراعا الانسان اليمنى واليسرى ، وليست العمليات الأخيرة بدون العمليات الاولى الا محارباً له ذراع واحد . فلتقتل بعبارات واضحة ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالحرب ، اننا نقصد بوضعية الشعب في القاعدة الثورية ، على وجه الدقة ، الشعب المسلح . وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعل العدو يرهب التغفل في قواعدها .

وانه لمن الضروري ايضاً أن تستخدم فصائل من الجيش الاحمر في عمليات صفرى ، ولا نركز كل القوى في الاتجاه الرئيسي . ان مركزة القوى التي ننادي بها تقوم على أساس مبدأ تأمين تفوق مطلق أو نسبي في ميدان القتال . فلا بد لنا ، كي نقاتل العدو القوي أو نقود العمليات في قطاعات من الجبهة ذات أهمية حيوية ، من تأمين قوة متفوقة بصورة مطلقة - ومثال ذلك أننا جمعنا قوة تعد أربعين ألف رجل كي نهزم قوة شانغ هوي - تسان التي تعد تسعة آلاف رجل ، وذلك في المعركة الاولى التي وقعت في كانون الأول ١٩٣٠ في الحملة الاولى ضد « التطويق والافناء » . أما حين نواجه عدواً ضعيفاً أو نعمل على جبهة ليست ذات أهمية كبرى ، فان قوة متفوقة بصورة نسبية تكون كافية - ومثال ذلك في المعركة الأخيرة من الحملة المضادة الثانية في ١٩ أيار ١٩٣١ ، حيث استخدم قرابة عشرة آلاف رجل من الجيش الاحمر في

سبيل قهر حركة ليو هو - تينغ التي تعد سبعة آلاف رجل في يينينغ .
وهذا لايعني اننا نطلب التفوق في القوة في جميع الحالات . فقد نظهر في
ميدان المعركة ، في بعض المناسبات ، بقوة دنيا بصورة نسبية او مطلقة .

وهذا مثال عن استخدام قوة دنيا نسبياً : حين لا يكون لدينا سوى فصيل
صغير من الجيش الاحمر في قطاع ما (وهذا لايعني حين يكون لدينا مزيد من
القوات لكننا لم نركزها) ، وحين تكون شروط الشعب والارض والمناخ
ملائمة جداً ، عندئذ يكون طبعاً من الضروري والممكن ، في سبيل صد هجوم
تشنه قوة معادية متفوقة ، أن نربح النصر بتجميد قلب القوة المعادية واحد
جناحيها بحرب أنصار او فصائل صغيرة ، بينا نركز القوى الرئيسية
للجيش الاحمر في هجوم مفاجيء على قطاع من الجناح الآخر . وحين تقوم
بمثل هذا الهجوم المفاجيء ، فاننا لن نبرح نطبق اذن مبدأ التفوق العددي ،
مبدأ انتصار العدد الاكبر على العدد الأصغر بقدر ما يتعلق الأمر بالقوة النسبية .
وهذا مثال عن استخدام قوة دنيا بصورة مطلقة : حين تشن احدى قوى
الانصار هجوماً مفاجئاً على رتل قوي من الجيش الابيض ، فانها لا تبرح تطبق
المبدأ نفسه مادامت لاتهاجم سوى قطاع صغير من العدو .

ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار في ضوء الشروط المختلفة النظرية الفائلة
ان مركزه جيش كبير في ميدان محدد يؤدي الى مصاعب بشأن استخدام
الارض ، والطرق ، والتموين ، وقضايا ايواء الجنود . وتكون هذه المصاعب
من درجة مختلفة حسبما يكون المقصود الجيش الاحمر او الجيش الابيض ،
لان جيشنا يستطيع ان يتحمل مصاعب اكثر من الجيش الابيض .

اننا نهزم الكثرة بواسطة القلة - هذا ما نعلنه لسائر حكام الصين .
لكننا نهزم مع ذلك القلة بواسطة الكثرة - هذا ما نعلنه للوحدات المنفصلة من
قوى العدو التي نلقاها في الميدان . ولم يعد هذا سراً بعد الآن ، والعدو قد
الف الآونة ، على العموم ، عاداتنا . بيد أنه لا يستطيع حرماننا من انتصاراتنا
كما لا يستطيع أن يتجنب هزائمه ، لأنه لا يعرف متى وأين سوف نضرب .

أنا نحفظ بهذا الأمر سراً . ان عماليات الجيش الاحمر هي ، على العموم ، هجمات مفاجئة .

٧ - فن المناورة في العمليات العسكرية

حرب الحركة أم حرب الخنادق ؟ ان جوابنا هو حرب الحركة . حين لا يكون لدينا جيش كبير ، وحين لا يكون لدينا من المؤن ما يسد حاجتنا ، وحين لا يكون هناك سوى فصيل واحد من الجيش الاحمر يقوم بالقتال كله في كل منطقة قاعدية ، فان حرب الخنادق تكون عديمة الجدوى على العموم بالنسبة الينا . ان حرب الخنادق هي على العموم بالنسبة الينا شيء لايمكننا الاستفادة منه سواء في الهجوم أم في الدفاع .

وان احدى الخصائص البارزة لعمليات الجيش الاحمر ، وهي خاصة تنجم عن كون العدو قوياً تقنياً بينا الجيش الاحمر ضعيف تقنياً ، هي انعدام جبهة العمليات الثابتة .

ان جبهات عمليات الجيش الاحمر تتبدل مع اتجاه عملياته . ولما كان هذا الاتجاه عرضة للتبدل ، فقد كانت جبهات عملياته سيالة . وعلى الرغم من ان الاتجاه العام يظل ثابتاً لفترة معينة من الزمن ، فان الاتجاهات الجزئية المختلفة التي يشكل مجموعها ذلك الاتجاه العام يمكن ان تتبدل في اية لحظة ، فعندما تكتنف المصاعب احد الاتجاهات ، يتوجب علينا ان نستدير نحو اتجاه آخر . واذا ما وجدنا بعد انقضاء تلك الفترة من الزمن ان المصاعب تعترضنا في الاتجاه العام لفترة معينة من الزمن ، فانه يتوجب علينا عندئذ ان نبذل حتى الاتجاه العام .

ان جبهات العمليات ، في حرب اهلية ثورية ، لا يمكن ان تكون ثابتة ، الامر الذي حدث حتى في تاريخ الاتحاد السوفييتي نفسه . وان الفارق بين الجيش السوفييتي وجيشنا يقوم في أن جبهاتنا هي أكثر سيولة ايضاً . لايمكن في اية حرب ان توجد جبهة عمليات ثابتة بصورة مطلقة ، لان التبدلات الممكنة ، كالنصر والهزيمة ، والتقدم والتراجع ، لا تسمح بذلك . وعلى أية حال ،

فاننا نستطيع ان نقول على العموم ان ثمة جبهة عمليات ثابتة نسبياً في الحرب، والاستثناء الوحيد لذلك هي الحرب التي يخوضها الجيش الاحمر في المرحلة الحاضرة ، حيث الفارق في القوة بينه وبين العدو كبير جداً .

ان السيولة في جبهات العمليات تنتج عن السيولة في اراضي قواعدا التي تتمدد وتقلص على العموم من وقت لآخر ، وغالباً ما يحدث ان تتلاشى القاعدة الواحدة بينما تنبثق الى الوجود قاعدة أخرى . وان مثل هذه السيولة في ارضنا تنشأ كلياً عن السيولة في العمليات الحربية .

وان الأنواع المختلفة من اعمال البناء في قواعدا تصبح سيالة هي الاخرى، متأثرة بسيولة الحرب وسيولة ارضنا على السواء . ولا يمكننا التفكير في مشروع للبناء يستغرق عدداً من الاشهر أو السنين . ان التبدل المتكرر لهذه المشاريع قد اصبح بالنسبة اليها ظاهرة متبدلة كلياً .

وان تأكيد هذه الخاصة سيعود علينا بالفائدة الجمة ، ونحن نعد مناهجنا على أساس هذه الخاصة ، ويجب الا نسمح لوهم حرب من التقدم المتصل دون تراجع بالتسرب الى اذهاننا ، أو نذعر للسيولة المؤقتة في ارضنا وفي مؤخرة جيشنا ، أو نغامر بوضع مشاريع حسية طويلة الأمد . ينبغي ان نكيف فكرنا وعملنا مع الظروف ، مستعدين للقفود أو للمسير على السواء ، ولا نلقي مطلقاً جمعنا جانباً . ان الجهود التي نبذلها في اسلوب الحياة السيلاليوم هي وحدها التي ستمكننا من تأمين اسلوب اقل سيولة غداً ، وحياة مستقرة في النهاية .

ان الاتجاه السوقي المبني على « الحرب النظامية » ، هذا الاتجاه الذي ساد في الحملة الخامسة ضد « التطويق والافناء » ، قد انكر هذه السيولة وعارض مايدعى « ذهنية الأنصار » . ولقد كان الرفاق الذين عارضوا السيولة يحسبون انهم حكام دولة كبرى ، وكانت نتيجة ذلك مثالا عملاقاً فوق عادي عن السيولة ، الا وهو المسيرة الطويلة البالغة ٢٥٠٠ لي .

ان جمهوريتنا الديموقراطية العمالية والفلاحية هي دولة ، لكنها لا تبرح اليوم دولة بكل معنى الكلمة . فنحن لا نبرح اليوم في مرحلة الدفاع السوقي

في الحرب الأهلية ، ولا يبرح شكل سلطتنا السياسية بعيداً جداً عن شكل السلطة السياسية في دولة كاملة ، ولا يبرح جيشنا متأخراً عن العدو عدداً وعدة على السواء ، كما أن ارضنا لا تبرح صغيرة جداً ، ولن يهدأ لعدونا بال لحظة واحدة حتى يدمرنا . وكما نحدد سياستنا على هذا الاساس ، يتوجب علينا ان نقبل مخلصين صفة حرب الأنصار بالنسبة الى الجيش الاحمر بالاحرى من النضال بأي ثمن ضد « ذهنية الأنصار » . ولن يجدينا نفعاً الخجل من هذا الوضع ، بل ان الأمر على العكس من ذلك ، اذ أن صفة حرب الأنصار هي بالضبط ميزتنا ، نقطتنا القوية ، ووسيلتنا من أجل قهر العدو . ويجب ان نتهياً للخلاص من هذه الخاصة ، لكننا لا نستطيع بعد خلاصاً منها .

ولسوف تصبح هذه الخاصة ذات يوم ، بصورة نهائية ، شيئاً يبعث على الخجل ، وبالتالي يجب الاعراض عنها ، لكنها اليوم لا تقدر بقيمة ، ويجب الاحتفاظ بها بحزم .

« القتال حين نستطيع الكسب والفرار حين لا نستطيع ذلك » - هذا هو التفسير الشعبي لحربنا المتحركة اليوم . وليس في اي مكان من العالم خبير عسكري يؤيد القتال وحده ويعارض فكرة التراجع ، على الرغم من أن قليلين هم الذين يتراجعون بقدر ما نتراجع نحن . فالقاعدة في حالتنا أن يصرف على المسير زمن أطول مما يصرف على القتال ، واننا لنفعل جيداً بمتوسط معركة كبيرة واحدة كل شهر . وان الغاية من « فرارنا » كله هو « القتال » ، كما أن كل اتجاهاتنا السوقية والتعبوية مصاغة على أساس « القتال » . وعلى أية حال ، فثمة عدد من الحالات لا ينصح لنا فيها بالقتال ، فأولاً لا يستحسن أن نقاتل حين نجابه قوة معادية تتفوق علينا ، ثانياً لا يستحسن أن نقاتل احياناً حين تكون قوة العدو التي تواجهنا ، على الرغم من ضعفها ، قريبة جداً من قوى عدوة في الجوار ، وثالثاً لا يستحسن أن نقاتل على العموم حين لا تكون قوة العدو بمنزلة ، وهي محصنة جيداً ، ورابعاً ليس من المستحسن ان نتابع قتالاً لسنا متأكدين من النصر فيه . ويجب ان نكون على استعداد ،

في مختلف هذه الحالات ، للتراجع فوراً ، وهو تراجع جائز وضروري على
السواء . وان الاعتراف بضرورة التراجع يفترض سلفاً بضرورة القتال .
وهنا تقوم الخاصة الأساسية لحرب الجيش الاحمر المتحركة .

وحين نقول ان حربنا هي ، بصورة رئيسية ، حرب متحركة ، فإنا
لا نرفض اساليب حرب الخنادق حين تكون ضرورية وممكنة . فمن المسلم
به انه لا بد من اللجوء الى اساليب حرب الخنادق سواء في الدفاع السوقي ،
حين ندافع بعناد عن بعض المراكز الهامة في عملية تستهدف وقف الزحف
المعادي ، أم في الهجوم السوقي عندما نواجه قوة عدوة منعزلة غير مدعومة .
ولقد اكتسبنا في الماضي خبرة عظيمة في استخدام هذه الاساليب الخاصة
بحرب الخنادق كي نتصر ، لقد اقتحمنا بفضلها عدداً كبيراً من مدن العدو
واستحكاماته ومعاقله، كما اننا اخترقنا مراكز ميدان العدو المحصنة تحصيناً
عظيماً . ويجب علينا ان نزيد جهودنا ونصفي قصورانا في هذا المجال في
المستقبل . انه لمن واجبنا ان نكون دون أدنى تحفظ الى جانب الهجوم على
مراكز العدو الحصينة أو الى جانب الدفاع عن مراكزنا حسب ما تسمح به
الظروف وتتطلبه . اننا لا نعارض سوى ذلك الاتجاه الى الانتصار اليوم على
اساليب حرب الخنادق على العموم أو مساواتها مع اساليب الحرب المتحركة
ذلك امر لا يمكن القبول به .

افلم يطرا ابداً ، خلال السنوات العشر من الحرب الاهلية ، ادنى تبدل
على صفة حرب الانصار التي يتصف الجيش الاحمر بها ، وعلى انعدام الجبهة
الثابتة ، وعلى تحولات ميداننا ، يعني أراضي قواعدها ، أو الصفة المتبدلة
لأعمال البناء في القواعد ؟

اجل ، لقد حدثت مثل هذه التبدلات .

ذلك ان الفترة المنقضية بين ايام جبال شينغ كانغ والحملة الاولى ضد
« التطويق والافناء » في كيانغسي قد كانت المرحلة الاولى التي برزت فيها
كثيراً صفة حرب الانصار والسيولة ، اذ كان الجيش الاحمر في طفولته بعد

وكانت المنطقة القاعدية منطقة انصار بعد . وان الفترة بين الحملة الاولى المضادة « للافناء والتطويق » والحملة الثالثة قد كانت المرحلة الثانية التي نقصت فيها حتى درجة بعيدة صفة حرب الانصار والسيولة، اذ تشكلت جيوش الجبهة ونشأت مناطق قاعدية تعد ملايين كثيرة من السكان . وان الفترة بين نهاية الحملة الثالثة المضادة « للتطويق والافناء » والحملة الخامسة قد كانت المرحلة الثالثة التي تناقصت فيها اكثر من ذي قبل حرب الانصار والسيولة، اذ قامت حكومة مركزية ولجنة عسكرية ثورية . وكانت المسيرة الطويلة المرحلة الرابعة . وان الرفض الخاطيء لحرب الانصار الصغرى والسيولة الصغرى قد ادى الى حرب الانصار الكبرى والسيولة الكبرى . ونحن نجتاز المرحلة الخامسة حالياً . ان الجيش الاحمر والمنطقة القاعدية قد تقلصا حتى درجة بعيدة نتيجة لفشلنا في سحق حملة « التطويق والافناء » الخامسة وبسبب من السيولة العظمى ، ومع ذلك تمكنا من تثبيت اقدامنا في الشمال الغربي وتوطيد قاعدتنا وتطويرها هناك - منطقة تخوم شنسي - كانسو - نينغشيا . وان جيوش الجبهة الثلاثة التي تشكل القوى الرئيسية للجيش الاحمر قد وضعت تحت قيادة موحدة ، وهو امر لم يسبق له مثيل .

اما من وجهة نظر طبيعة السوقية المطبقة في المراحل المختلفة ، فانه يمكن القول ايضاً ان الفترة الواقعة بين ايام جبال شينغ كانغ والحملة الرابعة ضد « التطويق والافناء » قد كانت المرحلة الاولى ، والحملة الخامسة كانت المرحلة الثانية ، في حين ان الفترة المنقضية منذ المسيرة الطويلة حتى الآن هي المرحلة الثالثة ففي سياق الحملة الخامسة رفضت، بصورة خاطئة ، خطتنا السوقية القديمة التي كانت صحيحة ، وقد رفضنا اليوم بدورنا ، عن صواب ، الاتجاه الخاطيء الذي طبق خلال الحملة الخامسة واكدنا مجدداً الاتجاه الصحيح السابق . ومهما يكن من امر ، فاننا لا نرفض كل شيء في الحملة الخامسة ، كما اننا لانحيي كل شيء سابق لها . اننا لانحيي الا افضل جدارات الماضي، ولا نرفض الا الاخطاء المرتكبة في سياق الحملة المضادة الخامسة .

ثمة مظران لذهنية الانصار . المظهر الواحد هو عدم الانتظام ، بمعنى
انعدام المركزية ، وانعدام الوحدة ، وانعدام الانضباط الحازم ، وأساليبها
المبسطة في العمل الخ . ولقد نشأت هذه الامور جميعاً في طفولة الجيش
الاحمر ، وكان بعضها يتجاوب بالضغط مع حاجات ذلك الحين . لكنه يتوجب
علينا في المراحل العليا من تطور الجيش الاحمر ان نحذفها بصورة تدريجية
وواعية ، بحيث نجعل الجيش الاحمر أكثر مركزية ، وأكثر وحدة ، وأكثر
انضباطاً وأكثر منهجية ودقة في عمله - وباختصار أكثر انتظاماً في طبيعته .
وانه ليتوجب علينا كذلك ، في قيادة العمليات ، ان نخفف بصورة تدريجية
وواعية العنصر الانصاري الذي يصبح عديم الجدوى اعتباراً من درجة معينة
من التطور . وان رفض التطور في هذا المجال والتعلق العنيد بالمرحلة القديمة
امران غير جائزين وضاران، ولن يعودا بالفائدة على العمليات الواسعة النطاق .
والمظهر الثاني هو اللجوء الى الحرب المتحركة ، الى الاساليب الحربية
لعمليات الانصار التي لا تبرح الحاجة تمس اليها في الوقت الراهن في القتل
على نطاق سوقي وتعبوي على السواء ، وسيولة القواعد المحتومة ، ومرونة
مشاريعنا العمرانية في المنطقة القاعدية وقابليتها للتبدل ، والاعراض من
اعطاء الجيش الاحمر صفة النظامية التي لم يحن أوأنها بعد . اما ان نذكر
الحقائق التاريخية في هذا الشأن ونعارض الاحتفاظ بما هو مفيد ، ونترك
بتهور المرحلة الراهنة وندفع بصورة عمياء نحو « مرحلة جديدة » تمنينا
بالآمال الكاذبة لكنها لا تملك اي معنى في الوقت الحاضر ، فهي أمور غير جائزة
وضارة جميعاً ولن تعود بأدنى فائدة على العمليات العتيدة .

انذا اليوم على عتبة مرحلة جديدة فيما يخص تكنيك الجيش الاحمر
وتنظيمه ، ويتوجب علينا ان نهىء انفسنا للتكيف معها . وان رفض مثل
هذه التهيئة أمر خاطيء وضار بحرنا المقبلة . وعندما تبدل في المستقبل
الشروط التكنيكية والتنظيمية للجيش الاحمر ويدخل بناء الجيش الاحمر في
مرحلة جديدة ، فان اتجاهه التعبوي سوف يزداد استقراراً كما تزداد جبهته

ثباتاً ، وسوف تتعاظم حرب الخنادق كما تنقص سيولة الحرب وسيولة ارضنا وعملنا البنائي حتى درجة بعيدة كي تتلاشى في النهاية ، وعندئذ فان الاشياء التي تقيدنا حالياً ، كتفوق العدو ومراكزه المحصنة ، لن تعود حجر عثرة في طريقنا مطلقاً .

اننا نعارض في الوقت الراهن من جهة التدابير الخاطئة المطبقة في المرحلة حيث سادت الانتهازية « اليسارية » ومن جهة أخرى احياء الميزات العديدة غير النظامية التي كانت للجيش الاحمر في طفولته ، هذه الميزات التي لم يعد الآن ثمة حاجة اليها . بيد أنه يتوجب علينا ان نؤكد من جديد بصورة حازمة المبادئ القيمة العديدة لبناء الجيش ، والسوقية والتعبئة ، هذه المبادئ التي احرز الجيش الاحمر بواسطتها عدداً كبيراً من الانتصارات . وانه لينبغي لنا ان نجمل كل الامور الجيدة الماضية في سياسة عسكرية منهجة ومطورة ومكثفة ، كيما نقهر العدو اليوم وننتهي للانتقال الى مرحلة جديدة في المستقبل .

ثمة قضايا عديدة مرتبطة بممارسة الحرب المتحركة ، كالاستكشاف ، وتقدير الموقف ، والقرارات الواجب اتخاذها ، وتوزيع القوى من اجل المعركة، والقيادة ، والتمويه ، والمركزة ، والتقدم ، والانتشار ، والهجوم ، والمطاردة، والضربات المفاجئة ، والهجوم على المراكز والدفاع عنها ، والاشتبك ، والتراجع ، والقتال الليلي ، وعمليات المهمات ، والافلات من القوى المتفوقة ، ومهاجمة النقاط الضعيفة ، ومحاصرة العدو من اجل ضرب امداداته ، والهجمات التضليلية ، والدفاع ضد الطائرات ، والتحركات بين فصائل عديدة من القوى المعادية ، والعمليات المستهدفة شق الحصار ، والمعارك المتعاقبة ، والعمليات العسكرية في حالة انعدام المؤخرة ، والحاجة الى الراحة وتجميع الطاقة الخ .. ان هذه القضايا قد اتخذت صفات خاصة عديدة في تاريخ الجيش الاحمر ، صفات يجب عرضها بصورة منهجية وتعميمها في دراسة خاصة بفن العمليات ، وسوف لن اتحدث عنها هنا .

٨ - الحرب الخاطفة

ان الحرب الطويلة الامد على الصعيد السوقي والحملة او المعركة الخاطفة هما مظهران لنفس الشيء الواحد ، مبدآن متوازيان ومتكافئان في ممارسة الحرب الأهلية ، وهما قابلان للتطبيق أيضاً في الحرب المناهضة للاستعمار .

ان القوى الثورية لا تنمو الا بضرورة تدريجية بسبب ما تملكه القوى الرجعية من بأس عظيم ، وهذا ما يحدد الطبيعة الطويلة الامد للحرب . وعلى هذا الأساس يكون نفاذ الصبر ضاراً والمطالبة « بالزحم » أمراً خاطئاً . وان الحرب الثورية التي طالت عشر سنوات ونحن نخوض غمارها يمكن ان تدهش البلدان الأخرى ، اما بالنسبة اليها فهي لا تعدو كونها « المقدمة » او « عرض الموضوع » او « الموضوعات العامة للمناقشة » ووفقاً للمخطط الكلاسيكي الخاص « برسالة الأرجل الثماني » (١) ، ولا بد ان يعقبها فصول مثيرة .

ومما لا ريب فيه ان التطورات المقبلة سوف تتسارع كثيراً بفعل الظروف الداخلية والأممية . ولما كانت تبدلات عديدة قد حدثت حتى الآن في الوضع الداخلي والوضع الداخلي على السواء ، ومن الممكن ان تقع تبدلات أعظم فيما بعد ، فانه يمكننا القول اننا قد تجاوزنا الحالة الماضية من التطور البطيء والقتال المنزول . بيد انه يتوجب علينا الا نتوقع نجاحات سريعة جداً . ان العزم الجريء على « تكنيس العدو قبل الافطار » أمر حسن لكننا لا نستطيع ان نبني على هذا العزم اية خطط حسية . فلما كانت القوى الرجعية في الصين مؤيدة من قبل عدة قوى استعمارية ، فسوف تبقى حربنا الثورية حرباً طويلة الامد حتى تبلغ القوى الثورية في الصين درجة من اليأس كافية من اجل تحطيم المراكز الرئيسية للاعداء الداخليين والأجانب ، وحتى تسحق القوى الثورية الأممية او تجمد القسم الأعظم من القوى الرجعية الأممية . وان الانطلاق من هذه النقطة وصياغة خطة سوية لحربنا الطويلة الامد هو احد الأهداف الهامة في الادارة السوقية .

(١) هو الشكل السائد للرسالة في الامتحانات في الصين الاقطاعية من القرن الخامس

اما المبدأ المطبق على العبئة والعمليات فعلى النقيض من ذلك - فليس هو الاطالة بل التقرير السريع. ان الناس جميعاً، القدماء، والمعاصرين، الصينيين والأجانب ، يطلبون التقرير السريع في اية حملة او معركة . انهم يطلبون جميعاً تقريراً سريعاً في الحرب ويعتبرون دائماً الحرب التي تستمر زمناً طويلاً وتدور رحاها ببطء حرباً ضارة . لكن حرب الصين وحدها يجب أن تدار بأقصى صبر وتعامل كحرب طويلة الامد . ولقد كان الناس ، في فترة تغلب اتجاه لي لي - سان ، يسخرون من أسلوبنا في معالجة الأمور على طريقة « الملاكين » (يعني ألا تحتل المدن الكبرى قبل ان نوجه اليها من قبل عدداً كبيراً من الضربات) ، وكانوا يزعمون اننا لن نرى انتصار الثورة قبل ان يشيب شعرنا. ولقد ثبت منذ زمن طويل ان مثل هذا المزاج فوق الثوري خاطئ تماماً . لكنه لو طبق لقد هؤلاء الناس ليس على السوقية بل على الادارة التعبوية، فقد كانوا يصيبون كبد الحقيقة . وأسباب ذلك هي التالية : أولاً ، ليس ثمة مصادر لتموين الجيش الاحمر بالسلاح ، وعلى الاخص بالذخيرة ، ثانياً ، لما كان لدى البيض جيوش عديدة وليس لدى الجيش الاحمر سوى جيش واحد فقط ، فان من واجب جيشنا ان يتهاى سريعاً لسلسلة اخرى من العمليات المتصلة بعدما يسحق احدى حملات « التطويق والافناء » ، ثالثاً ، على الرغم من أن الجيوش البيض المختلفة تتقدم بصورة منفصلة ، فان المسافات بين الارتال المهاجمة ضئيلة نسبياً في معظم الاحوال ، بحيث اذا لم

عشر حتى القرن التاسع عشر . فالرسالة تتألف من ثمانية أقسام ، تشكل الاقسام الاربعة الاولى منها (بما فيها الاقسام الثلاثة الواردة في النص) المقدمة فحسب وتكون قصيرة نسبياً ، فيما الاقسام الاربعة التالية هي الجزء الرئيسي من الرسالة حيث يدرس الموضوع الاصلي . وهي تدعى « الرسالة الثمانية الارجل » ، لان كلا من الاقسام الاربعة الاخيرة يشمل فصلين يشكلان « طرفين » متباينين . ويستعمل الرفيق ماوتسي تونغ هذه العبارة هنا ليوضح المراحل المختلفة من تطور الثورة ، كما يستخدها في مناسبات عديدة اخرى ليسخر من المذهب العقائدي الجامد ، مشدداً على طبيعته الصورية الجامدة .

نكسب المعركة ضد احداها بصورة سريعة ، فأننا نجازف برؤية الارتال الأخرى تنقض علينا في الحال ، ولهذا السبب يجب ان نخوض معارك خاطفة . ولقد اعتدنا ان نهي المارك في ساعات قليلة ، أو خلال يوم أو يومين . ونحن لا نهى أنفسنا لأعمال طويلة نسبياً الا في عملياتنا المستهدفة « محاصرة احدى المدن وابادة الامدادات المرسله اليها » ، هذه المحاصرة المستهدفة قهر الامدادات المرسله الى العدو من دون هذا العدو نفسه ، وعلى أية حال ، فأننا نسعى دائماً الى التقرير السريع حتى بخصوص هذه الامدادات نفسها . وكثيراً ما نعد الى الادارة التعبوية وادارة العمليات الخاصتين بالقتال الطويل الأمد ، وذلك حين ندافع بعناد ، في دفاع سوقي ، عن مراكزنا في محاولتنا وقف زحف العدو ، أو حين نهجم ، في هجوم سوقي ، قوى معادية منزلة غير مدعومة ، أو نقضي على نقاط اسناد بيضاء ضمن منطقتنا القاعدية . بيد ان مثل هذه العمليات الطويلة الامد تساعد بالأحرى من أن تعوق الجيش الاحمر في معاركه الخاطفة .

ولا يتم هذا التقرير السريع في الحرب بمجرد ارادة الانسان له ، بل يتطلب شروطاً حسية عديدة أهمها هي التالية : التهيئة الجيدة ، عدم تفويت اللحظة المناسبة ، مركزة قوة متفوقة ، استخدام تعبئة التطويق وحركات الالتفاف ، اتخاذ المراكز الملائمة ، والهجوم على قوة معادية اثناء تحركها ، أو على عدو ثابت في مراكز غير حصينة . وانه ليستحيل ، بدون تحقيق هذه المتطلبات ، ان نكسب النصر في الحملات او المعارك الخاطفة .

ويتوجب علينا في كل حملة كبرى ضد « التطويق والافناء » ، ان نطبق أيضاً مبدأ التقرير السريع من دون مبدأ الاطالة . ذلك ان القوة البشرية والصادر المالية والقوة المسلحة في المنطقة القاعدية لاتسمح بمثل هذه الاطالة . بيد أنه من واجبنا ، ضمن نطاق المبدأ العام للتقرير السريع ، ان نعارض التسرع العديم الجدوى . انه لمن الضروري بصورة مطلقة الا تتأثر القيادة العسكرية والسياسية العليا في القاعدة الثورية ، وقد اخذت بعين الاعتبار

ظروف القاعدة ووضع العدو على السواء ، من الضغط الذي يمارسه العدو ، بل تحافظ على كل شجاعته حيال المصاعب التي لا بد من ملاقاتها بعد ، فلا تيأس حيال بعض الهزائم التي تتعرض لها ، بل تظهر كل الصبر والحزم اللازمين . ان حملة « التطويق والافناء » الاولى في كيانفسي قد سحقت برمتها ، من المعركة الاولى حتى الاخيرة ، خلال اسبوع واحد ، ولقد سحقت الحملة الثانية في اقل من اسبوعين ، ودامت الحملة الثالثة ثلاثة اشهر ، والحملة الرابعة ثلاثة اسابيع ، فيما تطلبت الحملة الخامسة من صبرنا سنة كاملة . وحين فشلنا في سحق الخامسة واضطررنا الى القيام بعملية لشق الحصار ، بدا من جانبنا نوع من التسرع الذي لا مبرر له . فقد كانت الظروف تمكننا من المقاومة شهرين او ثلاثة شهور اخرى ، بحيث كنا نستطيع ان نزال قسماً من الراحة ونعيد تنظيم صفوفنا . ولو اننا فعلنا ذلك وكانت القيادة اكثر حكمة قليلاً بعد فك الحصار ، فقد كان الوضع يتبدل كثيراً .

ولهذه الأسباب جميعاً يظل مبدأ تقصير مدة الحملة بكل الوسائل الممكنة صالحاً . وعلى الرغم مما تتطلبه الخطط التعبوية وخطط العمليات من جهد عظيم في سبيل مركزة القوات ، والحرب المتحركة الخ . . بحيث تؤمن هكذا افناء القوة البشرية للعدو في الجبهة الداخلية (في المنطقة القاعدية) وانهاء التطويق سريعاً ، فانه يتوجب علينا حين يتبين عدم امكان انهاء حملة « التطويق والافناء » على جبهتنا الداخلية ان نستخدم القوى الرئيسية للجيش الاحمر في سبيل فك الحصار المعادي وسحقه من بعد على جبهتنا الخارجية ، يعني على جبهة العدو الداخلية . وما دام العدو قد لجأ اليوم الى سوقية بناء الاستحكامات ، فتلك ستكون طريقتنا النظامية في القتال . ولقد كان يتوجب من دون ريب على القوى الرئيسية للجيش الاحمر ، بعد شهرين من بدء الحملة الخامسة ضد « التطويق والافناء » ، حين وقعت أحداث فوكيين (١) ، ان نتحرك بسرعة نحو منطقة كيانفسو - شيكيانغ - انهوي - كيانفسي ، ومركزها

(١) انظر هوامش « في تعبئة قتال الاستعمار الياباني » .

شيكيانغ ، كي تنتشر في طول وعرض اقاليم هانفشو، وسوشو ،ونانشانغ، وفوشو ، محولة الدفاع السوقي الى هجوم سوقي بتهديدها مراكز العدو الحيوية واستدراجه الى المعارك في المناطق الواسعة الارضاء الخالية من الاستحكامات . ولقد كنا نستطيع بهذه الطريقة ان نجبر القوى المعادية التي تهاجم جنوبي كيانغسي وغربي فوكيين على النكوص على اعقابها لتدافع عن مراكزها الحيوية ، وان نسحق هجومها على القاعدة الثورية في كيانغسي ، وأن نمد يد العون الى الحكومة الشعبية في فوكيين . . من المؤكد ان عملنا هذا كان يقدم عوناً فعالاً الى هذه الحكومة .

وبما ان هذه الخطة لم تطبق ، فانه لم يكن في الامكان سحق حملة « التطويق والافناء » الخامسة ، كما انه لم يكن من سبيل امام الحكومة الشعبية في فوكيين سوى التلاشي . وعلى الرغم من ان التوغل في شيكيانغ ، بعد سنة كاملة من القتال ، لم يعد من مصلحتنا ، فقد كنا نستطيع مع ذلك ان نتحول الى الهجوم السوقي في اتجاه آخر بتسيير قواتنا الرئيسية نحو هينان ، يعني بالتوجه الى القسم الأوسط من هينان دون دخول كويشو ، بحيث نضطر العدو هكذا الى الانتقال من كيانغسي نحو هينان ونبيده هناك . وبما ان هذه الخطة قد رفضت ايضاً ، فقد تلاشى نهائياً آخر أمل في سحق حملة « التطويق والافناء » الخامسة ، ولم يعد أمامنا من سبيل سوى المسيرة الطويلة .

٩- حرب الافناء

ان « حرب الانهك » امر لا يلائم الجيش الاحمر الصيني اليوم . وحين لاتقوم « مباراة الثروة » بين إلهتين وإلهتين آخر، بل بين إلهتين وشحاذ(١)، فمن المفروغ منه أن هذه المباراة تبعث على السخرية اذن. ان الاتجاه الاساسي

(١) في الميثولوجيا الصينية ان التناين هم آلهة البحار الاربعة ، وقصورهم تحت المياه ملأى بالكنوز العظيمة .

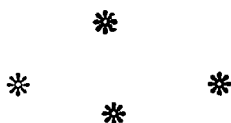
بالنسبة الى الجيش الاحمر الذي يتدارك كل مؤنه تقريباً من عدوه يجب أن يكون حرب الافناء . فنحن لا نستطيع ان نسحق حملات « التطويق والافناء » ونوسع القواعد الثورية الا بآبادة قوى العدو البشرية . وان الحاق الخسائر بالعدو يجب أن يكون مجرد وسيلة لافناء العدو ، والا فلا معنى له . وما دمنا نتعرض نحن الآخرين للخسائر عند الحاقنا بالخسائر بالعدو ، لكننا نتدارك المؤن والذخائر بآبادتنا اياه ، فاننا لا نعوض خسائرنا فحسب ، بل نقوي جيشنا أيضاً . ولا تكون المعركة حاسمة بصورة أساسية اذا انتهت بمجرد قهر عدد متفوق . وبالمقابل ، فان معركة افناء ستترك في العدو، كائناً من كان، أثراً قوياً ومباشراً . وان جرح الاصابع العشر في القتال لا يؤثر في المرء قدر استئصال اصبع واحد من أصابعه ، وكذلك فان قهر عشر فرق للعدو لا يؤثر فيه قدر آبادة فرقة واحدة من قواته .

ولقد خضنا في حملات « التطويق والافناء » الأربع الاولى حرباً للافناء ، ولقد سحقت هذه الحملات جميعاً على الرغم من أن القوى التي أبدناها في كل منها لا تشكل سوى جزء من قوى العدو المهاجمة . لكننا اتخذنا في الحملة الخامسة ضد « التطويق والافناء » خطة مختلفة ساعدت في واقع الامر العدو على بلوغ أغراضه .

ان معارك الافناء من جهة واحدة ، ومركزة القوات المتفوقة عددياً وتطبيق تكنيك الالتفاف والتطويق من جهة أخرى ، تشكل جميعاً كلاً واحداً . فلا يمكن ان تتحقق الاولى من دون الثانية . وان شروط التأييد الشعبي ، والارض الملائمة ، والخصم الذي يمكن قهره بسهولة ، والعمليات المفاجئة ، هي الشروط الضرورية من اجل ضرب الافناء .

اما الحاق الهزيمة بالعدو ، أو حتى إجباره على الفرار ، لا معنى لهما الا حين تكون قوتنا الرئيسية عاملة على افناء قوة معادية أخرى معينة في معركة أو حملة كلية . أما في الحالة المعاكسة ، فليس لذلك أي معنى على الإطلاق . . . وان المغامرات لتبرر الخسائر هنا أيضاً .

وحين ننشئ صناعتنا الحربية الخاصة يجب ان نتصرف بحيث لا نزيد تبعية الجيش الاحمر لهذه الصناعة . ان خطتنا الاساسية هي الاعتماد على الصناعات الحربية للبلدان الاستعمارية ولعدونا الداخلي في الحرب الاهلية . ان لنا حقاً في انتاج معامل لندن ومعامل هانيانغ (١) على السواء ، والاكثر من ذلك ان هذا الانتاج يسلم اليها بواسطة وسائل النقل الخاصة بالعدو نفسه . وهذه حقيقة واقعة ، وليس مزاحاً .



(١) هانيانغ ، مدينة في هوبيه تقوم فيها أكبر معامل الاسلحة الصينية .

بَيَانُ حَوَلِ بَيَانِ شِيَانْغِ كَاي - شِيَكْ

(٢٨ كانون الاول ١٩٣٦)

في بيان ، رضح شيانغ كاي - شيك لمطالب الجنرالين هسوي - ليانغ ويانغ هو - شينغ وشعب الشمال الشرقي بخصوص مقاومة اليابان (١) ، وأصدر أوامره كخطوة أولية الى القوات المشتركة في الحرب الأهلية بالانسحاب من مقاطعتي شنسي و كانسو ، وتلك كانت بشائر تراجع شيانغ عن سياسته الخاطئة في السنوات العشر الماضية . وهكذا وجهت ضربة قوية الى مؤامرات الاستعماريين اليابانيين وجماعة الحملة التأديبية الصينية (٢) الذين كانوا ينظمون الجيوش من اجل الحرب الاهلية، ويدبرون الفتن الداخلية، ويحاولون

(١) ان جيش الشمال الشرقي بقيادة شانغ هسوي - ليانغ والجيش السابع عر بقيادة يانغ هو - شينغ ، وهي قوات كيو متنافية وقعت تحت تأثير الحركة المناهضة لليابانيين المنظمة من قبل الجيش الاحمر والشعب الصيني وقبلت الاقتراح الشيوعي الخاص بجهة وطنية موحدة مناهضة لليابانيين ، قد حثا شيانغ على الاتحاد مع الشيوعيين ومقاومة اليابان . ولم يرفض شيانغ طلبهما فحسب ، بل شرع يتهماً كذلك بنشاط « لافناء الشيوعيين » وقتل عدداً من الشباب الوطنيين في بيان . وفي هذه الظروف عمد شانغ هسوي - ليانغ ويانغ هو - شينغ الى اعتقاله في بيان في ١٢ كانون الاول ١٩٣٦ . وذلك هو حادث بيان الشهر . ولقد نطقا سراخه أخيراً وسمحا له بالعودة الى نانكنغ بعد ان قبل شروطهما بالاتحاد مع الشيوعيين ومقاومة اليابان .

(٢) هم العناصر المائلة لليابانيين وخصوم شيانغ في حكومة نانكنغ الكيو متنافية . ولقد طالبوا ، بقيادة وانغ شينغ - وي وهو يينغ - سن (انظر الهوامش اللاحقة) بتنظيم « حملة تأديبية » ضد شانغ هسوي - ليانغ ويانغ هو - شينغ أثناء حادث بيان . ولقد هياؤا أنفسهم ، مستثمرين ذلك الحادث ، لبدء حرب أهلية واسعة النطاق بغية تعبيد الطريق أمام الغزاة اليابانيين وانتزاع السلطة السياسية من شيانغ كاي - شيك .

ايقاع شيانغ كاي - شيك في فخ مميت خلال أحداث سيان . ولقد اتضح منذ الآن خيبة أمل الاستعماريين اليابانيين وجماعة الحملة التأديبية . وأنه يمكن اعتبار هذه الدلالة على عودة شيانغ الى جادة الصواب اشارة عن ارادة الكيومنتانغ بانهاء سياسته الخاطئة في السنوات العشر الماضية .

وقد أصدر شيانغ كاي - شيك في ٢٦ كانون الاول بياناً في يولانغ باسم « انذار الى شانغ هسوي - ليانغ ويانغ هو - شينغ » يشكل في الحقيقة ، بما يحتوي عليه من غموض وخداع ، وثيقة مكتوبة من اعجب الوثائق السياسية في تاريخ الصين . واذا كان شيانغ يريد بالفعل ان يستخرج عبرة عميقة من هذه الاحداث ، وان يكرس نفسه لتجديد شباب الكيومنتانغ ، وان ينهي سياسته التقليدية الضارة في التواطؤ مع العدو الخارجي ، واشعال نيران الحروب في الداخل ، واضطهاد الشعب ، بحيث لا يعود الكيومنتانغ مناهضاً لارادة الشعب ، فقد كان يتوجب عليه اذن ، كدلالة على اخلاصه ، ان يصدر وثيقة افضل ، وثيقة يتوب فيها سياسياً عن ماضيه ويعرض خطئه من أجل المستقبل . ان بيان السادس والعشرين من كانون الاول لا يمكن أن يرضي مطالب جماهير الشعب الصيني .

وثمة فقرة واحدة في بيان شيانغ كاي - شيك تستأهل المديح ، حيث يعلن انه يكون « مخلصاً لوعوده ، حازماً في أفعاله » (١) . وهذا يعني أنه على الرغم من عدم توقيعه في سيان الشروط المقدمة من شانغ ويانغ ، فانه راغب مع ذلك في قبول هذه الشروط التي تعود بالفائدة على الدولة والشعب ، ولسوف يحافظ على تعهده رغماً عن عدم تكريسه اياه بتوقيعه . ولسوف نرى ما اذا كان شيانغ سيفي بوعده وينفذ تعهداته بعد سحب قواته من شنشي وكانسو .

ولقد كانت الشروط المتفق عليها هي التالية :

١ - اعادة تنظيم الكيومنتانغ والحكومة الوطنية على أساس طرد العصاية المائلة لليابانيين والاستعاضة عنهم بأنصار مقاومة اليابان .

(١) هذه العبارة من أقوال كونفو شيبوس .

- ٢ - اطلاق سراح القادة الوطنيين في شنغهاي (١) وسائر السجناء الآخرين وضمان حريات الشعب وحقوقه .
- ٣ - انتهاء سياسة « تصفية الشيوعيين » والتحالف مع الجيش الاحمر من اجل مقاومة اليابان .
- ٤ - دعوة مؤتمر خلاص وطني من سائر الاحزاب، والجماعات ، والفئات، والجيوش ، ليقرر خطة قتال اليابان وانقاذ الامة من الفناء .
- ٥ - التعاون مع البلدان التي تعطف على نضال الصين ضد اليابان .
- ٦ - وأخيراً اقتراح تدابير واساليب حسية اخرى من اجل الخلاص الوطني .

ان تحقيق هذه الشروط يتطلب قبل كل شيء نية حسنة ، وشيئاً من الحزم ايضاً . وسوف ندين شيانغ في افعاله من الآن فصاعداً . لكنه ورد في بيان شيانغ ايضاً ان احداث سيان وقعت تحت ضغط « الرجعيين » . وانه لمن المؤسف ان شيانغ لا يوضح من هم الناس الذين يصفهم حالياً « بالرجعيين » ، كما اننا لا نعرف كيف يحدد قاموس شيانغ معنى كلمة « الرجعيين » . ومن المؤكد ان احداث سيان وقعت بتأثير العوامل التالية :

- ١ - تعاضم النعمة ضد اليابان بين قوات شيانغ ويانغ وبين الشعب الثوري في الشمال الشرقي .
- ٢ - تعاضم النعمة عند شعب البلاد بأسرها ضد اليابان .
- ٣ - نمو قوى اليسار في الكيومنتانغ .
- ٤ - اصرار بعض الجماعات القوية في مقاطعات مختلفة على مقاومة اليابان

(١) كان القادة السبعة للحركة الوطنية المناهضة لليابانيين في شنغهاي هم : شن شور - جو ، وشانغ ناي - شي ، وتسو تاو - فن ، ولي كونغ - بو ، وشا شين - لي ، وشيه لينغ وانغ - تساو - شيه . ولقد اعتقلتهم حكومة شيانغ كاي - شيك في تشرين الثاني ١٩٣٦ واطلق سراحهم في تموز ١٩٣٧ .

وانقاذ الامة .

٥ - مطالبة الحزب الشيوعي بجهة وطنية موحدة مناهضة لليابانيين .

٦ - وأخيراً نمو جهة السلم العالمية .

وهذه جميعاً حقائق لا يمكن نكرانها .

وحين يتحدث شيانغ كاي - شيك عن « الرجعيين » فهو لا يقصد الا ممثلي هذه القوى . لكن الناس اصطالحوا على اطلاق اسم « الثوريين » على اولئك الذين يلقبهم شيانغ كاي - شيك « بالرجعيين » ، وهذه حقيقة لا مرأى فيها .

ولقد قال شيانغ كاي - شيك في بيان انه سيناضل بقوة ضد اليابان ، فيمكننا ان نتوقع منه ، بعد عودته من بيان ، الا ينطلق في هجوم جديد ضد القوى الثورية لأن عدم الاخلاص للمعهد يعني الموت السياسي بالنسبة اليه والى عصبته ، ولانه يواجه ايضاً ، في الوقت الحاضر ، في طريقه السياسي تلك الجماعة التي يشتد ساعدها يوماً بعد يوم ، وهي الجماعة التي تسمى « الحملة التأديبية » ، والتي كانت تنوي القضاء عليه قضاء مبرماً أثناء حوادث بيان . واذا ما أخذنا سائر هذه الامور بعين الاعتبار ، فاننا ننصح شيانغ كاي - شيك بأن يراجع قاموسه السياسي ، وان يستبدل فيه كلمة « الرجعي » بكلمة « الثوري » . عندئذ يسمى الاشياء بأسمائها الفعلية ، ويكون ذلك أفضل .

وينبغي لشيانغ ان يتذكر انه مدين بمقادرة بيان سالماً ، بالاضافة الى جهود الجنرالين شانغ ويانغ ، وهما زعيما أحداث بيان ، لوساطة الحزب الشيوعي . فقد اتخذ الحزب الشيوعي طوال فترة الاحداث ، لمجرد مصاحبة بقاء الامة ، موقف المطالبة بتسوية سلمية للقضية ، وبذل جهوداً عظيمة في سبيل تحقيق هذه التسوية . ولو ان الحرب الاهلية اتسعت نطاقاً ، واحتفظ شانغ ويانغ بشيانغ كاي - شيك في الاغلال طويلاً ، فقد كان الاستعماريون اليابانيون وجماعة الحملة التأديبية يستفيدون وحدهم من تطور الاحداث .

ولقد فضح الحزب الشيوعي بحزم في هذه الظروف مؤامرات الاستعماريين اليابانيين وجماعة الحملة التأديبية الصينيين الذين كانوا يضمون وانغ شينغ - وي (١) وهو يينغ - شن (٢) وآخرين ، كما طالب بحزم بتسوية سلمية للاحداث ، الامر الذي اتفق ، دونما سابق مشاورات ، مع آراء الجنرالين شانغ هسوي - ليانغ ويانغ هو - شينغ ، وبعض أعضاء الكيومنتانغ مثل ت . ف . سونغ (٣) . وهذا هو بالضبط رأي الشعب في سائر ارجاء البلاد ، لان الجميع يكرهون بمرارة الحرب الاهلية الحاضرة .

ولقد اطلق سراح شيانغ على اساس قبوله لشروط سيان . والمسألة من الآن فصاعدا هي ما اذا كان سينفذ حرفياً وعوده ويكون « مخلصاً في الوعود وحازماً في الأفعال » ، ويحقق بكل اخلاص شروط الخلاص الوطني . ولن يسمح الشعب الصيني لشيانغ بعد الآن بالماطلة أو التعديل في هذه الشروط . واذا تردد شيانغ في مقاومة اليابان وماطل في تنفيذ وعوده ، فان المد الثوري للشعب في مختلف ارجاء البلاد سوف يكسسه اذن بكل تأكيد . وان المثل

(١) زعيم العصاة المائلة لليابانيين في الكيومنتانغ ، وقد أيد على الدوام المواطة مع الاستعماريين اليابانيين منذ اجتياحهم للشمال الشرقي في عام ١٩٣١ . ولقد غادر شونغ كينغ في كانون الاول ١٩٣٨ ، واستسلم علناً للغزاة اليابانيين ، وشكل حكومة العوبة في نانكنغ .

(٢) أحد سادة الحرب الكيومنتانغيين وزعيم آخر للعصاة المائلة لليابانيين في الكيومنتانغ . ولقد تأمر بنشاط أثناء حادث سيان على اشعال نار الحرب الاهلية بتجنيد قوات الكيومنتانغ للهجوم على شنسي على طول الخط الحديدي كانسو - هيشوو . ولما عقد النية على أخذ مركز شيانغ كاي - شيك ، فقد وضع خطة لقتل شيانغ بالاغارة على سيان .

(٣) عضو مماليء للاميركيين في الكيومنتانغ . ولقد نصح هو الآخر ، على اساس التناوض بين الاستعمار الاميركي والاستعمار الياباني ، المناادي وتذلك بحق السيادة في الشرق الاقصى ، بتسوية سلمية لحادث سيان ، وذلك خدمة لمصالح الولايات المتحدة .

القديم لصادق : « اذا لم يحفظ المرء عهده ، فما منفعته ؟ » (١) ويتوجب على شيانغ وعصبتة أن يعنيا بهذه الحقيقة .

اذا كان في مكنة شيانغ أن ينظف تماماً أقدار السياسة الرجعية التي انتهجنا الكيومنتانغ طوال عشر سنوات ، وأن يصحح كلياً خطيئته الاساسية في القيام بالتنازلات في القضايا الخارجية ، واشعال نيران الحروب في الداخل ، واضطهاد الشعب ، وأن ينضم على الفور الى الجبهة المناهضة لليابانيين بالتحالف مع سائر الاحزاب والجماعات ، واذا كان في مكنته بالفعل ان يتخذ خطوات عسكرية وسياسية من اجل خلاص الأمة ، فان الحزب الشيوعي سيقدم بطبيعة الأمر معونته اليه . ولقد وعد الحزب الشيوعي في وقت مبكر ، في رسالته الى الكيومنتانغ بتاريخ ٢٥ آب ، (٢) بمثل هذه المساعدة الى شيانغ

(١) من أقوال كونفوشيوس .

(٢) تقدم الرسالة نقداً صارماً وصحيحاً لحكم الكيومنتانغ الرجعي ومقررات الدورة الكاملة الثانية للجنة المركزية التنفيذية ، كما انها توضح سياسة الحزب الشيوعي في تشكيل جبهة وطنية موحدة مناهضة لليابانيين وتجديد التعاون مع الكيومنتانغ . وهذا نص القسم الرئيسي في الرسالة .

« حين تحدث الدورة الكاملة الثانية للجنة المركزية التنفيذية لحزبكم عن « المركزة والتوحيد » ، فانها في الحقيقة تقلب الامور نوعاً ما رأساً على عقب . ويجب ان يفهم جيداً ان السبب الوحيد في السنوات العشر من الحرب الاهلية والنزاع قد كان سياسة التبعية للاستعمار التي اتبعها حزبكم وحكومتم الحزبية ، وهي سياسة تسببت للبلاد بالكارثة ، وعلى الاخص سياستكم المستمرة في عدم مقاومة اليابان منذ احداث ١٨ ايلول ١٩٣١ . ولقد عمدتم ، تحت شعار « السلام الداخلي قبل مقاومة الغزو الاجنبي » ، هذا الشعار الذي قدمه حزبكم وحكومتم الحزبية ، الى القيام طوال السنوات الماضية بحروب أهلية غير منقطعة وحملات تطويق لا حصر لها ضد الجيش الاحمر ، ولم توفرؤا جهداً في القضاء على حركة الشعب الوطنية والديموقراطية في مختلف أنحاء البلاد . ولقد ادرتم ظهوركم حتى هذه الشهور الاخيرة ، دون ادنى تأنيب من ضميركم ، لشمالى الصين وشمالىها الشرقى ، واستخدمتم كل قواكم ، متناسين

ان الاستعمار الياباني هو الد اعداء الصين ، من اجل قتال الجيش الاحمر واثارة صراعات انشاقية داخل حزبكم ، واعتزستم سبيل الجيش الاحمر في طريقه الى قتال اليابانيين وهاجمتم مؤخرته ، وأهملتم مطالب الشعب في جميع أرجاء البلاد بخصوص مقاومة اليابان ، وحرمتوه من حرياته وحقوقه . ولما كانت الوطنية قد أصبحت جريمة ، فان السجون في جميع أرجاء البلاد تفص بالسجناء الإبرياء ، ولما كانت الخيانة قد أصبحت أهلا للمكافآت ، فان الاعوان يتبادلون التهاني عند حصولهم على جوائز الحكومة . ان السعي الى « المركزة والتوحيد » من طريق السياسة الخاطئة لأشبه في الحقيقة « بتسليق الأشجار من اجل صيد السمك » ، وسوف تكون نتائجه عكسية تماما .

« واننا لتتقدم اليكم الان ، ايها السادة ، بهذه النصيحة بكل جد واخلاص : اذا لم تبدلوا بصورة اساسية سياستكم الخاطئة ، واذا لم توجهوا حقدكم على الاستعماريين اليابانيين بدلا من الاستمرار في توجيهه ضد مواطنكم انفسهم ، فلسوف تجدون ان من المستحيل عليكم الاحتفاظ حتى بوضعكم الراهن ، ان الحديث من المركزة . والتوحيد ، وما يدعى « الدولة الحديثة » لا يمكن ان يكون اذن سوى ثرثرة فارغة . ان ما يطلبه الشعب حاليا في جميع أرجاء البلاد هو المركزة والتوحيد من اجل قتال اليابان وانقاذ الامة ، وليس المركزة والتوحيد من اجل التزلف امام الاجانب واضطهاد الشعب . ان الناس في جميع أرجاء البلاد يطالبون الان باندفاع بحكومة تستطيع فعلا ان تنقل امتهم وتنقدهم ، بجمهورية ديمقراطية بالفعل . ان الناس في جميع أرجاء البلاد يطالبون بحكومة جمهورية ديمقراطية تعمل من اجل مصالحهم .

« وان البرنامج الرئيسي لئل هذه الحكومة يجب ان يهىء الامور التالية : اولا ، مقاومة العدوان الاجنبى . ثانيا ، ضمانة الحقوق الديمقراطية للشعب . ثالثا ، تطوير الاقتصاد الوطنى ، والتخفيف من المصاعب التى يعانىها الناس في حياتهم ، بل القضاء عليها كليا . وفيما يتعلق « بالدولة الحديثة » ، فان مثل هذا البرنامج وحده يتجاوب مع الحاجة الصحيحة للصين المستعمرة ونصف المستعمرة في العصر الحاضر .

« ان الناس في جميع أرجاء البلاد يناضلون برجاء حار وعزم صارم من اجل تحقيق مثل هذا البرنامج ، بيد ان سياسة حزبكم وحكومكم الحزبية يعاكس هذا الرجاء الذي يمرر قلوب الناس في جميع أرجاء البلاد ، وهكذا لن يكون كسب ثقتهم ممكنا بالنسبة اليكم .

الشيوعي ، فان الشعب في مختلف أرجاء البلاد يعرف انه حقيقة واقعة منذ

« ان الحزب الشيوعي الصيني والجيش الاحمر الصيني يعلنان هنا : اننا نؤيد انشاء جمهورية ديموقراطية موحدة لجميع البلاد ، ونؤيد دعوة برلمان ينتخب بالاقتراع العام ، ونقدم مؤتمر خلاص وطني مناهض لليابانيين يمثل جميع الشعب وجميع القوى المسلحة المناهضة لليابانيين في البلاد ، وحكومة دفاع قومي موحد لجميع البلاد . واننا لنعلن هنا : حالما يتم تشكيل جمهورية ديموقراطية موحدة لكل الصين ، فان المناطق الحمر ستصبح جزءا لا يتجزأ منها ، كما ان ممثلي الشعب في المناطق الحمر سيحضرون الى برلمان كل الصين ، ويطبق نفس النظام الديموقراطي في المناطق الحمر كما في اجزاء الصين الاخرى .

« واننا لنعتمد ان مجلس الدفاع القومي الذي قررت تنظيمه الدورة الكاملة الثانية للجنة المركزية التنفيذية لحزبكم ، والجمعية الوطنية التي دعاها حزبكم وحكومتم الحزبية ، لا يمكن ان يحققا مهمات المركزة والتوحيد من اجل مقاومة اليابان والخلاص الوطني . وان تنظيمات مجلس الدفاع القومي التي وضعتها الدورة الكاملة الثانية للجنة المركزية التنفيذية لحزبكم تنص على ان تركيب المجلس سيقصر على بعض الرسميين اصحاب السلطان في حزبكم وحكومتم الحزبية ، وان مهمته تنحصر في كونه مجلسا استشاريا لحكومتم الحزبية . وانه لمن الجلي ان مثل هذا المجلس لا يمكن ان يحقق شيئا كما لا يمكن ان يكسب ثقة الشعب . وكذلك فان الجمعية الوطنية التي يرغب حضراتكم في دعوتها لا تستطيع ان تحقق ذلك ، لان مثل هذه الجمعية لن تكون ، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار « مشروع دستور جمهورية الصين » و « القانون العضوي وقانون الانتخابات للجمعية الوطنية » اللذين وافقت عليهما حكومتكم الحزبية ، وهو سوى مجرد جهاز يديره بعض الرسميين في حزبكم وحكومتم الحزبية ، وهو ملحق وزينة لهما . ان مجلسا للدفاع القومي وجمعية عامة من هذا النوع لا يتصلان من بعيد او قريب بالمؤتمر القومي لمقاومة اليابان والخلاص الوطني (يعني مجلس الدفاع القومي) وبالجمهورية الديموقراطية الصينية وبرلمانها المقترحين من قبل حزبنا .

« اننا نعتقد ان مجلس الدفاع القومي من اجل مقاومة اليابان والخلاص الوطني يجب ان يضم مندوبين عن جميع الاحزاب ، والجماعات ، والحلقات ، والقوى المسلحة ، وبشكل جهازا حقيقيا للسلطة قادرا على تقرير السياسات الرئيسية لمقاومة اليابان واناخذ الامة ، وان حكومة موحدة للدفاع القومي يجب ان تتشكل من هذا المجلس . وان الجمعية الوطنية يجب

خمس عشرة سنة . ومن المؤكد أن الشعب في جميع أنحاء البلاد يثق بأقوال

ان تكون برلمانا ينتخب من قبل الامة بأسرها عن طريق الاقتراع العام ، وان تكون الجهاز الاعلى للسلطة في جمهورية الصين الديمقراطية . ان مثل هذا المجلس للدفاع القومي وهذا البرلمان لكل الصين يستطيعان وحدهما ان يحصلا على ترحيب الشعب وتأييده ومشاركته في سائر أنحاء البلاد وان يضما القضية الكبرى لانتقاذ الامة والشعب على اسس متينة لا تتزعزع . والا نان الكلمات الطنانة جميعاً لن تجدي فتيلاً ، ولن تكسب قط تأييد الشعب . وان فشل المؤتمرات العديدة التي عقدتها حزبكم وحكومتم الحزبية حتى الان لافضل دليل على ذلك .

» وان بيان الدورة الكاملة الثانية للجنة المركزية التنفيذية لحزبكم يقرر كذلك ما يلي :

« لا يمكن الا ان نتوقع الاخطار والعقبات ، لكننا لن نترأخى قط ، بسبب من المصاعب والمتاعب التي تخيم على الامة ، في القيام بواجبنا » . ومن بعد : « اما فيما يتعلق ببقاء الامة ، فان حزبنا سيكرس له بكل تأكيد كل حكمته ومقدرته وعمله في السراء والضراء » . وفي الحقيقة ، ان حزبكم هو الحزب الحاكم في القسم الاكبر من الصين ، والمسؤولة السياسية عن سائر الاعمال الماضية لا يمكن ان تقع على عاتق سواكم . ولما كانت حكومة الكيومنتانغ واقعة تحت دكتاتورية حزب واحد ، فان الكيومنتانغ لا يستطيع قط ان يفلت من هذه المسؤولية . وان حزبكم ، وعلى الاخص منذ احداث ١٨ ايلول ، قد سلك ، معارضا لرغبات الشعب في جميع أنحاء البلاد ، وعاملا ضد مصالح الامة بأسرها ، سياسة خاطئة بصورة مطلقة ، كان من نتائجها ضياع نصف الصين تقريباً - مسؤولية هذه الخسارة لا يمكن ان تلقى قط على عاتق الآخرين . وفي رأينا كما في رأي البلاد جميعها انه ما دام حزبكم قد أعرض عن نصف الصين ، فاننا لا نستطيع بكل تأكيد الا ان نحمل حزبكم مسؤولية استرداد الارض الضائعة وإعادة السيادة المفقودة .

» وفي الوقت نفسه فان عدداً كبيراً من أصحاب الوجدان ، حتى ضمن حزبكم ، قد شرعوا يدركون بوضوح احوال استعباد الشعب ، ويدركون في الوقت ذاته ، قداسة رغباته ، ولقد بدأوا يتخذون اتجاهاً جديداً ويحسنوا الاشتمزاز والحقده حيال اولئك الاعضاء في حزبهم الذين جابوا الكارثة على حزبهم والامة على السواء . وان الحزب الشيوعي الصيني ليؤيد كل التأييد هذا الاتجاه الجديد ، ويصفق بحرارة ليقظة هؤلاء الاعضاء الوطنيين والمخلصين في الكيومنتانغ وروحهم الطيبة ، واستعدادهم للتضحية بأنفسهم في النضال ، وشجاعتهم في ادخال اصلاحات

الحزب الشيوعي وأفعاله أكثر من ثقته بأقوال وأفعال أي حزب أو جماعة أخرى في البلاد .

والامة على شفا الهاوية . واننا لنعلم ان في منظمات حزبكم القيادية والمركزية والمحلية ، وفي أجهزة السلطة المركزية والمحلية ، وفي الحلقات الثقافية والعلمية والفنية والصحفية والصناعية والدينية والطبية ، وفي مختلف انواع المنظمات الشعبية ، وبين النساء ، وبين الشرطة ، وعلى الاخص بين الصفوف الواسعة في الجيش وبين الاعضاء القدماء والجدد كما بين القادة على مختلف مستويات الكيومنتانغ ، اناساً وطنيين كثيرين قد استيقظوا حالياً ، وعددهم يتزايد يوماً بعد يوم . وهذه حقيقة تبعث على الارتياح العظيم . وان الحزب الشيوعي الصيني لعلّى استعداد دائماً لمُد يديه الى هؤلاء الاعضاء من الكيومنتانغ وتشكيل جبهة وطنية موحدة وطيدة معهم في سبيل قتال ألد أعداء الامة ، الاستعمار الياباني . واننا لنترجو ان يصبح هؤلاء الاعضاء ، على جناح السرعة ، قوة مهيمنة في الكيومنتانغ ويطغوا على أولئك الاعضاء الارذال السيئين الذين اصبحوا بالفعل ، وقد تعاموا عن مصالح الامة ، عملاء الاستعماريين اليابانيين والاعوان المعالين لليابانيين - أعضاء يشكلون وصمة لذكرى الدكتور صن يات - صن ، ويستطيعوا ان يحبوا روح مبادئ الدكتور صن الثورية الشعبية الثلاثة ، ويعيدوا تدعيم سياساته الرئيسية الثلاث في التحالف مع روسيا ، والتعاون مع الشيوعيين ، وتقديم المساعدة للفلاحين والعمال ، ويكرسوا « حكمتهم ومقدرتهم » « للعمل من اجل » تحقيق مبادئ الشعب الثورية الثلاثة والسياسات الرئيسية الثلاث « في السراء والضراء » ، و « العمل من اجل » تحقيق وصية الدكتور صن الثورية « في السراء والضراء » . اننا لنترجو ان يأخذوا على عاتقهم ، جنباً الى جنب مع القادة الوطنيين والاناس الوطنيين في جميع الاحزاب وجميع الجماعات وجميع الحلقات ، مسؤولية متابعة قضية الدكتور صن الثورية ، وان يناضلوا بحزم في سبيل طرد الغزاة اليابانيين خارج البلاد وانقاذ الامة الصينية من الفناء ، وان يكسبوا الحقوق الديمقراطية للشعب في سائر انحاء الوطن ، وان يطوروا اقتصاد الصين الوطني من اجل التخفيف من آلام الغالبية الساحقة من شعبها، وان يأتوا بجمهورية الصين الديمقراطية ببرلمانهاالديموقراطي وحكومتها الديمقراطية .



«ان الحزب الشيوعي الصيني يعلن هنا لسائر اعضاء الكيومنتانغ : اذا فعلتم هذا حقاً ، فاننا سوف نعزدمكم بحزم ونشكل معكم من جديد جبهة ثورية موحدة وطييدة كتلك الجبهة التي تشكلت ضد الاضطهاد الاجنبي والاقطاعي اثناء الفترة الثورية العظمى التي مرت بها الصين بين ١٩٢٤ - ١٩٢٧ . لان ذلك هو الاتجاه الصحيح الوحيد اليوم من اجل انقاذ الامة من الفناء وتأمين بقائها » .

مهمان الحزب الشيوعي الصيني

في مرحلة المقاومة ضد اليابان

(٣ أيار ١٩٣٧)

تقرير قدم في الاجتماع الوطني للحزب الشيوعي في الصين ،

المعقود في بينان في أيار ١٩٣٧

المرحلة الراهنة من تطور التناقضات الخارجية والداخلية في الصين .

١ - ان التبدلات الطارئة على علاقات الصين الاممية والعلاقات الطبقية الداخلية ، الناشئة عن كون التناقضات بين الصين واليابان قد أصبحت التناقضات الرئيسية والتناقضات الداخلية في الصين تناقضات ثانوية ولاحة ، قد دخلت في مرحلة جديدة من التطور في الوضع الحاضر .

٢ - لقد خضعت الصين طويلا لنوعين من التناقضات الداخلية والاساسية - التناقضات بين الاستعمار والصين والتناقضات بين الاقطاعية وجماهير الشعب الفقيرة . ولقد خانت البورجوازية ، ممثلة في الكيومنتانغ ، الثورة عام ١٩٢٧ وباعت المصالح الوطنية للاستعمار ، الامر الذي نتج عنه قيام تضاد حاد بين نظام العمال والفلاحين ونظام الكيومنتانغ ووقوع واجب الثورة القومية والديموقراطية كله على كاهل الحزب الشيوعي وحده .

٣ - ان الوضع منذ احداث ١٨ ايلول ١٩٣١ ، وعلى الاخص منذ سلسلة الاحداث في شمال الصين عام ١٩٣٥ (١) قد ادت الى التبدلات التالية في هذه التناقضات :

(١) هي سلسلة من الاحداث قام بها اليابانيون بعدوانهم على شمال الصين ، فيما حكومة

٢ - ان التناقضات بين الصين والاستعمار على العموم قد أفسحت المجال لتناقضات حادة بصورة مخصوصة بين الصين والاستعمار الياباني. ان الاستعمار الياباني ينفذ سياسته الخاصة بغزو الصين التام. وبنتيجة ذلك فان التناقضات بين الصين وبعض القوى الاستعمارية الاخرى قد ابدت الى مركز ثانوي ، فيما اتسع الصدع بين هذه القوى الاستعمارية واليابان ، وبالتالي فان الحزب الشيوعي الصيني والشعب الصيني يواجهان مهمة ربط الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين بجبهة السلام العالمية . وهذا يعني انه ليس من واجب الصين ان تتحالف فقط مع الاتحاد السوفييتي الذي كان على الدوام الصديق الودود للشعب الصيني ، بل انه يتوجب عليها أيضاً ، قدر المستطاع ، ان تقاوم الاستعمار الياباني بالاتفاق مع تلك البلدان الاستعمارية التي ترغب

الكيومتانغ التي يرأسها شيانغ كاي - شيك تتنازل عن سيادة الصين على المقاطعات الشمالية وتعرض الامة كلها للاذلال . وهذه الاحداث هي :

١ - توقيع اتفاق « هو - اوميزو » في حزيران ١٩٣٥ من قبل هو بينغ - شين ممثل الحكومة الكيومنتانغية في شمال الصين ويوشيجيرو اوميزو قائد القوات اليابانية المسلحة في شمال الصين. ولقد قبلت حكومة الكيومنتانغ بموجب هذا الاتفاق الطلب الذي قدمته اليابان في ايار متنازلة بذلك بصورة جوهرية عن حقوق الصين في السيادة على مقاطعتي هوبيه وشاهار .

٢ - حادث سيانغفو . قامت جماعة من المتعاونين ، بتوجيه من اليابانيين ، بتمرد في تشرين الاول في اقليم سيانغفو ، من مقاطعة هوبيه ، واحتلت عاصمة الاقليم .

٣ - « الحركة من اجل الحكم الذاتي في المقاطعات الشمالية الخمس » ، في تشرين الثاني ، وهي الحركة التي اثارها المعتدون اليابانيون بواسطة عملائهم ، وأدت الى قيام ماسموه « الادارة الذاتية المناهضة للشيوعيين » في شرقي هوبيه .

٤ - تشكيل « لجنة القضايا السياسية لهوبيه وشاهار » برئاسة سونغ شي - يوان ، وهو تدبير اتخذته حكومة الكيومنتانغ نزولاً عند طلب اليابانيين بتشكيل « سلطة سياسية خاصة بشمالى الصين » .

الأونة في المحافظة على السلام وتعارض حروب العدوان الجديدة . ان جبهتنا الموحدة يجب ان تستهدف مقاومة اليابان ، وليس معارضة سائر القوى الاستعمارية دفعة واحدة .

ب - ان التناقضات بين الصين واليابان قد استتبعت تبديلا في العلاقات الطبقية الداخلية وطرح مسألة البقاء على قيد الحياة بالنسبة الى البورجوازية وحتى بالنسبة الى سادة الحرب ، وهكذا حدث تبدل تدريجي في موقفهم السياسي وفي موقف احزابهم . وهذا يضع امام الحزب الشيوعي الصيني والشعب الصيني مهمة تشكيل جبهة وطنية موحدة مناهضة لليابانيين . ان جبهتنا الموحدة تضم البورجوازية وسائر الناس الذين هم على استعداد للدفاع عن الوطن الام . انها جبهة التضامن القومي ضد العدو الخارجي . وهذه المهمة لا يمكن ان تتحقق فحسب ، بل يجب ان تتحقق .

ج - ان التناقضات بين الصين واليابان قد غيرت اوضاع جماهير الشعب الفقيرة في طول البلاد وعرضها (البروليتاريا ، وطبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدنية) كما غيرت اوضاع الحزب الشيوعي وسياسته على حد سواء . لقد نهض عدد متعاظم باستمرار من الناس للقتال في سبيل الخلاص الوطني . ومنذ احداث الثامن عشر من ايلول ، تطورت سياسة الحزب الشيوعي المتعلقة بعقد اتفاق من اجل مقاومة اليابان مع تلك الجماعات من الكيومتبانغ الراغبة في التعاون ، وذلك على اساس شروط ثلاثة (ايقاف الهجمات على القواعد الثورية ، تأمين حرية الشعب وحقوقه ، وتسليح الشعب) ، تطورت هذه السياسة الى سياسة تشكيل جبهة موحدة مناهضة لليابانيين من الامة بأسرها . وقد قام حزبنا تجاه هذا التطور بخطوات متعاقبة ، بما فيها بيان آب (١)

(١) اشارة الى بيان الاول من آب ١٩٣٥ ، وفيما يلي مقتطفات منه :

« اليوم والدمار العنيد يهدد امتنا وشعبنا ، يتوجه الحزب الشيوعي من جديد الى سائر

المواطنين : مهما تكن الخلافات الماضية والحاضرة في الآراء السياسية والمصالح بين الأحزاب السياسية المختلفة ومهما يكن الخلاف في الآراء والمصالح بين الحلقات المختلفة من مواطنينا ، ومهما تكن الاعمال العدائية التي قامت بها او تقوم بها الان الجيوش المختلفة ، فان من واجب الجميع ان يستيقظوا حقاً ويدركوا ان « الاخوة المتخاصمين في الداخل يجب ان يتعاضدوا لرد الهجمات الخارجية » - ومن واجب الجميع في المحل الاول ان يسعوا لايقاف الحرب الاهلية بحيث يمكن تركيز قوى الامة (القوة البشرية ، والمصادر المادية والمالية ، والقوات المسلحة) في القضية المقدسة للمقاومة المسلحة والخلاص القومي . وان الحزب الشيوعي ليعلم بكل جد مرة اخرى : اذا ما اوقفت قوات الكيومنتانغ هجماتها على الجيش الاحمر ، او اذا ما عمدت اية قوة مسلحة الى مقاومة اليابان ، فان الجيش الاحمر لن يمد اذن الى وقف اعماله العدائية ضدها فوراً فحسب ، دون اي اعتبار للاحقاد القديمة او النزاعات الحالية بينها وبينه ، ودون اي اعتبار للخلافات بينها وبينه حول القضايا الداخلية ، بل سيمد اليها يده بكل اندفاع للعمل الجماعي في سبيل انقاذ الوطن .

» . ان الحزب الشيوعي راغب في اقامة مثل هذه الحكومة للدفاع القومي ، وانه مع التفاوض من اجل الاتفاق بين حكومة الدفاع القومي وسائر الاحزاب والجماعات السياسية ، وسائر تلك المنظمات (نقابات العمال ، والجمعيات الفلاحية ، واتحادات الطلاب ، وغرف التجارة ، والجمعيات الثقافية ، واتحادات الصحفيين ، وجمعيات المعلمين واعضاء السلك الدراسي ، والجمعيات التعاونية في المدن ، والماسونيين الصينيين ، وجمعية الدفاع الذاتي الوطني المسلح ، والجمعيات المناهضة لليابانيين ، واتحاد الخلاص القومي ، الخ . .) وسائر تلك الشخصيات البارزة من الاساتذة ورجال الدولة ، وجميع المنظمات العسكرية والادارية المحلية ، الراغبة في الاسهام في قضية مقاومة اليابان وخلاص الامة . ويجب ان تكون حكومة الدفاع القومية التي ستشكل نتيجة للمفاوضات الجهاز القيادي المؤقت من اجل انقاذ الامة من الغناء وتأمين بقائها . ويتوجب على مثل هذه الحكومة للدفاع القومي ان تعد الى دعوة جهاز من المثليين الحقيقيين لسائر المواطنين (مثليين يجب ان ينتخبوا ديمقراطياً من قبل الفئات المختلفة - العمال ، والفلاحين والجنود ، وموظفي الدولة ومستخدميها ، ورجال الاعمال ورجال العلم ، وسائر الاحزاب والمنظمات الراغبة في مقاومة اليابان وانقاذ الامة ، وسائر الصينيين المفترين وسائر الجماعات الوطنية داخل حدود الصين) ، وذلك بغية مناقشة القضايا المتعلقة بمقاومة اليابان وانقاذ الامة بصورة متصلة . وان الحزب الشيوعي ليأخذ على

وقرار كانون الاول (١) ، وكلاهما صادران عام ١٩٣٥ ، والاعراض عن

عاقبه ان يبدل قصاره في المساعدة على دعوة مثل هذا الجهاز التمثيلي للشعب بأسره وتنفيذ سائر مقرراته .

« . . ويجب تشكيل جيش موحد مناهض لليابانيين من سائر القوات الراغبة في مقاومة اليابان . ويجب ان تخضع رئاسة اركان هذا الجيش لقيادة حكومة الدفاع القومي . اما ان هذه الاركان سوف تشكل من مندوبين منتخبين من قبل الضباط والجنود المناهضين لليابانيين في مختلف الوحدات المسلحة ، أو على أي أساس آخر ، فتلك مسألة سوف يقررها ممثلو سائر الفئات وفقاً لإرادة الشعب بأسره . وان الجيش الأحمر ليتعهد كما يحقق رسالته في مقاومة اليابان وانتفاذ الامة ، بأن يكون أول من ينضم الى هذا الجيش الحليف . وان الحزب الشيوعي ليتوجه الى الامة بأسرها في سبيل تمكين حكومة الدفاع القومي من القيام بصورة فعالة بمسؤولياتها الثقيلة في الدفاع القومي وتمكين الجيش الموحد المناهض لليابانيين من القيام بمسؤولياته الجسيمة في مقاومة اليابان : أولئك الذين يملكون المال يجب ان يقدموا المال ، وأولئك الذين يملكون بنادق يجب ان يقدموا البنادق ، وأولئك الذين يملكون طعاماً يجب ان يقدموا الطعام ، وأولئك الذين يملكون قوة العمل يجب ان يقدموا قوة العمل ، وأولئك الذين يتمتعون بموهبة خاصة يجب ان يساهموا بموهبتهم الخاصة ، بحيث يجند سائر مواطنينا ، وبحيث تستخدم سائر الاسلحة القديمة والحديثة في تسليح الملايين والملايين من الشعب » .

(١) اشارة الى القرار المتخذ في اجتماع المكتب السياسي للجنة الحزب المركزية في دايدباد ، من شمال شنسي ، في ٢٥ كانون الاول ١٩٣٥ . لقد قدم هذا القرار ، الذي حمل عنوان « قرار حول الوضع السياسي الراهن ومهمات الحزب » ، تحليلاً واضحاً للوضع الاممي والداخلي والتبدلات في العلاقات الطبقيّة الحادثة في الصين ، وحدد سياسة الحزب . وفيما يلي مقتطفات من هذا القرار :

« يبين لنا الوضع الراهن تماماً ان محاولة اليابانيين الحاق الصين قد هزت البلاد كلها والعالم بأسره . ولقد حدثت تبدلات او هي في طريق الحدوث في العلاقات بين سائر الطبقات والفئات ، وسائر الاحزاب السياسية والقوى المسلحة في حياة الصين السياسية . ان كلي الجبهة الوطنية الثورية والجبهة الوطنية المضادة للثورة يعاد تنظيمهما ، وبالتالي فان اتجاه الحزب التعبوي هو ايقاظ القوى الثورية في طول الصين وعرضها وتوحيدها وتنظيمها في سبيل مقاومة العدو الرئيسي الذي يجابهها - الاستعمار الياباني والخائن الكبير شيانغ كاي - شيك . ان جميع الشعب وجميع الاحزاب ، وجميع القوى المسلحة وجميع الطبقات ، بقدر ما هي

مناهضة للاستعمار الياباني والخائن شيانغ كاي - شيك ، يجب ان تتحد كي توسع الحرب الوطنية الثورية المقدسة حتى طرد الاستعماريين اليابانيين خارج الصين وقلب حكم اذئابهم في الصين ، في سبيل تحقيق تحرر الصين التام وحماية استقلالها وسلامة اراضيها ، ولا يمكن قهر الاستعمار الياباني وذنبه شيانغ كاي - شيك الا باقامة جبهة وطنية موحدة مناهضة لليابانيين واسعة قدر الامكان (في القاعدة وفي القمة على حد سواء) .

» ومن المؤكد ان اشخاصاً ومنظمات وطبقات وفئات اجتماعية وقوات مسلحة مختلفة يمكن ان تنضم جميعاً الى الثورة الوطنية المناهضة لليابانيين بدوافع مختلفة ومن وجهات نظر مختلفة. فالبعض ينضمون بغية الحفاظ على مراكزهم الحالية ، وآخرون في سبيل تحقيق زعامتهم في الحركة بحيث لا تتجاوز رغباتهم ، وآخرون أيضاً كي يعملوا باخلاص من اجل تحرير الامة الصينية تماماً . ويمكن للبعض بسبب اختلاف دوافعهم ووجهات نظرهم ، ان يتذبذبوا أو يخونوا في بدء الصراع ، كما يمكن ان ينتهي آخرون الى اللامبالاة وينسحبوا في نصف الطريق من الجبهة ، بينما يتابع آخرون النضال حتى النهاية . ومهما يكن من امر ، فليس واجبنا أن نوحّد كل ما يمكن توحيدّه من القوى الاساسية المناهضة لليابانيين فحسب ، بل كل ما يمكن توحيدّه من الحلفاء المناهضين لليابانيين . ان مهمتنا ان نحمل سائر الذين يملكون في البلاد قوة العمل على اعطاء قوة العمل ، والذين يملكون المال على اعطاء المال ، والذين يملكون السلاح على اعطاء السلاح ، والذين يملكون المعرفة على الاسهام بالمعرفة ، ان نحمل كل وطني صيني على الانضمام الى الجبهة المناهضة لليابانيين . ذلك هو الاتجاه العام للتعبئة الحزبية الخاصة بأوسع جبهة وطنية ممكنة .

» ولن نستطيع الا باتّباع هذا الاتجاه ان نجد قوى الشعب في كل البلاد لمجابهة العدو المشترك للشعب كله ، الاستعمار الياباني والخائن شيانغ كاي - شيك .

» وتظل الطبقة العاملة الصينية وطبقة الفلاحين القوى الحركة الاساسية في الثورة . وان الجماهير الواسعة من البورجوازية الصغيرة والمتقنين الثوريين هم الحلفاء الاوثق في الثورة الوطنية ، كما ان الاتحاد التّين بين العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة سوف يكون القوة الرئيسية في قهر الاستعمار الياباني والاعوان والخونة . ويمكن لقسم من البورجوازية الوطنية ومن سادة الحرب ، مهما كانت معارضتهم للثورة الزراعية والنظام الاحمر ، ان يساعدوا في توسيع الجبهة المناهضة لليابانيين اذا اظهروا العطف او اتخذوا موقف الحياد المؤيد حيال النضال ضد اليابانيين والاعوان والخونة ، او اسهموا في هذا النضال مباشرة . ذلك ان هذا

الشعار المناهض لشيانغ كاي شيك في أيار (١) ورسالة آب الى الكيومنتانغ (٢) ،

الامر سوف يفصلهم عن القوى المضادة للثورة في مجموعها ويزيد القوى الثورية في مجموعها . وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ، يتوجب على الحزب ان يتخذ الوسائل والطرق المناسبة لكسب هذه القوى الى جانب الجبهة المناهضة لليابانيين . وفيما عدا ذلك ، فان التضامن المطلق لا يتوفر في حال من الاحوال في معسكر طبقتي المغاريين الكبار والمستوردين الاحتكاريين ، لان عدة دول استعمارية قد طمعت في الصين حتى الآن ، فقام في خدمتها فئات مختلفة من الخونة تتنازعا التناقضات والخلافات ، وبالتالي يتوجب على الحزب ان يستخدم جميع الوسائل ليمنع بصورة مؤقتة بعض القوى المضادة للثورة من المارضة النشيطة للجبهة المناهضة لليابانيين . وتطبق الخطة نفسها على القوى الاستعمارية في غير اليابان .

« وينبغي للحزب ، حين يوقظ سائر قوى الشعب في جميع ارجاء البلاد ويوحدها وينظمها ضد العدو المشترك . ان يحارب بحزم ودونما تردد سائر الميول الى التذبذب والمواطاة ، والاستسلام والخيانة ضمن الجبهة الموحدة المناهضة لليابانيين . ان اولئك الذين يفصمون عرى حركة الشعب الصيني المناهضة لليابانيين هم اعداؤه او خونة ، ويجب ان ننهض جميعاً لقتالهم .

« وينبغي للحزب الشيوعي ان يسعى الى كسب القيادة في الجبهة المناهضة لليابانيين بحزمه وصحة اقواله وافعاله ضد الاستعمار الياباني وضد الاعوان والخونة . فلا يمكن ان يتحقق النصر التام للحركة المناهضة لليابانيين الا بقيادة الحزب الشيوعي .

« اما فيما يخص الجماهير الفقيرة في الحرب المناهضة لليابانيين ، فانه ينبغي ارضاء مطالبها الاساسية « مطلب الفلاحين الارض ومطلب شروط المعيشة الافضل من جانب العمال ، والجنود ، وفقراء الناس والمثقفين » . ونحن لن نجد الفئات الواسعة من جماهير الشعب للانضمام الى الجبهة المناهضة لليابانيين ، ولن نحافظ على الحركة المناهضة لليابانيين ، ولن نقود الحركة الى النصر التام ، الا بارضاء مطالب هذه الجماهير . وبهذه الطريقة وحدها يمكننا ان نكسب القيادة في الحرب المناهضة لليابانيين . » « انظر كذلك : في تعبئة قتال الاستعمار الياباني » .

١ - انظر الرسالة البرقية المؤرخة في ٥ ايار ١٩٢٦ ، والمرسلة من الجيش الاحمر الى حكومة نانكنغ مطالبا بانهاء الحرب الاهلية ، وعقد اتفاقية سلم مع الشيوعيين ، والاتحاد مع الشيوعيين من اجل مقاومة اليابان . وهذا هو نصها الكامل : « الى اللجنة العسكرية للحكومة الوطنية : نانكنغ ، الى سائر القوى البرية والبحرية والجوية ، الى سائر الاحزاب ، الى سائر

الجماعات ، الى سائر المنظمات ، الى سائر الصحف ، والى سائر المواطنين الذين لا يريدون ان يكونوا عبيدا لامة اجنبية .

« منذ ان نظمت اللجنة العسكرية الثورية للجيش الاحمر الصيني الطليعة المناهضة لليابانيين من الجيش الاحمر للشعب الصيني وامرتها باجتياز النهر الاصفر في مهمة نحو الشرق، جعلت هذه الطليعة تحقق النصر حيثما ذهبت ، محدثة بذلك دوبا عظيما في جميع ارجاء البلاد لكنه حين احتلت خط تاتونغ - بوشود الحديدي واخذت تنهيا بنشاط من اجل التقدم شرقا الى هوبيه لمقاتلة الاستعماريين اليابانيين مباشرة ، اصدر شيانغ كاي - شيك اوامره الى اكثر من عشر فرق بالتوجه الى شنسي ومساعدة ين هي - شان في اعتراض سبيلها الى مقاتلة اليابانيين ، كما امر القوات التي يقودها شانغ هسوي - ليانغ ويانغ هو - شينغ ، بالاضافة الى القوات المراقبة في شمال شنسي ، بالتوغل في منطقة شنسي - كانسو الحمراء لمهاجمة مؤخرتنا المناهضة لليابانيين .

« ولا بد للطليعة المناهضة لليابانيين من الجيش الاحمر للشعب الصيني ، في سبيل بلوغ هدفها الذي هو قتال اليابانيين مباشرة ، من مركزة كل قواها من اجل تنحية قوات شيانغ من طريقها . بيد ان اللجنة العسكرية الثورية للجيش الاحمر وجدت ، بعد مناقشة طويلة ، ان معركة حاسمة بين الطرفين في الازمة الوطنية الراهنة لن تؤدي ، كائنا من كان الطرف الذي سيخرج منتصرا من هذه المعركة ، سوى الى اضعاف قوة الصين على الدفاع القومي ، الامر الذي سيغضب به الاستعماريون اليابانيون كثيرا . وفيما عدا ذلك ، فان بين قوات شيانغ كاي - شيك و ين هسي - شان عددا كبيرا من الضباط والجنود الوطنيين الراغبين في انتهاء الحرب الاهلية وتحقيق الوحدة ضد اليابان ، فهم اذ يعترضون سبيل الجيش الاحمر في طريقه الى قتال اليابانيين بناء على اوامر شيانغ و ين انما يعملون بالفعل ضد واجباتهم . وبالتالي فان اللجنة العسكرية الثورية للجيش الاحمر ، في سبيل المحافظة على قوة الدفاع القومي الصيني سليمة ، واستعجال الحرب المناهضة لليابانيين بنتيجة ذلك ، وفي سبيل التنفيذ الحازم للبيان الذي اذعناه مرارا على الامة بخصوص وقف الحرب الاهلية والوحدة ضد اليابان ، وفي سبيل حث شيانغ كاي - شيك والضباط والجنود الوطنيين في حينه على اليقظة اخيرا ، تسحب عن طيب خاطر الطليعة الشعبية المناهضة لليابانيين الى الغرب من النهر الاصفر رغما عن الانتصارات العديدة التي حققتها في شنسي .

« حين نقدم هذا العمل كدليل على ارادتنا الطيبة الى حكومة نانكنغ والى سائر قوى

وقرار ايلول عن الجمهورية الديمقراطية (١) ، والتأكيد على تسوية سلمية

البلاد البرية والبحرية والجوية ، والى شعب البلاد بأسرها ، فاننا على استعداد للدخول خلال شهر واحد في مفاوضات لوقف اطلاق النار وتحقيق السلام مع سائر الوحدات المسلحة التي تهاجم الجيش الاحمر المناهض لليابانيين في سبيل انتهاء الحرب الاهلية ومقاومة اليابان .

« ان اللجنة العسكرية الثورية للجيش الاحمر تنصح هنا جادة السادة في حكومة نانكنغ بأن من واجبكم ، في هذه البرهة الحرجة حيث يهدد الدمار المباشر الامة والشعب ، ان تقطعوا علاقتكم بماضيكم بروح الحكمة القائلة : « يجب على الاخوة المتخاصمين في الداخل ان يتعاضدوا ضد الهجمات الخارجية » ، وتوقفوا الحرب الاهلية الدائرة الرحى على نطاق الامة ، وقبل كل شيء الحرب في شنسي وكنسو وشانسي ، كي يتمكن الطرفان من ارسال مندوبيهم لمناقشة التدابير الخاصة المستهدفة مقاومة اليابان وانقاذ الامة . ولن يكون هذا في صالحكم وحدكم فحسب ، بل ستباركه الامة والبلاد أيضاً . اما اذا رفضتم بعناد ان تعقلوا وادرتم ان تحولوا الى اعوان وخونة ، فان حكمكم سوف ينهار حتماً في النهاية ، كما ان الشعب في مختلف ارجاء البلاد سيحتقركم بكل تأكيد ويقلب حكمكم . وان المثل القديم لصحيح : « اذا ما أشر الى المرء بألف اصبع اتهام ، فانه يموت حتى لو كان في تمام صحته » . لكنه يقال أيضاً : « يكفي الجزار ان يرمي سكينه كي يصبح نقياً » . وهذه كلمات يتوجب عليكم ايها السادة ان تتمثلوها وتأملوها .

« وفضلاً عن ذلك ، فان اللجنة العسكرية الثورية للجيش الاحمر تهب بسائر المنظمات وسائر الاحزاب والشعب في مختلف ارجاء البلاد ، هؤلاء الذين لا يريدون ان يكونوا عبيداً لامة اجنبية ، ان يؤيدوا اقتراحنا الخاص بمفاوضات وقف اطلاق النار والسلام ، والتضامن ضد اليابان ، وتنظيم لجنة من اجل الاسراع في وقف الحرب الاهلية بارسال مندوبين الى الجبهة لوقف النار من الجانبين والاشراف على تنفيذ هذا الاقتراح بصورة كاملة » .

(٢) انظر الهامش الذي يتضمن هذه الرسالة في « بيان حول بيان شيانغ كاي - شيك » .

(١) اشارة الى قرار اللجنة المركزية : « قرار بشأن الوضع الجديد في حركة مقاومة اليابان وانقاذ الامة ، وبشأن الجمهورية الديمقراطية » ، حيث أعطيت ايضاحات مخصصة عن شعار الجمهورية الديمقراطية . ولقد اقترح هذا الشعار في « قرار بشأن الوضع السياسي الراهن ومهمات الحزب » الذي اتخذه المكتب السياسي للجنة المركزية ، وفي تقرير الرفيق ماو :

لاحداث سيان في كانون الاول ، وجميعها عام ١٩٣٦ ، وبرقية شباط انى

« في تعبئة قتال الاستعمار الياباني » . ولقد اتخذ الحزب فيما بعد ، كما كان الوضع يتطلب منه ، سياسة اجبار شيانغ كاي - شيك على مقاومة اليابان ، ولما كان شعار الجمهورية الشعبية شعاراً لا يمكن ان تقبل به عصابته ، فان اللجنة المركزية للحزب ، في رسالة النسي الكيومنتانغ بعثت بها في آب ١٩٣٦ ، غيرت الشعار الى « في سبيل جمهورية ديمقراطية » . وكان الشعاران يعنيان نفس الشيء رغمًا عن الفارق في الكلمات . وفيما يلي مقتطفات من « قرار بشأن الوضع الجديد في حركة مقاومة اليابان واثاقذالامة وبشأن الجمهورية الديمقراطية » ، ايلول ١٩٣٦ :

« ترى اللجنة المركزية انه من الضروري في الوضع الراهن طرح شعار انشاء الجمهورية الديمقراطية ، لان تلك هي افضل طريقة لتوحيد سائر القوى المناهضة لليابانيين في سبيل حماية الاراضي الصينية واثاقذ الشعب الصيني من كارثة تقتال ذوي القربنى والدمار القومي ، ولان ذلك هو ايضا افضل شعار من اجل الجبهة الموحدة القائمة على اساس المطالب الديمقراطية لجماهير الشعب الفقيرة .

« ان الجمهورية الديمقراطية تعني ديمقراطية أكثر امتدادا من وجهة النظر الجغرافية من ديمقراطية الديكتاتورية الديمقراطية للعمال والفلاحين القائمة في قسم فقط من الاراضي الصينية ، كما تعني نظاماً أساسياً أكثر تقدماً بما لا يقاس من ديكتاتورية الحزب الكيومنتانغية القائمة في المناطق الرئيسية من الصين ، وبالتالي فان تلك الجمهورية الديمقراطية تستطيع ان تؤمن التطور الواسع والنصر النهائي للحزب المناهضة لليابانيين . وفيما عدا ذلك ، فان الجمهورية الديمقراطية لن تمكن فحسب اوسع فئات جماهير الشعب الصيني من المساهمة في حياة البلاد السياسية ، الامر الذي سيثد من وعيمهم ويضعف من قوتهم التنظيمية ، بل ستوفر ميداناً ارحب للنشاط الحر الذي تمارسه البروليتاريا الصينية وقائدها الحزب الشيوعي في نضالهما من اجل انتصار الاشتراكية في المستقبل . وبالتالي فان الحزب الشيوعي الصيني يعلن انه يؤيد بحزم الحركة من اجل الجمهورية الديمقراطية . وانه ليعلم أيضاً ان المناطق الحمر سوف تصير ، حين يتم انشاء جمهورية ديمقراطية تشمل البلاد جميعاً ويدعى مجلس نيابي منتخب بالاقتراع العام ، جزءاً مكملًا من الجمهورية ، كما ان الشعب في هذه

الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكيومتانغ في ١٩٣٧ (١)، الخ . .

المناطق سينتخب ممثليه الى المجلس النيابي ، ويحقق نفس النظام الديمقراطي الواحد في هذه المناطق الحمر .

« ان اللجنة المركزية تصر على ان الاستمرار في توسيع حركة الشعب الصيني من اجل مقاومة اليابان وانقاذ الامة ، وتوسيع الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، المشكلة من سائر الاحزاب ، والجماعات ، والحلقات ، والجيش ، وتقوية دور الحزب الشيوعي الصيني في القيادة السياسية للجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، وتوطيد السلطة السياسية الحمراء والجيش الاحمر حتى درجة بعيدة ، وخوض نضال حازم ضد سائر الاقوال والافعال التي تنسف سيادتنا وتذل امتنا أو تضعف الجبهة الوطنية ، هذه الامور جميعا هي السبيل الوحيد لدفع حكومة نانكنغ الكيومنتانغ الى مقاومة اليابان وتأمين الاسس اللازمة للجمهورية الديمقراطية . ان الجمهورية الديمقراطية لا يمكن ان تقوم بدون صراع مرير مستمر ، وبدون ايقاظ الشعب الصيني كله، وبدون انتفاضة ثورية. ويجب على الحزب الشيوعي الصيني، في غمار النضال من أجل الجمهورية الديمقراطية ، ان يحرص على قيام الجمهورية الديمقراطية على اساس البرنامج المشاري من أجل مقاومة اليابان وخلص الامة المقترح من قبل حزبنا ، حتى تتحقق كليا المهمات الاساسية للثورة البورجوازية الديمقراطية الصينية » .

(١) وهذا هو نص البرقية المرسلة في ١٠ شباط ١٩٣٧ :

« ان الشعب في سائر أرجاء البلاد قد استقبل بالحفاوة التسوية السلمية لحادث سيان ، وانه لمن حسن حظ الامة في الحقيقة ان خطة السلام والتوحيد والتضامن ضد العدوان الاجنبي يمكن تنفيذها بعد الآن . واليوم ، اذ يندفع الغزاة اليابانيون بجنون ، واذ تصبح حياة الامة الصينية معلقة بخيط رفيع ، يأمل حزبنا بحمية ان تتبنى الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية لحزبكم النقاط التالية كسياسة قومية :

١ - انتهاء الحروب الاهلية وتركيز الامة لمجابهة العدوان الخارجي بصورة موحدة .
٢ - ضمان حرية الكلام ، الاجتماع ، والتجمع ، واطلاق سراح سائر السجناء السياسيين .

٣ - دعوة مؤتمر من ممثلي سائر الاحزاب ، وسائر الجماعات ، وسائر الحلقات ، وسائر الجيوش ، وتركيز مواهب الامة في محاولة مشتركة لانقاذ الوطن .

د - ان تطور التناقضات بين الصين واليابان قد 'ستتبع أيضاً تبديلاً في الانظمة المستقلة لسادة الحرب الصينيين وفي الحروب الداخلية فيما بينهم ، هذه الحروب التي كانت تندلع بسبب السياسة الاستعمارية المستهدفة تأمين مناطق النفوذ وبسبب الظروف الاقتصادية نصف الاستعمارية في الصين أيضاً . وان الاستعمار الياباني يؤيد مثل هذه الانظمة المستقلة والحروب الداخلية التي تيسر عليه سيطرته الوحيدة على الصين ، بينما يؤيد بعض القوى الاستعمارية الاخرى مؤقتاً ، في مطلحتها الخاصة ، وحدة الصين وسلامها الداخلي . وان الحزب الشيوعي الصيني والشعب الصيني لينلان من جهتهما قصاراهما في سبيل معارضة الحروب الداخلية والانقسامات ، ومن أجل النضال في سبيل السلام والوحدة .

هـ - ان تطور التناقضات بين الصين واليابان قد استتبع ، على الصعيد السياسي ، نقص الثقل النوعي للتناقضات الداخلية بين الطبقات وبين الكتل السياسية ، وكان من نتيجة ذلك ان هذه التناقضات أصبحت تحتل مركزاً ثانوياً وملحقاً . بيد ان هذه التناقضات لا تبرح موجودة ، وهي لم تتلاش أو تنقص في حال من الاحوال . ويصح الشيء نفسه عن التناقضات بين الصين والقوى الاستعمارية الاخرى غير اليابان . وبالتالي فان المهمة التالية تترتب على الحزب الشيوعي الصيني والشعب الصيني ، الا وهي التسوية المناسبة لتلك التناقضات الداخلية والخارجية التي يمكن ويجب بسويتها في الوقت

٤ - الاسراع في انجاز سائر الترتيبات المستهدفة مقاومة اليابان .

هـ - وأخيراً تحسين ظروف الشعب المعيشية .

«إذا وافقت الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية بجد وحزم على النقاط الواردة أعلاه كسياسة وطنية ، فان حزبنا يتعهد اذن ، اظهاراً منه لثقتنا الطيبة في التضامن من أجل مقاومة العدوان الاجنبي ، بما يلي :

١ - ايقاف سياسة الانتفاضات المسلحة من أجل قلب الحكومة الوطنية ، وذلك في جميع أرجاء البلاد .

الحاضر بحيث تنصهر في الواجب العام الذي هو الاتحاد من أجل مقاومة اليابان . ومن هنا كانت سياسة الحزب الشيوعي من أجل السلام والوحدة ، ومن أجل حكومة ديموقراطية ، ومن أجل تحسين شروط الشعب المعيشية ، ومن أجل المفاوضات مع البلدان الاجنبية المناهضة لليابان .

٤ - ان الفترة الاولى من المرحلة الجديدة في الثورة الصينية ، التي بدأت في ٩ كانون الاول ١٩٣٥ (١)، انتهت حين عقدت اللجنة المركزية التنفيذية

٢ - ان حكومة العمال والفلاحين الديموقراطية سوف يعاد تسميتها بوصفها حكومة منطقة معينة من جمهورية الصين ، كما يسمى الجيش الاحمر كوحدة في الجيش الوطني الثوري ، ويتقبل التوجيهات بصورة مباشرة من الحكومة المركزية في نانكنغ ومن مجلسها العسكري الخاص .

٣ - يطبق في الاراضي الخاضعة لحكومة المنطقة المعينة نظام ديموقراطي كلياً ، قائم على أساس الاقتراع العام .

٤ - ايقاف سياسة مصادرة اراضي الملاكين العقاريين الكبار ، والتطبيق الحازم للبرامج المشترك للجبهة الوطنية المناهضة لليابانيين . »

(١) سجل عام ١٩٣٥ انطلاقة جديدة في الحركة الوطنية الصينية . فقد نظم طلاب بكين ، بقيادة الحزب الشيوعي الصيني مظاهرة وطنية في التاسع من كانون الاول ، وطرحوا الشعارات التالية : « انهاء الحرب الاهلية ! » ، « فلنتحد جميعا ضد العدو الخارجي ! » ، « يسقط الاستعمار الياباني ! » ولقد فتحت هذه الحركة ثغرة في حكم الارهاب الذي اقامه منذ زمن طويل تحالف الكيومتانغ مع الغزاة اليابانيين ، وسرعان ما نالت تأييد الشعب الصيني كله . ولقد سميت هذه الحركة « حركة التاسع من كانون الاول » . ومنذ ذلك الحين اتضحت التبدلات الجديدة الطارئة على العلاقات المتبادلة بين مختلف طبقات البلاد . واصبحت الجبهة الوطنية المناهضة لليابانيين التي كان الحزب الشيوعي الصيني ينادي بها القضية القمية بالنسبة الى الدولة وجعل المواطنون جميعا يطالبون بها ، في حين افتضحت اكثر فاكثر سياسة الخيانة التي تنتهجها حكومة شيانغ كاي - شيك .

للكيومتتافع دورتها الكاملة الثالثة في شباط ١٩٣٧ . وكانت الاحداث الرئيسية في هذه المرحلة هي الحركات في سبيل الخلاص الوطني التي شملت الطلاب والحلقات الثقافية والصحافة ، ودخول الجيش الاحمر الى الشمال الغربي ، وتحريض الحزب الشيوعي وعمله التنظيمي على اساس سياسته في خلق جبهة وطنية موحدة مناهضة لليابانيين ، والاضرابات المناهضة لليابانيين في شنغهاي وتسينغتاو (١) ، وتصلب بريطانيا نوعاً ما في سياستها حيال اليابان (٢) ، والثورة في كوانغ تونغ وكوانغسي (٣) ، والحرب في سويان وما لقيته

(١) في تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٣٦ ، قام اضراب اشترك فيه ٤٥٠٠٠ عامل في ستة وعشرين معملًا يابانياً وصينياً للنسيج في شنغهاي . وفي كانون الاول ، اضراب تأييداً لرفاقهم سائر العمال في معامل النسيج اليابانية في تسينغتاو . ولقد كسب عمال شنغهاي بنتيجة ذلك زيادة في الاجور بلغت ٥٪ ، كما وافق اصحاب العمل على عدم تسريح العمال اعتباطاً ، او مهاجمة العمال والاساءة اليهم . ومهما يكن من أمر ، فان الحرية اليابانية قضت على الاضراب في تسينغتاو .

(٢) بدأت بريطانيا والولايات المتحدة تغيران سياستهما حيال اليابان حين أصبحت مصالحهما في شمالي الصين وأواسطها مهددة بصورة مباشرة بنتيجة احتلال اليابان عام ١٩٣٣ ممر شنغهاي عند النهاية الشرقية من الجدار العظيم على شاطئ البحر ، وتسلبها الى شمالي الصين ، وعلى الاخص بنتيجة اتفاق هو - اوميزو عام ١٩٣٥ . وهكذا ضغطنا على سياسة حكومة شيانغ كاي - شيك حيال اليابان . وحين وقع حادث سيان عام ١٩٣٦ ، اقترحت بريطانيا رفض تلك المطالب اليابانية التي يمكن أن تضر بالمصالح البريطانية في الصين ، بل أوعزت أيضاً بإمكان لجوء حكومة شيانغ كاي - شيك ، اذا ما كانت تستطيع الاحتفاظ بالسيطرة على الشعب الصيني ، « الى تشكيل نوع من التحالف مع الحزب الشيوعي » . وذلك بغية القضاء نهائياً على سياسة العدوان اليابانية .

(٣) في حزيران ١٩٣٦ ، بحجة «مقاومة اليابان وانقاذ الامة » ، أعلن لي تسونغ - تي وباي شونغ - تي ، سيدا الحرب في كوانغسي ، وشن تي - تانغ ، سيد الحرب في كوانغ تونغ ، معارضتهم لشيانغ كاي - شيك . ولم يأت أب حتى كان شيانغ كاي - شيك قد سحق هذه المعارضة بواسطة الرشوة وسياسة « فرق تسد » .

من التأييد (١) ، والبرود متفاوت في نانكنغ حيال المحادثات الصينية - اليابانية (٢) ، واحداث سيان ، واخيراً الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكيومنتانغ في نانكنغ (٣) . ولقد تركزت سائر هذه الاحداث حول التناقض الاساسي ، الا وهو التضاد بين الصين واليابان ، وهي مرتبطة جميعاً بصورة مباشرة بهذا المطلب ذي الاهمية التاريخية ، الا وهو انشاء جبهة وطنية موحدة المناهضة لليابانيين . وكانت المهمة الاساسية للثورة في هذه المرحلة هي النضال من اجل السلام الداخلي وايقاف النزاعات المسلحة الداخلية بحيث يتحقق التضامن ضد اليابان .

ولقد اصدر الحزب الشيوعي خلال هذه المرحلة النداء « في سبيل وقف الحرب الاهلية والاتحاد ضد اليابان » ، وهو نداء اثار تجاوباً حسناً عند معظم الناس ، الامر الذي وفر الشرط الاول الضروري للتشكيل الفعلي للجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين

٥ - ان الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكيومنتانغ ، بسبب من وجود العصاة الممالة لليابانيين داخلها ، لم تستطع ان تحقق اي منعطف واضح وجذري في سياستها، كما لم تقدم اي حل حسي لهذه القضية .

(١) بدأ اليابانيون والاجراء الصينيون غزوهم لسويان في آب ١٩٣٦ ، وفي تشرين الثاني اعترضت طريقهم القوات الصينية المسلحة في المقاطعة ، كما باشر سكان المقاطعة حركة لتأييد القتال .

(٢) بعد توقيع اتفاق هو - اوميزو عام ١٩٣٥ ، اضطرت حكومة الكيومنتانغ ، تحت ضغط اشتداد النقمة ضد اليابانيين في صفوف الشعب الصيني ، وبتأثير سياسة الجفاء حيال اليابان من قبل بريطانيا والولايات المتحدة ، الى اتخاذ موقف يصطبغ ببعض الجفاء حيال اليابان . ولقد جعلت تطيل المحادثات عمداً مدة أربعة شهور (من ايلول حتى كانون الاول ١٩٣٦) وجعلتها عديمة الجدوى .

(٣) بدأت الدورة في نانكنغ في ١٥ شباط ١٩٣٧ .

ومهما يكن من أمر ، فان الضغط الشعبي والتطورات الحادثة في صفوف الكيومنتانغ نفسه قد اجبرت هذا الكيومنتانغ على مباشرة اجراء التبديل في سياسته الخاطئة طوال السنوات العشر الماضية ، يعني التحول من الحرب الاهلية، والدكتاتورية، وعدم مقاومة اليابان الى اتجاه السلم، والديموقراطية، ومقاومة اليابان ، والبدا في قبول سياسة الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين . ان مثل هذا التبديل البدئي قد بان بوضوح في الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكيومنتانغ . . وان مطلبنا من الآن فصاعداً هو ان يعمد الكيومنتانغ الى اجراء تغيير كامل في سياسته . وان واجبنا نحن والشعب ان نظور نحو هذه الغاية ، بصورة متزايدة الشدة والاتساع ، الحركة في سبيل مقاومة اليابان والديموقراطية ، وان نضاعف من تقدرنا للكيومنتانغ وتحريضنا اياه ، وان نتحالف مع اعضاءه الذين يؤيدون السلم والديموقراطية ومقاومة اليابان ، وان نحث قداماً اعضاءه المتأرجحين المترددين ، وان نطرد اعضاءه المائلين لليابانيين .

٦ - ان الفترة الحاضرة هي الفترة الثانية في المرحلة الجديدة . وليست الفترتان الاولى والثانية سوى فترتين انتقالتين ، تؤديان الى المقاومة المسلحة على الصعيد الوطني ضد اليابان . واذا كانت المهمة الرئيسية في الفترة السابقة هي النضال من اجل السلم ، فان المهمة الرئيسية في الفترة الراهنة هي اذن النضال من اجل الديمقراطية ، ويجب ان نفهم جيداً ان الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، الحقيقية والوطيدة ، لا يمكن ان تقوم اذا لم يسد السلم الداخلي والديموقراطية في البلاد . ولذا كان النضال من اجل الديمقراطية الحلقة العامة في المهمة الثورية في المرحلة الحاضرة . واذا قصرنا في ادراك اهمية الديمقراطية وخففنا من جهودنا في النضال من اجلها ، فاننا سنكون عاجزين عن اقامة الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، الحقيقية والوطيدة .

النضال من اجل الديمقراطية والحرية

٧ - ان الاستعمار الياباني يستمد بنشاط لاجتياح الصين بالخاصة . فبالاتفاق مع حروب السلب والنهب التي يهيء لها بهمة هتلر وموسوليني

في الغرب ، تبذل اليابان في الشرق قصارها كي تؤمن حسب خطة محددة الشروط اللازمة لاختضاع الصين بضربة واحدة - الشروط الداخلية العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية ، والشروط الدبلوماسية العالمية ، وتغذية القوى المائلة في الصين . وان الدعاية اليابانية لما يسمى « التعاون الصيني - الياباني » وبعض التدابير الدبلوماسية اليابانية في اتجاه الانفراج ، لتنشأ بالضبط عن ضرورة تعبوية عشية حربها العدوانية . وان الصين لتقترب اليوم من الفترة الحرجة في حياتها ، فاما الغناء واما البقاء ، ومن واجبتنا أن نعجل في تدابيرنا الخاصة بالمقاومة ضد اليابان واثاق الامة . ونحن نؤيد مثل هذا الاستعداد ، لكننا نعارض نظرية الاستعداد الطويل الامد ، ونعارض ايضاً الكسل الضار بمصالح الوطن ، كسل الموظفين المدنيين والضباط العسكريين الذي يساعد العدو بالفعل والذي يجب الخلاص منها بأسرع ما يمكن .

٨ - ان الاستعدادات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية للدفاع القومي ضرورية جميعاً من أجل المقاومة المسلحة من أجل خلاص الوطن ، ويجب الا نؤجل ايأ منها لحظة واحدة . ان كسب الحقوق السياسية الديمقراطية هو الشرط الاساسي في تأمين انتصار المقاومة المسلحة ، فالمقاومة المسلحة تتطلب سلماً وتضامناً على الصعيد الوطني ، لكنه من الحال توطيد السلم ، حتى اذا تم الحصول عليه ، دون الحقوق الديمقراطية ، كما لا يمكن توطيد التضامن الداخلي بدون هذه الحقوق . وان المقاومة المسلحة تتطلب تجنيد الشعب ، لكنه ليس من سبيل الى هذا التجنيد بدون الحقوق الديمقراطية . ان مقاومتنا المسلحة ستواجه ، بدون السلم والتضامن المواطنين ، وبدون تجنيد الشعب ، نفس النهاية المروعة التي تعرضت الحبشة لها . ذلك ان الحبشة ما كانت تستطيع ، على الاخص بسبب نظامها الاقطاعي ، ان توطد تضامننا الداخلي او تستنجد بنضال شعبها الفعال ، وبالتالي فقد باءت بالخذلان . والصين لا تستطيع بدون الديمقراطية أن تقيم الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، الحقيقية والوطيدة ، وان تحقق مهماتها .

٩ - يتوجب على الصين أن تباشر في الحال الاصلاحات الديمقراطية في الاتجاهين التاليين :

أولاً ، فيما يخص النظام السياسي ، ينبغي أن تستبدل حكومة الكيومنتائع الرجعية الوحيدة الحزب والوحيدة الطبقة بشكل ديمقراطي من الحكم قائم على أساس التعاون بين سائر الأحزاب وسائر الطبقات . ولذا فإنه يتوجب علينا قبل كل شيء أن نبدل الطريقة المضادة للديموقراطية في انتخابات الجمعية الوطنية ودعوتها ، ونحقق الانتخابات الديموقراطية لهذه الجمعية ، ونؤمن حرية عقد الاجتماعات ، كيما يمكن وضع دستور ديمقراطي فعلاً ، ودعوة برلمان ديمقراطي حقاً ، وانتخاب حكومة ديمقراطية حقاً مهمتها تنفيذ سياسة ديموقراطية بالفعل . ولا يمكن إلا بهذه الطريقة أن يوطد السلم الداخلي بصورة فعلية ، وأن يوقف النزاع المسلح الداخلي ، وأن يقوى التضامن الداخلي بحيث تتحد الأمة كلها من أجل مقاومة العدو الاجنبي . وفد يبدأ الاستعماريون اليابانيون هجومهم قبل أن نستكمل استعداداتنا ، وإذا فإن من واجبنا ، كيما نقاوم هجمات اليابان في أية لحظة ونسحقها تماماً ، أن نباشر سريعاً بالاصلاحيات وننتهي لانجازها بصورة كاملة خلال المقاومة المسلحة . ان الناس في جميع انحاء البلاد والوطنيين في جميع الاحزاب يجب ان يتخلصوا من لا مبالاتهم القديمة حيال الجمعية الوطنية والدستور ، ويركزوا قواهم على هذه الحركة الخاصة من اجل الجمعية الوطنية والدستور ، وهي حركة ذات مغزى بالنسبة الى الدفاع القومي ، وانه ليجب عليهم ان ينتقدوا بصرامة الكيومنتائغ ، الحزب الحائز على السلطة ، فيدفعوه ويستحثونه على التنازل عن دكتاتورية الحزب الواحد والطبقة الواحدة التي يمارسها ، وعلى العمل وفقاً لآراء الشعب . ينبغي في الاشهر القليلة الآتية من هذا العام ان تبدأ حركة ديموقراطية واسعة في البلاد كلها ، وهدفها المباشر استكمال عملية التحويل الديموقراطي القادم للجمعية الوطنية والدستور . أما الاتجاه الثاني فيتعلق بحرية الكلام والاجتماع والتجمع بالنسبة الى الشعب . فالاصلاح الديموقراطي للنظام السياسي لا يمكن أن يتحقق بدون هذه الحريات ، كما لا يمكن تجنيد الشعب للاشتراك في الحرب المستهدفة

الدفاع الظافر عن الوطن الام واسترجاع الارض المفقودة . ان حركة الشعب الديموقراطية في جميع ارجاء البلاد يجب ان تناضل في الاشهر القليلة القادمة من أجل تحقيق الحد الأدنى من هذه المطالب ، بما فيها اطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، ورفع الخطر عن الاحزاب السياسية ، الخ . . ان الاصلاح الديموقراطي للنظام السياسي وحريات الشعب وحقوقه تشكل جزءاً هاماً من برنامج الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، كما انها شروط ضرورية لاقامة الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، الحقيقية الوطيدة .

١٠ - ان اعداءنا - الاستعماريين اليابانيين ، والاعوان الصينيين ، والعصابة الممالة لليابانيين ، والتروتسكيين - قد بذلوا قصاراهم كي يحطموا كل تدبير يستهدف السلم والتضامن ، والديموقراطية والحرية ، والمقاومة المسلحة ضد اليابانيين . وفي الماضي ، حين كنا نناضل بعناد من أجل السلم والديموقراطية ، كانوا يبذلون قصاراهم لاثارة الحروب الاهلية والانقسامات . وفي الوقت الحاضر والمستقبل القريب ، اذ نناضل بنشاط من أجل الديموقراطية والحرية ، فمما لا ريب فيه أنهم سيحاولون من جديد تقويض جهودنا . ان هدفهم العام هو احباط مساعيها الرامية الى المقاومة المسلحة دفاعاً عن الوطن الام ، وتحقيق مشاريعهم العدوانية في استعباد الصين . وينبغي ان ندرّب أنفسنا من الآن فصاعداً ، في النضال من أجل الديموقراطية والحرية ، ليس على توجيه الدعاية والتحريض والنقد بين المتعصبين في الكيومنتانغ والجماعات المتأخرة من الشعب فحسب ، بل كذلك على فضح مؤامرات الاستعمار الياباني واذنابه ، العصابة الممالة لليابانيين والتروتسكيين ، هذه المؤامرات المستهدفة اجتياح الصين ، ونقاومها بحزم بكل الوسائل الممكنة .

١١ - ان الحزب الشيوعي الصيني ، في مصلحة السلم والديموقراطية والمقاومة المسلحة ، وفي مصلحة اقامة الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، قد قطع على نفسه عهداً ، في برقية مرسلة الى الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكيومتانغ ، بالامور الاربعة التالية :

أ - ان الحكومة التي يشرف عليها الحزب الشيوعي في القاعدة الثورية في شنسي - كاتسو - نينغشيا سيعاد تسميتها بوصفها حكومة المنطقة الخاضعة من جمهورية الصين ، كما يسمى الجيش الاحمر كجزء من الجيش الوطني الثوري ، وستقبل الحكومة الاولى توجيهات الحكومة المركزية في نانكنغ ، كما سيعمل الجيش الاحمر بتوجيهات المجلس العسكري في نانكنغ .
ب - تطبيق نظام ديموقراطي كامل في المناطق الخاضعة لحكومة المنطقة الخاصة .

ج - التوقف عن سياسة قلب الكيومنتانغ بالقوة المسلحة .
د - التوقف عن مصادرة اراضي الملاكين العقاريين الكبار .
وان هذه التعهدات لضرورية ومقبولة على السواء . فبهذه الطريقة وحدها نستطيع ، وفقاً للتبدلات الحادثة في التناقضات الداخلية والخارجية الخاصة بالوضع السياسي في الصين ، ان نغير حالة التضاد بين النظامين القائمين في الداخل ونحقق التضامن ضد العدو . ان هذه التنازلات مبدئية ومشروطة ، الفاية منها الحصول بالمقابل على ما هو ضروري للامة جمعاء - السلام ، والديموقراطية ، والمقاومة المسلحة ، بيد أن هناك حدوداً للتنازلات . فالمحافظة على قيادة الحزب الشيوعي في المنطقة الخاصة وفي الجيش الاحمر ، والمحافظة على استقلال الحزب الشيوعي وحرية النقد في علاقاته مع الكيومنتانغ - هذه هي حدود التنازلات التي لا يجوز تجاوزها مطلقاً . ولا بد لكلي الحزبين من القيام بالتنازلات: فالكيومنتانغ يتنازل عن سياسة الحرب الاهلية ، والديكتاتورية ، وعدم مقاومة العدو الاجنبي ، والحزب الشيوعي يتنازل عن سياسة مواجهة سلطته السياسية الخاصة بسلطة الكيومنتانغ . اننا نسعى الى الحصول على تنازلات الكيومنتانغ مقابل تنازلاتنا وتجديد التعاون معه كي نقاتل في سبيل الخلاص الوطني . أما أن ننتع هذه السياسة بالاستسلام من قبل الحزب الشيوعي ، فذلك أهكوية خالصة (١) ونميمة قدرة .

(١) نسبة الى آه ك ، بطل الرواية « حياة آه ك الحقيقية » ، وهي قصة شهيرة للكاتب

١٢ - هل يوافق الحزب الشيوعي على مبادئ الشعب الثلاثة؟ ان جوابنا هو : أجل ، انه يوافق عليها (١) .

لقد اجتازت مبادئ الشعب الثلاثة تقلبات تاريخية عديدة منذ اعلانها . ان مبادئ الشعب الثورية الثلاثة التي قدمها الدكتور صن يات - صن وطبقها بصورة حازمة بالتعاون مع الحزب الشيوعي قد نالت ثقة الشعب واصبحت راية الثورة الظافرة في الاعوام ١٩٢٤ - ١٩٢٧ . لكن الكيومنتانغ باشر مع ذلك ، منذ عام ١٩٢٧ ، في اضطهاد الشيوعيين (يعني باشر في حملة « تطهير الحزب » (٢) والحرب المضادة للشيوعيين) ، وفي تنفيذ سياسة

الصيني الكبير لوهسون (١٨٨١ - ١٩٣٦) . ويحاول لوهسون في شخص بطله أن يعف انسانا يحاول أن يبحث عن العزاء في كل ما يتعرض له من فشل وتقلبات الحياة ، معتمرا اياها نصراً له في المستوى الاخلاقي والروحي .

(١) وافق الشيوعيون في مرحلة الثورة البورجوازية الديمقراطية في الصين ، على أسس مبادئ صن يات - صن أو برنامج القومية ، والديموقراطية ، ورفاهية الشعب ، فتعاونوا معه . لكنهم لم يوافقوا على النظرة البورجوازية والبورجوازية الصغيرة الى العالم ، أو النظام الايديولوجي الذي كان يؤمن به . ان الشيوعيين الصينيين ، بوصفهم طليعة البروليتاريا الصينية ، ينظرون الى القضية الوطنية وغيرها من وجهة نظر ايديولوجية مختلفة كل الاختلاف . انظر في هذا الشأن : « في الديمقراطية الجديدة » في الاجزاء التالية من هذه « المؤلفات المختارة » .

(٢) لقد أصبح الكيومنتانغ ، بعد اعادة تنظيمه من قبل صن يات - صن عام ١٩٢٤ ، تحالفاً ثورياً بين طبقات عديدة شارك الشيوعيون فيه كأفراد .. لكن هذا الكيومنتانغ باشر ، بعد خيائنه الثورة عام ١٩٢٧ ، مذبة على النطاق الوطني ضد الشيوعيين واليساريين الكيومنتانغيين الذين كانوا مؤيدين فعليين لسياسات صن يات - صن الرئيسية الثلاث . ولقد دعا الكيومنتانغ هذه المذبة حملة « لتطهير الحزب » . وكانت هذه المذبة بدءاً لتحول الكيومنتانغ الى حزب سياسي مضاد للثورة يخدم أغراض طبقتي الملاكين العقاريين الكبار والبورجوازيين الكبار .

مناهضة بصورة مباشرة لمبادئ الشعب الثلاثة، مسبباً هزيمة الثورة ومنتهياً بالامة الى خطر قاتل ، وبنتيجة ذلك فقد الناس ثقتهم بمبادئ الشعب الثلاثة . وفي الوقت الحاضر ، والازمة الوطنية فائقة الخطورة ، لا يستطيع الكيومنتانغ الاستمرار في الحكم على طريقته القديمة ذاتها ، وبالتالي فان الناس في مختلف ارجاء البلاد والعناصر الوطنية في الكيومنتانغ تطالب مجدداً بالتعاون السريع بين الحزبين . وهكذا فان ما يتفق تماماً مع الحاجة التاريخية للثورة الصينية ويجب ان يفهمه بوضوح كل عضو في الحزب الشيوعي هو ان الحزبين ، اذ يحييان روح مبادئ الشعب الثلاثة ، يحددان تعاونهما في السياسة الخارجية بوحى مبدأ القومية الذي يستهدف كسب استقلال الصين وتحررها ، وفي السياسة الداخلية بوحى مبدأ الديمقراطية الذي يستهدف تحقيق الديمقراطية والحرية ، ومبدأ رفاهية الشعب الذي يستهدف تطويره لرفاهية الشعب ، وهما يقودان بالتضامن الشعب في سبيل التطبيق الحازم لهذه المبادئ .

ان الشيوعيين لن يعرضوا أبداً عن مثلهم الأعلى في الاشتراكية والشيوعية، وسوف يبلغون مرحلة الاشتراكية والشيوعية بالمرور في مرحلة الثورة البورجوازية الديمقراطية . وان للحزب الشيوعي الصيني برنامج سياسي والاقتصادي الخاص . وان برنامج الاقصى هو الاشتراكية والشيوعية ، وهو برنامج يختلف عن مبادئ الشعب الثلاثة . بل ان برنامج في مرحلة الثورة الديمقراطية لاوفى ايضاً من برنامج أي حزب آخر في البلاد . لكن برنامج الحزب الشيوعي من اجل الثورة الديمقراطية وبرنامج مبادئ الشعب الثلاثة كما اعلنه المؤتمر الوطني الاول للكيومنتانغ ليسا متعارضين في الاساس . وبالتالي فاننا لا نقبل مبادئ الشعب الثلاثة فحسب ، بل نريد ايضاً ان نطبقها بحزم ، ولذا فاننا نطلب من الكيومنتانغ وندعو الشعب بأسره الى تطبيق مبادئ الشعب الثلاثة بالتضامن معنا . اننا نعلن ان الحزب الشيوعي

والكيومتناغ والشعب في مختلف أنحاء البلاد يجب ان يناضلوا بصورة متضامنة في سبيل الاهداف الثلاثة العظمى ، الا وهي تأمين الاستقلال الوطني ، والديموقراطية والحرية ، ورفاهية الشعب .

١٣ - هل كان شعارنا السابق الخاص بجمهورية ديموقراطية للعمال والفلاحين خاطئاً ؟ كلا ، لم يكن خاطئاً ؟ فمنذ انسحبت البورجوازية ، وعلى الاخص البورجوازية الكبيرة ، من الثورة وانضمت الى جانب الاستعمار ولم تكن سياسة واحدة من السياسات التي تبينها في نضالنا الحاضر منافية الباقية هي البروليتاريا وطبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدنية ، كما كان الحزب الثوري الوحيد الباقي هو الحزب الشيوعي ، وهكذا ما كان يمكن ان تقع مسؤولية تنظيم الثورة الا على عاتق الحزب الشيوعي ، الحزب الثوري الوحيد . واستمر الحزب الشيوعي وحده يرفع عالياً راية الثورة ، محافظاً على التقليد الثوري ، مقترحاً شعار الجمهورية الديموقراطية للعمال والفلاحين ، منافحاً من اجل هذا الشعار طوال سنوات عديدة دون كلل . ولا يتعارض شعار الجمهورية الديموقراطية للعمال والفلاحين مع الثورة البورجوازية الديموقراطية ، بل يدعم تحقيق هذه الثورة بصورة حازمة . والقوى الاقطاعية وانقلبت عدوة للشعب ، كانت القوى المحركة الثورية الوحيدة لهذه المهمة . فلم تتجاوز سياستنا قط ، بما فيها مصادرة أراضي الملاكين العقاريين وتحقيق يوم العمل الذي لا يزيد عن ثماني ساعات ، النظام الرأسمالي عن الملكية الخاصة ، كما أننا لم نطبق الاشتراكية في حال من الاحوال .

من الذين سيؤلفون الجمهورية الديموقراطية الجديدة ؟ هؤلاء يجب ان يكونوا البروليتاريا ، وطبقة الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة المدنية ، والبورجوازية ، وجميع اولئك المواطنين الذين يوافقون على الثورة الوطنية والديموقراطية ، وينبغي ان تكون الجمهورية تحالفاً بين الطبقات من اجل الثورة الوطنية والديموقراطية . وان الميزة البارزة لهذا التحالف هو اشتماله

على البورجوازية ، والسبب في ذلك أن البورجوازية تستطيع ، في الظروف الراهنة، أن تساهم مرة أخرى في مقاومة اليابان ، فمن واجب حزب البروليتاريا ألا يرفضها بل يضمها الى الصفوف ويتحالف معها من جديد من اجل النضال المشترك ، بحيث يسهل تقدم الثورة الصينية . وفي سبيل انتهاء النزاعات المسلحة في الداخل ، يعلن الحزب الشيوعي عن استعدادة لوقف سياسة مصادرة اراضي الملاكين العقاريين بالقوة، كما انه مستعد لحل القضية الزراعية بالوسائل التشريعية والوسائل الملائمة الاخرى في سياق اقامة الجمهورية الديمقراطية الجديدة . ان القضية التي تتطلب الحل العاجل هي ما اذا كانت ارض الصين ستخص اليابانيين أم الصينيين . وبما أن القضية الزراعية ستحل على اساس الانطلاق من مهمتنا الرئيسية التي هي الدفاع القومي ، فانه من الضروري تماماً بالنسبة الينا ان نتحول من سياسة المصادرة بالقوة الى وسائل جديدة تتفق مع الاوضاع الجديدة .

ان تقديم شعار الجمهورية الديمقراطية للعمال والفلاحين في الماضي واسقاط هذا الشعار في الوقت الحاضر أمران صحيحان تماماً .

١٤ - في سبيل تشييد جبهة وطنية موحدة من اجل المقاومة المشتركة ضد العدو ، لا بد من حل بعض التناقضات الداخلية بصورة مناسبة : والمبدأ هنا أن هذا الحل يجب أن يقوي ويوسع الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين لا أن يضعفها ويضيّقها . ان التناقضات والصراعات بين الطبقات والاحزاب والكتل السياسية في البلاد اشيء لا يمكن تجنبها في مرحلة الثورة الديمقراطية ، لكننا نستطيع ويتوجب علينا أن نضع حداً لتلك الصراعات الضارة بالتضامن وبمقاومة اليابان (كالحرب الاهلية ، وقاتل الانصار ، والانظمة المستقلة المحلية ، والاضطهاد السياسي والاقتصادي الاقطاعي من جهة واحدة ، ومن جهة ثانية لسياسة الانتفاضات والمطالب الاقتصادية المبالغ بها ، التي لا توافق ضرورة تجميع القوى من اجل مقاومة اليابان) ، ونواصل

تلك الصراعات التي تعود بالفائدة على التضامن ومقاومة اليابان (كالنضالات من اجل حرية النقد ، ومن اجل استقلال الاحزاب ، ومن اجل تحسين ظروف الشعب السياسية والاقتصادية) .

١٥ - ان مهمات الجيش الاحمر وقواعد الاسناد المناهضة لليابانيين ، بصورة متفقة مع المهمة العامة المستهدفة النضال من اجل جبهة وطنية موحدة مناهضة لليابانيين وجمهورية ديموقراطية موحدة ، هي :

٢ - الانسجام مع ظروف الحرب المناهضة لليابانيين ، الامر الذي يتطلب اعادة تنظيم الجيش الاحمر على الفور في الجيش الوطني الثوري ، واعتباره الجيش النموذجي في الحرب المناهضة لليابانيين ، وذلك بتحسين ثقافته العسكرية والسياسية والفكرية .

ب - تحويل قواعدنا الثورية الى جزء لا يتجزأ من مجموع الامة ، وتطبيق نظام ديموقراطي متلائم مع الظروف الجديدة، واعادة تنظيم قوى امن الدولة، وتكنيس الأعوان والمخربين ، بحيث تصبح تلك المناطق نموذجية في مقاومة اليابان وتحقيق الديموقراطية .

ج - تنفيذ البناء الاقتصادي الاساسي وتحسين الشروط المعاشية للشعب في هذه المناطق .

د - تحقيق البناء الثقافي الاساسي .

مسؤوليتنا القيادية

١٦ - ان البورجوازية الصينية ، التي تستطيع ان تساهم في قتال الاستعمار والاقطاعية في بعض الظروف ، يمكن في بعض الظروف التاريخية الاخرى ، من جراء ترهلها الاقتصادي والسياسي ، ان تتذبذب وتخون : هذا قانون قد اثبتته التاريخ الصيني . وبالتالي فقد قرر التاريخ ان ثورة الصين البورجوازية الديموقراطية المناهضة للاستعمار والمناهضة للاقطاعية

لا يمكن ان تتحقق بقيادة البورجوازية ، بل بقيادة البروليتاريا وحدها . وفيما عدا ذلك ، فان تذبذب البورجوازية واقتدارها الى الاخلاص لا يمكن التغلب عليهما والثورة لا يمكن انقاذها من الهزيمة ، الا اذا أثبتت البروليتاريا صبرها واخلاصها في الثورة الديمقراطية . ايجب ان تتبع البروليتاريا البورجوازية ، ام ان البورجوازية هي التي ستتبع البروليتاريا ؟ ان هذه المسألة الخاصة بمسؤولية القيادة في الثورة الصينية هي المحور الذي يدور حوله نجاح الثورة . وتبين تجربة الاعوام ١٩٢٤ - ١٩٢٧ كيف ان الثورة انطلقت قديماً حين تبعت البورجوازية القيادة السياسية للبروليتاريا ، وكبف باءت بالهزيمة حالما اصبحت البروليتاريا ذيلاً للبورجوازية في الميدان السياسي (الامر الذي كان الحزب الشيوعي مسؤولاً عنه (١)) . ولا يمكننا ان نقبل بأن يعيد التاريخ نفسه .

وفي الظروف الراهنة ، لا يمكن اقامة الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ، وبلوغ اغراض السلم والديمقراطية والمقاومة المسلحة ، والدفاع عن الوطن الام ، وتحقيق الجمهورية الديمقراطية الموحدة ، دون القيادة السياسية للبروليتاريا وحزبها . وهذا ما يثبتته الواقع التالي ، ألا وهو ان البورجوازية ، الممثلة في الكيومتانغ ، التي لم تجسر طوال زمن مديد أن توافق على الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين المقترحة من قبل الحزب الشيوعي ، هي حتى الوقت الراهن على درجة كبيرة من السلبية والمحافظة . وان هذا الوضع ليضعاف من مسؤولية القيادة السياسية للبروليتاريا وحزبها . ان القيام بوظيفة القيادة العامة في قضية مقاومة اليابان وانقاذ الامة هي مسؤولية لا يستطيع الحزب الشيوعي ان يتركها للآخرين ، وواجب لا يستطيع ولا يجب ان يرفضه .

(١) إشارة الى الوضع الذي خلقته القيادة الانتهازية للجنة الحزب المركزية في النعف

الاول من عام ١٩٢٧ .

١٧ - كيف تمارس البروليتاريا ، بواسطة حزبها ، قيادتها على سائر الطبقات الثورية في البلاد .

أولاً ، انها تقدم شعاراً سياسياً أساسياً يتفق مع التطور التاريخي ، كما تقدم في سبيل تحقيق هذا الشعار شعارات عملية لكل مرحلة من التطور ولكل حدث رئيسي . ومثال ذلك اننا قدمنا الشعار الاساسي الخاص «بالجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين والجمهورية الديمقراطية الموحدة» ، وكذلك شعارات «انهاء الحرب الأهلية» ، و«النضال من اجل الديمقراطية» ، و « مقاومة العدوان » بوصفها الاهداف الحسية لنشاط الناس المشترك في جميع أنحاء البلاد ، لأنه لا يمكن أن تكون ثمة قيادة سياسية بدون مثل هذه الاهداف الحسية .

ثانياً ، حين تباشر البلاد كلها نشاطها وفقاً لهذه الاهداف الحسية ، فان من واجب البروليتاريا ، وعلى الاخص طليعتها الحزب الشيوعي ، ان تبرهن اذن على نشاطها واخلاصها اللامتناهين كيما تعطي الباقين قدوة في تحقيق هذه الاهداف الحسية . ويتوجب على الشيوعيين ، في النضال من اجل تحقيق جميع مهمات الجبهة الوطنية المناهضة لليابانيين والجمهورية الديمقراطية ، ان يكونوا ابعد الجميع نظراً ، واكثرهم استعداداً للتضحية ، واعظمهم حملاً ، واوسعهم أفقاً في ادراك الأوضاع ، وان يعتمدوا على الغالبية العظمى من الجماهير ويكسبوا تأييد هذه الجماهير .

ثالثاً ، انها تقيم علاقات مناسبة مع حلفائها ، دون أن تغيب عن ابصارها اغراضها السياسية المحددة ، وتطور هذا التحالف معهم وتقويه .

رابعاً ، انها توسع صفوف الحزب الشيوعي ، وتوحيدها فكرياً ، وتقوي من انضباطها .

ان قيادة الحزب الشيوعي لشعب البلاد كلها يتحقق بالضبط عن طريق تطبيق هذه الاسس المذكورة اعلاه . وان هذه الاسس تشكل القاعدة التي

تنهض عليها قيادتنا السياسية ، والضمانة الاكيدة بأن الثورة ستنتصر ، ولن تبوء بالخذلان بسبب تأرجح حلفائها .

١٨ - عندما يتحقق السلم ويقوم التعاون بين الحزبين ، فانه يتوجب تبديل الاساليب القديمة في النضال والتنظيم والعمل التي كنا نطبقها حين كانت سلطتان سياسيتان متعارضتان تقومان في البلاد . ويجب ان يتم مثل هذا التبديل ، قبل كل شيء، في الانتقال من الاساليب العسكرية الى الاساليب السلمية ، ومن الاساليب غير الشرعية الى الاساليب الشرعية . وليس مثل هذا التبديل بالأمر اليسير ، ومن واجبا ان نتعلم من جديد . وهكذا فان اعادة تدريب الملاكات تصبح مهمة رئيسية بالنسبة الينا .

١٩ - لقد اثار عدد كبير من الرفاق قضايا متعلقة بطبيعة الجمهورية الديمقراطية واهدافها . وجوابنا على ذلك هو: فيما يتعلق بطبيعتها الطبقية، فهي تحالف بين الطبقات الثورية ، وفيما يتعلق بأهدافها ، فهي يمكن ان تتجه نحو الاشتراكية . ان جمهوريتنا الديمقراطية سوف تنشأ في سياق الدفاع القومي المسلح ، ولسوف تقوم بقيادة البروليتاريا ، كما انها ستقوم في الظروف الدولية الجديدة (انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وعشية مرحلة جديدة من تطور الثورة العالمية) . وبالتالي فانها على الرغم من بقائها دولة بورجوازية ديمقراطية من جراء الشروط الاجتماعية والاقتصادية، فانها يجب ان تكون مع ذلك ، من جراء الشروط السياسية الحسية ، دولة قائمة على اساس التحالف بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية ، وبالتالي فهي تختلف عن الجمهوريات البورجوازية على العموم . وهكذا فقد لا تبرح تتجه نحو الرأسمالية فيما يتعلق بالاهداف، لكنها يمكن في الوقت نفسه ان تتحول نحو الاشتراكية ، ومن واجب حزب البروليتاريا الصينية ان يناضل بشدة في سبيل تحقيق هذا الهدف الاخير .

٢٠ - ان النضال ضد الانطواء على النفس وروح المغامرة ، وفي الوقت نفسه ضد التبعية للآخرين ، وهو شرط أساسي لتحقيق مهمات الحزب .

ان في عمل حزبنا الجماهيري ميلا تقليدياً نحو الانطواء الجدي على الذات ،
والعصبية المتبجحة وروح المفامرة – وهو ميل سييء يعوق الحزب عن اقامة
الجهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين وكسب غالبية الجماهير الى جانبه .
وانه لمن الضروري كلياً القضاء على هذا الميل في مختلف ميادين العمل . ان
ما نطلبه هو الاعتماد على الغالبية والعمل مع اعتبار الاوضاع القائمة . اننا
لا نستطيع ان نسمح باحياء تبعية شن تسو – هسيو التي تعكس روح الاصلاح
البورجوازية في صفوف البروليتاريا . واننا سنؤدي بالثورة الى الهزيمة حتماً
اذا اضعفنا مواقف الحزب المبدئية ، ولوثنا ملامحه السياسية ، او ضحينا
بمصالح العمال والفلاحين نزولا عند مطالب الاصلاحيين البورجوازيين . ان
ما نطلبه هو تنفيذ سياسة ثورية حازمة وكسب النصر التام في الثورة
البورجوازية الديمقراطية . وكما نتغلب على الميول السيئة المذكورة اعلاه ،
يتوجب علينا قبل كل شيء ان نرفع المستوى النظري الماركسي اللينيني للحزب
بأسره ، لأن الماركسية اللينينية وحدها هي البوصلة التي يمكن ان تقود الثورة
الصينية الى الظفر .

لنناضل

في سبيل اجتذاب عشرات الملايين من الجماهير

الى الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين

(٧ ايار ١٩٣٧)

الخطاب الختامي الذي ألقى في المؤتمر الوطني

للحزب الشيوعي الصيني في ايار ١٩٣٧ .

أيها الرفاق .

بعد المناقشة التي دارت في الايام القليلة الاخيرة ، وافقتم ، باستثناء بعض الرفاق الذين قدموا اعتراضات قليلة ، على تقريري : « **مهمات الحزب الشيوعي في فترة المقاومة ضد اليابان** » . وسوف اناقش هذه الاعتراضات اولا في كلمتي الختامية ، لانها لا تعمد بعض الاهمية ، ثم انتقل الى بعض القضايا الأخرى .

مسألة السلم

يناضل الحزب في سبيل السلم الداخلي منذ سنتين . ولقد كنا نقول بعد الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكيومنتانغ اننا كسبنا السلم ، وان مرحلة « كسب السلم » قد انتهت ، وان مهمتنا الجديدة هي « توطيد السلم » ، ولقد اشرنا كذلك الى أن هذه المهمة مرتبطة « بكسب الديمقراطية » ، يعني اننا يجب أن نوطد السلم بواسطة كسب الديمقراطية . لكن بعض

الرفاق يزعمون ان هذا الرأي غير صحيح . وعلى أية حال ، فان استنتاجهم هو بالضرورة إما رأي مناقض لراينا واما رأي يتخذ موقفاً وسطاً متردداً . ذلك انهم « يقولون ان اليابان تتراجع (١) » ، وناكنف تتأرجح اكثر من ذي قبل ، والتناقضات الخارجية تضعف ، بينما تشتد التناقضات الداخلية » . ولا داعي طبعاً ، وفقاً لهذا التقدير ، للحديث عن المرحلة الجديدة أو المهمات الجديدة ، بل الافضل ان نتحدث عن العودة الى المرحلة القديمة ، أو ما هو أسوأ منها . واني اعتبر هذا الرأي خاطئاً .

فحين قلنا ان السلم قد تم كسبه ، لم تكن نعني انه توطد ، بل لقد قلنا ، على العكس من ذلك ، انه لم يتوطد . ان تحقيق السلم وتوطيد السلم امران مختلفان . وما دام هنالك استعماريون يابانيون ، وأعاون ، وعناصر مماثلة لليابانيين فقد يقلب التاريخ مسيره لفترة من الزمن ويتعرض السلم للهزيمة . والحقيقة ان السلم الداخلي ، منذ حادث سيان ، قد تحقق بفضل عوامل متنوعة (سياسة اليابان القائمة بصورة أساسية على الغزو ، تأييد السلم من جانب الاتحاد السوفييتي ومن جانب بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا في

(١) بعد حادث سيان ، عمد الاستعمار الياباني فترة من الزمن الى اتخاذ موقف المصالحة كما يدفع سلطات الكيومنتانغ الى تمزيق السلم القومي والجهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين اللذين اقيما في الصين . وهكذا عمدت الحكومة ذات الاستقلال الذاتي فيمنغوليا الداخلية ، بأمر من اليابان ، في كانون الاول ١٩٣٦ ثم في آذار ١٩٣٧ ، الى الابراق بتأييدها لحكومة الكيومنتانغ في نانكنغ . وعمد ساتو ، وزير الخارجية الياباني ، الى تضليل شيانغ كاي - شيك بتصريحه بأن العلاقات بين الصين واليابان يمكن أن تتحسن وأن اليابان ستساعد الصين في وحدتها السياسية ونهضتها الاقتصادية . وجاءت الى الصين « لجنة تحقيق في الوضع الاقتصادي » برئاسة أحد عمالقة المال اليابانيين كنجي كودوما ، بدعوى مساعدة الصين في « اكمال تنظيم الدولة المعاصرة » . وكانت هذه الخطط تشكل في أعين الاشخاص الخدوعين ما يدعى « دبلوماسية ساتو » أو « تراجع اليابان » .

الوقت نفسه، ضغط الحزب الصيني، سياسة الحزب الشيوعي السلمية أثناء حادث سيان وابتعاده عن سياسة ابقاء السلطتين المتنافستين ، الخلافات في معسكر البورجوازية ، والخلافات داخل الكيومنتانغ ، الخ . .) ، أما شيانغ كاي-شيك فانه لا يستطيع لوحده أن يحقق السلم أو ينسفه . فلا بد له، كي ينسف السلم ، من النضال ضد قوى عديدة والاقترب من الاستعماريين اليابانيين والعناصر الممالة لهم . ومما لا ريب فيه أن الاستعماريين اليابانيين والعناصر الممالة لهم لا يرحون يسعون الى اطالة الحرب الاهلية في الصين . وبالتالي فان السلم لم يوطد بعد . وفي هذه الظروف لا يكون استنتاجنا العودة الى الشعارات القديمة : « انتهاء الحرب الاهلية » و « كسب السلم » ، بل الذهاب خطوة اخرى الى الامام واقتراح الشعار الجديد ، « كسب الديمقراطية » . اننا لا نستطيع بغير هذه الطريقة ان نوطد السلم ونحقق المقاومة المسلحة . ولماذا نقترح هذه الشعارات الثلاثة التي تشكل كلاً عضواً - « توطيد السلم » و « كسب الديمقراطية » و « تحقيق المقاومة المسلحة » ؟ لاننا نريد ان ندفع عربة ثورتنا الى الامام ، ولأن الظروف تسمح لنا منذ الآن بأن نحقق ذلك . واذا انكرنا المرحلة الجديدة والمهمات الجديدة ، واذا انكرنا أن الكيومنتانغ قد « بدأ يتبدل » ، واذا انكرنا بالضرورة ، كنتيجة منطقية لذلك ، المنجزات التي حققتها قوى سائر الفئات في نضالها من أجل السلم خلال السنة ونصف السنة الأخيرتين، فاننا سنبقى اذن في المركز القديم نفسه دون ان نتقدم الى الامام خطوة واحدة .

لماذا قام هؤلاء الرفاق بمثل هذا التقدير الخاطئ ؟ ان السبب في ذلك هو انهم لا يبدون ، في دراسة الوضع الراهن ، من الظواهر الاساسية بل من أي عدد من الظواهر الجزئية والعابرة (دبلوماسية ساتو ، محاكمة سوشو (١) ، القضاء على الاضرابات ، نقل الجيش الشمالي الشرقي نحو

(١) إشارة الى محاكمة القادة الوطنيين السبعة في شانغهاي (راجع هوامش : « بيان

حول بيان شيانغ كاي - شيك » ولقد حوكموا من قبل المحكمة العليا في سوشو في نيسان ١٩٣٧

الشرق (١) ، ورحلة الجنرال هو شينغ الى الخارج (٢) ، الخ . .) ، وعندئذ يرسمون صورة متشائمة عن الوضع . اننا نقول ان الكيومنتانغ قد بدأ يتبدل، لكننا نضيف ايضاً ان الكيومنتانغ لم يتبدل بعد بصورة كلية . وانه لمن غير المعقول ان تتبدل السياسة الرجعية للكيومنتانغ في السنوات العشر الاخيرة بصورة كلية دون اية جهود جديدة ، دون المزيد من الجهود الكبرى من جانبنا، ومن جانب الشعب . وان عدداً كبيراً من الناس ، المشهورين « باليساريين » ، راحوا يفضحون الكيومنتانغ بمرارة ونادوا اثناء حادث سيان باعدام شيانغ و « شق طريقنا خارج ممر تونغ » (٣) ، لكنه ما ان تحقق السلم وجرت بعض

بتهمة « تعريض الجمهورية للخطر » ، وهي التهمة التي اعتاد الكيومنتانغ توجيهها الى سائر الحركات الوطنية .

(١) كان جيش الشمال الشرقي متمركزاً ، قبيل حادث سيان ، على التخوم بين شنسي وكاتسو ، وكان على احتكاك مباشر مع الجيش الاحمر في شمال شنسي . ولقد قام اخيراً ، تحت التأثير العميق للجيش الاحمر ، بحادث سيان . وقد امره الرجعيون الكيومنتانغيون ، كي يقطعوا احتكاكه بالجيش الاحمر ويزرعوا الشقاق في صفوفه ، بالتحرك شرقاً الى هونان وأنهوي في آذار ١٩٣٧ .

(٢) قائد عسكري في شمال غربي الصين قام بحادث سيان بالاشتراك مع شانغ هسوي - ليانغ ، ولذا فان إسمي محركي هذا الحادث قد ارتبطا في اللغة الشعبية بعبارة «شانغ - يانغ». وبينما كان شانغ في السجن في الحال بعد مرافقته لشيانغ كاي - شيك الى نانكنغ ، فقد سرح يانغ وأجبر من قبل رجعيي الكيومنتانغ على مغادرة البلاد . وحين بدأت حرب المقاومة ، رجع يانغ الى الصين عارضاً خدماته ، لكن شيانغ كاي - شيك حكم عليه بالسجن مدى الحياة . وفي ايلول ١٩٤٩ ، حين كان جيش التحرير الشعبي يقترب من شونغ كينغ ، أمر شيانغ بقتله في أحد معسكرات الاعتقال هناك .

(٣) كان ممر تونغ أو تونغوان بوابة ذات أهمية سوقية على تخوم شنسي وهونان وشانسي . وحين وقع حادث سيان ، كانت القوى الرئيسية في قوى شيانغ كاي - شيك الكيومنتانغية

الأحداث التي من طراز محاكمة سوشو وحتى تساءلوا في دهشة « لماذا لا يبرح شيانغ كاي - شيك يرتكب مثل هذه الأعمال ؟ » وأنه ليتوجب عليهم أن يفهموا ان الشيوعيين او شيانغ كاي - شيك ليسوا آلهة ، والأكثر من ذلك انهم ليسوا افراداً منعزلين بل ينتسبون الى حزب أو طبقة . وان للحزب الشيوعي القدرة على الثورة الى الامام خطوة فخطوة ، لكنه لا يملك القدرة على تنظيف البلاد من سائر الأشياء الرديئة في يوم واحد . لقد شرع شيانغ كاي - شيك والكيومنتانغ يتغيرون ، لكنه من المؤكد أنهم لا يستطيعون ، دون بذل جهود أعظم من قبل الشعب بأسره ، أن يفسلوا في يوم واحد كل الدنس المتراكم في السنوات العشر الماضية . واننا نقول ان الحركة تتجه نحو السلم ، والديموقراطية ، والمقاومة المسلحة ، لكننا لا نقول ان مثل تلك الأشياء القديمة الضارة ، من الحرب الأهلية ، والديكتاتورية ، وعدم المقاومة ، يمكن حذفها تماماً دونما ادنى جهد . ان الأشياء القديمة الضارة والدنسة لا يمكن تنظيفها ، والتقلبات في الثورة ، والانقلاب الممكن فيها ، لا يمكن تجنبها الا بواسطة النضال والعمل الشاق ، وخلال فترة طويلة من الزمن أيضاً .

« انهم يريدون تدميرنا » . أجل ، انهم يحاولون على الدوام ان يدمروا - اني اوافق تماماً على صحة هذا التقدير ، ويجب أن يكون المرء في حالة النوم كي لا يعترف بهذا الواقع . بيد أن المسألة هي ما اذا كان تبدل قد طرأ على أسلوبهم في التدمير . واني لأعتقد ان مثل هذا التبدل قد وقع . التبدل من سياسة الحرب والبطش الى سياسة الإصلاح والتضليل ، من سياسة السدة الى سياسة اللين ، ومن السياسة العسكرية الى السياسة المدنية . ولماذا طرأ مثل هذا التبدل ؟ ان البورجوازية والكيومنتانغ اللذين يجابههما الاستعمار

معسكرة على جانبي هذه البوابة . وكان الحزبيون المعروفون « باليساريين » ، مثل شانغ كيو - تاو ، ينادون بأن من واجب الجيش الاحمر ان « يشق طريقه خارج ممر تونغ » وكانوا يعمون بذلك بدء هجوم على قوات الكيومنتانغ ، وكان هذا الاقتراح يعاكس سياسة المركز الحزبي بتسوية سلمية لحادث سيان .

الياباني لا يستطيعان الا البحث مؤقتاً عن حليف في البروليتاريا ، مثلما
نبحث نحن عن حليف في البورجوازية . وينبغي ان نأخذ هذا الامر كنقطة
انطلاق في حين نأخذ الامور بعين الاعتبار . وعلى الصعيد الدولي ، انقلبت
الحكومة الفرنسية للسبب نفسه من عدو للاتحاد السوفييتي الى حليفه^(١) .
وفي الداخل ، تبدلت مهمتنا العسكرية ايضاً الى مهمات سياسية . وليست
بنا حاجة الى التآمر والخداع ، ان هدفنا هو الاتحاد مع سائر اولئك الراغبين ،
في صفوف البورجوازية والكيومتانغ ، بمقاومة اليابان كيما نهزم بالتضامن
معهم الاستعمار الياباني .

مسألة الديمقراطية

« من الخطأ التشديد على الديمقراطية ، والواجب هو التشديد على
مقاومة اليابان ، ولا يمكن بدون عمل مباشر ضد اليابان ان تكون ثمة حرية
ديموقراطية ، فمعظم الناس لا يريدون سوى مقاومة اليابان من دون
الديموقراطية — ويكون الأمر حسناً اذا قامت عندنا مرة ثانية حركة ٩
كانون الاول » (٢) .

(١) استمر الاستعمار الفرنسي يمارس سياسة معادية للاتحاد السوفييتي حتى بعد زمن
طويل من ثورة اكتوبر في روسيا . وقد ساهمت الحكومة الفرنسية بنشاط في ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، في
التدخل المسلح الذي قامت به اربع عشرة دولة ضد الاتحاد السوفييتي ، واستمرت في سياسة
عزل الاتحاد السوفييتي حتى بعد فشل التدخل . ولم توقع فرنسا معاهدة تعاون متبادل مع
الاتحاد السوفييتي إلا في ايار ١٩٣٥ ، تحت ضغط السياسة السلمية للاتحاد السوفييتي على
الشعب الفرنسي وتهديد ألمانيا الفاشية ، وهي معاهدة لم تنفذها الحكومة الرجعية باخلاص
على أية حال .

(٢) إشارة الى مظاهرة الطلاب الوطنية في بكين في ٩ كانون الاول ١٩٣٥ بقيادة الحزب
الشيوعي الصيني ، وكانت الحركة تطالب بوقف الحرب الاهلية والمقاومة المسلحة ضد اليابان ،
ونالت تأييد الشعب كله .

اسمحوا لي قبلًا أن أطرح بعض الاسئلة : يستطيع المرء أن يقول أن معظم الناس كانوا يريدون ، في المرحلة الماضية (من حركة ٩ كانون الاول عام ١٩٣٥ حتى الدورة الكاملة للجنة المركزية التنفيذية للكيومتانغ في شباط ١٩٣٧) ، المقاومة ضد اليابان فقط من دون السلم ؟ اكان من الخطأ التشديد على السلم في الماضي ؟ اكان يمكن أن تقوم حركة من أجل السلم بدون عمل مباشر ضد اليابان (ان حادث سيان والدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكيومتانغ قد وقعا بالضبط بعد انتهاء المقاومة ضد اليابان في سويوان ، وفي الوقت الحاضر ليس ثمة مقاومة ضد اليابان في سويوان أو حركة ٩ كانون الاول) ، ومن لا يعلم أن السلم ضروري من أجل مقاومة اليابان ، وان المقاومة ضد اليابان لا يمكن أن توجد دون السلم ، وان السلم هو شرط المقاومة ؟ ان سائر الاعمال المباشرة وغير المباشرة ضد اليابان في المرحلة السابقة (انتي بدأت بحركة التاسع من كانون الاول وانتهت بالدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية التنفيذية للكيومتانغ) قد تركزت حول النضال من أجل السلم ، لقد كان السلم الحلقة المركزية في المرحلة السابقة ، كان الامر الأعظم أهمية في الحركة المناهضة لليابانيين في المرحلة السابقة .

وكذلك شأن الديمقراطية ، فهي الامر الأعظم أهمية بالنسبة الى مقاومة اليابان في المرحلة الجديدة ، وان العمل من أجل الديمقراطية هو عمل من أجل المقاومة المسلحة ضد اليابان . ان مقاومة اليابان والديموقراطية يشترطان بعضهما بعضاً ، تماماً كما ان مقاومة اليابان والسلم ، والسلم والديموقراطية ، هي أمور تشترط بعضها بعضاً . ان الديمقراطية هي ضمانة المقاومة ضد اليابان ، والمقاومة ضد اليابان يمكن ان توفر شروطاً ملائمة من أجل تطور الحركة الديمقراطية .

اننا نرجو أن تقوم - ولسوف تقوم بالفعل - نضالات عديدة مباشرة وغير مباشرة ضد اليابان في المرحلة الجديدة ، ولسوف تسمح هذه النضالات بتطور المقاومة ضد اليابان وتقدم مساعدة كبرى للحركة الديمقراطية . بيد

أن جوهر المهمة الثورية التي أسندها التاريخ إلينا هي كسب الديمقراطية .
« الديمقراطية » ، « الديمقراطية » — أمن الخطأ أن نعزف على هذه
النغمة ؟ لا أعتقد ذلك .

« ان اليابان تتقهقر ، وبريطانيا واليابان تميلان نحو انشاء توازن للقوى
فيما بينهما ، وناكنغ ترداد تردداً » . هذا قلق لا مبرر له نشأ من الجهل
بقوانين التطور التاريخي . لو أن اليابان تقهقرت أخيراً بسبب ثورة اندلعت
فيها ، فقد كان ذلك يعود بالفائدة على الثورة الصينية ، وذلك ما كنا نرجوه ،
لأنه كان يشكل بداية انهيار جبهة العدوان العالمية . ولماذا نقلق إذن ؟ لكن
ليست تلك هي الحال في الوقت الراهن ، ان دبلوماسية ساتو تستهدف
التحضير لحرب كبرى ، وان حرباً كبرى لتواجهنا . ولا يمكن لسياسة بريطانيا
المتزنة الا ان تكون عقيمة ، وهذا ما يقرره التباعد بين مصالح بريطانيا
واليابان . واذا ترددت ناكنغ طويلاً ، فسوف تصبح عدوة الشعب في سائر
أرجاء البلاد ، الأمر الذي لن تسمح به مصالحها الخاصة . وان ظاهرة مؤقتة
من التقهقر لا يمكن أن تغير قوانين التاريخ العامة . ولذا لا يستطيع المرء أن
ينكر لا المرحلة الجديدة ولا مهمة النضال من أجل الديمقراطية . وفيما عدا
ذلك ، فان شعار الديمقراطية يمكن أن يكيف مع سائر الظروف ، ومن
الواضح لسائر الناس أن الافتقار إلى الديمقراطية هو ما يشكو منه الشعب
الصيني وليس زيادتها . ولنصف إلى ذلك أن الظروف الراهنة تبين أن إبراز
المرحلة الجديدة وتقديم مهمة الديمقراطية يشكلان خطوة نحو المقاومة
المسلحة . ان الأحداث قد ذهبت قدماً ، وينبغي ألا نحاول جرّها القهقري .

« لمّ التشديد على الجمعية الوطنية ؟ لأنها شيء يمكن أن يؤثر بحياتنا
كلها ، لأنها الجسر بين الديكتاتورية الرجعية والديموقراطية ، لأنها تشكل
جزءاً من الدفاع القومي ، ولأنها ستكون قانونية . أن نسترد شرقي هوييه
وشمالي شاهر ، وان نكافح أعمال التهريب ، وان نناهض « التعاون

الاقتصادي (١) ، الخ . . ، كما اقترح عدد من الرفاق ، أمور صحيحة تماماً كلها ، لكنها لا تناقض في حال من الاحوال الديموقراطية أو دعوة الجمعية الوطنية . ان الامرين متكاملان ، لكن الشيء المركزي هو الجمعية الوطنية (٢) والحريات المدنية .

وانه لأمر مبهم تماماً ولا جدال فيه انه يجب التوفيق بين النضال اليومي ضد اليابانيين ونضال الشعب من أجل معيشتهم وبين الحركة الديموقراطية ، لكن الشيء المركزي والجوهري في المرحلة الحاضرة هو الديموقراطية والحرية .

مسألة أهداف الثورة

لقد أثار بعض الرفاق هذه المسألة ، ولا يمكن ان أجيب عليها الا باختصار .

إذا كان الأثر الأدبي يتألف من قسمين ، فانه لا يمكن البدء بتأليف قسمه الثاني قبل الانتهاء من قسمه الأول . وان القيادة الحازمة للثورة الديموقراطية هي شرط انتصار الاشتراكية المقبل . اننا نناضل من أجل الاشتراكية ، وهذا ما يميزنا عن سائر الاتباع الآخرين لمبادئ الشعب الثورية الثلاثة . وان جهدنا الحاضر موجه نحو الهدف العظيم للمستقبل ، وإذا غاب هذا الهدف عن نظرنا فلن نظل شيوعيين اذن . لكننا اذا تراخينا في جهودنا اليوم ، فاننا لن نكون اذن شيوعيين أيضاً .

(١) إشارة الى ما سمي « التعاون الاقتصادي الصيني الياباني » .

(٢) ليس المقصود الجمعية الوطنية التي شكلها الكيومنتانغ ، بل الجمعية الوطنية الحقيقية التي يجب أن تمثل الشعب بأسره والتي كان الحزب الشيوعي يطالب بها .

اننا ننادي بنظرية التطور المتصل للثورة (١) ، ننادي بالتطور المتصل للثورة الديمقراطية الى الثورة الاشتراكية . ان الثورة الديمقراطية ستجتاز مراحل عديدة من التطور ، وجميعها تحت شعار الجمهورية الديمقراطية . وان الانتقال من تفوق قوى البورجوازية الى تفوق قوى البروليتاريا سيكون عملية طويلة من النضال ، النضال من اجل كسب القيادة ، وشق هذه العملية يتعلق بنشاط الحزب الشيوعي في سبيل رفع مستوى وعي البروليتاريا وتنظيمها، مستوى وعي طبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدنية وتنظيمهما .

ان الحليف القوي للبروليتاريا هي طبقة الفلاحين، ومن بعدها البورجوازية الصغيرة المدنية . وان البورجوازية هي التي ستنافسنا على السيادة . وان التقلب على تذبذب البورجوازية وانعدام الحزم عندها امر مرتبط بقوة الجماهير وصواب سياستنا ، والا فان البورجوازية ستتغلب على البروليتاريا .

وان ما نرجوه هو أن يتحقق هذا التطور من دون اهراق للدم ، وهو ما يجب أن نناضل في سبيله بعزم ، وان النتيجة لموقفنا على قوة الجماهير . اننا ننادي بنظرية التطور المتصل للثورة ، لكن ليس النظرية التروتسكية عن الثورة الدائمة (٢) . واننا نؤيد الوصول الى الاشتراكية بالمرور في سائر المراحل الضرورية من الجمهورية الديمقراطية . اننا نعارض التبعية ، لكننا نعارض كذلك روح المغامرة والتهور الثوري .

(١) راجع ماركس وإنجلز « البيان الشيوعي » ، القسم الرابع ، و ف . إ . لينين : « خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية » ، القسم الثاني عشر والثالث عشر ، و « تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي » ، الفصل الثالث ، القسم الثالث . (٢) راجع ستالين « أسس اللينينية » ، القسم الثالث ، و « ثورة أكتوبر وتعبئة الشيوعيين الروسين » القسم الثاني ، و « قضايا اللينينية » ، القسم الثالث .

ان رفض مساهمة البورجوازية في الثورة بحجة ان هذه المساهمة ذات صفة مؤقتة، ووصف التحالف مع ذلك القسم المناهض لليابانيين من البورجوازية (في بلد نصف مستعمر)، بأنه استسلام ، لنظرتان مشربتان بالروح التروتسكية . ان مثل هذا التحالف اليوم هو بالضبط جسر لا بد لنا من عبوره في طريقنا نحو الاشتراكية .

مسألة الملاكات

لا بد ، في سبيل قيادة ثورة كبرى ، من وجود حزب كبير وعدد من الملاكات الجيدة . وانه يستحيل تحقيق ثورة عظمى لم يسبق لها مثيل في بلد مثل الصين يعد سكانه ٥٠ مليوناً اذا لم تكن القيادة سوى فئة قليلة قائمة على اساس ضيق ، وان ذلك ليكون مستحيلاً ايضاً اذا كان قادة الحزب وملاكاته ضيقي التفكير ، قصيري النظر ، معدومي الكفاءات . ولقد كان الحزب الشيوعي الصيني ، ولا يرح ، حزباً سياسياً كبيراً ، على الرغم من خسائره في فترة الرجعية ، وانه ليملك عدداً كبيراً من القادة والملاكات الجيدة ، لكن عددهم لا يكفي بعد . يتوجب على حزبنا ، بواسطة منظماته ، ان يشمل جميع انحاء البلاد ، وان من واجبه ان يدرّب بعزيمة قوية عشرات الالوف من الملاكات ومئات عديدة من القادة الجماهيريين الممتازين . وان هؤلاء القادة والملاكات يجب ان يفهموا الماركسية - اللينية ، ويجب ان يتمتعوا بعد النظر السياسي والكفاءة في العمل ، ويجب ان يكونوا مليئين بروح التضحية بالذات ، قادرين على حل المشاكل بصورة مستقلة ، ويجب ان يظلوا ثابتين في وسط المصاعب ويعملوا باخلاص واندفاع من أجل الامة ، والطبقة ، والحزب . وان الحزب لا يستطيع ان يرتبط باعضائه وبالجماهير الا بواسطة هؤلاء الناس ، كما ان الحزب لا يستطيع ان ينجح في قهر العدو الا بواسطة القيادة الحازمة التي يطبقها هؤلاء الناس على الجماهير .

ويجب أن يكون هؤلاء الناس بريئين من الانانية ، والبطولة الفردية ، والخيلاء والبلادة ، والسلبية ، أو العصبية المتبجحة . ان من واجبهم أن يكونوا الأبطال المخلصين للامة والطبقة-هذه هي الصفات والاسلوب في العمل التي يجب ان يتحلى بها أعضاء الحزب وملاكاته وقادته . وهذا هو بالضبط الميراث الروحي الذي اورثناه اياه عشرات الالوف من اعضاء حزبنا ، والالوف من ملاكاتنا ، والمئات من افضل قادتنا الذين وهبوا القضية حياتهم . ومما لا يتطرق اليه الشك ان من واجبنا اكتساب هذه الصفات كيما نعيد صهر انفسنا في قالب جديد ونرتفع الى مستوى ثوري أعلى . بيد أن هذا لا يكفي ، فان من واجبنا ايضاً ان نكتشف عدداً كبيراً من الملاكات والقادة الجدد في الحزب وفي البلاد . ان ثورتنا ترتبط بالملاكات ، بالضبط كما قال ستالين :

« الملاكات تقرر كل شيء » (١)

مسألة الديمقراطية داخل الحزب

كيما نبلغ اهدافنا ، فان الديمقراطية داخل الحزب امر ضروري . وكى نجعل الحزب قوياً ، يجب أن نعتمد على ممارسة المركزية الديمقراطية في الحزب كي نستثير نشاط الحزب بأسره . لقد كانت المركزية أشد وضوحاً في فترة الرجعية والحرب الاهلية . وفي الفترة الجديدة يجب ان تزداد الرابطة بين المركزية والديموقراطية وثوقاً . ان نشاط الحزب سيتطور عن طريق ممارسة الديمقراطية . وان عدداً كبيراً من الملاكات سوف يكتسبون الصلابة الفولاذية وتصهرهم الاحداث بواسطة تطوير نشاط الحزب بأسره ، كما ان بقايا العصبية ستصفى ، وتزداد وحدة الحزب كله متانة فكأنها مصنوعة من فولاذ .

(١) انظر ستالين : « نداء الى المتخرجين في اكاديميات الجيش الاحمر » ، « قضايا اللينينية » حيث يقول : « ... ان الناس ، الملاكات ، هم الراسمال الاعظم قيمة وأهمية في سائر الرسائل القيمة التي يملكها العالم . وينبغي أن يفهم جيداً ان « الملاكات تقرر كل شيء » في ظروفنا الحاضرة ... »

تضامن المؤتمر وتضامن الحزب بأسره

ان الآراء المخالفة في القضايا السياسية التي ظهرت في هذا المؤتمر قد افسحت المجال للاتفاق بعد مناقشتها وايضاها ، كما نسوي الخلاف النديم بين اتجاه المركز الحزبي واتجاه التقهقر المتخذ بقيادة بعض الرفاق (١) - وهذا دليل على ان حزبنا قد أصبح وطيد الوحدة حتى درجة بعيدة . وان مثل هذا التضامن هو الاساس الاهم من أجل الثورة الوطنية والديموقراطية الراهنة ، لان تضامن الطبقة كلها والامة بأسرها لا يمكن ان يتحقق الا بواسطة تضامن الحزب الشيوعي ، كما ان هزيمة العدو وانجاز الثورة الوطنية والديموقراطية لا يمكن ان يتحققا الا بواسطة تضامن الطبقة كلها والامة بأسرها .

لنناضل في سبيل اجتذاب عشرات الملايين من الجماهير الى الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين

ان اتجاهنا السياسي الصحيح ووجدتنا المتينة يستهدفان اجتذاب عشرات الملايين من الجماهير الى الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين . وان الجماهير الواسعة في البروليتاريا وطبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة المدنية ليحتاجوا الى دعايتنا وتحريضنا وتنظيمنا ، كما ان من واجبنا بذل

(١) إشارة الى الخلاف الذي قام خلال العامين ١٩٣٥ - ١٩٣٦ بين اتجاه المركز الحزبي واتجاه شانغ كيو - تاو الخاص بالتراجع (انظر هوامش « في تعبئة قتال الاستعمار الياباني ») . وان تقرير الرفيق ماو هنا عن « تسوية الخلاف القديم » قد بني على الواقع التالي ، الا وهو ان جيش الجبهة الرابع في الجيش الاحمر ، الذي كان بقيادة شانغ كيو - تاو ، قد ضم قواه في ذلك الحين الى وحدات الجيش الاحمر الخاضعة لقيادة المركز الحزبي . أما بشأن هرب شانغ كيو - تاو المفوض وانتقاله الى المعسكر المضاد للثورة فيما بعد ، فقد كان عملا شخصيا من الاحتياط ، ولم يكن له ادنى علاقة بالخلافات الخاصة بالانجازات القيادية .

المزيد من الجهود لتشكيل تحالف مع القسم المناهض لليابانيين من البورجوازية .
وكيما نحول الاتجاه الحزبي الى اتجاه جماهيري لابد لنا من بذل الجهود الطويلة
الدائبة ، الجهود العنيدة والشديدة ، الجهود الصابرة وغير المتراخية . ولن
نستطيع بدون مثل هذه الجهود ان نحقق اي نجاح . وان تشكيل الجبهة
الوطنية المناهضة لليابانيين وتوطيدها ، وفي الوقت نفسه تحقيق مهمات هذه
الجبهة واقامة الجمهورية الديمقراطية في الصين ، هذه الاشياء جميعاً لايمكن
ان تنفصل في حال من الاحوال عن الجهود المستهدفة اجتذاب الجماهير
وكسبها . واذا امكن بواسطة هذه الجهود اجتذاب عشرات الملايين من الجماهير
وجعلها تسير تحت قيادتنا ، فان مهمتنا الثورية يمكن اذن ان تتحقق سراعاً .
ومن المؤكد اننا سنقلب بواسطة جهودنا الاستعمار الياباني ، ونحقق التحرر
الوطني الكامل والتحرر الاجتماعي على السواء .



في النشاط العملي

في العلاقة بين المعرفة والنشاط العملي ، بين العلم والعمل

(تموز ١٩٣٧)

لقد كان في الحزب الشيوعي الصيني فريق من المتعصبين للمذهبية الذين تأبروا طوال فترة مديدة من الزمن - متجاهلين تجربة الثورة الصينية ومنكرين الحقيقة التالية ، ألا وهي أن « الماركسية ليست عقيدة بل دليلا للعمل » - على خداع الشعب بكلمات وعبارات منتزعة من متونها في المؤلفات الماركسية . وكان هناك أيضا فريق من التجريبيين الذين ما كانوا يستطيعون ، وهم ملتصقون بتجربتهم الجزئية الخاصة ، أن يفهموا أهمية النظرية بالنسبة الى النشاط العملي الثوري أو أن يحيطوا بالوضع الثوري الشامل ، وبالتالي كانوا يعملون بصورة عمياء ، رغما عن الجهد الذي يبذلون . ولقد لحق بالثورة الصينية في الاعوام ١٩٣١-١٩٣٤ ضرر كبير بسبب الآراء الخاطئة لهذين الفريقين من الرفاق ، وعلى الاخص آراء المذهبين الذين ضلوا ، وهم يرتدون معطف الماركسية ، أعدادا كبيرة من الرفاق . ولقد كتب هذا المقال ليفضح من وجهة نظر نظرية المعرفة الماركسية مثل هذه الاخطاء الدائية في الحزب ، يعني المذهبية والتجريبية ، والمذهبية بصورة أخص . ولما كانت هذه المقالة تصر على فضح الدائية المذهبية التي تستصغر من شأن النشاط العملي ، فهي تحمل عنوان « في النشاط العملي » . وقد قدمت هذه الآراء أصلا في محاضرة القيت في الكلية العسكرية والسياسية المناهضة لليابانيين في بينان .

لم يكن في مقدور المادية السابقة للماركسية أن تفهم تبعية المعرفة للنشاط

مخصوصاً في تطور معرفة الانسان . ففي المجتمع الطبقي يعيش كل امرئ ضمن ظروف طبقة مخصوصة ، ولا بد لكل اسلوب في التفكير ان يحمل خاتم احدى الطبقات .

ويؤكد الماركسي ان الفعالية المنتجة في المجتمع البشري تتطور خطوة فخطوة من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا ، وبالتالي فان معرفة الانسان ، سواء اكانت بالطبيعة ام بالمجتمع ، تتطور أيضاً خطوة فخطوة من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا ، يعني من السطحي الى العميق ومن وحيد الجانب الى متعدد الجوانب . ولقد ظل الانسان طوال مرحلة مديدة جداً من التاريخ مقتسراً على فهم وحيد الجانب للتاريخ الاجتماعي ، وذلك سواء لان الآراء المنحرفة للطبقات المستثمرة كانت تشوه باستمرار التاريخ الاجتماعي ، ام لان الانتاج المحدود النطاق كان يحد نظرة الانسان . وما كان في مكنة الانسان ان يكتسب فهماً تاريخياً واضحاً لتطور التاريخ الاجتماعي ويحول معرفته بالمجتمع الى علم ، هو علم الماركسية ، الا عندما برزت البروليتاريا الحديثة الى جانب قوى الانتاج الضخمة ، يعني الصناعة الكبيرة .

ويؤكد الماركسي ان نشاط الانسان العملي الاجتماعي هو وحده مقياس حقيقة معرفته بالعالم الخارجي . وفي الحقيقة ان معرفة الانسان لا تتحقق الا عندما يتوصل في عملية النشاط العملي الاجتماعي (في عملية الانتاج المادي ، والنضال الطبقي ، والتجربة العلمية) الى انجاز النتائج المتوقعة . وانه ليتوجب على الانسان اذا اراد ان يحقق النجاح في عمله ، يعني اذا اراد ان ينجز النتائج المتوقعة ، ان يجعل افكاره متفقة مع قوانين العالم الموضوعي المحيط به ، فاذا لم تكن افكاره متفقة مع هذه القوانين ، فانه حاصد الفشل اذن في النشاط الاجتماعي . واذ يفشل يستخرج الدروس من فشله ، ويبدل آراءه ليوافقها مع قوانين العالم الموضوعي ، وبذلك يحيل الاخفاق نجاحاً .

مخصوصاً في تطور معرفة الانسان . ففي المجتمع الطبقي يعيش كل امرئ ضمن ظروف طبقة مخصوصة ، ولا بد لكل اسلوب في التفكير ان يحمل خاتم احدى الطبقات .

ويؤكد الماركسي ان الفعالية المنتجة في المجتمع البشري تتطور خطوة فخطوة من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا ، وبالتالي فان معرفة الانسان ، سواء اكانت بالطبيعة ام بالمجتمع ، تتطور أيضاً خطوة فخطوة من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا ، يعني من السطحي الى العميق ومن وحيد الجانب الى متعدد الجوانب . ولقد ظل الانسان طوال مرحلة مديدة جداً من التاريخ مقتسراً على فهم وحيد الجانب للتاريخ الاجتماعي ، وذلك سواء لان الآراء المنحرفة للطبقات المستثمرة كانت تشوه باستمرار التاريخ الاجتماعي ، ام لان الانتاج المحدود النطاق كان يحد نظرة الانسان . وما كان في مكنة الانسان ان يكتسب فهماً تاريخياً واضحاً لتطور التاريخ الاجتماعي ويحول معرفته بالمجتمع الى علم ، هو علم الماركسية ، الا عندما برزت البروليتاريا الحديثة الى جانب قوى الانتاج الضخمة ، يعني الصناعة الكبيرة .

ويؤكد الماركسي ان نشاط الانسان العملي الاجتماعي هو وحده مقياس حقيقة معرفته بالعالم الخارجي . وفي الحقيقة ان معرفة الانسان لا تتحقق الا عندما يتوصل في عملية النشاط العملي الاجتماعي (في عملية الانتاج المادي ، والنضال الطبقي ، والتجربة العلمية) الى انجاز النتائج المتوقعة . وانه ليتوجب على الانسان اذا اراد ان يحقق النجاح في عمله ، يعني اذا اراد ان ينجز النتائج المتوقعة ، ان يجعل افكاره متفقة مع قوانين العالم الموضوعي المحيط به ، فاذا لم تكن افكاره متفقة مع هذه القوانين ، فانه حاصد الفشل اذن في النشاط الاجتماعي . واذ يفشل يستخرج الدروس من فشله ، ويبدل آراءه ليوافقها مع قوانين العالم الموضوعي ، وبذلك يحيل الاخفاق نجاحاً .

وهذا هو المقصود من القول : « ان الاخفاق أبو النجاح » ، ومن القول الآخر :
« من وقع في حفرة مرة لم يقع فيها ثانية » .

ان نظرية المعرفة الخاصة بالمادية الجدلية تنصب النشاط العملي في المحل
الأول ، وتؤكد ان المعرفة البشرية لا يمكن ان تنفصل مطلقاً عن النشاط العملي ،
وترفض سائر النظريات التي تنكر أهمية النشاط العملي أو تفصل المعرفة
عنه . وهكذا يقول لينين : « ان النشاط العملي أعلى من المعرفة (النظرية)
لأنه لا يتمتع بفضيلة الشمول فحسب ، بل بفضيلة الواقع المباشر
أيضاً » . (١)

ان للفلسفة الماركسية ، أعني المادية الجدلية ، ميزتين بارزتين جداً ،
أولاهما طبيعتها التطبيقية ، اعلانها الصريح ان المادية الديالكتيكية هي في خدمة
البروليتاريا ، والثانية هي صفتها العملية ، تشديدها على تبعية النظرية
للسياط العملي ، اصرارها على النشاط العملي بوصفه أساس النظرية التي
تخدم بدورها النشاط العملي . وعندما يحكم امرؤ على نصيب معرفته أو
نظريته من الحقيقة ، فانه لا يستطيع أن يبني حكمه على عواطفه الذاتية بشأنها ،
بل على نتائجها الموضوعية في النشاط العملي الاجتماعي . . ان النشاط العملي
الاجتماعي وحده يمكن أن يكون مقياس الحقيقة . وان وجهة نظر النشاط
العملي هي وجهة النظر الأولية والأساسية في نظرية المعرفة الخاصة بالمادية
الديالكتيكية . (٢)

(١) ف. إ. لينين : « الدفاتر الفلسفية » ، الطبعة الروسية ، موسكو ١٩٤٧ ،

ص : ١٨٥ .

(٢) انظر كارل ماركس ، « موضوعات عن فيورباخ » ، المنشورة كملحق لمؤلف فريدريك

إنجلز : « لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية » وانظر أيضاً مؤلف لينين :

« المادية والمذهب التجريبي النقدي » ، الفصل الثالث ، القسم السادس .

لكنه كيف تنبثق المعرفة البشرية ، بعد كل شيء ، من النشاط العملي وتخدم النشاط العملي بدورها ؟ هذا ما سيتضح بعد نظرة نلقها على عمالية تطور المعرفة .

وفي الحقيقة ان الانسان لا يرى ، بادىء ذي بدء ، في عملية النشاط العملي سوى ظواهر الأشياء المختلفة ، مظاهرها المنفصلة وعلاقاتها الخارجية . ومثال ذلك ان عدداً من الزائرين يؤمون يينان في جولة ، فيرون في اليوم الاول او اليومين الاولين مخطط المدينة ، وشوارعها ، ودورها ، ويلاقون عدداً من الناس ، ويحضرون الولائم ، والسهرات ، والاجتماعات الشعبية ، ويصفون الى احاديث متنوعة ويقرأون وثائق مختلفة - وهذه جميعاً هي ظواهر الأشياء، مظاهر الأشياء المنفصلة ، العلاقات الخارجية بين مثل هذه الأشياء . وهذا ما يدعى المرحلة الحسية للمعرفة ، يعني مرحلة الاحساسات والانطباعات . فهنا تؤثر أشياء مختلفة من يينان في الاعضاء الحسية لأفراد الوفد الزائر ، وتثير احساساتهم ، وتترك في ذهنهم انطباعات عديدة ، الى جانب فكرة عن العلاقات الخارجية العامة بين هذه الانطباعات : وهذه هي المرحلة الاولى من المعرفة . ولا يستطيع الانسان بعد ، في هذه المرحلة ، أن يشكل مفاهيم عميقة او يرسم استنتاجات تتطابق مع المنطق .

ويستمر النشاط العملي الاجتماعي ، وتكثر الأشياء التي تثير احساسات الانسان وانطباعاته في سياق نشاطه العملي مرات عديدة ، وعندئذ فان تبدلاً مفاجئاً (طفرة) يحدث في عملية المعرفة في ذهن الانسان ، وهو تبدل ينتهي الى المفاهيم . ولا تمثل المفاهيم بعد الآن ، في جوهرها ، ظواهر الأشياء ، مظاهرها المنفصلة ، او علاقاتها الخارجية ، بل تشمل جوهرها ، كليتها ، وعلاقاتها الباطنة . فالمفهوم والاحساس لا يختلفان كمياً فحسب ، بل كيفياً ايضاً . واذا ذهبنا قدماً واستخدمنا طريقة المحاكمة والاستدلال ، استطعنا اذن ان نرسم استنتاجات تتطابق مع المنطق . وان ماورد في قصة الممالك الثلاث

من أن « المرء يجد خطة اذا ما قطب حاجبيه » ، أو ما يقال في لفتنا اليومية من « دعني أفكر في الامر ملياً » ، ليشير بالضبط الى استخدام المرء المفاهيم في ذهنه لتشكيل محاكمات واستدلالات . وهذه هي المرحلة الثانية من المعرفة .

ان أعضاء الوفد الزائر ، بعد ما جمعوا أنواعاً مختلفة من المعلومات ، وبعد ما « فكروا ملياً فيها » ، يستطيعون ان ينتهوا الى المحاكمة التالية : « ان سياسة الحزب الشيوعي بشأن الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين هي سياسة صريحة صادقة شريفة » . وانهم ليستطيعون بعد اصدار هذه المحاكمة ، اذا كانوا مخلصين بشأن الوحدة في سبيل الخلاص الوطني ، ان يتقدموا خطوة أخرى ويرسموا النتيجة التالية : « ان في استطاعة الجبهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين ان تنجح » . ففي كل عملية خاصة بمعرفة الانسان شيئاً ما ، يشكل المفهوم ، والمحاكمة ، والاستدلال ، المرحلة الأهم ، مرحلة المعرفة العقلانية . ان المهمة الحقيقية للمعرفة هي بلوغ الفكر عن طريق الاحساس ، بلوغ فهم تدريجي للتناقضات الباطنة الخاصة بالاشياء الموضوعية ، وقوانينها والعلاقات الداخلية بين العمليات المختلفة ، يعني المعرفة المنطقية ، ولنكرر القول: ان السبب في اختلاف المعرفة المنطقية عن المعرفة الحسية يقوم في ان المعرفة الحسية تتعلق بالمظاهر المنفصلة ، بالظواهر ، بعلاقات الاشياء الخارجية ، بينما المعرفة المنطقية تتقدم الى الامام خطوة كبيرة كي تبلغ كلية الاشياء وجوهرها وعلاقاتها الباطنة ، وتفصح التناقضات الباطنة للعالم المحيط بنا ، وبالتالي فهي قادرة على ادراك تطور العالم المحيطي في كليته ، في العلاقات الباطنة بين سائر مظاهره .

مثل هذه النظرية الجدلية المادية عن عملية تطور المعرفة ، المبنية على اساس النشاط العملي والذهابة من السطحي الى العميق ، لم يأت بها احد قبل ظهور الماركسية . ولقد حلت المادية الماركسية للمرة الاولى بصورة مضبوطة مشكلة عملية تطور المعرفة ، مبرزة مادياً وجدلياً العملية المتزايدة

العمق للمعرفة ، عملية تحول المعرفة الحسية الى معرفة منطقية بواسطة الممارسات المعقدة والمتكررة بانتظام سواء للانتاج أم لصراع الانسان الطبقي في المجتمع . ويقول لينين : « ان المفهوم التجريدي للمادة ، أو للقانون الطبيعي ، أو القيمة الاقتصادية ، أو لأي تجريد علمي آخر (يعني تجريداً صحيحاً أساسياً وليس مفلوطاً سطحياً) ، ليعكس الطبيعة بصورة اعمق واصدق واكمل » (١) . ان الماركسية اللينينية تؤكد أن خصائص مرحلتي عملية المعرفة تقوم في أن المعرفة تتظاهر ، في المرحلة الدنيا ، في شكل حسي ، فيما هي تتظاهر في المرحلة العليا في شكل منطقي ، بيد أن كلي المرحلتين تخصان عملية معرفة واحدة . ان الاحساس والعقل يختلفان طبيعة ، لكنهما غير منفصلين عن بعضهما بعضاً ، انهما متحدان على أساس النشاط العملي .

ان نشاطنا العملي يثبت ان الاشياء التي تدركها حواسنا لا يمكن أن تفهم في الحال ، وأن الأشياء التي نفهمها هي وحدها التي يمكن أن تدرك بصورة اعمق . ان الاحساس لا يحل سوى قضية الظواهر ، والعقل وحده يحل قضية الجوهر . ومثل هذه القضايا لا يمكن أن تحل قط بصورة منفصلة عن النشاط العملي . فاذا ما أراد امرؤ أن يفهم شيئاً ما ، فليس له من سبيل لذلك سوى الاحتكاك بهذا الشيء ، يعني العيش (الممارسة) في محيطه .

ولقد كان من المحال في المجتمع الاقطاعي معرفة قوانين المجتمع الرأسمالي سلفاً ، وذلك لانعدام النشاط العملي الموافق للرأسمالية بعد ما دامت الرأسمالية لما تظهر على مسرح الوجود . وما كان يمكن للماركسية أن تكون سوى نتاج للمجتمع الرأسمالي . وفي عصر الرأسمالية الحرة المتنافسة لم يكن في مكنة ماركس أن يعرف سلفاً ، بصورة حسية ، بعض القوانين المخصوصة العائدة لعصر الاستعمار ، وذلك لأن الاستعمار - آخر مراحل الرأسمالية -

(١) ف . إ . لينين : المؤلف نفسه ، ص : ١٤٦ .

لم يكن قد خرج بعد الى حيز الوجود ، والنشاط العملي الموافق له لم يكن له وجود بعد. كان لينين وستالين وحدهما يستطيعان القيام بهذه المهمة .

واذا تركنا عبقريتهم جانباً ، فان السبب الذي مكن ماركس وانجلز ولينين وستالين من صياغة نظرياتهم هو في الدرجة الاولى مشاركتهم الشخصية في ممارسة الصراع الطبقي والتجارب العملية في زمنهم ، ومن دون ذلك ماكان يمكن لاية عبقرية أن تحقق النجاح . اما القول المأثور : « ان الطالب لا يخطو خارج بوابته خطوة واحدة، ومع ذلك يعرف كل مايجري تحت الشمس »، فقد كان مجرد عبادة فارغة في الازمان القديمة المتأخرة تقنياً . وعلى الرغم من ان هذا القول المأثور قد يتحقق في هذا العصر من التطور التقني ، فان الأناس الذين يملكون المعرفة الفذة حقاً هم اولئك المنخرطون في النشاط العملي ، حتى اذا ما حصلوا على « المعرفة » بواسطة نشاطهم العملي ، وحتى اذا ما وصلت معرفتهم ، بواسطة الكتابة والتقنية ، الى ما بين يدي « الطالب » ، استطاع عندئذ هذا « الطالب » أن يعرف بصورة غير مباشرة « ما يجري تحت الشمس » .

واذا ما اراد امرؤ أن يعرف بصورة مباشرة بعض الاشياء أو بعض انواع الاشياء ، فانه لا يستطيع أن يحتك بظواهر هذه الاشياء أو هذه الأنواع من الاشياء الا من خلال المساهمة الشخصية في النضال العملي المستهدف تبديل الواقع ، تبديل تلك الاشياء أو تلك الأنواع من الاشياء ، وهو لا يستطيع أن يميظ اللثام عن جوهر تلك الاشياء أو تلك الأنواع من الاشياء ويفهمها الا من خلال النضال العملي من اجل تبديل الواقع ، هذا النضال الذي يشارك فيه شخصياً .

وهذه هي طريق المعرفة التي يسلكها في واقع الأمر كل انسان ، وقليلون هم الذين يشوهون الأمور على هواهم ، فيزعمون عكس ذلك . وليس في العالم شخص ابعث على السخرية من ذلك « المتفلسف » الذي اكتسب فتناً من

المعرفة عن طريق السماع ، فهو يتبوأ « مركز الريادة في العالم » . ان هذا دليل على انه لا يعرف حدوده . ان مسألة المعرفة هي مسألة علم ، ويجب الا يكون هنا أدنى مكان للرياء أو الخيلاء ، بل المطلوب هو العكس بكل تأكيد . . أي الصدق والتواضع . فاذا كنت تبغي تحصيل المعرفة ، فانه يتوجب عليك الاشتراك في ممارسة تبديل الواقع . واذا كنت تريد ان تعرف طعم الكمثرى ، فانه يتوجب عليك ان تبذل الكمثرى بأن تأكلها بنفسك . واذا كنت تريد أن تعرف تركيب الذرات وخصائصها ، فانه يتوجب عليك ان تقوم بتجارب في ميداني الفيزياء والكيمياء بنية تبديل حالة الذرات . واذا كنت تريد أن تعرف نظرية الثورة وطرائقها ، فانه يتوجب عليك ان تشارك في الثورة . ان المعرفة الصحيحة تصدر عن التجربة المباشرة . بيد انه ليس في استطاعة الانسان ان يكتسب التجربة المباشرة في سائر الأمور . وفي الحقيقة اننا نتدارك القسم الأعظم من معرفتنا عن طريق التجربة غير المباشرة ، ومثال ذلك كل ما يتعلق بمعرفة الأزمان الماضية والبلدان الاجنبية ، وهي معرفة تصدر عن التجربة المباشرة ، بالنسبة الى القدماء والاجانب . واذا كانت مثل هذه المعرفة ، بوصفها تجربة القدماء والاجانب المباشرة ، تحقق شرط « التجريد العلمي » الذي ذكره لينين وتعكس الاشياء الموضوعية بصورة علمية ، فهي معرفة يركن اليها اذن ، والا فهي ليست كذلك . وهكذا فان معرفة الانسان تتألف من قسمين ، ومن قسمين فقط ، التجربة المباشرة والتجربة غير المباشرة . وان ما هو تجربة غير مباشرة بالنسبة الي يشكل تجربة مباشرة بالنسبة الى سواي . وبنتيجة ذلك فان أي نوع من المعرفة ، اذا أخذنا المعرفة في كليتها ، لا يمكن أن ينفصل عن التجربة المباشرة .

ان مصدر كل معرفة ينطوي في ادراك الانسان العالم الموضوعي المحيط به من خلال أعضائه الحواسية الجسدية . واذا انكر المرء مثل هذا الادراك ، وانكر التجربة المباشرة وانكر المشاركة الشخصية في ممارسة تبديل الواقع ،

فهو ليس مادياً اذن . وهذا هو السبب في أن « المتفلسفين » يعضون على السخرية . ان عند الصين مثلاً قديماً يقول : « كيف يستطيع المرء أن يحصل على أشبال النمر دون دخول عربن النمر ؟ » وان مثل هذا المثل لينطبق على نشاط الانسان العملي مثل انطباقه على نظرية المعرفة ، فليس ثمة معرفة ممكنة بصورة منفصلة عن النشاط العملي .

وفي سبيل ايضاح العملية الجدلية المادية للمعرفة الناشئة عن ممارسة تبديل الواقع — عملية المعرفة المتزايدة تدريجياً — تقدم فيما يلي بضعة أمثلة حسية أخرى .

ان البروليتاريا ، في معرفتها بالمجتمع الرأسمالي في الفترة الاولى من نشاطها العملي — فترة تحطيم الآلات والنضال العفوي — ، وهي لما تبرح في مرحلة المعرفة الحسية ، لم تكن تعرف سوى المظاهر المنفصلة والعلاقات الخارجية لمظاهر الرأسمالية المتنوعة . وفي ذلك الحين كانت البروليتاريا لا تزال ما نسميه « طبقة في ذاتها » . لكنه عندما بلغت هذه الطبقة الفترة الثانية من نشاطها العملي (فترة النضال الاقتصادي والنضال السياسي الواعين المنظمين) ، وعندما تمكنت أن تفهم ، بواسطة نشاطها العملي ، وبواسطة تجاربها المكتسبة في نضالات طويلة الامد ، وبواسطة تثقفها في النظرية الماركسية التي تشكل عصارة لتلك التجارب من وضع ماركس وانجلز تبعاً للطريقة العملية ، أن تفهم جوهر المجتمع الرأسمالي ، وعلاقات الاستثمار بين الطبقات الاجتماعية ، ومهمتها التاريخية الخاصة ، فقد أصبحت عندئذ « طبقة لذاتها » .

والأمر على غرار ذلك فيما يخص معرفة الشعب الصيني بالاستعمار . فقد كانت المرحلة الاولى مرحلة معرفة سطحية ، حسية ، كما يتبين من النضالات المشوشة المناهضة للأجانب التي خاضتها حركة مملكة تاينغ السماوية ، وحركة البوكسر ، الخ . ولم يبلغ الشعب الصيني المعرفة العقلانية الا في المرحلة الثانية ، عندما شاهد تناقضات الاستعمار الداخلية والخارجية ،

وشاهد في الوقت نفسه جوهر اضطهاد الجماهير الواسعة واستثمارها من قبل الاستعمار بالاشتراك مع طبقة المحتكرين الكبار والاقطاعيين . ولم تبدأ مثل هذه المعرفة الا حوالي حركة الرابع من ايار ١٩١٩ .

ولنرَ الى الحرب أيضاً . اذا كان اولئك الذين يديرون الحرب يفتقرون الى التجربة الحربية ، فانهم لن يفهموا اذن في المرحلة البدئية القوانين العميقة لادارة حرب مخصوصة (ومثال ذلك حربنا الزراعية الثورية في السنوات العشر المنصرمة) . انهم لن يمروا في المرحلة البدئية سوى بتجربة قدر كبير من القتال ، والاكثر من ذلك انهم سيعانون هزائم عديدة . لكنهم سيتمكنون في مثل هذه التجربة (تجربة المعارك الظافرة وبالأخص المعارك الخاسرة) ان يفهموا الخيط الداخلي للحرب كلها ، يعني القوانين الموجهة لتلك الحرب المخصوصة ، ان يفهموا السوقية والتعبئة ، وبالتالي فانهم يستطيعون ان يوجهوا الحرب بثقة . واذا ما استلم القيادة في مثل هذا الوقت شخص غير مجرب ، فانه لن يستطيع هو الآخر ان يفهم القوانين الحقيقية للحرب الا بعدما يعاني عدداً من الهزائم (بعد ان يكتسب تجربة) .

وكثيراً ما نسمع هذه الملاحظة يبدئها رفيق لا يملك الشجاعة على قبول مهمة موكلة اليه : « لست املك الثقة » ! ولمَ لا يملك الثقة ؟ لانه لا يملك فكرة واضحة عن طبيعة العمل وظروفه ، أو لانه لم يحتك الا قليلاً ، بل لم يحتك مطلقاً ، بهذا النوع من العمل ، وبالتالي فالقوانين الموجهة له تتجاوز ادراكه . وانه ليشعر بعد تحليل مفصل لطبيعة العمل وظروفه بثقة أعظم ، ويصير مستعداً للاضطلاع به . واذا ما اكتسب هذا الشخص ، بعد قيامه بالعمل لفترة من الزمن ، تجربة بشأنه ، واذا كان مستعداً فضلاً عن ذلك لأن ينظر الى الأشياء بذهن رحب ولم يعتبر القضايا بصورة ذاتية ، وحيدة الجانب وسطحية ، فسوف يكون في مكنته استخراج النتائج بشأن الطريقة الخاصة بادارة هذا العمل ، فتعظم ثقته اكثر من ذي قبل . اما المقدر لهم ان

يتعشروا فهم اولئك الذين ينظرون الى القضايا بصورة ذاتية ، وحيدة الجانب وسطحية ، ويصدرون الأوامر والتوجيهات عند وصولهم الى مكان ما بصورة تنم عن الرضى الذاتي دون أي اعتبار للظروف ، ودون رؤية الأشياء في كليتها (تاريخها ووضعها الراهن ككل واحد) ، ودون الاحتكاك بجوهر الأشياء (صفاتها والعلاقات المتبادلة ما بينها) .

وهكذا فان الخطوة الاولى في عملية المعرفة هي الاحتكاك بأشياء العالم الخارجي ، وهذا يخص مرحلة الاحساس . وان الخطوة الثانية هي تركيب معطيات الاحساس وذلك باعادة ترتيبها واعادة بنائها ، وهذا يخص مرحلة المفهوم والمحكمة والاستدلال . فاذا ما كانت المعطيات الحسية غنية جداً (وليست جزئية وناقصة) واذا ما كانت متفقة مع الواقع (وليست وهمية) ، فاننا نستطيع في هذه الحال فقط ، على أساس مثل هذه المعطيات ، أن نشكل مفاهيم سليمة ونقوم بمحاكمات مضبوطة .

وينبغي هنا أن نشدد على نقطتين هامتين ورد ذكر النقطة الاولى منهما آنفاً ، لكنه يجب تكرارها هنا ، الا وهي مسألة تبعية المعرفة العقلانية للمعرفة الحسية . ومثالي هو ذلك الذي يحسب أنه لا حاجة لاشتقاق المعرفة العقلانية من المعرفة الحسية . وفي تاريخ الفلسفة ما يدعى المدرسة « العقلية » التي لا تعترف سوى بصواب العقل من دون صواب التجربة ، اذ تعتبر ان العقل وحده يمكن الركون اليه ، اما التجربة الحسية فلا يمكن الركون اليها ، وان خطيئة هذه المدرسة تقوم في قلبها الاشياء رأساً على عقب . انما يمكن الركون الى العقلاني لأن مصدره في الحسي ، والا كان أشبه بالماء دون ينبوع أو الشجرة دون جذور ، شيئاً ذاتياً ، عفويّاً ، لا يمكن الركون اليه . اما بشأن التسلسل في عملية المعرفة ، فالتجربة الحسية تأتي أولاً . واننا لنشدد على مفزى النشاط العملي الاجتماعي في عملية المعرفة بالضبط لأن النشاط العملي الاجتماعي وحده يمكن أن يؤدي الى معرفة الانسان ويحضه على تحصيل

التجربة الحسية من العالم الموضوعي المحيط به . أما بالنسبة الى امرئ
يفمض عينيه ، ويسد اذنيه ، وينقطع كلياً عن العالم الموضوعي ، فلا يمكن
الحديث عن اية معرفة عنده . ان المعرفة تبدأ مع التجربة . . . هذه هي
مادية نظرية المعرفة .

والنقطة الثانية هي أنه يجب تعميق المعرفة ، وأنه يجب تطوير المرحلة
الحسية من المعرفة الى المرحلة العقلانية. . . وهذه هي جدلية نظرية المعرفة (١).
وان الزعم بأن المعرفة يمكن أن تقف عند المرحلة الدنيا من الاحساس ، وان
المعرفة الحسية وحدها يمكن الركون اليها من دون المعرفة العقلانية ، فذلك
تكرار لخطيئة « المذهب التجريبي » . وتضل هذه النظرية حيث لا تدرك
الحقيقة التالية ، الا وهي أنه على الرغم من كون معطيات الاحساس تعكس
بعض الاشياء الحقيقية من العالم الموضوعي (أنا لا أتحدث هنا عن المذهب
التجريبي المثالي الذي يقصر التجربة على ما يدعى التأمل الباطن) ، فان
هذه المعطيات هي مع ذلك جزئية وسطحية فقط ، تعكس الاشياء بصورة
ناقصة بدلا من اظهار جوهرها . فكي يعكس جوهر الاشياء بصورة كاملة ،
كي تعكس تناقضاته الباطنة ، لا بد أن تبني جملة من المفاهيم والموضوعات
النظرية بعد اخضاع المعطيات الحسية الفزيرة لعملية من الصب الجديد والبناء
الجديد فحوها اهمال الخام واصطفاء المصفى ، طرح المغلوط والاحتفاظ
بالصحيح ، والانتقال من أحد مظاهر الاشياء الى مظهر آخر ، من الخارج
الى الداخل ، لا بد من القفز من المعرفة الحسية الى المعرفة العقلانية . وان
المعرفة التي هي مثل هذا التجديد للبناء لاتصبح اكثر فراغا أو اقل أهلا للثقة ،
بل ان الامر على النقيض من ذلك ، اذ أن كل ما اعيد بناؤه علمياً على أساس
الممارسة في عملية المعرفة هو شيء يعكس العالم الموضوعي ، كما يقول لينين ،

(١) انظر لينين ، المؤلف نفسه ، ص : ١٤٦ . « في سبيل المعرفة ، يتوجب على المرء

أن يبدأ من المعرفة والداسة على أساس التجربة ، وان يرتفع من التجربة الى المعرفة العامة » .

بصورة أكثر عمقا وصدقاً وكمالاً. وهذا هو بالضبط ما لا يستطيع النفعيون الضيقو التفكير سبيلا الى فهمه : انهم ينحنون امام التجربة ويحتقرون النظرية ، وبالتالي لا يستطيعون ان يحصلوا على نظرة واعية لجمل العملية الموضوعية ، فيفتقرون الى الاتجاه الواضح والنظرة البعيدة المدى ، ويرضون بالنجاح العارض والنظرات الزائفة . ولو قدر لهؤلاء الأشخاص ان يوجهوا ثورة ، فانهم سيقودونها الى نهاية بائسة .

ان النظرية الجدلية المادية عن المعرفة هي أن المعرفة العقلانية ترتبط بالمعرفة الحسية وأن المعرفة الحسية يجب أن تتطور الى المعرفة العقلانية . ولا يعترف أي من « المذهب العقلاني » و « المذهب التجريبي » في الفلسفة بطبيعة المعرفة التاريخية او الجدلية ، وعلى الرغم من أن كلاهما يحتوي على مظهر من الحقيقة (وانا اعني هنا المذهب العقلاني والمذهب التجريبي الماديين ، وليس المذهب العقلاني والمذهب التجريبي المثاليين) ، فان كليهما خاطئان في مجال نظرية المعرفة في مجموعها. وان الحركة الجدلية المادية للمعرفة من الحسي الى العقلاني تنطبق على عملية صفري من المعرفة (مثلا معرفة شيء واحد او مهمة واحدة) كما تنطبق على عملية كبرى من المعرفة (مثلامعرفة هذا المجتمع أو ذاك ، ومعرفة هذه الثورة أو تلك) .

بيد أن عملية المعرفة لا تنتهي هنا . فالتقرير بأن العملية الجدلية المادية للمعرفة تتوقف عند المعرفة العقلانية يستنفد نصف المشكلة فقط ، وبقدر ما يتعلق الأمر بالفلسفة الماركسية ، فانه لا يستنفد سوى ذلك النصف من المشكلة الذي لا يتمتع بالأهمية العظمى . ان ما تعتبره الفلسفة الماركسية القضية الأهم لا تقتصر على فهم قوانين العالم الموضوعي ، وبالتالي اكتساب القدرة على ايضاحه ، بل استخدام معرفة القوانين الموضوعية من أجل تغيير العالم بصورة فعالة . ان الماركسية تعترف بأهمية النظرية ، وهذا مانعبر عنه

موضوعة لينين التالية : « لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية » (١) . بيد أن الماركسية تشدد على أهمية النظرية لسبب وحيد ، ألا وهو بالضبط أن هذه النظرية تستطيع توجيه النشاط العملي . فإذا كنا نملك نظرية صحيحة ، لكن لانفعل سوى التبجح بها ، وحفظها في الملفات ولا نطبقها عملياً ، فلن يكون لهذه النظرية اذن ، مهما تكن جيدة ، أي معنى على الاطلاق .

تبدأ المعرفة مع النشاط العملي ، وتبلغ المستوى النظري عن طريق النشاط العملي ، ومن ثم يجب أن ترجع الى النشاط العملي . ان الوظيفة الفعالة للمعرفة لا تتظاهر فحسب في القفزة الفعالة من المعرفة الحسية الى المعرفة العقلانية ، بل تتظاهر أيضاً - وهذا هو الأمر الأهم - في القفزة من المعرفة العقلانية الى النشاط العملي الثوري . ان المعرفة التي تمكننا من ادراك قوانين العالم يجب أن توجه من جديد نحو ممارسة تبديل العالم ، يعني يجب أن تطبق من جديد في ممارسة الانتاج ، وفي ممارسة النضال الطبقي الثوري والنضال القومي الثوري ، كما يجب أن تطبق في ممارسة التجربة العلمية . تلك هي عملية اختبار النظرية وتطويرها ، استمرار كل عملية المعرفة .

ولا تحل مسألة اتفاق النظرية مع الواقع الموضوعي بصورة تامة ، ولا يمكن أن تحل ، في حركة المعرفة من الحسي الى العقلاني كما هي موصوفة اعلاه . ان الطريقة الوحيدة لحلها بصورة تامة تقوم في اعادة توجيه المعرفة العقلانية على النشاط العملي الاجتماعي ، في تطبيق النظرية على النشاط العملي ورؤية ما اذا كان في مقدورها تحقيق النتائج المنتظرة . ان نظريات عديدة في العلوم الطبيعية قد اعتبرت صحيحة ، ليس لأن العلماء الطبيعيين قد وضعوها فحسب ، بل لأن الممارسة العلمية اللاحقة أثبتت صحتها أيضاً . وكذلك تعتبر الماركسية اللينينية صحيحة ليس لأن ماركس وانجلز ولينين وستالين قد صاغوها بصورة علمية ، بل لأن الممارسة اللاحقة للنضال الطبقي الثوري

(١) لينين : « ما العمل » ، الطبعة العربية ، ص : ٣٢ .

والنضال القومي الثوري قد أثبتت صحتها أيضاً . ان المادية الجدلية حقيقة
عمومية لأن الأشياء جميعاً خاضعة بصورة محتومة لقوانينها الموضوعية التي
اكتشفتها الماركسية ، وهو ما يشته التحقق منها في النشاط العملي للمجتمع
بأسره ، والنشاط العملي للطبقات المختلفة ، ولكل فرد على حدة . ويخبرنا
تاريخ المعرفة البشرية ان صفة الحقيقة التي يتمتع بها عدد كبير من النظريات
ناقصة ، وان هذا النقص لا يصلح الا بواسطة اختبار النشاط العملي . لقد
كان عدد كبير من النظريات خاطئة ، ولكن خطأها صحح فيما بعد بواسطة
اختبارها في النشاط العملي . وهذا هو السبب في أن النشاط العملي هو
مقياس الحقيقة ، وفي أن « مفهوم ممارسة الحياة يجب أن يكون المفهوم
الأساسي في نظرية المعرفة » (١) . ولقد قال ستالين بحق : « ان النظرية تصبح
دون غاية اذا لم تكن مرتبطة بالنشاط العملي الثوري ، كذلك تماماً شأن
النشاط العملي الذي يصبح أعمى اذا لم تنر النظرية طريقه » (٢) .

اترى عملية المعرفة تكتمل عندهذا الحد؟ ان جوابنا هو نعم ولا. حين يكرس
امروء في المجتمع نفسه لممارسة تبديل عملية موضوعية ما في مرحلة معينة
من تطورها (سواء اكان ذلك تبديل عملية طبيعية أم اجتماعية) ، فانه
يستطيع ، بواسطة انعكاس العملية الموضوعية في فكره وبواسطة فعاليته
الذاتية الخاصة ، أن يتقدم بمعرفته من الحسي الى العقلاني ويأتي بأفكار
ونظريات وخطط وبرامج تتفق في مجموعها مع قوانين تلك العملية الموضوعية،
وعندئذ فانه يضع هذه الافكار والنظريات والخطط او البرامج موضع النشاط
العملي في نفس العملية الموضوعية . وان عملية المعرفة ، فيما يتعلق بهذه
العملية الحسية ، يمكن أن تعتبر مكتملة اذا ما استطاع ذلك المرء بواسطة

(١) لينين : « المادية والمذهب النقدي التجريبي » الطبعة الانكليزية ، موسكو ،

ص : ١٤٢ .

(٢) ستالين : « اسس اللينينية » الطبعة العربية ، ص : ٣١ .

النشاط العملي في تلك العملية الموضوعية ، ان يحقق هدفه المعين سلفاً ، يعني اذا استطاع ان يقلب ، او ان يقلب بصورة مجملة ، هذه الأفكار والنظريات والخطط والبرامج المعينة مسبقاً الى حقائق . ومثالنا على ذلك في عملية تبديل الطبيعة ، انجاز مشروع هندسي ، او التحقق من فرضية علمية ، او انتاج آنية او اداة ، او حصاد موسم ، وفي عملية تبديل المجتمع نجاح اضراب ، او الانتصار في حرب ، او انجاز مشروع تعليمي - فسائر هذه الامور يمكن اعتبارها تحقيقاً لأهداف معينة مسبقاً .

بيد ان افكار الناس ونظرياتهم وخططهم وبرامجهم الأصلية لا تتحقق على العموم ، سواء اكان ذلك في ممارسة تبديل الطبيعة ام تبديل المجتمع ، دون ادنى تبديل على الاطلاق الا فيما ندر من الاحيان . والسبب في ذلك ان الناس المنهمكين في تبديل الواقع كثيراً ما يعانون بعض القيود : وليسوا هم مقيدون بالظروف العلمية والتكنيكية فحسب ، بل بدرجة تطور وانكشاف العملية الموضوعية نفسها أيضاً (ان المظاهر المختلفة للعملية الموضوعية وجوهرها لم تتضح تماماً بعد) . وفي مثل هذا الحال ، كثيراً ما تعدل الأفكار والنظريات والخطط والبرامج بصورة جزئية ، بل بصورة كلية أحياناً ، مع اكتشاف بعض الظروف التي لم تكن في الحسبان وذلك في النشاط العملي . وهذا يعني انه قد يحدث الاتفق الأفكار والنظريات والخطط والبرامج الأصلية ، بصورة جزئية او كلية ، مع الواقع ، وتكون بالتالي مغلوطة جزئياً او كلياً . وقد يحدث في حالات كثيرة ان يتكرر الاخفاق مرات عديدة قبل ان تصحح المعرفة المغلوطة وتجعل متفقة مع قوانين العملية الموضوعية ، بحيث يمكن تحويل الأمور الذاتية الى أمور موضوعية ، يعني تحقيق النتائج المتوقعة في النشاط العملي . وعلى اية حال ، فان عملية معرفة الانسان لعملية موضوعية معينة في مرحلة معينة من تطورها تعتبر مكتملة عند هذه النقطة بالضبط .

ومهما يكن من أمر ، فانه لا يمكن وضع حد لعملية المعرفة الانسانية . فبقدر ما تتقدم اية عملية ، سواء في العالم الطبيعي ام الاجتماعي ، وتطور

خلال نزاعاتها وتناقضاتها الباطنة ، فان عملية المعرفة الانسانية يجب ان تتقدم وتتطور وفقاً لذلك . وفي مضمار الحركة الاجتماعية ، لا ينبغي للقائد الثوري الحقيقي ان يكون حاذقاً فحسب في تصحيح افكاره ونظرياته وخططه وبرامجه حين يتبين انها مغلوطة ، كما سبق فراينا آنفاً ، بل يتوجب عليه ايضاً ، حين تكون عملية موضوعية معينة قد تقدمت وتبدلت من مرحلة من التطور الى مرحلة اخرى ، ان يكون حاذقاً في حمل نفسه ورفاقه الثوريين على التقدم ومراجعة افكارهم الذاتية وفقاً لذلك ، يعني انه يتوجب عليه ان يقترح مهمات ثورية جديدة ، وبرامج للعمل جديدة تتفق مع التبدلات الحادثة في الوضع الجديد . ان الأوضاع تتبدل بسرعة عظيمة في الفترات الثورية ، فاذا لم تتبدل معرفة الثوريين بسرعة وفقاً للوضع المتبدل ، فلن يكون في مكنتهم قيادة الثورة الى النصر .

وغالباً ما يحدث ، على أية حال ، ان تتلكأ الافكار خلف الاحداث الفعلية ، والسبب في ذلك ان معرفة الانسان مقيدة بشروط اجتماعية عديدة جداً . واننا نعارض المتعصبين في الصفوف الثورية ، هؤلاء الذين تتظاهر افكارهم تاريخياً ، وقد فشلوا في مجاراة الظروف الموضوعية المتبدلة ، في صورة الانتهازية اليمينية . ان هؤلاء الناس لا يرون ان النضالات الناشئة عن التناقضات قد دفعت قدماً العملية الموضوعية ، فيما معرفتهم قد توقفت عند المرحلة القديمة . وهذا ما يميز افكار سائر المتعصبين . وبما ان افكارهم قد انفصلت عن النشاط العملي الاجتماعي ، فهم لا يمكن ان يصلحوا اذن لقيادة عجلة المجتمع ، وكل ما يستطيعونه هو الانجرار خلف العجلة متذمرين من سرعتها العظيمة ، ساعين الى جرها الى الخلف ، الى ادارة عجلة التاريخ في الاتجاه المعاكس .

واننا لنعارض كذلك ثرثرة « اليساريين » الفارغة . هؤلاء تستبق افكارهم المرحلة المعينة من تطور العملية الموضوعية . ويعتبر بعضهم أوهامهم

حقيقة واقعة ، بينما ينفصل البعض الآخر ، وهم يجهدون كي يحققوا في الحال مثلاً أعلى لا يمكن أن يتحقق الا في المستقبل ، عن النشاط العملي لمعظم البشر في تلك الفترة المعينة كما يتعدون عن وقائع عصرهم ، فاذا هم فريسة روح المغامرة في افعالهم . ان المثالية والمادية الميكانيكية والانتهازية وروح المغامرة تتصف جميعاً بالانشقاق بين الذاتي والموضوعي ، بانفصال المعرفة عن النشاط العملي . ان النظرية الماركسية اللينينية عن المعرفة ، المتميزة بتشديدها على النشاط العملي الاجتماعي بوصفه مقياس الحقيقة العلمية ، لا يمكن أن تعارض باصرار تلك الايديولوجيات الخاطئة . ان الماركسي يعترف بأن تطور كل عملية حسية هو تطور نسبي في العملية المطلقة الكلية لتطور الكون ، وبالتالي فان المعرفة الانسانية لكل عملية حسية في كل مرحلة معينة من التطور ليست صحيحة الا بصورة نسبية في التيار العظيم للحقيقة المطلقة . ان حصيلة عدد لا يحصى من الحقائق النسبية تشكل الحقيقة المطلقة (١) .

ان تطور العملية الموضوعية هو تطور مليء بالتناقضات والصراعات . وان تطور عملية المعرفة الانسانية هو كذلك تطور مليء بالتناقضات والصراعات . وان سائر الحركات الجدلية للعالم الموضوعي يمكن أن تنعكس عاجلاً أو آجلاً في المعرفة الانسانية . ولما كانت عملية الولادة والتطور والفناء في النشاط العملي الاجتماعي لا متناهية ، فان عملية الولادة والتطور والفناء في المعرفة الانسانية هي لا متناهية ايضاً . ولما كان النشاط العملي الموجه نحو تبديل الواقع الموضوعي على أساس افكار ونظريات وخطط وبرامج معينة يتطور قديماً مع الزمن ، فان معرفة الانسان بالواقع الموضوعي تزداد عمقاً هي الأخرى مع الزمن . ان عملية التبدل في العالم الموضوعي لن تنتهي قط ، وكذلك لن تنتهي قط المعرفة التي يكتسبها البشر عن الحقيقة بواسطة النشاط العملي .

(١) لينين : « المادية والذهب النقدي التجريبي » ، الفصل الثاني ، القسم الخامس .

ولا تضع الماركسية اللينينية في حال من الاحوال حداً لمعرفة الحقيقة ، بل على النقيض من ذلك تشق دون انقطاع ، بواسطة النشاط العملي ، الطرق المؤدية الى معرفة الحقيقة . ان قرارنا هو في جانب الوحدة الحسية والتاريخية بين الذاتي والموضوعي ، بين النظرية والنشاط العملي ، بين العلم والعمل ، وضد سائر الايديولوجيات الخاطئة ، سواء اكانت يمينية أم « يسارية » ، التي تبتعد عن التاريخ الحسي . وفي المرحلة الحاضرة من تطور المجتمع ، تقع مسؤولية فهم العالم فهماً صحيحاً وتبديله على عاتق البروليتاريا وحزبها بفعل الضرورة التاريخية . هذه العملية من ممارسة تبديل العالم ، المحددة على اساس المعرفة العلمية ، قد بلغت منذ الآن برهة تاريخية في العالم وفي الصين ، برهة لم يشهد العالم قبل الآن مثيلاً لها في الأهمية ، أعني برهة تبديد الظلام في العالم وفي الصين تبديداً تاماً والاثيان بعالم جديد متألق كما لم يوجد في يوم من الايام .

ويتضمن نضال البروليتاريا والجماهير الشعبية الثورية في سبيل تبديل العالم المهمات التالية : تحويل العالم الموضوعي وكذلك العالم الذاتي الخاص بكل واحد منهم ، وامكانات كل فرد على المعرفة ، وكذلك العلاقات بين العالم الذاتي والعالم الموضوعي . ولقد تحقق مثل هذا التحويل منذ الآن في قسم من الكرة الارضية ، ألا وهو الاتحاد السوفيتي . ولا يبرح الناس هناك يستعملون هذه العملية من التحويل ويدفعونها قدماً . وان الناس في الصين وفي بقية العالم ينخرطون حالياً ، أو سوف ينخرطون في المستقبل ، في مثل هذه العمليات من الصياغة الجديدة . وان العالم الموضوعي الذي يجب تحويله يشتمل كذلك على خصوم هذا التحويل ، هؤلاء الذين لا بد لهم من المرور بمرحلة من التحويل القائم على الالزام قبل انتقالهم الى مرحلة التحويل القائم على الوعي . وحين ينتقل الجنس البشري بأسره الى تحويله الذاتي الواعي والى تحويل العالم ، فسوف يشرق فجر الشيوعية العالمية .

اكتشاف الحقائق بواسطة النشاط العملي ، والتحقق من الحقائق وتطويرها بواسطة النشاط العملي . الانطلاق من المعرفة الحسية وتطويرها بنشاط الى المعرفة العقلانية ، ومن ثم الانطلاق من المعرفة العقلانية وتوجيه النشاط العملي الثوري بنشاط في سبيل تحويل العالم الذاتي والعمل الموضوعي . النشاط العملي ، فالمعرفة ، فمزيد من النشاط العملي فمزيد من المعرفة ، والتكرار الدائري لهذا الدرب الى ما لا نهاية ، والارتفاع مع كل دورة بمضمون النشاط العملي والمعرفة الى مستوى أعلى - تلك هي كل النظرية الجدلية المادية عن المعرفة ، وتلك هي النظرية الجدلية المادية عن وحدة العلم والعمل .



في التناقض

(آب ١٩٣٧)

كتب الرفيق ماوتسي تونغ هذا المؤلف الفلسفي في أعقاب مؤلفه السابق، «في النشاط العملي»، وللفرض نفسه: تصحيح الأخطاء المذهبية الخطيرة التي واجت في الحزب . ولقد القى في هذا الموضوع محاضرة في الجامعة السياسية والعسكرية المناهضة لليابانيين في يinnan . ولقد أدخل ماوتسي تونغ بعض التعديلات والتصحيحات على هذه المؤلف عند ضمه الى « مؤلفاته المختارة » .

ان قانون التناقض اللاصق بالاشياء، بالظواهر، أي قانون وحدة المتضادات، هو القانون الأساسي في الجدلية المادية . ويقول لينين : « ان الجدلية ، بمعناها الأصلي، هي دراسة التناقض في قلب جوهر الاشياء » (١) . وكثيراً مادعا لينين هذا القانون جوهر الجدلية ، ولقد سماه كذلك لب الجدلية (٢) .

(١) ف . إ . لينين : « الدفاتر الفلسفية » . الطبعة الروسية ، ص ٢٦٣ . انظر كذلك تاريخ الحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد السوفييتي ، الكتاب المختصر ، الطبعة الانكليزية ، ص : ١٣٣ ، ١٩٥٠ .

(٢) يقول ف . إ . في مؤلفه « الجدلية » : « ان انقسام الواحد ومعرفة أجزائه المتناقضة (انظر الشاهد من فلسفة هرقليطس في مطلع القسم الثالث ، « المعرفة » ، في كتاب لاسال عن هرقليطس) هو (جوهر) (احدى الخصائص أو المميزات « الجوهرية » أو الرئيسية ان لم يكن أكثر أهمية) « الجدلية ... » (« المؤلفات المختارة » ، الطبعة الانكليزية ، المجلد الحادي عشر ، الصفحة ٨١ . نيويورك ، ١٩٤٨) .

وهكذا لا يمكننا ، أثناء دراسة هذا القانون ، الا أن نتطرق الى عدد كبير من المواضيع ، عدد كبير من قضايا الفلسفة . واذا استطعنا ان نوضح سائر هذه القضايا ، فسوف نفهم أسس الجدلية المادية . وهذه القضايا هي المفهوم عن العالم ، وعمومية التناقض ، وخصوصية التناقض ، والتناقض الرئيسي والمظهر الرئيسي للتناقض ، وهوية مظاهر التناقض وصراعها ، ودور التضاد في التناقض .

ولقد أثار النقد الموجه الى مثالية مدرسة ديورين في الحلقات الفلسفية السوفييتية في السنوات الاخيرة اهتماماً عظيماً فيما بيننا . ان مثالية ديورين قد تركت أثراً سيئاً جداً في الحزب الشيوعي الصيني ، ولا بد لنا من الاعتراف بأن الأساليب المذهبية في التفكير في حزبنا ذات علاقة بأسلوب هذه المدرسة في العمل . وهكذا فان الهدف الرئيسي لدراستنا الفلسفية في الوقت الحاضر يجب أن يكون استئصال الأساليب المذهبية في التفكير .

١ - المفهوم عن العالم

يعرف تاريخ المعرفة الانسانية ، بصورة دائمة ، مفهومين عن قوانين تطور العالم ، الا وهما المفهوم الميتافيزيائي والمفهوم الجدلي اللذان يشكلان مفهومين عن العالم متضادين كلياً . ويقول لينين : « ان المفهومين الأساسيين (او الممكنين ؟ او المشاهدين تاريخياً ؟) عن التطور هما : التطور كنقصان وازدياد ، كتكرار ، والتطور كوحدة المتضادات (انقسام الواحد الى متضادات مانعة لبعضها بعضاً وعلاقتها المتبادلة » (١) . ان ما يعنيه لينين هنا هو على وجه الدقة هذان المفهومان المختلفان الى العالم .

وانه ليقول أيضاً في « المتقطعات من » منطق « هيجل » : « يمكن تلخيص الجدلية على انها نظرية وحدة المتضادات ، واذا فعلنا ذلك ، فاننا نمسك لب الجدلية ، لكن ذلك يحتاج الى ايضاح وتطوير » . (هذا الشاهد مترجم عن النص الصيني) .

(١) ف . إ . لينين : « في الجدلية » . المؤلفات المختارة ، الطبعة الانكليزية ، المجلد الحادي

عشر : ص ٨٢ . نيويورك ، ١٩٤٣ .

ولقد كانت الميتافيزياء تشكل ، طوال مرحلة مديدة جداً من التاريخ في الصين وفي أوروبا على حد سواء ، جزءاً من المفهوم المثالي عن العالم وتحلّ مركزاً رئيسياً في الفكر الانساني ، كما كانت المادية ، في أيام البورجوازية الاولى في أوروبا ، ميتافيزيائية هي الأخرى . ولقد ولد المفهوم المادي الجدلي الماركسي عن العالم لأن بلدانا أوروبية عديدة دخلت في سياق تطورها الاجتماعي والاقتصادي مرحلة الرأسمالية المتقدمة النمو ، في حين بلغت القوى المنتجة ، والنضال الطبقي ، والعلوم مستوى لم يسبق له مثيل في التاريخ ، وأصبحت البروليتاريا الصناعية القوة المحركة العظمى في التطور التاريخي . عندئذ نشأ المذهب التطوري المبذل في معسكر البورجوازية الى جانب مثالية رجعية صريحة عارية الوجه تماماً ، وكان غرضه معارضة الجدلية المادية .

ان ما يدعى المفهوم الميتافيزيائي عن العالم ، او نظرة المذهب التطوري المبذل الى العالم ، يقوم في اعتبار العالم من وجهة نظر منعزلة ، جامدة ، وحيدة الجانب . ان دعاء مثل هذا المفهوم عن العالم يعتبرون سائر الأشياء وسائر الظواهر في الكون ، وأشكالها وتبدلاتها ، على أنها منعزلة الى الأبد عن بعضها بعضاً ، وثابتة لا تتبدل بصورة أزلية . واذا ما حدث أي تبدل ، فهو لا يعني سوى نقصان او ازدياد في الكمية ، او انتقال من موضع الى آخر في المكان ، والاکثر من ذلك ان سبب مثل هذا الازدياد او النقصان او الانتقال من موضع الى آخر لا يقوم في باطن الأشياء أو المظاهر نفسها ، بل خارجاً عنها ، أي انه فعل قوى خارجية . ويؤكد الميتافيزيائيون أن الأشياء المختلفة والظواهر المختلفة في العالم ، وكذلك خصائصها النوعية ، قد ظلت على ما هي عليه دون تبدل منذ وجودها، وليس كل تبدل لاحق سوى امتداد او انقباض كمي . ان الميتافيزيائيين يؤكدون أن الشيء لا يمكن أن يتكاثر مراراً وتكراراً الا اذا بقي هو نفسه الى الأبد ، ولا يستطيع مطلقاً أن يتحول الى شيء آخر ، شيء مختلف . وفي رأي الميتافيزيائيين أن الاستثمار الرأسمالي ، والمزاحمة الرأسمالية ، والايديولوجية الفردية في المجتمع الرأسمالي ، وهلم جراً ،

يمكن أن نعثر عليها جميعاً في المجتمع العبودي القديم ، بل في المجتمع البدائي ، وسوف لن تبرح موجودة الى الأبد دون ادنى تبديل . وحين يتحدث الميتافيزيائيون عن أسباب التطور الاجتماعي ، فانهم يفسرونها بالشروط الخارجة عن المجتمع ، كالبئة الجغرافية والمناخ ، ويفتشون بسذاجة خارج الأشياء والظواهر نفسها عن أسباب تطورها ، ويرفضون النظرية التي تقدمها الجدلية المادية والتي تقول ان التناقضات الموجودة في باطن الأشياء وفي باطن الظواهر هي التي تسبب تطورها . وانهم يعجزون ، بنتيجة ذلك ، عن تفسير التنوع الكيفي للأشياء والظواهر ، كما انهم يعجزون عن تفسير التحول من كيفية الى أخرى . ولقد وجد هذا الصنف من التفكير ، في أوروبا ، بصورة المادية الميكانيكية في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وبصورة المذهب التطوري المبذل في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . اما في الصين ، فان أسلوب التفكير الميتافيزيائي القائل ان « السماء لا تتبدل ، وتاو كذلك لا يتبدل (١) » ، قد أيدته زمناً طويلاً انطبقات الاقطاعية الحاكمة ، المتعفنة حتى مخ عظامها .

اما المادية الميكانيكية والمذهب التطوري المبذل ، المستوردان من أوروبا في السنوات المائة الأخيرة ، فقد أيدتهما البورجوازية ودافعت عنهما . لكن المفهوم المادي الجدلي عن العالم ، على النقيض من المفهوم الميتافيزيائي عنه ، ينادي بدراسة تطور الأشياء والظواهر من الداخل ، من حيث علاقة الشيء بالأشياء الأخرى ، وذلك بمعنى أن تطور الأشياء والظواهر ينبغي أن ينظر اليه على أنه حركتها الذاتية الباطنة والضرورية ، وان الشيء (أو الظاهرة) يرتبط في حركته الذاتية ويتبادل التأثير مع الأشياء الأخرى أو الظواهر الأخرى

(١) ملاحظة مقدمة من تونغ شونغ - شو (١٧٩ - ١٦٤ قبل المسيح) ، وهو زعيم شهير للمدرسة الكونفوشية في خلافة سلالة هان (٢٠٣ قبل المسيح - ٢٢٠ بعد المسيح) ، في احدى رسائله المرفوعة الى الامبراطور وو . وكانت كلمة « تاو » شائعة الاستعمال عند فلاسفة الصين القديمة ، وهي تعني « الدرب » و « المبدأ » و « التاموس » أيضاً .

التي تحيط به . ان السبب الأساسي في تطور الاشياء لا يقوم خارجاً عنها بل في باطنها ، في تناقضاتها الداخلية . وانما تقوم حركة الاشياء وتطورها بسبب وجود مثل هذه التناقضات في باطنها جميعاً . ان هذه التناقضات القائمة في باطن الاشياء والظواهر هي السبب الاساسي في تطورها ، بينا العلاقة القائمة بين الشيء أو الظاهرة والاشياء الاخرى أو الظواهر الاخرى – صلاتها المتداخلة وفعلها المتبادل – هي سبب ثانوي . وهكذا فان الجدلية المادية ترفض بحزم نظرية الاسباب الخارجية أو نظرية الدفع المقدمة من قبل انصار المادية الميكانيكية والمذهب التطوري المبطل . ومن الواضح ان الاسباب الخارجية الصرفة لا يمكن ان تؤدي سوى الى الحركة الآلية للاشياء ، يعني الى تغيرات في الحجم والكمية ، لكنها لا تستطيع ان توضح لماذا تختلف الاشياء والظواهر كميّاً بألف طريقة وطريقة ، ولماذا يتم الانتقال من كيفية الى اخرى . ومما لا شك فيه ان الحركة الآلية المسببة عن القوى الخارجية تتحقق هي الاخرى بواسطة تناقضات الاشياء الداخلية . وكذلك فان النمو البسيط للنباتات والحيوانات وتطورها الكمي مسببان بصورة رئيسية عن تناقضاتها الباطنة . وان التطور الاجتماعي مسبب ، هو الآخر ، عن أسباب باطنة في الدرجة الاولى وليس عن أسباب خارجية . ثمة بلدان عديدة تتسم بالشروط الجغرافية والمناخية عينها تقريباً ، ومع ذلك فهي مختلفة في تطورها حتى الدرجة القصوى . وان تبدلات اجتماعية هائلة تجري في ذات البلد الواحد ، بدون ان يطرأ أي تبدل على جغرافية هذا البلد ومناخه . . لقد تحولت روسيا الاستعمارية الى الاتحاد السوفييتي الاشتراكي ، وتحولت اليابان المغلقة الاقطاعية الى اليابان الاستعمارية ، بينما لم يطرأ أي تبدل على جغرافية هذين البلدين ومناخهما . ولقد مرت الصين ، الواقعة منذ زمن طويل تحت سيطرة الاقطاعية ، بتبدلات عظيمة في السنوات المائة الاخيرة ، وهي الآن تتبدل في اتجاه الصين الجديدة ، الحرة ، التي نزعّت عنها النير الاقطاعي ، ومع ذلك لم يطرأ أي تبدل على جغرافيتها ومناخها . ان التبدلات تحدث في

جغرافية الكرة الارضية ومناخها بصورة عامة وفي كل ناحية منها ، لكنها تبدلات نافهة جداً اذا ما قورنت بالتبدلات الطارئة على المجتمع . فالتبدلات الاولى تتظاهر في مدى عشرات الوف السنين او ملايينها ، بينما التبدلات الاخيرة لا تتظاهر في مدى الوف السنوات او مئاتها وعشراتنا فقط ، بل حتى في مدى سنوات قليلة او شهور قليلة (كما هي الحال في زمن الثورات) . ومن وجهة نظر الجدلية المادية ، تنشأ التبدلات في الطبيعة بصورة اساسية عن تطور التناقضات الباطنة في الطبيعة ، كما تنشأ التبدلات في المجتمع بصورة اساسية عن تطور التناقضات الباطنة في المجتمع ، يعني التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، والتناقض بين الطبقات ، والتناقض بين العتيق والجديد . وان تطور هذه التناقضات هو الذي يدفع بالمجتمع الى الامام ويبدأ عملية القضاء على المجتمع القديم ليحل المجتمع الجديد مكانه . فهل تنفي الجدلية المادية الاسباب الخارجية كلياً ؟ ابدأ . ان الجدلية المادية تعتبر ان الاسباب الخارجية هي شرط التبدل ، وان الاسباب الباطنة هي اساس التبدل ، وان الاسباب الخارجية انما تصبح فعالة بواسطة الاسباب الباطنة . ان البيضة تتبدل ، في حرارة ملائمة ، فتصير صوصاً ، لكنه ليس ثمة حرارة ماثلة تستطيع ان تحول حجراً فتصيره صوصاً ، لأن أسس الشيئين تختلف كل الاختلاف . وان هناك تفاعلاً متصلاً بين شعوب البلدان المختلفة . ولقد كان هذا التفاعل والتحريض المتبادل ، على المستويات السياسي والاقتصادي والثقافي ، بين مختلف البلدان عظيماً حتى درجة قصوى في عصر الرأسمالية ، وعلى الاخص في عصر الاستعمار والثورة البروليتارية . ولم تفتتح ثورة اكتوبر الاشتراكية عصراً جديداً في التاريخ الروسي فحسب ، بل في تاريخ العالم ايضاً ، مخلفة تأثيرها في التبدلات الداخلية لسائر البلدان في العالم ، وبالطريقة نفسها في التبدلات الداخلية للصين ، لكن بشدة مخصوصة . ولقد نشأت هذه التبدلات ، على اية حال ، عن ضرورة داخلية في تلك البلدان وفي الصين على حد سواء . ان جيشين يخوضان غمار المعركة ، فينتصر أحدهما وينهزم

الأخر : والنصر والهزيمة على حد سواء تقررهما أسباب باطنة . لقد انتصر الجيش الواحد اما بسبب قوته واما بسبب قيادته الصحيحة، وانهزم الجيش الآخر اما بسبب ضعفه واما بسبب قيادته غير الصالحة . فالاسباب الخارجية تصبح فعالة بواسطة الاسباب الداخلية . لقد هزمت البورجوازية الصينية الكبيرة البروليتاريا عام ١٩٢٧ ، ولم تصبح هذه الهزيمة ممكنة الا بفضل الانتهازية التي كانت موجودة ضمن البروليتاريا الصينية نفسها (ضمن الحزب الشيوعي الصيني) . وعندما صفينا هذه الانتهازية ، فقد عاودت الثورة الصينية تقدمها . ولقد تحملت الثورة الصينية من جديد ، فيما بعد ، ضربات قاسية كالألها لها العدو ، وذلك من جراء روح المغامرة التي تظاهرت داخل حزبنا . وعندما صفينا هذه الروح ، فقد عاودت قضيتنا تقدمها مرة أخرى . وهكذا ينبغي للحزب السياسي ، كي يقود الثورة الى الظفر ، ان يعتمد على صحة اتجاهه السياسي الخاص وعلى متانة تنظيمه الخاص .

ان المفهوم الجدلي عن العالم قد سبق فنشأ في الازمان الغابرة في الصين وفي أوروبا على حد سواء . لكن الجدلية القديمة كانت تتصف بشيء من العفوية والسذاجة ، اذ قامت على أساس الشروط الاجتماعية والتاريخية لتلك الايام ، بحيث ما كان يمكن أن تتخذ صياغة تامة . وهكذا لم يكن في مقدورها أن تفسر العالم في كل مظهره ، فحلت الميتافيزياء فيما بعد محلها . وان الفيلسوف الألماني الشهير هيغل ، الذي عاش من أواخر القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر ، قد قام بمشاركة عظيمة الأهمية في الجدلية ، لكن جدليته كانت مثالية النزعة . لكنه حين صنع ماركس وانجلز، هذان الرائدان العظيمان للحركة البروليتارية ، تعميماً للمنجزات الإيجابية الحاصلة في سياق تاريخ المعرفة البشرية ، وتناولوا على الأخص بصورة نقدية العناصر العقلية لجدلية هيغل وأبدعوا النظرية العظيمة للمادية الجدلية والمادية التاريخية ، عندئذ فقط حدثت ثورة عظمى لم يسبق لها مثيل في تاريخ المعرفة البشرية . ولقد واصل لينين وستالين ، فيما بعد ، تطوير هذه

النظرية العظيمة التي ما أن تسربت الى الصين حتى سببت في الحال تبدلات عظيمة في عالم الفكر الصيني .

ان هذا المفهوم الجدلي عن العالم يعلم الانسان قبل كل شيء كيف يحل بصورة صحيحة حركة التضادات في باطن مختلف الاشياء ومختلف الظواهر ، ثم يستخرج على اساس هذا التحليل الطرق الناجعة في حل التناقضات . وبنسبة ذلك ، فان الفهم التام لقانون التناقض في الاشياء يتمتع بأهمية فائقة بالنسبة لنا .

٢ - عمومية التناقض

كي يكون البحث مناسباً ، سوف اناقش هنا عمومية التناقض أولاً ، وانتقل بعد ذلك الى خصوصية التناقض . والحقيقة انه بعد اكتشاف المفهوم الجدلي المادي عن العالم من قبل مؤسسي الماركسية الكبريين ، ماركس وانجلز ، ومن قبل لينين وستالين اللذين كملا عملهما ، فقد طبقت المادية الجدلية بنجاح عظيم جداً على ميادين عديدة من الابحاث المتعلقة بالتاريخ البشري وبالعلوم الطبيعية ، وعلى ميادين عديدة متعلقة بتحويل المجتمع والطبيعة (في الاتحاد السوفييتي على سبيل المثال) . ان عمومية التناقض قد اصبحت امراً معترفاً به على نطاق واسع ، ولذا فاننا لن نتوقف طويلاً على تفسير هذه المسألة . لكن ثمة عدداً من الرفاق ، والمذهبيين منهم بصورة خاصة ، لم تتضح لهم بعد جيداً قضية خصوصية التناقض . انهم لا يفهمون ان عمومية التناقض تقوم بالضبط في خصوصية التناقض . وكذلك هم لا يفهمون ما في دراسة خصوصية التناقض في الاشياء والظواهر الحسية التي تجاوبها من أهمية عظيمة بالنسبة الى توجيه نشاطنا العملي الثوري . ولذا فان مشكلة خصوصية التناقض تتطلب دراسة جدية ، وسوف نكرس لفحصها وقتاً كافياً . ولذا فاننا حين نحلل قانون التناقض في الاشياء وفي الظواهر ، سنحلل بادئ ذي بدء عمومية التناقض ، ثم نحلل بانتباه خاص خصوصية التناقض ، ونعود في النهاية الى عمومية التناقض .

ان مسألة الخاصة العمومية او المطلقة للتناقض ذات مظهرين . فاولا توجد التناقضات في عملية تطور سائر الاشياء وسائر الظواهر ، وثانياً توجد حركة التناقضات في عملية تطور كل شيء على حدة وكل ظاهرة على حدة منذ البداية حتى النهاية .

يقول انجلز : « ان الحركة نفسها هي تناقض » (١) . ويعرف لينين قانون وحدة المتضادات على انه « معرفة (اكتشاف) الاتجاهات المتضادة ، المتناقضة ، المانعة لبعضها بعضاً ، المتوفرة في سائر ظواهر الطبيعة وعملياتها (بما فيها الفكر والمجتمع) » (٢) هل هذه الآراء صحيحة ؟ أجل ، انها لصحيحة . ان ترابط التناقضات اللاصقة بشيء معين والصراع ما بينهما يحيان تطور سائر الاشياء وسائر الظواهر . فليس شيء لا يحتوي على التناقض ، وبدون التناقض لن يكون تطور على الاطلاق .

ان التناقض هو أساس الاشكال البسيطة للحركة (مثلا الحركة الميكانيكية) ، وبالأحرى أساس الاشكال المعقدة للحركة . وقد أوضح انجلز عمومية التناقض بالعبارات التالية :

« اذا كان تغيير المكان البسيط ينطوي على تناقض ، فان ذلك ينطبق بالأحرى على الاشكال العليا من حركة المادة ، وبخاصة على الحياة العضوية وتطورها . . . ان الحياة تستقيم قبل كل شيء بالضبط فيما يلي : ان الشيء الحي هو في كل لحظة ذاته وشيء مختلف أيضاً . وبالتالي فان الحياة هي أيضاً تناقض حاضري الاشياء والعمليات التطورية ذاتها ، وهو ينشأ وينحل بصورة متصلة ، ولا يكاد هذا التناقض ينقطع حتى تنتهي الحياة أيضاً ويحل الموت . ولقد راينا

(١) فريدريك إنجلز : « انتي دوهرنغ » ، راجع الطبعة العربية ، ترجمة الدكتور فؤاد

أيوب ، ص : ١٤٥ ، منشورات دار دمشق ، ١٩٦٥ .

(٢) لينين ، المصدر نفسه .

كذلك اننا لا نستطيع في مجال الفكر ايضا ، ان نفلت من التناقضات ، وان التناقض مثلا بين قدرة الانسان العممية غير المحدودة على المعرفة ، وعدم وجود هذه المعرفة الفعلي الا في بشر هم جميعاً محدودون خارجياً ومعرفتهم محدودة ايضا يجد حله فيما هو — على الاقل عملياً بالنسبة الينا — تعاف لا متناه من الأجيال ، يجد حله في التطور الذي لا نهاية له وان أحد المبادئ الأساسية للرياضيات العليا هو التناقض . . .

لكن الرياضيات الدنيا تكتظ بالتناقضات « (١) .

وكذلك أوضح لينين عمومية التناقض كما يلي :

« في الرياضيات : الزائد والناقص ، التفاضلي والتكاملي .

في الميكانيك : الفعل ورد الفعل .

في الفيزياء : الكهرباء الموجبة والسالبة .

في الكيمياء : اتحاد الذرات وانفراقها .

في العلوم الاجتماعية : النضال الطبقي . « (٢)

ان الهجوم والدفاع في الحرب ، والتقدم والانسحاب ، والنصر والهزيمة ، هي جميعاً ظواهر متناقضة . ولا يمكن لاحدها ان يكون بدون الآخر . وهذان المظهران يتصارعان كما انهما يتحدان ، مشكلين بذلك الوحدة الكلية للحرب ، ودافعين لتطورها ، ومقررين لنتيجتها .

وينبغي ان ينظر الى كل تباعد في المفاهيم الانسانية على انه يعكس التناقضات الموضوعية . ان التناقضات الموضوعية تنعكس في التفكير الشخصي ، مشكلة الحركة المتضادة الاتجاهات للمفاهيم ، ودافعة تطور التفكير ، وحالة دون انقطاع المشاكل التي تقوم في فكر الانسان .

وفي داخل الحزب ، ينشأ التضاد والنضال بين الآراء المختلفة على الدوام ،

(١) فريدريك انجلز : المصدر نفسه ، ص : ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) لينين ، المصدر نفسه .

وهما يعكسان في الحزب التناقضات الطبقة والتناقضات بين القديم والجديد في المجتمع . ولو أن الحزب كان خالياً من التناقضات وخالياً في الوقت نفسه من النضالات الايدولوجية في سبيل حل هذه التناقضات ، فقد كانت حياة الحزب تنتهي وتموت .

وهكذا تصبح القضية واضحة جلية : ان التناقض يوجد بصورة شاملة وفي سائر العمليات ، أكان ذلك في اشكال الحركة البسيطة أم المعقدة ، وفي العالم الموضوعي أم في وجدان البشر . هل يوجد التناقض أيضاً في المرحلة البدئية من كل عملية ؟ أئمة حركة متضادة الاتجاهات منذ البداية حتى النهاية في عملية تطور كل شيء وكل ظاهرة بصورة مطلقة ؟

يبدو من المناقشات في الحلقات الفلسفية السوفيتية أن مدرسة ديورين تنادي بأن التناقض لا يظهر منذ بداية العملية ، بل في مرحلة معينة من تطورها فقط . وبنتيجة ذلك، فإن تطور العملية حتى تلك اللحظة لا ينشأ عن الأسباب الباطنة ، بل عن الاسباب الخارجية . وهكذا ينزلق ديورين الى النظرية الميتافيزائية عن الدفع الخارجي ، وعن الميكانيكية . واذا طبقت مدرسته مثل هذه النظرية على تحليل القضايا الحسية ، فقد نادت بأنه ليس بين الكولاك والفلاحين بصورة عامة في ظروف الاتحاد السوفيتي اية تناقضات ، بل هناك فوارق فحسب ، موافقة بذلك موافقة تامة على رأي بوخارين . ولقد نادت كذلك ، في تحليل الثورة الفرنسية ، بأنه لم يكن قبل الثورة في قلب الطبقة الثالثة المؤلفة من العمال والفلاحين والبورجوازية اية تناقضات ، بل فوارق فحسب . وان هذه الآراء لمناهضة للماركسية . ان مدرسة ديورين لم تدرك أن كل فارق في العالم ينطوي على التناقض سلفاً ، وأن الخلاف يعني التناقض على وجه الدقة . ولقد ولد التناقض بين العمل ورأس المال منذ اللحظة التي نشأت فيها البورجوازية والبروليتاريا ، وان لم يكن هذا التناقض على قدر كبير من الشدة بادئ الأمر . وان هناك خلافاً بين العمال والفلاحين ، حتى في ظروف الاتحاد السوفيتي الاجتماعية ، وهذا الخلاف

تناقض ، لكنه لن يشتد على أية حل بحيث يصير تضاداً ، أو يتخذ شكل النضال الطبقي : لقد شكل العمال والفلاحون ، في غمرة البناء الاشتراكي ، اتحاداً متيناً ، وسوف يحلون ذلك التناقض تدريجياً في عملية التطور من الاشتراكية الى الشيوعية . ولا يمكننا هنا الا أن نتحدث عن الفوارق في خاصة التناقضات ، وليس عن وجود هذه التناقضات أو انعدامها . ان التناقض عمومي ، مطلق ، موجود في سائر عمليات تطور الاشياء والظواهر ، وهو يشمل سائر العمليات منذ البداية حتى النهاية .

ما هو انبثاق العملية الجديدة ؟ انه الحقيقة التالية : عندما تفسح الوحدة القديمة ومتضاداتها المركبة المكان لوحدة جديدة ومتضاداتها المركبة ، فان عملية جديدة تنبثق مكان العملية القديمة . لقد اكتملت العملية القديمة ، والعملية الجديدة في طريق الولادة . ولما كانت العملية الجديدة تضم هي الاخرى تناقضات جديدة ، فان تاريخ تطور تناقضاتها الخاصة يبدأ منذ ذلك الحين .

ولقد اشار لينين الى أن ماركس قد أعطى في كتابه « رأس المال » تحليلاً نموذجياً للحركة المتضادة الاتجاهات التي تشمل عملية تطور الاشياء والظواهر منذ البداية حتى النهاية ، وهي الطريقة التي ينبغي أن تطبق في دراسة عملية تطور أي شيء وأية ظاهرة . ولقد طبقها لينين نفسه أيضاً بصورة صحيحة واعتنقها في سائر كتاباته .

« لقد حلل ماركس للمرة الاولى ، في كتابه « رأس المال » ، العلاقة الأكثر بساطة والفة ، والاعمق جذوراً والاشد ابتذالاً ووضوحاً ، العلاقة التي تصادف مليارات المرات في المجتمع البورجوازي (السلمي) . الا وهي تبادل البضائع . ولقد كشف التحليل في هذه الظاهرة البسيطة جداً (في هذه « الخلية » للمجتمع البورجوازي) سائر تناقضات (أو بذور سائر تناقضات) المجتمع الحديث . وان الفرض اللاحق قد بين لنا تطور (النمو والحركة على حد سواء) هذه التناقضات وهذا المجتمع في المجموع العام لأجزائه الفردية ، منذ بدايته حتى نهايته » .

ويستطرد لينين قائلاً : « وهكذا ينبغي ان تكون أيضاً طريقة عرض
(أو دراسة) الجدلية بصورة عامة . » (١)

وينبغي للشيوعيين الصينيين أن يتقنوا هذه الطريقة قبل أن يستطيعوا
السبيل إلى تحليل صحيح لتاريخ الثورة الصينية وظروفها الراهنة ، وإلى
تحديد آفاقها في الوقت نفسه .

٣ - خصوصية التناقض

يوجد التناقض في عملية تطور سائر الأشياء وسائر الظواهر ، وهو يشمل
عملية تطور كل من الأشياء أو الظواهر منذ البداية حتى النهاية : هذان هما
عمومية التناقض وإطلاقه للذات ناقشناهما آنفاً . ولسوف نتحدث الآن عن
خصوصية التناقض ونسبته .

وينبغي أن تقترب من هذه القضية من زوايا متعددة . أولاً : أن للتناقض
خصوصيته في كل شكل من أشكال حركة المادة . أن معرفة الإنسان بالمادة
هي معرفة بأشكال حركة المادة ، لأنه ليس في العالم شيء آخر سوى المادة
في حال الحركة ، وحركة المادة تتخذ دائماً ، على أية حال ، بعض الأشكال
المعينة . وينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار ، عندما نتفحص كلاً من أشكال حركة
المادة ، النقاط التي يشترك فيها كل شكل مع الأشكال الأخرى من الحركة .
لكن ما يتمتع بأهمية خاصة ويشكل أساس معرفتنا بالأشياء هو وجوب
اعتبار النقاط الخاصة بكل شكل من أشكال حركة المادة ، يعني ما يميزه كيفياً
عن أشكال الحركة الأخرى . وبهذه الطريقة وحدها نستطيع أن نميز بين
الأشياء المختلفة . أن أي شكل من أشكال الحركة ينطوي في ذاته على تناقضاته
النوعية الخاصة ، وهي التي تؤلف الجوهر النوعي للشيء الذي يميزه عن
الأشياء الأخرى جميعاً . وهذا هو السبب الباطن ، أو كما يجوز أن يدعى
القاعدة لألف طريقة وطريقة تختلف بها الأشياء والظواهر عن بعضها بعضاً .

(١) لينين ، المصدر نفسه .

ثمة اشكال عديدة للحركة في الطبيعة : الحركة الآلية ، والصوت ، والنور ، والحرارة ، والكهرباء ، والتحلل ، والتركيب ، وهلم جرأ . وترتبط سائر هذه الاشكال ببعضها بعضاً كما تختلف عن بعضها بعضاً كيفياً . وان الصفة النوعية لكل من اشكال الحركة تتحدد بالتناقضات المخصوصة اللاصقة بها . ولا ينطبق هذا الأمر على الطبيعة وحدها ، بل ينطبق كذلك على المجتمع والفكر جميعاً . ان لكل شكل من اشكال المجتمع ، ولكل أسلوب من أساليب التفكير ، تناقضاته النوعية الخاصة وجوهره النوعي الخاص .

وان تصنيف الدراسات العلمية المختلفة يقوم بالضبط على اساس التناقضات الخاصة اللاصقة بمواضيعها . وهكذا فان نوعاً معيناً من التناقضات الخاصة بحقل ظواهر معينة يؤلف موضوع فرع معين من العلوم . مثال ذلك الاعداد الموجبة والاعداد السالبة في الرياضيات ، والفعل ورد الفعل في الميكانيك ، والكهرباء الموجبة والسالبة في الفيزياء ، والتحليل والتركيب في الكيمياء ، والقوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، والطبقات والنضال الطبقي في العلوم الاجتماعية ، والهجوم والدفاع في العلوم العسكرية ، والمثالية والمادية ، والميتافيزياء والجدلية في الفلسفة ، وهلم جرأ — ولما كان كل من هذه الاشياء جميعاً يملك تناقضات نوعية وجوهرأ نوعياً ، فانها تدرس في علوم مختلفة . ومما لا ريب فيه اننا لا نستطيع ، دون معرفة عمرمية التناقض ، ان نكتشف في حال من الاحوال الاسباب العامة او الاسس العامة لتطور حركة الاشياء والظواهر . وعلى اية حال فاننا لانستطيع ، دون دراسة خصوصية التناقض ، ان نقرر في حال من الاحوال الجوهر النوعي الذي يميز الشيء الواحد عن الاشياء الاخرى ، لا نستطيع ان نكتشف الاسباب النوعية او الاسس النوعية لحركة تطور الاشياء والظواهر ، وان نميز هذا الشيء عن ذاك ، او هذه الظاهرة عن تلك ، او ان نعين ميادين البحث العلمي .

ويشير تقدم حركة المعرفة الانسانية الى ان ثمة امتداداً تدريجياً دائماً من معرفة المفرد والخاص الى معرفة العام . ولا يستطيع الانسان ان يعمد

الى التعميم وأن يعرف الصفات المشتركة بين سائر الاشياء الا بعد المامه بالصفات الخاصة بظواهر مختلفة عديدة . وعندما يلم الانسان بمثل هذه الصفات المشتركة ، فانه يستعمل معرفته كدليل له ويقدم عندئذ على دراسة اشياء حسية مختلفة لم تدرس بعد او درست بصورة ناقصة ، بحيث يستخرج صفاتها الخاصة : وانه ليستطيع بهذه الطريقة وحدها أن يفادي معرفته بالصفات المشتركة ويفنيها ويطورها ، وأن يمنع مثل هذه المعرفة من الصيرورة الى شيء متحجر ميت . وهاتان هما مرحلتا عملية المعرفة : الواحدة من الخاص الى العام ، والأخرى من العام الى الخاص . وتتقدم المعرفة الانسانية على الدوام بهذه الحركة الحلزونية ، ويمكنها مع كل دائرة (اذا طبقت الطريقة العلمية بحزم) أن ترتفع لدرجة أعلى وان تزداد عمقا أكثر فأكثر . ويرتكب اصحابنا المذهبون اخطاءهم لأنهم لا يفهمون ، من جهة واحدة ، انه ينبغي لنا أن ندرس خصوصية التناقض ونعرف الصفات الخاصة للاشياء المفردة قبل أن نستطيع أن نعرف بصورة ملائمة عمومية التناقض والصفات المشتركة للاشياء المختلفة ، ولأنهم لا يفهمون ، من جهة ثانية ، أنه ينبغي لنا بعد الامام بالصفات المشتركة لبعض الاشياء أن نتقدم لدراسة تلك الاشياء الحسية التي لم تدرس بصورة كاملة او التي نشأت للمرة الاولى . ان اصحابنا المذهبين لقوم مكسالون . انهم يرفضون القيام بأية دراسة دقيقة للاشياء الحسية ، ثم يعتبرون الحقائق العامة امورا تقع من السماء فيقبلونها الى صيغ مجردة صرفة لا يمكن أن يدركها الناس ، وبذلك يكونون قد أنكروا كل الانكار ، وقلبوا في الوقت ذاته ، الترتيب الطبيعي الذي يتوصل الانسان بواسطته الى معرفة الحقيقة . وكذلك هم لا يفهمون الرابطة المتبادلة التي تجمع بين مرحلتي المعرفة ، من الخاص الى العام ومن العام الى الخاص ، انهم لا يفهمون البتة النظرية الماركسية عن المعرفة .

ليس من الضروري فحسب أن ندرس التناقضات النوعية والجوهر الناتج عنها في كل جملة كبيرة من اشكال حركة المادة ، بل من الضروري كذلك أن ندرس

التناقضات النوعية لكل شكل من حركة المادة وجوهره في كل مرحلة من السبيل الطويل الذي يسلكه تطور هذه الاشكال . ان كل عملية حقيقية لا وهمية من عمليات التطور ، في سائر اشكال الحركة ، تختلف كيفياً . وينبغي لنا في دراستنا أن نشدد على هذه النقطة ونطلق منها .

وان التناقضات المختلفة كيفياً لا يمكن ان تحلّ الا بطرق مختلفة كيفياً . مثال ذلك ان التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية يُحل بطريقة الثورة الاشتراكية ، والتناقض بين جماهير الشعب الفقيرة والنظام الاقطاعي يُحل بطريقة الثورة الديمقراطية ، والتناقض بين المستعمرات والاستعمار يُحل بطريقة الحرب الثورية الوطنية ، والتناقض بين الطبقة العاملة والفلاحين في المجتمع الاشتراكي يُحل بطريقة تصير الزراعة جماعية وآلية ، والتناقض داخل الحزب الشيوعي يُحل بطريقة الانتقاد والانتقاد الذاتي ، والتناقض بين المجتمع والطبيعة يُحل بطريقة تطوير القوى المنتجة . ان العمليات تتبدل، فتلاشى العمليات القديمة والتناقضات القديمة ، وتنبثق عمليات جديدة وتناقضات جديدة ، وطرق حل التناقضات تختلف بصورة متفقة مع ذلك . فثمة فرق أساسي بين التناقضات التي حلتها ثورة شباط وثورة أكتوبر في روسيا، وكذلك بين الطرق التي استعملت لحل تلك التناقضات . ان استكمال الطرق المختلفة لحل التناقضات المختلفة مبداً ينبغي للماركسية اللينينية ان تحافظ عليه بصرامة . ولا يتقيد المذهبون بهذا المبدأ : انهم لا يفهمون الفوارق بين الحالات الثورية المختلفة ، وبنتيجة ذلك لا يفهمون انه ينبغي اللجوء الى طرق مختلفة في سبيل حل التناقضات المختلفة ، بل انهم يعتقدون بانتظام ، على العكس من ذلك ، صيغة يتخيلون انها غير قابلة للتبدل ، ويطبقونها دون هوادة في كل مكان ، وهو تصرف لا يمكن ان يؤدي سوى الى جر الثورة الى الوراء او الى افساد قضية كانت تسير على ما يرام حتى ذلك الحين .

وكيما تكشف اللثام عن قضية خصوصية التناقضات في مجموعها وفي ترابطها معاً داخل عملية تطور الأشياء والظواهر ، أي كيما تكشف اللثام عن جوهر

عملية تطور الاشياء والظواهر ، ينبغي لنا أن نكشف اللثام عن الصفات النوعية لكل مظهر من مظاهر التناقض في هذه العملية ، والا أصبح من المستحيل الكشف عن جوهر العملية : وهذه قضية يتوجب علينا ان نعيها أعظم الانتباه في دراستنا .

ان عملية تطور كل ظاهرة هامة تحتوي على تناقضات عديدة . مثال ذلك أن هناك في عملية الثورة الديمقراطية البورجوازية في الصين التناقض بين الطبقات المضطدة المختلفة في المجتمع الصيني والاستعمار ، والتناقض بين جماهير الشعب الفقيرة والاقطاعية، والتناقض بين البروليتاريا والبورجوازية، والتناقض بين الفلاحين والبورجوازية الصغيرة في المدن من جهة والبورجوازية من جهة أخرى ، والتناقض بين الكتل الحاكمة الرجعية المختلفة ، الخ . . . فالحالة معقدة حتى الدرجة القصوى اذن . ولا يتمتع كل من هذه التناقضات جميعاً بصفة النوعية الخاصة فحسب بحيث لا يمكن معاملتها بصورة متماثلة، بل ان لمظهري كل تناقض أيضاً خصائصهما الخاصة بحيث لا يمكن أن يعاملا بصورة متماثلة . فلا ينبغي لنا ،نحن الذين نعمل من أجل الثورة الصينية ، أن نكتفي بفهم خصوصية كل من التناقضات في ضوء مجموعها ، يعني من وجهة نظر ترابطها ، بل اننا لا نستطيع أيضاً سبيلا الى فهم مجموع هذه التناقضات الا بدراسة كل من مظاهرها . وأن نفهم جميع مظاهر تناقض ما ، هذا يعني أن نفهم المركز الخاص الذي يحتله كل مظهر من هذه المظاهر، والشكل الحسي الذي ينتهي به الى الترابط مع نقيضه والنزاع معه على حد سواء ، والوسائل الحسية التي يناضل بها ضد نقيضه سواء عندما يكون كلاهما مترابطين ومتناقضين مع ذلك ، أم عندما ينقسم هذا الترابط . ان دراسة هذه المسائل أمر على غاية الأهمية . ولقد كان لينين يعبر عن هذه الفكرة بالضبط حين قال ان الأمر الأهم في الماركسية ، روح الماركسية الحية ، هو التحليل الحسي للشروط الحسية (١) . لكن اصحابنا المذهبيين ، على عكس

(١) حين انتقد لينين الشيوعي المجري بيلاكوف في كتابه « الشيوعية » ، قال انه

تعاليم لينين ، لا يستعملون أدمغتهم البتة في سبيل تحليل أي شيء بصورة حسية . انهم يضربون ابدأ ، في كتاباتهم واحاديثهم ، على مفتاح « الرسالة ذات الثماني الأرجل » التي هي فارغة من كل مضمون ، فهي بذلك قد حملت الى حزبنا اسلوباً في العمل سيئاً جداً .

عندما ندرس قضية ما ، ينبغي أن نضون انفسنا من النزعة الذاتية ، والنظرة الوحيدة الجانب والسطحية . وتقوم الذاتية ، التي ناقشتها في رسالتي « في النشاط العملي » ، في العجز عن اعتبار القضايا بصورة موضوعية ، يعني العجز عن اعتبارها من وجهة نظر مادية . وتقوم النظرة الوحيدة الجانب في العجز عن اعتبار القضايا في مختلف مظاهرها . وهذا مايقع على سبيل المثال عندما نفهم الصين وحدها من دون اليابان ، ونفهم الحزب الشيوعي وحده من دون الكيومنتانغ ، ونفهم البروليتاريا وحدها من دون البورجوازية ، ونفهم الفلاحين وحدهم من دون الملاكين العقاريين ، ونفهم الظروف الملائمة وحدها من دون الظروف العسيرة ، ونفهم الماضي وحده من دون المستقبل ، ونفهم الجزء وحده من دون المجموع ، ونفهم النقاى وحدها من دون المنجزات ، ونفهم المدعي وحده من دون المدعى عليه ، ونفهم العمل الثوري السري وحده من دون العمل الثوري العلني ، وهلم جرا ، وباختصار حين لا نفهم خصائص المظاهر المختلفة للتناقضات . وهذا ما يدعى النظر الى القضايا بصورة وحيدة الجانب ، أو انه يمكن أن يدعى رؤية الجزء وحده من دون الكل ، رؤية الاشجار وحدها من دون الغابة . وإنه يستحيل بنتيجة ذلك أن نجد الطرق اللازمة لحل التناقضات ، ولانجاز مهمات الثورة ، ولتحقيق الاهداف بصورة جيدة ، أو لتطوير النضال الايديولوجي في الحزب بصورة صحيحة . ولقد قال صن تسي في مناقشته العلوم العسكرية: « اعرف

« أسقط الامر الالم في الماركسية ، روح الماركسية الحية ، وهو التحليل الحسي للشروط الحسية » . (المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد ٣١ . ص : ١٤٣ . موسكو ،

١٩٥٠) .

العدو واعرف نفسك ، وهندئد تستطيع أن تخوض غمار مائة معركة دونما كارثة . « (١) أما وي شنغ من عصر سلالة تانغ فقد قال : « اسمع الطرفين فتعرف الحقيقة ، أما أن تسمع طرفاً واحداً ، فهذا ما يغمرك بالظلام » (٢) . كان هو الآخر يدرك ان النظرة الوحيدة الجانب مغلوطة . ومع ذلك فان رفاتنا كثيراً ما يميلون الى اعتبار القضايا بصورة وحيدة الجانب ، ومثل هؤلاء الناس كثيراً ما يتعلقون بالقشور . لقد شن سونغ شيانغ ، في « الهامش المائي » (٣) ، ثلاث هجمات على قرية شو وهزم مرتين لانه لم يكن يملك معرفة واضحة بالظروف القائمة فطبق طرفاً مغلوطة . ولقد غير طرقة فيما بعد ، فاستكشف الاوضاع جيداً بادية الامر ، وسبر اغوار نظام المتاهات ، واذ نجح في فصح عرى الاتحاد بين قرى لي وهو وشو ، فقد انتصر في المعركة الثالثة بعد أن تسلل جنوده سراً ، وهم متنكرون ، الى معسكر العدو ، وهي حيلة مماثلة لحيلة الجواد الطروادي في الاساطير الاجنبية . وفي « الهامش المائي » امثلة عديدة عن الجلدية المادية ، ويمكن أن تعتبر قصة الهجمات الثلاث على قرية شو المثل الافضل بينها . ولقد قال لينين :

« كي نعرف شيئاً ما بصورة حقيقية ينبغي أن نضم ، أن ندرس سائر جوانبه وسائر الارتباطات وسائر « الوسائط » ، وهذا مالا يمكننا أن نحققه قط

(١) أو صن وو ، وهو عالم عسكري صيني شهير في القرن الخامس قبل المسيح . والجملة المذكورة واردة في كتاب « صن تسي » .

(٢) كان وي شنغ (٥٨٠ - ٦٤٣) رجل دولة ومؤرخاً في المرحلة الاولى من خلافة عائلة تانغ (٦١٨ - ٩٠٦) . والملاحظة المذكورة واردة في كتاب « تسي شيه تونغ شيين » وهو كتاب صيني قديم جمعه جيما كوانغ في عصر آل سونغ (٩٦٠ - ١١٢٧) .

(٣) قصة شهيرة عن حروب الفلاحين ، منسوبة الى شيه ناي آن (القرن الرابع عشر بعد المسيح) . وسونغ شيانغ هو الشخصية الرئيسية في الرواية . ولقد كانت قرية شو واقعة في جوار ليانجشانجو ، وهي القاعدة التي انطلق سونغ شيانغ منها ليقود الحرب النورية ضد الطبقات الحاكمة .

بصورة تامة ، لكن ضرورة اعتبار القضايا في مختلف مظاهرها ضمانة ضد
الاطء والجمود » (١) .

ان من واجبا ان نذكر هذه الكلمات .

فالسطحية تظهر بوضوح حين لا يأخذ المرء بعين الاعتبار خصائص التناقض
على اعتباره كلا ولا خصائص كل من مظاهره ، فينكر ضرورة النفوذ الى الشيء
والدراسة الدقيقة لخصائص التناقض ، مكتفياً بالنظر من بعيد ، متقدماً
الى حل التناقض (في الرد على الاسئلة ، أو في حسم الخلافات ، أو تنفيذ
المهمات ، أو ادارة العمليات الحربية) ، بعد ملاحظة تقريبية لبعض صفاته
فقط . ولا يؤدي مثل هذا السلوك سوى الى المتاعب . وان السبب في أن
رفاقنا الذين يعانون من المذهبية والتجريبية قد ارتكبوا الاخطاء هو بالضبط
كون طريقتهم في النظر الى الاشياء ذاتية ووحيدة الجانب وسطحية . ان النظرة
الوحيدة الجانب ، والنظرة السطحية ، يتضمنان الذاتية أيضاً ويستلزمان
طريقة ذاتية ، لانه بقدر ما تكون سائر الاشياء الموضوعية مترابطة ببعضها
بعضاً في الحقيقة ولها قوانينها الباطنة ، وبقدر ما يعتمد بعض الناس ، بدلا من
أن يعكسوا هذه الحقيقة بصورة مضبوطة ، الى اعتبار الظواهر بصورة وحيدة
الجانب وسطحية ، متجاهلين علاقاتها المتبادلة وقوانينها الباطنة ، فانهم
يتصرفون بصورة ذاتية . يتوجب علينا الاندرس فحسب خصائص حركة التناقضات
في العملية العامة لتطور الظواهر ، بل كذلك الرابطة المتبادلة ما بينها ، واذا
ما أخذنا بعين الاعتبار الشروط الخاصة بكل مظهر على حدة ، فان لكل مرحلة
من عملية التطور هذه خصائصها الخاصة التي يجب الا تفيب عن ابصارنا
مطلقاً .

ان التناقض الاساسي في عملية تطور الظاهرة ، وجوهر العملية الذي يقرره هذا

(١) ف . ا . لينين « في التريد - يونيون ، والحالة الراهنة ، واخطاء تروتسكي
وبوخارين مرة أخرى » (المؤلفات المختارة » ، الطبعة الانكليزية ، المجلد التاسع ،
ص : ٦٦ نيويورك ، ١٩٤٣) .

التناقض الاساسي ، لن يتلشيا قبل اكتمال العملية ، لكن شروط كل مرحلة في عملية تطور الظاهرة الطويلة المدى كثيراً ماختلفت عن شروط مرحلة أخرى . والسبب في ذلك أنه على الرغم من ان صفة التناقض الاساسي في عملية تطور الظاهرة وجوهر هذه العملية لا يتبدلان ، فان التناقض الاساسي يتخذ مع ذلك ، في المراحل المختلفة من عملية التطور الطويلة المدى ، اشكالا متزايدة الحدة بصورة مستمرة . فضلا عن ذلك فان بعضاً من التناقضات الكبيرة والصغيرة التي يقررها التناقض الاساسي او يؤثر فيها تصبح متزايدة الشدة ، والبعض الآخر يحل أو تخف حدته مؤقتاً أو جزئياً ، والبعض الثالث ينبثق من جديد ، وينتجة ذلك تترأى العملية كأنها مؤلفة من مراحل مختلفة . واذا لم يعر الناس انتباهاً للمراحل في عملية تطور الظاهرة فانهم لن يستطيعوا ان يعنوا بتناقضاتها كما يجب .

مثال ذلك : عندما تطورت رأسمالية عصر المنافسة الحرة صائرة استعماراً ، لم يحدث أي تبدل في خاصة الطبقتين المتناقضتين بصورة أساسية ، البروليتاريا والبرجوازية ، أو في الطبيعة الرأسمالية لمثل هذا المجتمع . وعلى اية حال فان التناقض بين هاتين الطبقتين قد ازداد حدة ، وانبثق التناقض بين الرأسمال الاحتكاري والرأسمال غير الاحتكاري ، واشتد التناقض بين البلدان المتمدنة والمستعمرات ، كما احتد التناقض أيضاً بين البلدان الرأسمالية ، يعني التناقض المسبب عن تطورها متفاوت . وهكذا ظهرت مرحلة خاصة من الرأسمالية ، مرحلة الاستعمار . وان السبب في كون اللينينية هي ماركسية عصر الاستعمار والثورة البروليتارية هو ان لينين وستالين قد أوضحا هذه التناقضات وصاغوا بصورة صحيحة نظرية الثورة البروليتارية وتكتيكها في سبيل حل تلك التناقضات عينها .

وان دراسة عملية الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين ، التي بدأت بثورة عام ١٩١١ ، يكشف أيضاً عن مراحل نوعية متعددة . ان الثورة في مرحلة قيادتها البرجوازية والثورة في مرحلة قيادتها البروليتارية تتميزان

على الاخص عن بعضهما بعضاً كمرحلتين تاريخيتين مختلفتين اختلافاً كبيراً ، وهذا يعني أن البروليتاريا قد غيرت بصورة جذرية وجه الثورة ، وجاءت بتسوية جديدة في العلاقات الطبقية ، وبانطلاق عظيم في ثورة الفلاحين ، ومنحت الثورة الموجهة ضد الاستعمار والاقطاعية صفة حازمة ، وجعلتنا من الممكن الانتقال من الثورة الديموقراطية الى الثورة الاشتراكية ، وهلم جرأ . وما كان يمكن أن تحدث هذه الاشياء كلها عندما كانت الثورة بقيادة البورجوازية . وعلى الرغم من انه لم يحدث تبدل في طبيعة التناقض الاساسي لمجموع العملية ، يعني في طبيعة هذه العملية بوصفها ثورة ديموقراطية مناهضة للاستعمار ، ومناهضة للاقطاعية ، (كانت الطبيعة نصف الاستعمارية ونصف الاقطاعية للبلاد هي المظهر الآخر لهذا التناقض) ، فان العملية قد اجتازت مع ذلك مراحل عديدة من التطور في مدى حوالي عشرين عاماً ، وقعت خلالها أحداث كبيرة عديدة كاخفاق ثورة عام ١٩١١ وقيام نظام طفمة سادة الحرب الشمالية ، وقيام الجبهة الوطنية المتحدة الاولى وثورة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، وانفصال الجبهة الموحدة وانتقال البورجوازية الى المعسكر المناهض للثورة والحروب بين سادة الحرب الجدد ، والحرب الزراعية الثورية ، وقيام الجبهة الوطنية الموحدة الثانية وحرب المقاومة ضد العدوان الياباني . وكانت هذه المراحل تتصف ببعض الشروط النوعية التالية : اشتداد بعض التناقضات (الحرب الزراعية الثورية والغزو الياباني للمقاطعات الشرقية الاربع مثلاً) ، والحل الجزئي أو المؤقت لتناقضات أخرى (تصفية طفمة سادة الحرب الشمالية ومصادرتها لاراضي الملاكين مثلاً) ، والانبثاق الجديد لتناقضات أخرى (النضال بين سادة الحرب الجدد ، واستعادة الملاكين لاراضيهم بعد فقداننا القواعد الثورية في الجنوب مثلاً) .

حين ندرس خصائص التناقضات في كل مرحلة من عملية تطور ظاهرة ما ، فانه ينبغي لنا الا نراقبها في ترابطها وفي مجموعها فحسب ، بل ينبغي لنا ايضاً ان نعتبر كل مظهر من التناقضات في مرحلة من مراحل تطوره .

فلنأخذ الكيومنتانغ والحزب الشيوعي مثلاً . لقد نفذ الكيومنتانغ ، في فترة الجبهة الموحدة الاولى ، «السياسات الرئيسية» الثلاث لصن يات - صن بشأن التحالف مع روسيا ، والتعاون مع الشيوعيين ، ومساعدة العمال والفلاحين ، فكان بذلك ثورياً قوياً ، وجسد تحالف طبقات مختلفة في الثورة الديمقراطية . لكن الكيومنتانغ تحول الى تقويضه بعد عام ١٩٢٧ فأصبح يمثل الكتلة الرجعية للملاكين والبورجوازية الكبيرة . بيد أنه بدل اتجاهه مرة أخرى ، بعد أحداث سيان في كانون الاول عام ١٩٣٦ ، وانعطف نحو وقف الحرب الاهلية والتحالف مع الحزب الشيوعي لمجابهة الاستعمار الياباني في صف واحد . هذه هي خصائص الكيومنتانغ في مراحلها الثلاث ، ومردّها بكل تأكيد الى اسباب مختلفة . أما الحزب الشيوعي الصيني في مرحلة الجبهة الموحدة الاولى ، فقد كان حزباً في طفولته بعد أن قاد بشجاعة ثورة ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، لكنه اتضح انه لم ينضج بعد في فهم طبيعة الثورة ومهامها واساليبها ، وبنتيجة ذلك استطاع اتجاه شن تو - هسيو ، الذي ظهر في الفترة الاخيرة من هذه الثورة ، ان يلعب دوراً وان يؤدي بالثورة الى الهزيمة . ولقد عاد الحزب الشيوعي ، بعد عام ١٩٢٧ ، فقاد بشجاعة الحرب الزراعية الثورية وخلق الجيش الثوري والقواعد الثورية ، لكنه ارتكب اخطاء ناشئة عن نزعة المفامرة التي سببت خسائر جسيمة في الجيش والقواعد على حد سواء . وقد اصبح هذه الاخطاء منذ عام ١٩٣٥ وقاد الجبهة الموحدة الجديدة المناهضة لليابانيين ، وهذا نضاله العظيم يتطور الآن وينمو . وان الحزب الشيوعي في المرحلة الراهنة هو حزب خاض غمار تجربة ثورتين واكتسب مؤونة عظيمة من التجارب . هذه هي خصائص الحزب الشيوعي في الصين في مراحل تطوره الثلاث ، وهي خصائص مردّها كذلك الى أسباب مختلفة . ولسنا نستطيع ، دون دراسة هذه الخصائص ، ان نفهم العلاقات الداخلية النوعية للحزبين في المراحل المختلفة من تطورها : قيام الجبهة الموحدة ، وانفصال الجبهة الموحدة ، وقيام جبهة موحدة أخرى . لكنه ينبغي لنا ، كي ندرس الخصائص المختلفة

للحزبين، ان ندرس - وهذا امر اكثر اهمية ايضاً - الاسس الطبقيّة للحزبين، والتناقضات الناتجة عن ذلك بين الكيومنتانغ والحزب الشيوعي والقوى الاخرى خلال المراحل المختلفة . مثلاً : ان الكيومنتانغ ، في فترة تحالفه الاول مع الحزب الشيوعي ، قد وقف من جهة في تناقض مع الاستعمار الاجنبي فكان مناهضاً له ، بينما وقف من جهة أخرى في تناقض مع جماهير الشعب الفقيرة في الوطن ، ورغم وعوده اللغظية باعطاء فوائد كثيرة للشعب الكادح ، فإنه لم يعطه في الحقيقة الا القليل جداً او لم يعطه شيئاً البتة . ولقد تعاون في الفترة التي قام فيها بالحرب المناهضة للشيوعية ، مع الاستعمار والاقطاعية كي يجابه جماهير الشعب الفقيرة ، ملفياً هكذا سائر المكاسب التي نالتها جماهير الشعب الفقيرة في الثورة ، زائداً بذلك من شدة تناقضه الخاص معها . وان الكيومنتانغ ليريد من جهة ، في الفترة الراهنة من حرب المقاومة ضد العدوان الياباني - اذ يقف في تناقض مع الاستعمار الياباني - أن يتحالف مع الحزب الشيوعي، بينما هو لا يتراخى في نضاله ضد الحزب الشيوعي والشعب الصيني واضطهاده اياهما . اما الحزب الشيوعي فإنه يقف على الدوام ، في اي وقت كان ، الى جانب جماهير الشعب الفقيرة في النضال ضد الاستعمار والاقطاعية . ولما كان الكيومنتانغ قد أبدى رغبته في مقاومة اليابان في الفترة الراهنة من حرب المقاومة ضد العدوان الياباني ، فقد اتخذ الحزب الشيوعي سياسة معتدلة تجاهه وتجاه القوى الاقطاعية الداخلية . ولقد ادت هذه الظروف الى تحالف بين الحزبين في زمن ما ، والى صراعهما في زمن آخر ، بل لقد كان هناك ، حتى في فترة التحالف ، حالة معقدة للامور كان التحالف والنضال يتجاوران فيها . واذا لم تدرس خصائص هذه الظاهرة المتناقضة ، فإننا لن نخفق في فهم العلاقة بين كل من هذين الحزبين والقوى الاخرى فحسب ، بل سوف نخفق في فهم العلاقات الداخلية بين الحزبين ايضاً .

يتبين من هنا انه ينبغي لنا في دراسة الطبيعة النوعية لاي تناقض - التناقض في مختلف اشكال حركة المادة ، والتناقض في اشكال الحركة في سياق عمليات

التطور المختلفة ، ومظاهر التطور المختلفة في كل عملية من عمليات التطور ، والتناقض في مختلف مراحل كل عملية من عمليات التطور وكل مظهر من مظاهر التناقض في مختلف مراحل التطور - ينبغي لنا في دراسة الطبيعة النوعية لسائر هذه التناقضات أن نتحرر من أية شائبة من شوائب الاعتبار الذاتي وأن نقوم بتحليلها تحليلًا حسيًا . ولا يمكن أن يكون ثمة معرفة بالطبيعة النوعية لأي تناقض بدون تحليل حسي لها . إن من واجبنا أن نحمل في ذكرنا بصورة دائمة كلمات لينين : التحليل الحسي للظروف الحسية .

ولقد كان ماركس وانجلز سابقين إلى تزويدنا بنموذج رائع عن هذا التحليل الحسي .

عندما طبق ماركس وانجلز قانون التناقض اللاحق بالأشياء والظواهر على دراسة عملية التاريخ الاجتماعي ، فقد شاهدوا التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج ، وشاهدوا التناقض بين الطبقة المستثمرة والطبقة المستثمرة ، كما شاهدوا الناتج عن ذلك بين الأساس الاقتصادي وبنائه العلوي السياسي والأيديولوجي ، الخ . . وشاهدوا كيف تقود سائر هذه التناقضات ، بصورة محتومة ، إلى ثورات اجتماعية ذات طبيعة مختلفة .

وعندما طبق ماركس هذا القانون على دراسة البنية الاقتصادية للمجتمع الرأسمالي شاهد أن التناقض الأساسي لهذا المجتمع هو التناقض بين الصفة الاجتماعية للإنتاج والصفة الخاصة للملكية ، الأمر الذي يتظاهر في التناقض بين الصفة المنظمة للإنتاج في المشاريع الفردية والصفة غير المنظمة للإنتاج في المجتمع بأسره . وأن التظاهر الطبقي لهذا التناقض هو التناقض بين البورجوازية والبروليتاريا .

وبسبب اتساع دائرة الأشياء والظواهر والصفة اللامحدودة لتطورها ، فإن العمومي في حالة معينة يصير خصوصياً في حالة أخرى . ومن جهة أخرى فإن ما هو خصوصي في هذه الحالة يصير عمومياً في حالة ثانية . إن التناقض القائم في المجتمع الرأسمالي بين الصفة الاجتماعية للإنتاج والصفة الفردية

لوسائل الانتاج هو شيء مشترك بين سائر البلدان حيث توجد الرأسمالية وتتطور ، وهذا ما يشكل ، بالنسبة الى الرأسمالية ، عمومية التناقض . وعلى اية حال ، فان هذا التناقض في الرأسمالية شيء خاص بمرحلة تاريخية معينة من تطور المجتمع الطبقي بصورة عامة ، ومن وجهة نظر التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج في المجتمع الطبقي بصورة عامة ، فان ذلك يشكل خصوصية التناقض . لكن ماركس قد اوضح بصورة اعمق ، وأصوب ، وأكمل - فيما هو يكشف اللثام بالتحليل عن خصوصية كل تناقض في المجتمع الرأسمالي - اوضح عمومية التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج في المجتمع الطبقي بصورة عامة .

ولما كان الخصوصي يرتبط بالعمومي ، ولما كانت عمومية التناقض ايضا ، لا خصوصية التناقض وحدها ، لاصقة بكل شيء وكل ظاهرة ، ولما كانت العمومية تكمن في الخصوصية ، فانه ينبغي لنا عندما ندرس ظاهرة ما ان نحاول اكتشاف كلي هذين المظهرين وترابطهما ، ان نكتشف كلي الخصوصية والعمومية اللاصقتين بهذه الظاهرة وترابطهما على حد سواء ، وان نكتشف الترابط بين هذه الظاهرة والظواهر العديدة الموجودة خارجاً عنها . عندما اوضح ستالين الجذور التاريخية اللينينية في مؤلفه الشهير «أسس اللينينية» ، فقد حلل الوضع الدولي عند ولادة اللينينية وحلّل في الوقت ذاته التناقضات المختلفة في الرأسمالية التي بلغت أوجها في ظروف الاستعمار ، وحلّل كيف جعلت هذه التناقضات الثورية البروليتارية مسألة عمل عتيق ، وكيف خالقت ظروفاً ملائمة للهجوم المباشر على الرأسمالية . وإلى جانب ذلك كله ، فقد حلل الأسباب التي جعلت روسيا وطن اللينينية ، مبيناً كيف كانت روسيا القيصرية تمثل بؤرة سائر تناقضات الاستعمار ، ولماذا يمكن للبروليتاريا الروسية أن تصبح طليعة البروليتاريا الاممية الثورية . وبهذه الطريقة حلل ستالين عمومية التناقض في الاستعمار ، مبيناً كيف أن اللينينية هي ماركسية عصر الاستعمار والثورة البروليتارية ، وحلّل خصوصية الاستعمار الخاص

بروسيا القيصرية في تناقض الاستعمار بصورة عامة ، مبيناً كيف أصبحت روسيا مهد نظرية الثورة البروليتارية. وتكتيكها، وكيف تكمن عمومية التناقض في مثل هذه الخصوصية . ولقد افادنا هذا النوع من التحليل الذي قام به ستالين كنموذج في فهم خصوصية التناقض وعموميته وعلاقتها المتبادلة .

اما بشأن تطبيق الجدلية على دراسة الظواهر الموضوعية ، فقد علم ماركس وانجلز ، وكذلك لينين وستالين ، الناس دائماً أنه ينبغي لهم أن يكونوا نظيفين من أية شائبة من شوائب الاعتباط الذاتي ، وأن يكتشفوا، من الشروط الحسية اللاصقة بحركة الواقع الموضوعي ، التناقضات الحسية في تلك الظواهر ، والدور الحسي لكل من مظاهر التناقضات ، والعلاقات الحسية الباطنة بين التناقضات . ولا يمكن لاصحابنا المذهبيين أن يكونوا ابدأ في جادة الصواب، لأنهم لم يتخذوا في الدراسة مثل هذا الموقف. ينبغي أن يكون اخفاق المذهبية اخطاراً لنا ، فتتعلم كيف نتمكن من الطريقة العلمية –

لانه ليس ثمة طريقة أخرى للبحث .

ان العلاقة بين عمومية التناقض وخصوصية التناقض هي العلاقة بين العام والخاص . واننا لنعني بالعام ان التناقضات موجودة في سائر العمليات وشاملة لها منذ البداية حتى النهاية : ان الحركات والاشياء ، والعمليات ، والافكار هي متناقضة جميعاً . وان نكران التناقض في الاشياء والظواهر هو نكران كل شيء على الاطلاق . هذا مبدا عمومي لسائر الازمان وسائر البلدان، ولا استثناء له مطلقاً . ولذا كان التناقض عاماً ومطلقاً . لكن العام محتوى على اية حال في الخاص ، ولا يمكن ان يكون للعام وجود بدون الخاص . واذا ابعدنا الخاص ، فهل يمكن للعام ان يوجد ؟ ان الخاص يتشكل لان لكل تناقض صفة النوعية الخاصة . وان سائر الخصائص الفردية موجودة بصورة مشروطة ومؤقتة ، فهي بالتالي نسبية .

هذا المبدأ عن العام والخاص ، عن المطلق والنسبي ، هو زبدة مسألة التناقضات في الاشياء وفي الظواهر ، وان عدم فهمه يعادل انكار الجدلية .

٤ - التناقض الرئيسي والمظهر الرئيسي لتناقض ما

لا يبرح هناك ، فيما يتعلق بقضية خصوصية التناقض ، جانبان ينبغي أن يفردا بصورة خاصة للتحليل ، الا وهما : التناقض الرئيسي والمظهر الرئيسي لتناقض ما .

ثمة تناقضات عديدة في كل عملية معقدة لتطور الظواهر ، وفي عدادها تناقض هو بالضرورة التناقض الرئيسي الذي يقرر وجوده وتطوره وجود التناقضات الاخرى أو يؤثر فيها .

مثال ذلك ان قوتي التناقض المتضادتين في المجتمع الرأسمالي ، الا وهما البروليتاريا والبورجوازية ، يؤلفان التناقض الرئيسي . اما التناقضات الاخرى - مثال ذلك التناقض بين بقايا الطبقة الاقطاعية والبورجوازية ، والتناقض بين البورجوازية الصغيرة الريفية والبورجوازية ، والتناقض بين البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة الريفية ، والتناقض بين البورجوازية الليبرالية والبورجوازية الاحتكارية ، والتناقض بين الديمقراطية البورجوازية والفاشية البورجوازية ، والتناقض بين البلدان الرأسمالية نفسها ، والتناقض بين الاستعمار والمستعمرات ، الخ - هذه التناقضات يقررها ذلك التناقض الرئيسي كما أنها تقع تحت تأثيره .

وفي البلدان نصف المستعمرة كالصين ، تشكل العلاقة بين التناقض الرئيسي والتناقضات غير الرئيسية حالة معقدة .

عندما يشعل الاستعمار نيران حرب عدوانية ضد مثل هذا البلد ، فان

الطبقات المختلفة في هذا البلد ، باستثناء عصابة صغيرة من الخونة ، يمكن مؤقتاً أن تتحالف كي تخوض غمار حرب وطنية ضد الاستعمار . وفي مثل هذا الوقت يصبح التناقض بين الاستعمار وذلك البلد التناقض الرئيسي ، بينا سائر التناقضات بين مختلف الطبقات داخل ذلك البلد (بما فيها التناقض الرئيسي بين النظام الاقطاعي وجماهير الشعب الفقيرة) تتقهقر مؤقتاً الى مركز ثانوي أو تابع . تلك كانت الحال في الصين أثناء حرب الافيون عام ١٨٤٠ ، والحرب الصينية اليابانية عام ١٨٩٤ ، وحرب البوكسر عام ١٩٠٠ ، وكذلك هي الحال في الحرب الصينية اليابانية الراهنة .

لكن الأوضاع النسبية للتناقضات تتبدل في حالة أخرى . عندما لا يلجأ الاستعمار الى ضغط الحرب ، بل يعتنق اشكالا معتدلة نسبة ، اشكالا سياسية ، واقتصادية ، وثقافية ، الخ ... كي يتابع اضطهاده ، فان الطبقات الحاكمة في البلدان نصف المستعمرة تستسلم للاستعمار ، وعندها يؤلف الجانبان تحالفاً غايته اضطهاد مشترك لجماهير الشعب الفقيرة . وفي مثل هذه الحال ، كثيراً ما تلجأ جماهير الشعب الفقيرة الى شكل الحرب الاهلية كي تجابه تحالف الاستعمار والطبقة الاقطاعية ، بينا يتخذ الاستعمار على الاغلب طرقاً غير مباشرة لمساعدة الرجعيين في البلدان المستعمرة على اضطهاد الشعب دون أن يقوم بعمل مباشر ، وعندئذ يصبح التناقض الداخلي حاداً بصورة خاصة . هكذا كانت الحال في الصين في الحرب الثورية عام ١٩١١ ، وفي الحرب الاهلية في السنوات ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، وفي أعوام الحرب الزراعية الثورية العشرة منذ عام ١٩٢٧ . ويمكن ان نجد حالة مماثلة ايضاً في الحروب الاهلية بين مختلف الكتل الرجعية الحاكمة في البلدان نصف المستعمرة . مثلاً الحروب بين سادة الحرب في الصين .

وحين تبلغ الحرب الثورية الاهلية نقطة تصبح عندها خطراً أساسياً على وجود الاستعمار واذنابه - الرجعيين الداخليين - فكثيراً ما يتخذ الاستعمار ،

في مفاخرة للاحتفاظ بالسيطرة ، طرقاً تختلف عن الطرق المذكورة أعلاه ، فاما أن يحاول نفس الجبهة الثورية من الداخل واما أن يرسل قوى مسلحة لتساعد الرجعيين الداخليين بصورة مباشرة . وفي مثل هذه الاحوال يقف المستعمرون الاجانب والرجعيون الداخليون في قطب واحد بصورة علنية مفضوحة ، بينما تقف جماهير الشعب الفقيرة في القطب الآخر ، فيتألف بذلك التناقض الرئيسي الذي يقرر تطور التناقضات الاخرى أو يؤثر فيها . ان المساعدة المقدمة من بلدان رأسمالية مختلفة للرجعيين الروسين بعد ثورة اكتوبر هي حالة من التدخل المسلح . وان خيانة شيانغ كاي - شيك عام ١٩٢٧ هي حالة من تفسيح الجبهة الثورية .

لكنه مهما تكن الحال،فمما لايتطرق اليه ادنى شك ان ثمة تناقضاً رئيسياً واحداً فقط ، في كل مرحلة من عملية التطور ، يلعب الدور الرئيسي .

وينتج عن ذلك انه اذا وجد عدد من التناقضات في اية عملية ، فان تناقضاً واحداً منها فقط هو التناقض الرئيسي الذي يلعب الدور الرئيسي الحاسم ، بينما بقية التناقضات تحتل مركزاً ثانوياً أو تابعاً . وهكذا ينبغي لنا في دراسة اية عملية - اذا كانت عملية معقدة يوجد فيها اكثر من تناقضين - أن نبذل قصارى جهدنا كي نكتشف تناقضها الرئيسي . واذا ما ادركنا التناقض الرئيسي مرة ، فان كل مشكلة اخرى يمكن أن تحل في الحال . هذه هي الطريقة التي علمنا ماركس اياها عندما درس المجتمع الرأسمالي . وعندما درس لينين وستالين الاستعمار والازمة العامة للرأسمالية ، وعندما درس الاقتصاد السوفييتي ، فقد علمنا أيضاً هذه الطريقة عينها . ان آلاف من العلماء والعمال الممارسين لا يفهمون هذه الطريقة ، وهم لا يستطيعون بنتيجة ذلك ، وقد احتاروا فكانهم ضائعون في بحر من الضباب ، ان يجدوا عقدة المشكلة ، ولا يستطيعون من جراء ذلك ان يجدوا ايضا الطريقة من اجل حل التناقضات .

وكما قيل آنفاً ، فانا لا نستطيع ان نعامل سائر التناقضات الموجودة في عملية ما على قدم المساواة، بل لابد لنا ان نميز بين التناقض الرئيسي والتناقضات الثانوية ، ونكرس انتباهنا خاصاً لفهم التناقض الرئيسي . لكن هل نستطيع ، في اي تناقض ، اكان رئيسياً ام ثانوياً ، ان نعامل المظهرين المتناقضين على قدم المساواة ؟ كلا ، انا لا نستطيع ذلك . ان تطور المظهرين المتناقضين ، في أي تناقض ، هو تطور متفاوت . ويتراءى أحياناً ان ثمة توازناً في القوى ، لكن تلك حالة مؤقتة ونسبية ، ان الحالة الاساسية هي التطور متفاوت . فلا بد ان يكون احد المظهرين المتناقضين رئيسياً ، وأن يكون المظهر الآخر ثانوياً . والمظهر الرئيسي الذي هو ذلك الذي يلعب الدور الرئيسي في التناقض . لكن هذه الوضعية لمظهري التناقض ليست بالوضعية الثابتة . ان المظهر المركز المسيطر .

لكن هذه الوضعية لمظهري التناقض ليست بالوضعية الثابتة ، ان المظهر الرئيسي والمظهر غير الرئيسي للتناقض يتحولان أحدهما الى الآخر، فتتبدل كيفية الظاهرة بصورة متفقة مع ذلك . انا نجد، في عملية معينة أو في مرحلة معينة من تطور تناقض ما ، ان المظهر الرئيسي هو « ب » وأن المظهر غير الرئيسي هو « ج » ، وتنقلب الأدوار في مرحلة أخرى من التطور أو في عملية أخرى من التطور – وهو تبديل يقرره ازدياد أو نقصان القوة التي يناضل بها كل من المظهرين ضد الآخر في تطور الظاهرة .

وكثيراً ما نتحدث عن « قيام الجديد مكان القديم » . ان قيام الجديد مكان القديم هو قانون العالم العمومي ، المحتوم بصورة أزلية . ان تحول الظاهرة الواحدة الى ظاهرة أخرى بصورة تتفق مع طبيعتها ومع الشروط التي هي موجودة فيها وبواسطة أشكال مختلفة من القفز ، تلك هي عملية قيام الجديد مكان القديم . ان كل ظاهرة تحوي تناقضاً بين مظهرها الجديد ومظهرها القديم ، تناقضاً يشكل سلسلة من النضالات المتداخلة . وينمو

المظهر الجديد ، كنتيجة لهذه النضالات ، ويرتفع ، ويسود ، بينا المظهر القديم يتضاءل ويضمحل بصورة تدريجية . وحالما يتفوق الجديد على القديم ، فان الظاهرة القديمة مع كيفيتها تتحول الى ظاهرة جديدة لها كيفيتها الجديدة الخاصة . وهكذا فان كيفية الشيء يقررهما في المحل الاول المظهر الرئيسي للتناقض الذي احتل المركز المسيطر . وعندما يتبدل المظهر الرئيسي للتناقض الذي احتل المركز الرئيسي ، فان كيفية الظاهرة تتبدل بصورة متفقة مع ذلك .

لقد بدلت الرأسمالية مركزها ، في المجتمع الرأسمالي ، من مركز تابع في العصر القديم من المجتمع الاقطاعي الى المركز المسيطر ، فتبدلت طبيعة المجتمع أيضاً من الاقطاعية الى الرأسمالية . وفي العصر الجديد من المجتمع الرأسمالي ، أصبحت القوى الاقطاعية ، التي كانت في الأصل مهيمنة ، قوى تابعة ، فهي تضمحل اذن بصورة تدريجية ، هكذا هي الحال مثلاً في بريطانيا وفرنسا . وتصبح البورجوازية مع تطور القوى المنتجة ، بعد ان كانت طبقة جديدة تلعب دوراً تقديمياً ، طبقة قديمة تلعب دوراً رجعيّاً حتى تقلبها البروليتاريا بصورة نهائية ، فتصبح هي الاخرى طبقة تضمحل بصورة تدريجية بعد ان حرمت من الوسائل الخاصة للانتاج ومن السلطة . وان البروليتاريا ، وهي اكثر عداءً بما لا يقاس من البورجوازية ، تنمو مع البورجوازية في الوقت ذاته ، لكنها تقع تحت سيطرتها ، وهي تشكل قوة جديدة . وانها لتنمو في القوة ، بصورة تدريجية ، من مركزها البدئي كطبقة خاضعة للبورجوازية وتصير طبقة مستقلة وتلعب دوراً رئيسياً في التاريخ حتى تستولي في النهاية على السلطة السياسية وتصبح الطبقة الحاكمة . وعندئذ تتبدل طبيعة المجتمع فيتحول من المجتمع الرأسمالي القديم الى المجتمع الاشتراكي الجديد . وهذه هي الدرب التي سبق للاتحاد السوفيتي ان اجتازها ، والتي ستجتاز سائر البلدان الاخرى بصورة حتمية لامفر منها .

خذوا الصين مثلاً . ان الاستعمار يحتل ، في التناقض الذي يجعل من

الصين بلداً نصف مستعمر ، المركز الرئيسي ويضطهد الشعب الصيني ، بينا الصين قد تبدلت من بلد مستقل الى نصف مستعمرة . لكن هذه الحال من الأمور سوف تتبدل بصورة محتومة . ففي الصراع بين الجانبين ، سوف تحول قوة الشعب الصيني النامية تحت قيادة البروليتاريا الصين من نصف مستعمرة الى بلد مستقل ، ويقلب الاستعمار، وتحول الصين القديمة بصورة محتومة الى الصين الجديدة .

ويتضمن التحول من الصين القديمة الى الصين الجديدة تحولاً أيضاً في الوضعية بين قوى الصين الاقطاعية القديمة وقواها الشعبية الجديدة ، فتقلب طبقة ملاكي الاراضي الاقطاعية القديمة وتصبح الحكومة بعد ان كانت الحاكمة وتضمحل بصورة تدريجية . أما الشعب فيصبح ، تحت قيادة البروليتاريا، الحاكم بعد ان كان المحكوم وفي الوقت ذاته تتحول طبيعة المجتمع الصيني ، يعني ان المجتمع القديم ، نصف المستعمر ونصف الاقطاعي ، سوف يصير المجتمع الجديد ، المجتمع الديموقراطي .

ونصادف الامثلة على مثل هذه التحولات في تجربتنا الماضية . ان أسرة مانشو المالكة التي حكمت الصين قرابة ثلاثماية سنة قد قلبت أثناء ثورة عام ١٩١١ ، بينما كسبت العصابة الثورية تحت قيادة صن يات صن النصر لفترة من الزمن . وفي الحرب الثورية التي دارت رحاها بين ١٩٢٤ - ١٩٢٧ ، اتسعت القوى الثورية في الجنوب التي تمثل التحالف الشيوعي الكيومنتانفي - وقد كانت ضعيفة في الاصل - وكسبت النصر في الحملة الشمالية ، بينا عصابة أسياد الحرب الشمالية - وقد كانت فائقة القوة مرة - قد دحرت وقلبت . وفي عام ١٩٢٧ ، أصبحت القوى الشعبية التي يقودها الحزب الشيوعي ضعيفة جداً أمام هجمات قوى الكيومنتانغ الرجعية ، لكنها قويت من جديد بصورة تدريجية ، بعد أن انتزعت الانتهازية من صفوفها . وفي القواعد الثورية الخاضعة للقيادة الشيوعية ، أصبح الفلاحون هم الحاكمين

– وقد كانوا المحكومين في الاصل – بينا مر ملاكو الارض بعملية معاكسة. بمثل هذه الصورة يزحزح الجديد القديم في العالم ، ويقوم مكانه ، فيطرح القديم ، ويؤتى بالجديد ، او يضمحل القديم ويتطور الجديد وينمو .

وان الصعوبات لترجع على المحسنات في فترات معينة من النضال الثوري، وعندئذ تشكل الصعوبات المظهر الرئيسي للتناقض والمحسنات المظهر الثانوي. لكن التغلب على الصعوبات يتم بصورة تدريجية بواسطة جهود الثوريين، فتنشأ وضعية جديدة ملائمة ، وتفسح الوضعية الصعبة المكان للوضعية الملائمة . تلك كانت الحال بعد اخفاق الثورة في الصين عام ١٩٢٧ ، وخلال المسيرة الطويلة للجيش الاحمر الصيني . وان الصين لتجد نفسها من جديد ، في الحرب الصينية اليابانية الراهنة ، في مركز حرج ، لكننا نستطيع ان نبدل هذه الحالة التي آلت اليها الامور ونحقق تحولا أساسياً في الاوضاع القائمة في الصين واليابان على حد سواء . وعلى العكس ، فان المحسنات قد تتحول الى مصاعب اذا زلت قدم الثوريين . لقد تحول انتصار ثورة ١٩٢٤ – ١٩٢٧ الى هزيمة ، كما ان القواعد الثورية التي نشأت في المقاطعات الجنوبية بعد ١٩٢٧ قد تعرضت للهزيمة جميعاً عام ١٩٣٤ .

وينطبق الأمر نفسه أيضاً على التناقض في الحركة المنقلة من الجهالة الى المعرفة ، بواسطة تمثل العلوم . فحين بدأنا في دراسة الماركسية ، كان جهلنا او معرفتنا الزهيدة بالماركسية يقف في تناقض مع معرفة الماركسية . لكنه يمكن ، كنتيجة للدراسة المجدة ، ان يتحول الجهل الى معرفة ، والمعرفة الزهيدة الى معرفة غزيرة ، والتخبط في استعمال الماركسية الى تطبيق حاذق لها .

ويظن بعض الناس ان الأمر على خلاف ذلك في بعض التناقضات . مثال ذلك ان القوى المنتجة ، في التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، هي المظهر الرئيسي ، والنشاط العملي هو المظهر الرئيسي في التناقض بين النظرية

والنشاط العملي ، والأساس الاقتصادي هو المظهر الرئيسي في التناقض بين الأساس الاقتصادي والبناء العلوي : وليس ثمة تبدل في أوضاعها المتبادلة . هذه هي نظرية المادية الآلية ، لا نظرة المادية الجدلية . صحيح أن القوى المنتجة ، والنشاط العملي ، والأساس الاقتصادي ، يمكن أن يلعب الدور الرئيسي الحاسم ، ومن ينكر هذه الحقيقة لا يكون مادياً . لكن يجب أن نعترف كذلك بأن علاقات الإنتاج ، والنظرية ، والبناء العلوي يمكن أن تلعب بدورها ، في بعض الظروف ، الدور الرئيسي الحاسم . عندما لا تستطيع القوى المنتجة أن تتطور ما لم تتبدل علاقات الإنتاج ، فإن التبدل في علاقات الإنتاج يلعب اذن الدور الرئيسي الحاسم . وعندما « لا يمكن بدون نظرية ثورية أن تكون حركة ثورية » كما قال لينين ، فإن خلق النظرية الثورية والدفاع عنها يلعب اذن الدور الرئيسي الحاسم . وعندما ينبغي انجاز عمل ما (وهذا ينطبق على أي عمل كان) ، لكنه لا يوجد بعد أي توجيه ، أو طريقة ، أو خطة ، أو سياسة ، فإن صياغة التوجيه ، والطريقة ، والخطة ، أو السياسة هو العامل الرئيسي الحاسم . عندما يعوق البناء العلوي ، كالسياسة والثقافة وما شابه ، تطور الأساس الاقتصادي ، فإن الإصلاحات السياسية والثقافية تصبح العوامل الرئيسية الحاسمة . هل نتجه ضد المادية عندما نقول هذا ؟ كلا . والسبب أننا عندما نعترف بأن الأشياء المادية ، في تطور التاريخ في مجموعه ، هي التي تقرر الأشياء الفكرية ، وأن الوجود الاجتماعي هو الذي يقرر الوجودان الاجتماعي ، لكننا نعترف أيضاً في الوقت ذاته ، ويجب أن نعترف ، برد فعل الأشياء الفكرية والوجودان الاجتماعي على الوجود الاجتماعي ، ورد فعل البناء العلوي على الأساس الاقتصادي ، فإن ذلك لا يُعد وقوفاً ضد المادية ، انه بالضبط تجنب المادية الآلية والتمسك بالمادية الجدلية بكل حزم وثبات .

إذا لم ندرس ، في بحث قضية خصوصية التناقضات ، هذين الشرطين

– التناقض الرئيسي والتناقضات غير الرئيسية في عملية معينة وكذلك المظهر المظهر الرئيسي والمظهر غير الرئيسي لتناقض معين – يعني اذا لم ندرس الخاصة المميزة لهذين الشرطين الخاصين بالتناقض ، فاننا سنفقد اذن في دراسة تجريدية ونعجز عن فهم الشروط الخاصة بالتناقض بصورة حسية ، ونعجز بنتيجة ذلك عن ايجاد الطريقة الصحيحة لحل هذا التناقض . وان هذه الفوارق القائمة في التناقضات وميزاتها المخصوصة تفسر بتفاوت تطوّر التناقضات . فليس في العالم شيء يتطور على سوية منتظمة بصورة مطلقة ، وينبغي لنا ان نعارض نظرية الانتظام او نظرية التوازن . وفي الوقت ذاته ، فان الشروط الحسية الخاصة بتناقض معين ، والتبدل في المظهر الرئيسي والمظهر غير الرئيسي للتناقض في عملية تطوره ، تظهر بالضبط قوة الأشياء الجديدة في إبطال الأشياء القديمة والحلول محلها . ان دراسة الشروط المختلفة للتفاوت في التناقض ، دراسة التناقض الرئيسي والتناقضات غير الرئيسية ، تشكل احدى الطرق الأكثر اهمية التي يقرر بها حزب سياسي ثوري خطته السياسية والعسكرية السوقية والتعبوية بصورة مضبوطة . ان من واجب سائر الشيوعيين ان يفهموا هذا الأمر جيداً .

ه – هوية التناقضات وصراعاها

بعد ان اوضحنا قضية عمومية التناقض وخصوصيته ، يجب ان ننتقل الى دراسة هوية التناقضات وصراعاها .

الهوية ، الوحدة ، المطابقة ، التنافذ ، التداخل ، التساند (او الاشتراط المتبادل) ، الترابط او التعاون – هذه العبارات المختلفة جميعاً تعني فكرة واحدة وتقصد هاتين الموضوعين : أولاً ، ان كلا من مظهري أي تناقض في

عملية تطور الظواهر يفترض وجود المظهر الآخر ، وكلا المظهرين يتواجدان في الوحدة . ثانياً ، ان كلاً من المظهرين المتناقضين يتحول ، بصورة متفقة مع شروط معينة ، الى المظهر الآخر . وهذا هو ما يقصد بالهوية .

لقد قال لينين :

« ان **الجدلية** هي النظرية التي تبرهن كيف يمكن **للمتضادات** ان تكون **متطابقة** ، وكيف تصبح متطابقة (كيف تتبدل وتصبح متطابقة) - في أية ظروف تتحول الى بعضها بعضاً وتصبح متطابقة - ولماذا ينبغي للفكر الانساني الا ينظر الى المتضادات كاشياء ميتة جامدة ، بل كاشياء حية ، مشروطة ، قابلة للتبدل ، تتحول الى بعضها بعضاً » (١) .

ما معنى هذه الكلمات التي قالها لينين ؟
ان المظاهر المتناقضة في أية عملية تتنافى ، وتتصارع ، وهي متضادة فيما بينها . ومثل هذه المظاهر المتناقضة موجودة دون استثناء في عمليات سائر الظواهر في العالم وفي الفكر البشري . وان للعملية البسيطة زوجين من المتضادات فقط ، بينما تملك العملية المعقدة أكثر من زوجين . وان أزواجا مختلفة من المتضادات هي متضادة بدورها بين بعضها بعضاً . وبهذه الطريقة ، فان سائر الظواهر في العالم الموضوعي والفكر البشري تتشكل وتدفع الى الحركة .

لكنه اذا كانت الامور هكذا ، فثمة انعدام مطلق اذن للهوية او الوحدة . كيف يمكننا اذن ان نتحدث عن الهوية او الوحدة ؟

السبب في ذلك ان المظاهر المتناقضة لا يمكن ان توجد بصورة منعزلة . فاذا فقد المظهر الواحد ، فان المظهر الآخر يفقد شروط وجوده هو الآخر . تصوروا فقط ، هل يمكن لأي من مظاهر سائر الظواهر المتناقضة او المفاهيم المتناقضة في الفكر البشري ان يوجد بصورة مستقلة ؟ فلا حياة بدون الموت ،

(١) ف . ا . لينين : « مقتطفات من « منطق » هيجل » ، « الدفاتر الناحية » .

ولا موت بدون الحياة . لا « فوق » بدون « تحت » ولا « تحت » بدون « فوق » . لا حظ سييء بدون الحظ السعيد ، ولا حظ سعيد بدون الحظ السييء . لا سهولة بدون الصعوبة ، ولا صعوبة بدون السهولة أيضاً . لا ملاكين عقاريين بدون فلاحين مأجورين ، ولا فلاحين مأجورين بدون ملاكين عقاريين . لا بورجوازية بدون البروليتاريا ، ولا بروليتاريا بدون البورجوازية . لا اضطهاد استعماري للشعوب بدون مستعمرات وأنصاف مستعمرات ، ولا مستعمرات وأنصاف مستعمرات بدون الاضطهاد الاستعماري للشعوب . ان سائر العناصر المتضادة هي على هذا الفرار : متناهضة بفعل شروط معينة ، وهي من جهة أخرى مترابطة ومتداخلة ومتنافذة ومتساندة . وهذا ما يسمى الهوية . ان سائر المظاهر المتناقضة هي ، بسبب شروط معينة ، متميزة بعدم الهوية ، فهي بالتالي تعتبر متناقضة . لكنها متميزة أيضاً بالهوية ، فهي بالتالي مترابطة . وهذا ما يقصده لينين بقوله ان الجدلية تدرس « كيف يمكن للمتضادات أن تكون متطابقة وكيف يمكن أن تصبح متطابقة » . كيف يمكن أن تكون متطابقة ؟ بالضبط من جراء اشتراطها المتبادل . هذا هو المعنى الاول للهوية .

لكنه هل يكفي أن نقول فقط ان المظاهر المتناقضة تشتترط بعضها بعضاً ، يعني ان ثمة هوية فيما بينها ، فهي تستطيع بنتيجة ذلك أن تتعايش في ذاتية واحدة ؟ كلا ، هذا لا يكفي . ان القضية لا تنتهي بالاشتراط المتبادل للمظهرين المتناقضين ، فما يفوق ذلك أهمية هو تحول الاشياء المتناقضة بعضها الى البعض الآخر . وهذا يعني أن كلاً من المظهرين المتناقضين داخل الظاهرة الواحدة يسعى ، بسبب شروط معينة ، أن يتحول الى المظهر الآخر ، وان ينتقل بنفسه الى المركز المضاد . وهذا هو المعنى الثاني لهوية التناقض .

ولماذا ثمة هوية أيضاً ؟ انتم ترون أن البروليتاريا التي كانت محكومة ذات يوم تصبح هي الحاكمة بواسطة الثورة ، بينا البورجوازية ، وهي الحاكمة

في الاصل ، تصبح هي الحكومة وتتخذ المركز الذي كانت نقيضتها تشغله في الأصل . وهذا ما سبق فحدث في الاتحاد السوفيتي وما سيحدث في العالم بأسره . واني لأود أن أسأل : لو لم يكن ثمة ترابط وهوية للمتضادات في شروط معينة ، فكيف يمكن لمثل هذا التبدل أن يحدث ؟

ان الكيومنتانغ الذي لعب دوراً ايجابياً معيناً في مرحلة معينة من التاريخ الصيني الحديث قد أصبح منذ ١٩٢٧ ، بسبب طبيعته الطبقية اللاسقة به ومفريات الاستعمار (هذه هي الشروط) ، حزباً مناهضاً للثورة ، لكنه أجبر ، بسبب اشتداد التناقض بين الصين واليابان وسياسة الجبهة الموحدة التي انتهجها الحزب الشيوعي (هذه هي الشروط) ، أن يقبل بمقاومة اليابان . ان الاشياء المتناقضة تتحول الى بعضها البعض ، وبالتالي فان فيها هوية معينة .

ان الثورة الزراعية التي قمنا بها هي منذ الآن ، وسوف تكون ، عملية تصحح فيها طبقة الملاكين العقاريين الذين يملكون الارض طبقة محرومة من الأرض ، بينما الفلاحون ، وقد كانوا محرومين من أرضهم مرة ، يصبحون مالكين صفاراً للارض . فالذين يملكون والذين لا يملكون ، الربح والخسارة ، مترابطة جميعاً بسبب بعض الشروط المعينة، وثمة هوية للجانبين المتضادين . ولسوف يتحول نظام الملكية الخاصة للفلاحين بدوره ، في ظل الاشتراكية ، الى نظام الملكية العامة للزراعة الاشتراكية ، ولقد حدث هذا منذ الآن في الاتحاد ونظام الملكية العامة للزراعة الاشتراكية ، ولقد حدث هذا منذ الآن في الاتحاد السوفيتي ، وسوف يحدث في العالم بأسره . ثمة جسر بين الملكية الخاصة والملكية العامة يقود من الواحدة الى الاخرى يدعى في الفلسفة الهوية ، او التحول من الواحدة الى الآخر ، أو التنافذ .

وان توطيد دكتاتورية البروليتاريا أو دكتاتورية الشعب يعني بالضبط تهيئة الشروط لتصفية مثل هذه الدكتاتورية والتقدم الى المرحلة الاعلى من القضاء على سائر انظمة الدولة . وان انشاء الحزب الشيوعي وتطويره يعينان بالضبط تهيئة الشروط للقضاء على الحزب الشيوعي وسائر الانظمة الحزبية .

وان انشاء الجيش الثوري بقيادة الحزب الشيوعي والقيام بالحرب الثورية يعنيان بالضبط تهيئة الشروط للقضاء على الحرب الى الأبد . ان هذه الاشياء المتناقضة هي متكاملة في الوقت ذاته .

ويتحول الحرب والسلم ، كما يعرف الجميع ، الى بعضهما بعضاً . ان الحرب تتحول الى السلم ، مثال ذلك ان الحرب العالمية الاولى قد تحولت الى سلم ما بعد الحرب ، والحرب الأهلية في الصين أيضاً قد توقفت الآن وحل السلم الداخلي مكانها . وان السلم يتحول الى الحرب ، مثال ذلك ان التعاون بين الكيومنتانغ والحزب الشيوعي عام ١٩١٧ قد تحول الى حرب ، والوضع العالمي السلمي الراهن يمكن أن يتحول هو الآخر الى حرب عالمية ثانية . لماذا ؟ لأن مثل هذه الاشياء المتناقضة من حرب وسلم تتميز في المجتمع الطبقي بالهوية في شروط معينة .

ان سائر المتضادات مترابطة وهي لا تتعاش في كل واحد في شروط معينة فحسب ، بل تتحول الى بعضها بعضاً في شروط معينة - وهذا هو معنى هوية المتضادات ، وهو بالضبط ما عناه لينين عندما ناقش « . . كيف يمكن ان تكون متطابقة (كيف تتبدل وتصبح متطابقة) - في أية ظروف تتحول الى بعضها بعضاً وتصير متطابقة » .

لماذا ينبغي للفكر الانساني « الا ينظر الى هذه المتضادات كاشياء ميتة جامدة ، بل كاشياء حية ، مشروطة ، قابلة للتبدل ، تتحول الى بعضها بعضاً » ؟ لأن تلك هي بالضبط حقيقة الأشياء والظواهر الموضوعية . ان وحدة أو هوية المظاهر المتناقضة في الأشياء والظواهر الموضوعية ليست أبداً بالأمر الميت ، الجامد ، بل هي أمر حي ، مشروط ، قابل للتبدل ، مؤقت ونسبي . ان سائر المظاهر المتناقضة تتحول في شروط معينة الى اضدادها ، وان انعكاس هذه الاوضاع في الفكر الانساني يشكل المفهوم الماركسي ، المادي الجدلي عن العالم . ان الطبقات الحاكمة الرجعية ، الماضية والحاضرة على

حد سواء ، والمتافيزيائيين الذين في خدمتها ، هم وحدهم الذين لا ينظرون الى المتضادات كأشياء حية ، مشروطة ، قابلة للتبدل ، تتحول الى بعضها بعضاً ، بل ينظرون اليها كأشياء ميتة ، جامدة ، وينشرون هذه النظرة المغلوطة في كل مكان كي يضللوا جماهير الشعب ، وبذلك يبلغون هدفهم في الإبقاء على حكمهم . وان واجب الشيوعيين هو بالضبط فضح مثل هذه الفكرة الرجعية الميتافيزيائية المغلوطة ، ونشر الجدلية اللاصقة بالأشياء والظواهر ، والاسهام في تحويل الظاهرة الواحدة الى الظاهرة الاخرى كيما يحققوا اهداف الثورة .

وعندما نقول ان ثمة وحدة للتناقضات في شروط معينة ، فاننا نعني ان هذه التناقضات حقيقية وحسية ، ونعني أيضاً للمظاهر أن تحول التناقض الواحد الى الآخر هو تحول حقيقي وحسي أيضاً . ان التحولات المتنوعة في الميثولوجيا - مثال ذلك سباق كويافو مع الشمس في « كتاب الجبال والبحار » (١) واسقاط يي للشموش السبع في « هوياي ناي تسي » (٢) ،

(١) « كتاب الجبال والبحار » كتب في عصر الدولة المتحاربة (٤٠٣ - ٢٢١) ق م . وقد وصف كويافو في احدى الاساطير ككائن فوق انساني يتسابق مع الشمس . واذ ربح السباق فقد بنى في الشمس قصراً له . لكنه مات أخيراً بفعل العطش .

(٢) يي واحد من الإبطال الاسطوريين في الصين القديمة ، وقد اشتهر خاصة بمهارته في رمي النبال . وتقول أسطورة من « هوياي ناي تسي » ، وهو كتاب جمع برعاية الامير ليو آن في القرن الثاني قبل المسيح ، أنه كان عشر شمس في السماء في أيام الامبراطور بايو . وبسبب ما كانت تلحقه هذه الشمس من أضرار في الزراعة ، فقد أصدر بايو امره الى يي أن يطلق نباله عليها . وتقول أسطورة أخرى منسوبة الى ونغ يي (القرن الثاني بعد المسيح) ان الرامي قد اسقط تسعاً من الشمس العشر .

وتقمصات القرد الاثني والسبعين في « الحج الى الغرب » (١) ، والحكايات العديدة في « الاقاصيص الغريبة من المشغل المجاني » (٢) ، هذه الروايات التي تحدث عن اشباح ووعالب تقمصت شكل الكائنات البشرية ، الخ - ان تحولات التضادات الواحد الى الآخر كما رويت في هذه الاساطير هي من نوع التحولات الصبائية الخيالية ، وقد ابتكرها بصورة ذاتية اناس استلخوا التحولات التي لا حصر لها للتناقضات المعقدة الحقيقية ، تحولات هذه التناقضات الى بعضها بعضاً ، وهي ليست بتحويلات حسية كتلك التي تبدو في التناقضات الحسية . ولقد قال ماركس : « ان كل ميثولوجيا تسيطر وتحكم وتصر قوى الطبيعة في الخيال وبواسطته ، وهكذا فانها ما اسرع أن تتلاشى عندما يكتسب الانسان السيادة على قوى الطبيعة » (٣) . ورغم ان قصص التقمصات التي لا تنتهي في هذه الميثولوجيا (وفي الحكايات التي تروىها المربيات للاطفال الصفار ايضاً) يمكن أن تبعث السرور في قلب الناس لان استيلاء الانسان على قوى الطبيعة ، الخ ، مجسم بصورة خيالية فيها . ولأن الميثولوجيا الفضلى تتمتع « بفتنة أبدية » (ماركس) ، فان الميثولوجيا لا تركز مع ذلك على تناقضات حسية ، وبذلك فهي لا تعكس الواقع بصورة علمية . وهذا يعني أن المظاهر التي تشكل التناقضات في الميثولوجيا او في حكايات الأطفال لا تملك سوى هوية وهمية ، لا هوية حسية . ان الجدلية الماركسية هي التي تعكس الهوية في تبدلات الواقع بصورة علمية .

(١) « الحج الى الغرب » كتاب ميثولوجي كتب في القرن السادس عشر . وسون وو - كونغ ، بطل القصة ، قرد مشخص كان يملك القوة العجيبة على تغيير نفسه الى اثني وسبعين شكلاً ، كالصافير والحيوانات والحجارة .

(٢) « الاقاصيص الغريبة من المشغل المجاني » مجموعة قصص قصيرة كتبها يوسونغ - لينغ في القرن السابع عشر . وهي تضم ٨١ قطعة ، ومعظمها اقاصيص جنيات ، واشباح ، ووعالب ، مأخوذة عن الاقاصيص الشعبية . وهناك ترجمة انكليزية للكتاب نقلها هربرت جيلز . (٣) كارل ماركس : « مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي » ، الطبعة الانكليزية ، الصفحتان : ٣١٠ - ٣١١ شيكاغو ، ١٩٠٤ .

لمَ لا يمكن لسوى البيضة ان تتحول الى صوص من دون الحجر ؟ لمَ
ثمة هوية بين الحرب والسلم وليس بين الحرب والحجر ؟ لمَ لا تستطيع
الكائنات البشرية ان تعطي مولداً سوى لكائنات بشرية من دون اي شيء آخر ؟
السبب في ذلك ليس سوى ان هوية التناقض توجد في شروط ضرورية معينة
فقط ، ولا يمكن ان تكون هوية من اي نوع كان من دون هذه الشروط
الضرورية المعينة .

ولمَ كانت ثورة شباط ١٩١٧ الديمقراطية البورجوازية في روسيا
مرتبطة بصورة مباشرة مع ثورة تشرين البروليتارية الاشتراكية الناشئة في
السنة نفسها، بينما لم تكن الثورة البورجوازية في فرنسا مرتبطة بصورة مباشرة
مع ثورة اشتراكية ، وكومونة باريس عام ١٨٧١ قد انتهت الى الاخفاق اخيراً ؟
ولم كان النظام القبلي في منغوليا وآسيا الوسطى ، من جهة أخرى ، مرتبطاً
مباشرة بالاشتراكية ؟ ولم يكن للثورة الصينية ان تتجنب مستقبلاً رأسمالياً
فتستطيع ان ترتبط بالاشتراكية مباشرة دون اجتياز الدرب التاريخية القديمة
للبلدان الفرية ، دون المرور بمرحلة من الديكتاتورية البورجوازية ؟ ليس
السبب في ذلك سوى شروط الزمن الحسية . عندما تتوفر الشروط الضرورية
المعينة ، فان التناقضات تنشأ في عملية تطور الأشياء ، والاكثر من ذلك ان
هذه التناقضات وسائر التناقضات التي من هذا النوع ترتبط في سبيل
الوجود ببعضها بعضاً وتتحول الى بعضها بعضاً ، ولولا ذلك لكان كل شيء
مستحيلاً .

هكذا تطرح قضية الهوية . فما الصراع في ذلك ؟ وما هي العلاقة بين
الهوية والصراع ؟

لقب قال لينين :

« ان وحدة (اتفاق ، هوية ، تكافؤ) المتضادات مشروطة ،
مؤقتة ، انتقالية ونسبية . ان صراع المتضادات المانعة لبعضها

بعضاً مطلق الصبغة، تماماً كما ان التطور والحركة مطلقان» (١).

ما الذي يعنيه لينين هنا ؟

ان لسائر العمليات بداية ونهاية، وان سائر العمليات تتحول الى اضدادها .
ان ثبات سائر العمليات نسبي ، لكن عدم الثبات المتظاهر في تحول العملية
الواحدة الى عملية اخرى مطلق .

ان حركة سائر الظواهر تتخذ شكلين : شكل السكون النسبي ، وشكل
التبدل الجلي . وان كلا شكلي الحركة مسببان عن صراع العاملين المتناقضين
المحتويين في الظاهرة نفسها . واذ تتخذ حركة الظاهرة الشكل الاول ، فانها
تجتاز عندئذ تبديلاً كمياً فقط لا تبديلاً كيفياً ، وتبدو بنتيجة ذلك في حالة من
السكون الظاهري . وعندما تتخذ حركة الظاهرة الشكل الثاني ، فانها تكون
قد بلغت سلفاً نقطة قيمة معينة للتبدل الكمي الخاص بالشكل الاول، فتسبب
افتراق الوحدة ، وتنتج تبديلاً كيفياً ، وتبدو بنتيجة ذلك في حالة من التبدل
الجلي . وان الوحدة ، والتماسك ، والاندماج ، والتوافق ، والتوازن ،
والموت ، والتوقف ، والسكون ، والثبات ، والتعادل ، والتخثر ، والانجذاب ،
وهي ما نشاهد في الحياة اليومية ، هي جميعاً ظواهر الأشياء في حالة التبدل
الكمي . ومن جهة أخرى فان افتراق الوحدة ، وانحطام حالة التماسك والاندماج
والتوافق والتوازن والموت والتوقف والسكون والثبات والتعادل والتخثر
والانجذاب ، وتغيرها الى الحالات المضادة لها هي جميعاً ظواهر الأشياء في
حالة التبدل الكيفي أثناء تحول العملية الواحدة الى عملية أخرى . ان الأشياء
تتحول أبداً من الشكل الاول الى الشكل الثاني ، بينا الصراع داخل التناقضات
موجود في كلا الشكلين ويبلغ حله بواسطة الشكل الثاني . واننا لنقول اذن
ان وحدة المتناقضات مشروطة ، مؤقتة ، ونسبية ، بينا صراع المتناقضات
المانعة بعضها بعضاً مطلق .

(١) ف . ١٠ . لينين « في الجدلية » ، « المؤلفات المختارة » ، الطبعة الانكليزية ، المجلد

الحادي عشر ، ص : ٨٢ . نيويورك ، ١٩٤٣ .

قلنا آنفاً ان ثمة هوية بين شيئين متضادين ، ولذا فان الشئيين يمكن ان يتعايشا في ذاتية واحدة ويمكن ايضاً ان يتحولا الواحد الى الآخر ، فقد كنا نقصد الشرطية ، يعني ان الظواهر المتناقضة يمكن ان تتحد في شروط معينة ويمكن ايضاً ان تتحول الى بعضها بعضاً ، لكنه لا يمكن بدون مثل هذه الشروط ان تصبح متناقضة ، ولا يمكن ان تتعايش ، ولا يمكن ان تتحول الى بعضها بعضاً . ولما كانت هوية التناقض لا تتحقق الا في شروط معينة فقط ، فاننا نقول ان الهوية مشروطة ونسبية . واننا لنضيف هنا : ان الصراع داخل التناقض يجتاز العملية منذ البداية حتى النهاية ويسبب ان تتحول العملية الواحدة الى عملية أخرى ، ولما كان الصراع داخل التناقض موجود في كل مكان ، فاننا نقول ان الصراع داخل التناقض غير مشروط ومطلق .

ان الهوية المشروطة النسبية ، ممتزجة بالصراع المطلق غير المشروط ، تشكل الحركة المتضادة الاتجاهات الموجودة في سائر الظواهر .

ونحن الصينيين ما اكثر ما نقول : « ان الأشياء المتضادة تتكامل . » (١) وهذا يعني ان ثمة هوية للمتضادات . وهذه الملاحظة جدلية ، وهي منافية للميتافيزياء . ان يكون المظهران المتناقضان « متضادين » ، هذا يعني منعهما بعضهما بعضاً او صراعهما . وان « يتكامل المظهران المتناقضان » ، هذا يعني انهما يصبحان ، في شروط معينة ، متحدين ويحققان الهوية . ان الصراع يقوم بالضبط في الهوية ، ولا هوية بدون الصراع .

ان في الهوية صراعاً ، وفي الخصوصية عمومية ، وفي الخاص عاماً . وكى نستعير كلام لينين ، « فثمة مطلق حتى في النسبي » (٢) .

(١) هذا الشاهد ظهر للمرة الاولى في « تاريخ خلافة هان الاولى » الذي كتبه بان كو ، وهو مؤرخ شهير من القرن الاول بعد المسيح ، وقد أصبح منذ ذلك الحين مثلاً شعبياً .

(٢) لينين : « في الجدلية » .

٦ - دور التضاد في سلسلة من التناقضات

« ماهو التضاد ؟ » ، هذا سؤال يتعلق بالصراع داخل التناقض . وان جوابنا هو ان التضاد شكل من أشكال صراع التناقضات ، لكنه ليس الشكل العمومي .

يوجد التضاد بين الطبقات ، في التاريخ البشري ، كظواهر خاص لصراع التناقضات بين الطبقة المستثمرة والطبقة المستثمرة : ان الطبقتين المتناقضتين تتعايشان زمناً طويلاً في مجتمع واحد ، اكان هذا المجتمع عبودياً ام اقطاعياً ام رأسمالياً ، وتتصارعان ، لكن الجانبين لا يتبنيان شكل التضاد الصريح الذي يتطور الى الثورة حتى ينمو التناقض بين الطبقتين ويبلغ مرحلة معينة . ومثل ذلك تحول السلم الى الحرب في المجتمع الطبقي .

ان القنبلة ، قبل الانفجار ، ذاتية تعايش فيها التناقضات بسبب شروط معينة . ولا يقع الانفجار الا عندما يوجد شرط جديد (الاشتعال) . وثمة وضع مماثل في سائر الظواهر الطبيعية عندما تتخذ في النهاية شكل التضاد الصريح كي تحل تناقضات قديمة وتحدث أشياء جديدة .

وانه لأمر فائق الأهمية ان تمثل هذه الموضوعة . انها تساعدنا على ان نفهم ان الثورات والحروب الثورية امور محتومة في المجتمع الطبقي ، وان القفزة في التطور الاجتماعي مستحيلة بدونها ، فلا يمكن قلب الطبقات الحاكمة الرجعية ، ولا يمكن ان يظفر الشعب بالسلطة السياسية . ينبغي للشيوعيين ان يفضحوا الدعاية المضللة التي ينشرها الرجعيون عن استحالة الثورة

الاجتماعية وعدم ضرورتها، الخ. . وأن يرفعوا بثبات النظرية الماركسية اللينينية عن الثورة الاجتماعية بحيث يساعدون الشعب على أن يفهم أن الثورة الاجتماعية ليست ضرورية فحسب ، بل ممكنة كل الامكان أيضاً ، وأن تاريخ الجنس البشري كله وانتصار الاتحاد السوفيتي يؤكدان هذه الحقيقة العلمية .

وينبغي لنا ، على أية حال ، أن ندرس بصورة حسية شروط الاصناف المختلفة من الصراع داخل التناقضات ، ولا ينبغي لنا أن نفرض بصورة غير ملائمة الصبغة المذكورة آنفاً على كل شيء . ان التناقض والصراع عموميان ومطلقان ، لكن الطرق لحل التناقضات ، يعني اشكال الصراع، تختلف حسب الفروق في طبيعة التناقضات . ان بعض التناقضات تتميز بتضاد صريح ، والبعض الآخر على خلاف ذلك . ان بعض التناقضات ، غير المتضادة في الاصل ، تتطور استناداً الى تطور الظواهر الحسي وتصير متضادة ، بينما تناقضات أخرى ، متضادة في الاصل ، تتطور وتصير غير متضادة .

وكما أشرنا آنفاً ، فان التناقض بين الايديولوجية الصحيحة والايديولوجيات المفلوطة داخل الحزب الشيوعي يعكس في الحزب التناقضات الطبقة في المجتمع الطبقي . ولا يحتاج مثل هذا التناقض في البداية ، او نظراً لظروف معينة، أن يتظاهر فوراً بطبيعته العدائية. لكنه يمكن ان يتطور، مع تطور الصراع الطبقي ، ويصبح عدائياً . ان تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي يظهر لنا أن التناقض بين ايديولوجية لينين وستالين الصحيحة والايديولوجيات المفلوطة لتروتسكي وبوخارين وآخرين ، لم يتظاهر في البداية بشكل عدائي ، لكنه تطور فيما بعد صائراً تضاداً . وقد حدث مثل ذلك في تاريخ الحزب الشيوعي الصيني . ان التناقض بين الايديولوجية الصحيحة لعدد كبير من رفاقنا في الحزب والايديولوجيات المفلوطة لشن تو - هسيو ، وشانغ كيو - تاو ، وآخرين لم يتظاهر أيضاً في البداية بشكل عدائي ، لكنه تطور فيما بعد صائراً تضاداً . وفي الوقت الراهن لا يتظاهر التناقض بين الايديولوجية

الصحيحة والايديولوجيات المغلوطة في حزبنا بشكل عدائي، واذا اصلح الرفاق الذين ارتكبوا اخطاء انفسهم فان ذلك التناقض لن يتطور الى تضاد. ونتيجة ذلك انه ينبغي للحزب من جهة ان يخوض غمار صراع جدي ضد الايديولوجيات المغلوطة، وان يعطي من جهة اخرى الفرصة الكافية للرفاق الذين ارتكبوا اخطاء كي ينتبهوا لها . وفي مثل هذه الشروط لا يصح بكل تأكيد ان ندفع بالصراع حتى حده الاقصى . لكنه اذا استمر اولئك الناس الذين ارتكبوا اخطاء في ارتكاب اخطائهم وضاعفوا خطورتها ، فمن الممكن اذن ان تتطور مثل هذه التناقضات الى تضاد .

وفي المجتمع الرأسمالي (حيث تستثمر المدينة في ظل الحكم البورجوازي الريف دونما شفقة او رحمة) وفي المناطق التي يشرف عليها الكيومتانغ في الصين (حيث تستثمر المدينة في ظل حكم المستعمرين والاجانب والبورجوازية الكبيرة الوطنية الريف بصورة فائقة الوحشية) فان التناقض - اقتصادياً - بين المدينة والريف هو تناقض شديد التضاد حتى الدرجة القصوى . لكن مثل هذا التناقض العدائي يصبح ، في بلد اشتراكي وفي قواعدنا الثورية ، تناقضاً غير عدائي ، ولسوف يتلاشى عندما يظهر المجتمع الشيوعي الى الوجود .

لقد قال لينين : « ان التضاد والتناقض شيان مختلفان كل الاختلاف . ان التضاد يتلاشى في ظل الاشتراكية ، لكن التناقض يوجد . » (١) وهذا يعني ان التضاد ليس سوى شكل للصراع في داخل التناقض ، لكنه ليس الشكل العمومي له . اننا لا نستطيع ان نفرض الصيغة في كل مكان .

(١) راجع ملاحظات ف . ا . لينين النقدية لكتاب بوخارين عن « اقتصاد مرحلة الانتقال . »

(الشاهد مترجم عن النص الصيني) .

٧ - النتيجة

نستطيع الآن أن نقدم بعض الملاحظات الختامية . ان قانون التناقض في الاشياء ، يعني قانون وحدة المتضادات ، هو القانون الاساسي في الطبيعة والمجتمع ، وبالتالي فهو قانون الفكر الاساسي . وذلك مفهوم مناقض للمفهوم الميتافيزيائي عن العالم ، وهو يعني ثورة عظيمة في تاريخ المعرفة البشرية . ومن وجهة نظر المادية الجدلية ، فان التناقض يوجد في سائر عمليات الظواهر الموضوعية والتفكير الذاتي ، ويجتاز سائر العمليات منذ البداية حتى النهاية - هذه هي عمومية التناقض واطلاقه . وان للظواهر المتناقضة وكل من مظاهرها خصائصها النوعية الخاصة بها . هذه هي خصوصية التناقض ونسبيته . ان الظواهر المتناقضة تتميز ، باعتبار شروط معينة ، بالهوية فتستطيع بالتالي ان تتعايش في ذاتية وأن تتحول الى بعضها بعضاً - وهذه هي أيضاً خصائص التناقض ونسبيته . لكن الصراع داخل التناقض لا يتقطع ، انه يوجد حين تتعايش المتضادات وحين تتحول الى بعضها بعضاً على حد سواء ، والصراع واضح على الاخص في الحالة الاخيرة - وهذه هي أيضاً عمومية التناقض واطلاقه . وحين ندرس خصوصية التناقض ونسبيته ، ينبغي ان نلاحظ التمييز الموجود بين ما هو رئيسي وما هو غير رئيسي في التناقضات وفي المظاهر المتناقضة على حد سواء ، وحين ندرس عمومية التناقض والصراع القائم فيه ، ينبغي ان نلاحظ التمييز الموجود بين مختلف اشكال الصراع القائم في باطنه ، والا فاننا نرتكب أخطاء . واذا فهمنا حقاً ، بعد الدراسة ، النقاط الجوهرية المذكورة اعلاه ، فاننا نستطيع اذن أن نسحق تلك الآراء المذهبية المناهضة للمبادئ الاساسية للماركسية اللينينية والمؤذية لقضيتنا الثورية ، كما نكئن أيضاً رفاقنا المجربين أن ينسقوا تجاربهم بحيث يصفون عليها صفة المبدأ متجنبين بذلك الوقوع من جديد في أخطاء التجريبية . هذه هي بعض النتائج البسيطة التي توصلنا اليها في دراستنا لقانون التناقض .

الفهرس

الصفحة	
٥	مقدمة الطبعة العربية .
٧	مرحلة الحرب الأهلية الثورية الأولى .
٩	تحليل الطبقات في المجتمع الصيني .
٢٣	تقرير عن تحقيق في الحركة الفلاحية في هونان
٧٥	مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية .
٧٧	لماذا يمكن أن توجد السلطة السياسية الحمراء في الصين ؟
٩٠	النضال في جبال شينغ كانغ
١٣٥	في تصحيح بعض الأفكار الخاطئة في الحزب .
١٥١	رب شرارة أشعلت ناراً هائلة .
١٦٩	يجب أن نعنى بالعمل الاقتصادي .
١٨١	كيف نحلل الطبقات في المناطق الريفية .
١٨٥	سياستنا الاقتصادية .
١٩٣	الاهتمام بشروط الجماهير المعيشية والعناية بأساليب العمل .
٢٠١	في تعبئة قتال الاستعمار الياباني .
٢٤١	القضايا السوقية للحرب الثورية في الصين .
٢٤٢	الفصل الاول - كيف ندرس الحرب
٢٥٩	الفصل الثاني - الحزب الشيوعي الصيني والحرب
	الثورية الصينية .
٢٦٦	الفصل الثالث - خصائص الحرب الثورية في الصين
٢٧٤	الفصل الرابع - حملات « التطويق والافناء »
	والحملات المضادة :
	الاشكال الرئيسية للحرب الأهلية في الصين .

الفصل الخامس - الدفاع السوقي .

بيان حول بيان شيانغ كاي - شيك .	٣٤٧
مهمات الحزب الشيوعي الصيني في مرحلة المقاومة ضد اليابان .	٣٥٨
لنناضل في سبيل اجتذاب عشرات الملايين من الجماهير الى الجهة الوطنية الموحدة المناهضة لليابانيين .	٣٨٧
في النشاط العملي .	٤٠١
في التناقض .	٤٢٢
١ - المفهومان عن العالم .	٤٢٣
٢ - عمومية التناقض .	٤٢٩
٣ - خصوصية التناقض .	٤٣٤
٤ - التناقض الرئيسي والمظهر الرئيسي لتناقض ما .	٤٤٩
٥ - هوية التناقضات وصراعها .	٤٥٧
٦ - دور التضاد في سلسلة من التناقضات .	٤٦٧
٧ - النتيجة .	٤٧٠

لا تقتصر أهمية مؤلفات ماوتسي تونغ على الصين وحدها ، أو آسيا وحدها ، بل لقد أصبحت جزءاً أساسياً من التراث الماركسي ، تستنير بهديها بصورة خاصة جميع الشعوب في البلدان المستعمرة ونصف المستعمرة والتابعة ، في أفريقيا وأميركا اللاتينية ، في النضال ضد الاستعمار ، في سبيل التحرر الوطني ، والسلم ، والديموقراطية ، والاشتراكية .

وكان ماوتسي تونغ أول من أطلق شعار الجبهة الوطنية الموحدة ضد الاستعمار ، وهو ما نجد عرضاً وافياً له في تقرير « في تعبئة قتال الاستعمار الياباني » المنشور في هذا المجلد الأول من « المؤلفات المختارة » . أما دراسته الفاتكة الأهمية : « القضايا السوقية للحرب الوطنية في الصين » ، المنشورة هنا أيضاً ، فهي بحث عسكري أصيل يتوجب على كل ضابط عسكري وكل مناضل ثوري أن يتمكن من المبادئ المعروضة فيه . هذه المبادئ التي كانت الضمانة الأولى لانتصار الثورة الصينية المظفرة .

ونجد في هذا المجلد ، فضلاً عن عدد من الدراسات الهامة الأخرى ، بحثين عميقين في الجدلية المادية ، وهما « في النشاط العملي » و « في التناقض » ، اللذان يشرحان أسس النظرية الماركسية في مجال نظرية المعرفة بأسلوب لا يجارى .

ان « المؤلفات المختارة » لماوتسي تونغ ، في مجلداتها الأربعة التي ستصدر تبعاً عن دار دمشق للطباعة والنشر في سلسلة مصادر الاشتراكية العلمية تشكل سلاحاً نظرياً ماضياً في أيدي العسكريين والمناضلين الثوريين في جميع البلدان المناضلة ضد الاستعمار . في سبيل التحرر الوطني والديموقراطية والاشتراكية ، وكثراً ثميناً يجب أن يكون في حوزة كل مثقف .

دار دمشق

النشر والتوزيع في الاقطار العربية دار دمشق - دمشق شارع بور سعيد هاتف ١١٦٦٥

السعر ٥٠٠ ق